

موسوعة التاريخ الإسلامى

١٠

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر
(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)

أنور السادات : شخصيته وعصره
دراسة محايدة



تأليف
الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كامبردج

استاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

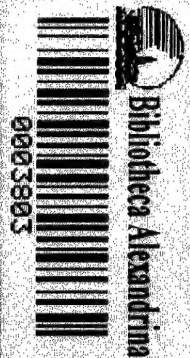
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

والعائز لوسام - العلوم والفنون - من الطبعة الأولى
لكتابات فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية



مكتبة المتحف المصرى
٩ شارع مدinet - القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٩٠



مَوْثِقَةٌ

التاريخ الإسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ العالم الإسلامى
كله من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر ، مع دراسة الجوانب الحضارية
التي أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى .

١٠

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر
(ثورة ٢٣ يوليو من يوم إلى يوم)
أنور السادات : شخصيته وعصره
دراسة محايدة

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج (انجلترا) .
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

والحائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتابات فى التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
الطبعة الأولى (١٩٩٠)



مكتبة المطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
أصحابها حسنى محمد وأولاده
١ شارع - ١٠٠ ميدان باب الفتاح

التاريخ * * * * *

شعاع "هن الماضي يثير الحاضر والمستقبل *

خطة البحث في هذه الموسوعة

ان خطة البحث التي اتبعتها في كتابة « التاريخ الاسلامى » خطة جديدة ومريحة ، ويسرنى ان ابرزها في التخطيط التالى ليعرف القارىء كلها ، وليسهل عليه متابعتها :

| | | |
|--------------------|-----|--|
| دراسة زمنية في هذه | ج ١ | العرب قبل الاسلام — السيرة النبوية العطرة — عصر الخلفاء الراشدين |
| الأجزاء الثلاثة اذ | ج ٢ | الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها |
| ان العالم الاسلامى | ج ٣ | الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ودور المسلمين خلاله في خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية |
| وحدة واحدة . | | |

ثم دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) في الأجزاء الخمسة التالية لأن العالم الاسلامى انقسم الى دويلات كثيرة ، ويشمل كل جزء من هذه الأجزاء قطاعا من العالم الاسلامى ، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مبتدئين من الغرب ومتجهين الى الشرق كالتخطيط التالى :

| الجزء الثامن | الجزء السابع | الجزء السادس | الجزء الخامس | الجزء الرابع |
|---|--|---|---|--|
| التاريخ الاسلامى للدول الاسلامية غير العربية بآسيا : ايران — أفغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — اندونيسيا — الاطليسات الاسلامية بالصين والاتحاد السوفيتى والهند والفلبين وسنغافورة . | الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الآن . دول الجزيرة العربية : المملكة العربية السعودية — عمان اليمن — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، دولة الإمارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — العراق | الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن : دراسة عن — الدول الاسلامية قبل الاستعمار الأوروبى . — وسائل انتشار الاسلام بقلب افريقية . موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالي — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال | الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن : مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر الحروب الصليبية : دوائعها — ادوارها — نتائجها الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ ظهورها حتى الآن | الأنطلس الاسلامية وانتقال الحضارة الاسلامية منها الى أوروبا المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا ، من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر السنوسية : مبادئها وتاريخها |

وتتضمن الموسوعة بدراسات تفصيلية من تاريخ مصر المعاصر :

الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب وعصر عبد الناصر
عصر المظالم والهزائم

الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : أنور السادات : شخصيته وعصره

تاريخ الملوك والرؤساء

كثير من الملوك والرؤساء يندمجون في ترف الحياة وأبهة السلطة ، وينسون أن ذلك إلى نهاية ، وأن تاريخهم يَدَوُّن من يوم إلى يوم ، وأن هذا التاريخ سيعيش بعدهم أحقابا طويلة ، يحكى حياتهم ، ويصور أعمالهم ، ويجلب لهم الرحمات ، أو يستنزل عليهم اللعنات .

وهذا الكتاب تذكير لمن نسي ، حتى لا يغترَّ رئيس بحاضره ، وحتى يدرك كل رئيس مسؤوليته أمام الله وأمام الناس ، في رعاية العهد الذى قطعه على نفسه ، واليمين التى أقسمها أن يحكم بالعدل والقسطاس ، وأن يعطى بقدر ما يأخذ أو أكثر مما يأخذ ، وكم من رؤساء نعموا بضع سنوات ، ثم جلبوا على أنفسهم وأهليهم السخط عدة قرون .

وما قد أنذرت ، فاللهم اشهد .

آراء بعض المفكرين في طبيعة الحكم العسكرى بمصر

انتُصَح أن الجيش جماعة أنانية ، مثلهثة على
الاستمرار فى السلطة ، تعيش فى ترفٍ على حساب
الآخرين ، حريصة على زيادة امتيازاتها ، وهى بعيدة
عن الطبقات العاملة بعدا شاسعا .

(Macseem Rodenson)

تخلّى ثوار مصر عن مبادئهم التى كانوا يعلنونها
قبل الثورة ، فقد كانوا يهاجمون الأحكام العرفية ، وتزييف
الانتخابات ، والرقابة على الصحف ، واعتقالات
السياسيين ولكنهم سرعان ما أصبحوا يزاولون هذه
الأعمال وأكثر منها بشراسة ، فقد استنابوا الحكم ،
واستبعدوا فكرة تسليم السلطة للشعب .

(Gource Haddad)

أثبتت التجارب أن من العيب أن تطلب الديمقراطية
الحقة من العسكريين ؛ فالإنسان العسكرى ألف
الديكتاتورية ، يعامل بها من دونه ، ويقبلها ممن
فوقه ، ومقياس الديمقراطية ليس فقط حرية الكلمة ،
بل البعد تماما عن تزييف الانتخابات حتى تحكم البلاد
بالممثلين الحقيقيين للشعب .

(دكتور أحمد شاذلى)

(و)

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى :

دراسة تحليلية شاملة فى عشرة مجلدات لتاريخ العالم الاسلامى كله من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى حققتها الدول الاسلامية عبر التاريخ .

(ظهرت الطبعة الرابعة عشرة منها)

ثانيا : موسوعة الحضارة الاسلامية :

دراسة تحليلية فى عشرة أجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية ، التى جاء بها الاسلام لهداية البشرية فى شئون الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد ، والعلاقات الدولية ، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية ، كما تبرز نشاط المسلمين لإحياء الحضارة التجريبية كالطب والرياضة والفلك ...

(ظهرت الطبعة التاسعة منها)

ثالثا : مقارنة الأديان :

سلسلة من الكتب فى أربعة مجلدات ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراساتها بالحييدة والعمق .

(ظهرت الطبعة التاسعة منها)

رابعا : كتب فى الثقافة العامة :

— كيف تكتب بحثا أو رسالة :

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه . (ظهرت طبعته الحادية والعشرون) .

— الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى الآن .

— حركات فارسية ضد الاسلام والمسلمين عبر العصور :
الشعبوية — القرامطة — الباطنية — الزنج — البابية والبهائية .

خامسا : كتب بلغات أجنبية :

1 — ISLAM : Belief - Legislation - Morals .

2 — History of Muslim Education .

وعشرون كتابا باللغة الاندونيسية والماليزية .

سادسا : كتابان لخدمة اللغة العربية هما :

1 — تعليم اللغة العربية لغير العرب .

2 — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها .

سابعا : التفسير المبسر للقرآن الكريم :

تفسير موجز وواضح يهدف لأن تفهم القرآن الكريم اذا قرأته أو سمعته ، مع وقفات تفصيلية عند بعض القضايا القرآنية المهمة .

(ز)

المكتبة الاسلامية لكل الاعمار

تخطيط يشمل ١٠٠ جزء ظهر منها ٦٠ جزءا في مجموعات أحيانا ، وفي أجزاء مستقلة أحيانا أخرى كالآتي :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة : (١٦ جزءا)

وتشمل سيرة الرسول كلها وجوانب منها 'تدوّن لأول مرة .

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة : (٧ أجزاء)

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية : (٥ أجزاء)

نزول القرآن وتدوينه - اعجاز القرآن - الأخلاق الاسلامية من القرآن الكريم .

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم : (٧ أجزاء)

المجموعة الخامسة : الدولة الاموية : تأريخ يحتاج الى انصاف (٥ أجزاء)

لماذا انحرف تدوين التاريخ الاموي ؟ ماذا عن محاسن الامويين ؟
مدّعوا التشيع وسموهم - قمع في التاريخ الاموي : معاوية -
عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - عمر بن عبد العزيز -
التوسع الاسلامي في العهد الاموي - قصة استشهاد الامام الحسين
والمسئول عنها .

المجموعة السادسة : صراع وشهداء وانتصارات : (٦ أجزاء)

- من شهداء الاسلام .
- الحروب الصليبية : بدؤها مع مطلع الاسلام واستمرارها حتى
الآن .
- شهر رمضان وانتصارات المسلمين فيه .

المجموعة السابعة : الاسلام والمرأة : (٦ أجزاء)

حالة المرأة في الحضارات غير الاسلامية - ماذا قدم الاسلام للمرأة ؟
نماذج من السيدات المسلمات : من بيت النبوة (السيدة زينب
والسيدة سكينة) ونماذج في السياسة والآداب والعلوم والفنون -
زيجات شهيرة في التاريخ : (زبيدة - بوران - قطر الندى) .

المجموعة الثامنة : انتصارات المسلمين عبر العصور :

٣٠ معركة انتصر فيها المسلمون بدءا من معركة بدر سنة ٢ هـ الى
معركة « الفاو » سنة ١٤١٠ هـ .

الميراث في الشريعة الاسلامية : دراسة شاملة .

- تطوير دراسة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ودور دار
العلوم في هذا المجال .
- تاريخ الطب في الإسلام .

(ج)

محتويات الكتاب

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١٧ | عبد الناصر والسادات وصلتهما بالتاريخ الإسلامى مقدمات : |
| | ١ - مؤرخ التاريخ الحديث بين الحقائق من جانب ، |
| ٢٣ | والإعلام الزائف من جانب آخر |
| ٣١ | ٢ - ثورة ٢٣ يوليو وأثرها على العسكريين والمدنيين |
| ٣٢ | الثورة أفرزت وحوشا بشرية |
| ٣٤ | ٣ - الثورة ومصر |
| ٣٩ | ماذا فعلت الثورة بمصر وبالإنسان المصرى ؟ |
| ٤٣ | محاكمة الثورة |
| ٤٦ | ٤ - الثورة والديمقراطية |
| ٤٩ | ٥ - الثورة والاستعمار |

عصر أنور السادات

الباب الأول

السادات قبل الثورة

| | |
|----|---|
| ٥٧ | جذور السادات ونشأته |
| ٥٨ | السادات والساداتى |
| ٥٩ | أسرة أنور السادات |
| ٦٠ | التشابه بين طفولة ناصر والسادات |
| ٦١ | لعبة الحظ فى العالم الثالث (الكليات العسكرية) |
| | السادات بعد التخرج : |

زواجه من بنت العمدة ٦٥ - اتصاله بالألمان واعجابه بهتلر
٦٦ - طرده من الجيش واعتقاله ٦٨ - بعد الطرد من
الجيش ٦٩ .

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| حزب الوفد والقصر الملكي وأنور السادات | ٧١ |
| الحرس الحديدى وصلته بالقصر | ٧٤ |
| وقفه للمقارنة : (الاعتقالات بين عهدى فاروق والثورة) | ٧٦ |
| من البراءة للعودة للجيش : | |
| أولاً : أعماله فى هذه الفترة | ٧٨ |
| ثانياً : زواجه من السيدة جيهان | ٧٩ |
| خراقة ٨١ - الجذور مرة أخرى ٨٢ - جيهان ومظهر | |
| أسرتها ٨٤ . | |
| ثالثاً : الإخوان المسلمون : علاقة ومرتب للسادات | ٨٥ |
| رابعاً : السادات وسيط بين حسن البنا والقصر | ٨٦ |
| خامساً : القصر وعودة السادات للجيش | ٨٧ |
| من العودة للجيش حتى الثورة | ٨٩ |

الباب الثانى

السادات من مطلع الثورة إلى أن تولى رئاسة الجمهورية

| | |
|--|-----|
| السادات ليلة قيام الثورة | ٩٣ |
| أمريكا والثورة : | ٩٤ |
| ثورة ٢٣ يوليو كانت إجهاضاً لثورة شعبية | ٩٤ |
| الثورة والملك | ٩٦ |
| عبد الحكيم عامر ملاذ السادات | ٩٨ |
| الوظائف التى شغلها السادات فى عهد عبد الناصر : | |
| ١ - رئيس تحرير جريدة الجمهورية | ٩٩ |
| ٢ - السادات سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى | ١٠٠ |
| صورة عامة عن المؤتمر والخيال الذى لعب برعوس الثوار | |
| ١٠٠ - ١٠٨ من البذخ الى الاستجداء ١٠٨ - مقر المؤتمر | |
| مخبأ لعبد الناصر ١٠٩ - خراب بورسعيد وسوء الدعاية | |
| ١١٠ - سوء استخدام الحقائق الديبلوماسية ١١١ . | |
| (م - ١ التاريخ الإسلامى) | |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١١٣ | ٣ - أنور السادات وكيلا ثم رئيسا لمجلس الأمة |
| ١١٥ | الوحدة مع سوريا ثم الانفصال |
| ١١٦ | حرب اليمن |
| ١١٧ | ٤ - السادات نائبا لرئيس الجمهورية |
| ١١٩ | نهاية عبد الناصر وشكوك حول سبب الوفاة |
| ١٢٣ | تحركات حول وراثة عبد الناصر السياسية |

الباب الثالث

السادات رئيسا لجمهورية

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٣١ | تاريخ فرد أو تاريخ أمة ؟ |
| ١٣٣ | السادات والتركة التي ورثها |

الثوار ١٣٤ - المال وتأثيره على الثوار :
 أنور السادات يصف الثوار ١٣٤ - عبد المنعم أمين يصف
 جواهر أسرة محمد على ١٣٦ - نصيب لبنان من ثراء مصر
 ١٣٨ - عبد الناصر سبب الحرب في لبنان ١٣٩ - أسرة
 عبد الناصر والماس الثمين ١٣٩ - ثراء أسرة عبد الناصر
 ١٤٠ - عبد الناصر هو طريق الثراء لأهله ١٤١ - وثائق
 ينشرها الأستاذ الحمامي ١٤٢ - تجارة المشير وثراؤه
 ١٤٣ - منى عبد الناصر تشتري الأرض من الفلاحين
 بالضغط ١٤٤ - عثمان أحمد عثمان وفيلات لبناني
 عبد الناصر وآخرين ١٤٥ -

| | |
|-----|--|
| ١٤٦ | عبد الناصر وإفقار الأغنياء وإذلال الشرفاء |
| ١٤٧ | المصادرة الارتجالية |
| ١٤٧ | الملكة فريدة والجسوع |
| ١٤٨ | قضية كمثيش : نموذج للطغيان الذى أدى للانهايار |
| ١٥١ | الهجرة لإسرائيل أهون من تعذيب الثوار للمواطنين |
| ١٥٢ | قرار جمهوري ناصري باعتقال صلاح محروس وآخرين !! دون تحديد |
| ١٥٢ | أعوان عبد الناصر الذين سلبوا مال الشعب |

الموضوع الصفحة

مواقف ضد الإسلام والمسلمين :

- اعداد الاخوان وتحيةة للحاخام في يوم واحد ١٥٤ -
- القابضون على الجمر ١٥٥ - المقارنة بالرسول عليه
- الصلاة والسلام ١٥٥ - عدوان على السلام والدعوة
- الاسلامية ١٥٦ -

أسس الاضطرابات الاقتصادية بمصر « اختفاء الرصيد الذهبى » ١٥٦

لم تكن ثورة بل غزوة ١٥٧

تناقض الحياة العسكرية مع الحريات العامة ١٥٨

عبد الناصر والإلهام المزيف ١٥٩

مدى الهزيمة سنة ١٩٥٦ ١٦٣

طموحات عبد الناصر ونتائجها المدمرة ١٦٤

إهمال الثوار للمرافق الداخلية ١٦٥

هزيمة يونيو ١٩٦٧ المدمرة ونتائجها : ١٦٦

- ميزانية سرية للمشير كميزانية عبد الناصر ١٧١ - المعركة
- وقارات عسكرية متضاربة ١٧٢ - جاسوس يهودى يخدع
- الثوار ١٧٧ - جهل القادة بخطورة الأسطول السادس
- ١٧٨ - جوع قاتل للجندود على الجبهة ١٧٩ - المواصلات
- السلكية والملاسلكية مقطوعة بسيما ١٨٠ -

قادة مصر يتنازعون حول الجبهة المتداعية ١٨١

معركة ١٩٦٧ تصوّر انتصار الحضارة على التخلف ١٨٢

رأى موسى ديان فى سياسة عبد الناصر ١٨٢

من نتائج حرب ١٩٦٧ :

- مجزرة الأبرياء ١٨٤ - أمراض نفسية نتيجة الحرب ١٨٤ -
- وأراض اجتماعية ١٨٥ - حركة الاستنزاف ونتائجها
- ١٨٥ - مصر فى حماية السوفييت ١٨٥ - عصابة ومساخيط
- ١٨٨ - أخطاء الثورة وقعت فى طول عهدها ١٨٩ -

تطوّر فى العالم الثالث وجمود فى مصر ١٩١

- فى الهند ١٩٣ - فى سلطنة عمان ١٩٥ - فى اندونيسيا
- ١٩٦ - فى زيمبابوى ١٩٦ -

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| موسى صبرى يقول : ليس بالهند سيارة مستوردة . | ١٩٤ |
| قصة حفيد أحمد عرابى والخديعة لإحضاره من المغرب | ١٩٩ |
| ختام عهد (مصر عندما تسلمها عبد الناصر وعند وفاته) | ٢٠٠ |

حوليات عصر السادات :

أحداث سنة ١٩٧٠

| | |
|--|-----|
| حلف اليمين الدستورية وأهمية الأيمان عند حالفها | ٢٠٩ |
| السادات وبرنامج عبد الناصر | ٢١٠ |
| الانحناء أمام تمثال عبد الناصر | ٢١٠ |
| الأخراسات وتنظيم فرضها | ٢١١ |

أحداث سنة ١٩٧١

| | |
|--------------------------------|-----|
| ثورة التصحيح ودراسات عنها | ٢١٥ |
| تعليقات مهمة على ثورة التصحيح | ٢٢٨ |
| ثقافة زعماء عصر عبد الناصر | ٢٣٣ |
| عام الحسم | ٢٣٧ |
| محاولات لحلول سلمية مع إسرائيل | ٢٣٩ |
| معاهدة صداقة مع السوفييت | ٢٤٠ |
| دستور السادات : عرض ونقد | ٢٤٣ |

أحداث سنة ١٩٧٢

| | |
|--------------------------|-----|
| طرد الخبراء السوفييت | ٢٥٣ |
| عزل بعض الصحفيين والكتاب | ٢٥٥ |
| إقالة الفريق محمد صادق | ٢٥٥ |

أحداث سنة ١٩٧٣

| | |
|---|-----|
| حدثت الحرب غطى على كل الأحداث | ٢٥٩ |
| مقارنة بين جيش مصر سنة ١٩٦٧ وجيشها سنة ١٩٧٣ | ٢٦٢ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٢٦٥ | هدف المعركة مع إسرائيل |
| ٢٦٦ | قرار رئيس الجمهورية ببدء المعركة |
| ٢٦٧ | التمويه والخداع |
| ٢٦٨ | اختيار أنسب وقت للهجوم |
| ٢٦٩ | استعدادات إسرائيل قبل أكتوبر |
| ٢٧١ | الإعداد لإذاعة بيان العبور |
| ٢٧١ | مع حرب أكتوبر من يوم إلى يوم |
| ٢٧٢ | المشير أحمد اسماعيل يصف الزحف وسقوط خط بارليف |
| ٢٧٥ | مشكلات العبور والتغلب عليها |
| ٢٨٢ | مع جيش إسرائيل وسياسة إسرائيل |
| ٢٨٣ | جولدا مائير تستغيث : الزلزال أنقذونا |
| ٢٨٨ | يوم طويل ميمون |
| ٢٩٠ | معركة الدبابات |
| ٢٩١ | أمريكا ثم الثغرة |
| ٢٩٥ | إنقاذ سوريا عرض مصر للخطر |
| ٢٩٨ | خطاب السادات لحافظ الأسد |
| ٢٩٩ | وقفات مع الثغرة |
| ٣٠٧ | معركة السويس وبطولة ابن السويس |
| ٣٠٩ | شاهد عيان إسرائيلي يصف بطولات السويس |
| ٣١٠ | معركة بورسعيد وأهداف إسرائيل |
| ٣١١ | التدخل بين الجيش المصري والإسرائيلي |
| ٣١٢ | فك الاشتباك في الجبهة المصرية |
| ٣١٤ | فك الاشتباك في الجولان |
| ٣١٤ | فك اشتباك آخر ! ! على الجبهة المصرية |
| ٣١٧ | هل أضاع السادات أية فرصة عسكرية أو سياسية |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٣١٧ | لماذا أقبل السادات على الولايات المتحدة ؟ |
| ٣١٩ | نتائج معارك أكتوبر |
| ٣٢٤ | خسائر إسرائيل في المعركة |
| ٣٢٦ | اعترافات بالبطولات المصرية |
| ٣٢٧ | العرب والمعركة |
| ٣٢٨ | نماذج من بطولات أكتوبر |
| ٣٣٣ | من كلمات الكتاب المصريين عن أكتوبر والسادات (كى لا ننسى) مصطفى أمين - توفيق الحكيم - يوسف ادريس - عبد الرحمن الشرقاوى - انيس منصور - مصطفى محمود - نجيب محفوظ - محمد حسنين هيكل - أحمد بهاء الدين - ابراهيم راشد - عبد العظيم رمضان . |
| ٣٤٠ | من أقوال زعماء العالم عن حرب أكتوبر هنرى كيسنجر - ريتشارد نيكسون |
| ٣٤٠ | اعترافات إسرائيلية المؤرخ يعقوب تلمون - جولدا مائير - موسى ديان |
| ٣٤١ | من كلمات مراسلى الصحافة الغربية الأوبزرفر - يونيتدبرس - واشنطن ستار نيوز - نيويورك تايمز |
| ٣٤٣ | أمريكا والقنبلة الذرية لإنقاذ إسرائيل |
| ٣٤٤ | هيلموت شميت : السادات أعظم شخصية في هذا القرن |
| ٣٤٥ | المفاوضة واستعادة سيناء |
| ٣٤٦ | هل كان صلحا منفردا ؟ ورأى الإسلام فى الصلح مع إسرائيل |
| ٣٤٨ | الولايات المتحدة هى عدونا الأول |
| ٣٤٨ | كلمة أخيرة عن أنور السادات والمعركة |

الصفحة

الموضوع

أحداث سنة ١٩٧٤

- ٣٥٣ الارتباط بأمريكا وإعادة العلاقات معها
٣٥٤ إطلاق سراح الأستاذ مصطفى أمين
٣٥٧ اضطرابات صحفية
٣٥٩ ورقة أكتوبر ومحاولات الديمقراطية
٣٦٢ المنابر ثم الأحزاب
٣٦٣ السبادات يعين الأحزاب ورؤساءها آنذاك
٣٦٤ نهاية الاتحاد الاشتراكي للعين
٣٦٤ قانون الأحزاب وقيام حزب الوفد ثم تجميد نشاطه
٣٦٦ الإنفتاح الاقتصادي : عرض ونقد
٣٧٠ الاستيراد بدون تحويل عملة
٣٧١ آلاف المليونيرات بمصر ومصادر ثرائهم
٣٧٢ قوانين الاسكان الجائرة ونتائجها
٣٧٣ شركات توظيف الأموال
نماذج من لصوص الانفتاح :
٣٧٥ رشاد عثمان
٣٧٦ فكري عازر
٣٧٧ التشجيع على الهجرة
٣٨٠ إلغاء زيارة بريجنيف لمصر

أحداث سنة ١٩٧٥

- ٣٨٣ تعمير مدن القناة وإعادة افتتاح القناة
٣٨٤ نهاية الملك فيصل بيد أئيمة

أحداث سنة ١٩٧٦

- ٣٩١ إلغاء المعاهدة مع السوفييت
٣٩٤ مصر بين نار السوفييت ونار أمريكا

أحداث سنة ١٩٧٧

- ٣٩٩ انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير
٤٠٢ القوانين الاستثنائية
٤٠٣ حُزب ليبيا
٤٠٤ رحلة القدس وخطاب السادات بالكنيسة
٤١٦ ضد خطاب السادات على زعماء إسرائيل
٤١٨ نظرة لهذه الرحلة

أحداث سنة ١٩٧٨

- ٤٢٣ اغتيال الأستاذ يوسف السباعي
٤٢٣ ١٨ شهيدا من رجال الصاعقة في قبرص
٤٢٤ استفتاء ١٤ مايو واختفاء حزب الوفد
٤٢٥ في الطريق الى كامب ديفيد
اجتماعات الاسماعيلية — اجتماعات القدس — ليدز
٤٣٠ فشل الاجتماعات شجع على التقارب العربي مع مصر
٤٣١ اجتماعات كامب ديفيد ونتائجها (اتفاقيتان)
٤٣٣ بنقد الاتفاقية الأولى
لقطات حول أطراف النزاع :

لقطات ترتبط بمصر ٤٣٤ — لقطات ترتبط بإسرائيل ٤٣٦ —
لقطات ترتبط بأمريكا ٤٣٨ — لقطات ترتبط بالعرب ٤٣٩ —

- ٤٤٠ مؤتمر بغداد وقراراته
٤٤٤ وفاة كامب ديفيد
٤٤٧ جائزة نوبل

أحداث سنة ١٩٧٩

- ٤٥١ في الطريق لمعاهدة السلام
٤٥١ المعاهدة بين مصر وإسرائيل وخلصتها

| الصفحة | الموضوع |
|----------------|--|
| ٤٥٥ | اتفاق أمريكي إسرائيلي |
| ٤٥٦ | معاهدة السلام في الميزان |
| ٤٥٧ | قضية طابا وامتدادها الى عهد حسنى مبارك |
| ٤٦٤ | قانون الأحوال الشخصية ونهايته |
| ٤٦٨ | ٣٠ مقعداً للمرأة في مجلس الشعب |
| أحداث سنة ١٩٨٠ | |
| ٤٧٣ | إلغاء الأحكام العرفية وإعلان قرارات الرخاء |
| ٤٧٣ | طائرة أحمد بدوى |
| ٤٧٣ | مع شاه إيران |
| ٤٧٦ | إسرائيل تعلن القدس مدينة موحدة وعاصمة لإسرائيل |
| أحداث سنة ١٩٨١ | |
| ٤٨١ | عام هموم |
| ٤٨١ | ميت أبو الكوم في سيفاء |
| ٤٨١ | صحيفة ولدت ميثة (صحيفة مايو) |
| ٤٨١ | اليهود يثيرون شبهة بقصف المفاعل النووى العراقى |
| ٤٨٢ | أحداث الزاوية الحمراء |
| ٤٨٥ | مساعات للعراق فى حربه ضد إيران |
| ٤٨٦ | قرارات سبتمبر المشؤمة |
| ٤٩١ | مقارنة بين اعتقالات عبد الناصر والسادات |
| ٤٩٢ | الاعتقالات والرأى العام المصرى والعالمى |
| ٤٩٣ | غرور السادات بالاستقبالات الشعبية ! ! |
| ٤٩٤ | من كلمات الأستاذ عمر التلمسانى عن الاعتقالات |
| ٤٩٥ | دكتور حلمى مراد يصف بعض حالات الاعتقالات |

الموضوع الصفحة

حادث المنصة

- ٤٩٦ الأسباب غير المباشرة لحادث المنصة
٤٩٨ الأسباب المباشرة
٤٩٩ وصف الحادث
٥٠٠ رقم « ٦ » في حياة السادات
٥٠٩ ضحايا الحادث
٥١١ جنازة السادات
٥١٢ اغتيال السادات يحتّم إعادة النظر
٥١٢ بعد النهاية (قصور ومخصصات لجيهان وأولادها)
٥١٥ أولاد السادات في نظره نوعان
٥١٦ قانون بمنح القصور والمعاشات الاستثنائية للرؤساء دائما
٥١٦ محاكمة القطة
٥١٩ نقابة المحامين وموقفها من رئيس المحكمة
٥٢٠ سقوط النظام كلمه
٥٢٠ قوانين يجب أن تسقط

أحداث ليست من الحوايات

الحاكم وأسرته

- ٥٢٥ أنور السادات ولماذا اختاره ناصر نائبا له
٥٢٥ نفاق السادات (مع فاروق ومع الضباط الأحرار)
٥٢٦ مع عبد الناصر وضده
٥٢٧ كتاب السادات « يا ولدى هذا عمك جمال »
٥٢٧ ألقاب الصفات ينسبها السادات لزعيمه
٥٢٩ ألقاب الصفات ينسبها السادات لزعيمه في كتابه « البحث عن الذات »
٥٣٢

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| | جيهان السادات |
| ٥٣٦ | نمط جديد من زوجات الرؤساء |
| ٥٣٧ | سيدة مصر الأولى ! ! |
| ٥٣٨ | جمال السادات يخطب بنتا أمها مسيحية لبنانية |
| ٥٤٠ | جيهان من أصحاب الأعمال |
| ٥٤١ | موقف الإسلام من تجارة الحاكم وذويه |
| ٥٤١ | نشاط وشبهات (الوفاء والأمل و) |
| ٥٤٣ | ٣٠ مقعدا للمرأة في مجلس الشعب |
| ٥٤٣ | قانون (جيهان) للأحوال الشخصية ! ! |
| ٥٤٤ | دعوتها لزوجات رؤساء الدول لزيارة مصر ! ! |
| ٥٤٥ | ثورتها على الشباب المسلم !! |
| ٥٤٧ | إعجابها هي وابنتها بشعب إسرائيل ! ! |
| ٥٤٨ | ثقافة جيهان والدرجات الجامعية |
| ٥٥١ | جيهان ومحنة الدكتور عبد العزيز سليمان |
| ٥٥١ | هل تزوجت جيهان بعد أنور السادات ؟ |
| ٥٥٢ | ثروة جيهان الآن |
| ٥٥٤ | أين أسرة عبد الناصر وأسرة السادات الآن ؟ |
| ٥٥٥ | أولاد الحكام الاشتراكيين وتطلعاتهم |
| ٥٥٨ | إخوة السادات |
| ٥٦١ | طلعت السادات وعلى شفيق والمخدرات |
| ٥٦١ | نقيسة السادات |
| ٥٦٢ | سكينة السادات |
| ٥٦٢ | على رءوف (أخو جيهان) وعصمت السادات |
| ٥٦٤ | الديكتاتورية عند السادات |
| ٥٧٠ | فصله خيرة الأعضاء من مجلس الشعب |
| ٥٧٠ | كمال الدين حسين ومكانته |

| الموضوع | الصفحة |
|-----------------------------------|--------|
| الشيخ عاشور وفضيلة الشيخ الشيرازي | ٥٧٢ |
| الأستاذ عبد الفتاح حسن | ٥٧٥ |
| التعرف وهظايره ووسائله | ٥٧٧ |
| الديون : متى بدأت وأين أنفقت | ٥٨٧ |
| محاولة تسديد الديون وفشلها | ٥٩٥ |
| ثورات ومواجهاات | ٥٩٧ |
| الانتفاضة الطلابية | ٦٠٠ |
| صالح سرية ومأساة الفنية العسكرية | ٦٠١ |
| الدكتور محمد حسين الذهبي | ٦٠٢ |
| تنظيم الجهاد | ٦٠٧ |
| الزاوية الحمراء | ٦٠٩ |
| عصر السادات بين المساوىء والحسنات | |
| مقدمة | ٦١١ |
| حسنات ومزايا للسادات | |
| حرب ١٩٧٣ وما حققته من مكاسب | ٦١١ |
| استبعاد الشيوعية | ٦١٢ |
| إعادة الصلة بالعرب | ٦١٣ |
| تصفية الحراسات | ٦١٤ |
| نهاية مراكز القوى | ٦١٤ |
| شيء من الديمقراطية | ٦١٥ |
| جانب من الثقافة | ٦١٥ |
| إحياء المرافق | ٦١٦ |
| منشآت جديدة مهمة | ٦١٧ |
| إنقاذ البلاد من الاتحاد الاشتراكي | ٦١٧ |
| مساعدة العراق في حربها مع إيران | ٦١٨ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--------------------------------|
| ٦١٨ | معاش السادات |
| ٦١٨ | إسقاط الضرائب عن النشاط الفكرى |
| ٦١٩ | علوى حافظ وحسنات السادات |
| ٦١٩ | د • حسين مؤنس وحسنات السادات |

أخطاء ومثالب لآسادات

| | |
|-----|---|
| ٦٢٠ | ديمقراطية لها أنياب |
| ٦٢١ | يصدق الاستفتاءات الزائفة |
| ٦٢١ | ويصدق الاستقبالات |
| ٦٢٢ | هدايا من الآثار المصرية والجواهر المصادرة |
| ٦٢٢ | الجامعة الإسلامية |
| ٦٢٣ | مصادرة الأصدقاء |
| ٦٢٣ | مقاومة ما نسب لعبد الناصر وأسرته من اتهامات مالية |
| ٦٢٤ | لم ينصف المظلومين من ظلم عبد الناصر والمشير |
| ٦٢٤ | تاريخ الثورة وأسباب هزيمة ١٩٦٧ ! ! |
| ٦٢٤ | أسرة السادات والشراسة |
| ٦٢٥ | غرور السادات |
| ٦٢٩ | مطار لارناكا و ١٨ شهيدا من الصاعقة |
| ٦٣١ | هضبة الأهرام |
| ٦٣٣ | مياه النيل لإسرائيل ؟ ؟ |
| ٦٣٦ | السادات يحمى الطغاة والمنحرفين |
| | (صلاح نصر وأشرف مروان) |

| | |
|-----|-----------------------|
| ٦٤٣ | خاتمة |
| ٦٤٦ | مصادر الكتاب ومراجعته |

صور وخرائط ورسوم

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٢٤ | عبد الناصر : القسوة والوحشية |
| ٨٠ | العروسة سان |
| ١٥٣ | قرار جمهورى عجيب لعبد الناصر |
| ١٦٧ | الادعاء الأبله بنصر مزيف |
| ١٧٠ | الأصديقان اللدودان : رمزان للهزائم |
| ٢٢٣ | الفريق أول محمد فوزى |
| ٢٢٤ | الفريق أول محمد صادق |
| ٢٢٦ | السادات ومحمد صادق : الصداقة عند الضرورة |
| ٢٧٣ | رفع العلم المصرى على سيناء |
| ٢٨٧ | نهاية الخديعة : ظن أن اسرائيل لا تهزّم ثم رأى الهزيمة المدمرة |
| ٢٨٩ | هموم الأسير |
| ٢٩٣ | السيدة جيهان السادات تشترك فى تمريض جرحى الحرب |
| ٣١٣ | مع الجسمى البطل الذى نذكره بخير دائما |
| ٣٣١ | مع البطل أحمد اسماعيل |
| ٤٠٥ | رحلة القدس |
| ٤١٣ | الصلاة فى بيت المقدس |
| ٤٥٤ | المعاهدة (خطوات الانسحاب) |
| ٤٥٨ | موقع طابا |
| ٤٦٠ | نموذج للصراع الذى أصاب العدو عند الانسحاب من طابا |
| ٤٦١ | بكاء صهيونى مرير للخروج من طابا |
| ٥٠١ | قبل الكسارثة |

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| هجوم | ٥٠٣ |
| لحظات النهاية | ٥٠٥ |
| حبيد | ٥٠٧ |
| المقتلة خلف القضبان | ٥١٧ |
| كان من وظائف السادات أن يَضْحِكَ الزعيم | ٥٢٨ |
| ترف | ٥٣٨ |
| السيدة جيهان تداعب نسفاسا | ٥٧٨ |
| « البايب » دليلا للجاء | ٥٨٣ |
| جلسة اعتداد أقرب للغرور | ٦٢٦ |
| وقع في غرام سماع صوته ورؤية صورته | ٦٢٨ |

عبد الناصر والسادات وصلتهما بالتاريخ الإسلامى

دُمِشَق كثير من الناس عندما رأوا جُزءاً من اجزاء موسوعة التاريخ الإسلامى يَخصَّص للحديث عن محمد نجيب وعبد الناصر ، ففى تقدير هؤلاء أن التاريخ الإسلامى لا علاقة له بهذين الرئيسين وأمثالهما ، وأنه خاصٌ بحياة الرسول صلوات الله عليه والخلفاء الراشدين ، وقد يَنسَع للحديث عن عصر الدولتين : الأموية والعباسية لا غير •

وتصحیحاً لهذا الفكر نذكر أن المنهج التاريخى السليم يرى أن التاريخ الإسلامى يشمل :

أولاً : تاريخ العالم الإسلامى كلَّه عرباً وغيرَ عرب •

ثانياً : يمتدُّ التاريخ الإسلامى من مطلع الإسلام حتى الآن •

وفى ضوء هذا يكون تاريخ مصر فى عهد محمد نجيب وعبد الناصر جزءاً من التاريخ الإسلامى ، ونحن بهذا نصحِّح وضعا كان يقف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٤٨ م) وهذا الوضع ظاهرٌ الخطأ :

فإذا كانت بغداد قد سقطت فغيرها من العواصم الإسلامية لم يسقط وظل مزدهراً •

وإذا كانت بغداد قد سقطت فقد أفاقت بعد حين •

وإذا كانت الخلافة العباسية قد انتهت فى العراق بعد تحشولات بين الكوفة والأنبار وبغداد وسامراء ، فإن الخلافة العباسية قامت فى مصر بعد أن قَتَلَ المغول الخليفة المستعصم كما قتل الأتراك المتوكلَ والمعتزَ بالله والمقتدر من قبل •

ثم إن زحف المغول استمر بعد سقوط بغداد ، فوصلوا إلى دمشق

(م ٢ - التاريخ الإسلامى)

وحلب وأنزلوا الدمار بكل مدينة نزلوا بها ، ثم التقى بهم المصريون في « عين جالوت » وهزموهم هزيمة قاصمة • وبعد « عين جالوت » جدّد المغول جيشهم وزحفوا إلى الشام فالتقى بهم السلطان بيبرس وقضى عليهم ، وفي عهد السلطان قلاوون انتصر هذا عليهم في حمص كما انتصر عليهم السلطان الناصر في دمشق ، وكل هذه الانتصارات كانت بعد سقوط بغداد فكيف نقف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد بواسطة المغول مع أن جولات المغول استمرت بعد سقوط بغداد عدة سنوات •

وعلى هذا فلا معنى إطلاقاً للوقوف بالتاريخ الإسلامى عند سقوط بغداد أو قتل المستعصم ، فالخلافة الإسلامية لم ترتبط ببغداد وإن دسا تنقلت بين عواصم كثيرة من المدينة المنورة إلى الكوفة فدمشق فالكوفة مرة أخرى فالأنبار فبغداد فسامراء ، فبغداد مرة أخرى ، وقد قامت الخلافة الإسلامية بالقاهرة بعد سقوط بغداد •

قد نقول إن الخلافة في القاهرة كانت صورية لا نفوذ لها ، ونجيب بأن الخلافة العباسية فقدت نفوذها قبل ذلك بوقت طويل أى بعد العصر العباسى الأول •

ثم إن المستعصم لم يكن أول من قُتل من الخلفاء ، فقد قتل قبله المتوكل والمعتز • • • كما ذكرنا آنفاً •

ونتساءل إذا كنا عددنا المماليك جزءاً من التاريخ الإسلامى وهم جهال أميل إلى الكفر كما ثبت عن الأفشين وأشناس ؟ وعددنا البويهيين جزءاً من التاريخ الإسلامى وهم فرس طغاة • • • فكيف لا نعدّ تاريخ مصر في عهد عبد الناصر والسنادات جزءاً من هذا التاريخ •

مرة أخرى إن التاريخ الإسلامى عام الزمان والمكان يشمل كل المسلمين في مختلف الأنحاء ومختلف الأوقات •

وإذا كان الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامى قد خصّص

للحديث عن محمد نجيب وعبد الناصر ، فإن هذا الجزء العاشر قد ختم
للحديث عن أنور السادات ، وتاريخ هذه الحقبة حافل بأحداث الصراع
ضد إسرائيل ، تلك الأحداث التي هزمت العالم الإسلامي كله ، مما
يثبت أن هذا التاريخ جزء من تاريخ المسلمين وتاريخ حياتهم •

وبعد هذا التصحيح والتوضيح نسير في عرض تاريخ هذه الفترة
مؤكدین أن تاريخ مصر خلالها هو جزء من التاريخ الإسلامي الفسيح ذلك
التاريخ الذى يتسع ليشمل العالم الإسلامي كله ، ويمتد مع امتداد
الإسلام عبر الزمان •

مَقَدِّمَات

١ - مؤرخ التاريخ الحديث بين الحقائق من جانب والإعلام الزائف من جانب آخر :

مسكين ذلك المؤرخ الذى يكتب التاريخ الحديث فى بلاد كمصر ، إنه يرى الأحداث ويعايش الحقائق أحيانا ، ويجمع ما يستطيع جمعه من الوثائق ، ثم ينظم ذلك وينقده ويدوِّنه ، ويعلق عليه ، ولكنه كثيرا ما يحس بأنه فى جانب والعالم حوله فى جانب آخر ، فهو مشدود بالحقائق الموسومة والوثائق القوية إلى اعتقاد ، وكثيرون من الناس حوله مشدودون خلف اعتقاد آخر ، مخدوعين بوسائل إعلام كاذبة أو مضللين بطريقة أو أخرى .

لقد حدث هذا عندما كنت أكتب الجزء التاسع من هذه الموسوعة عن عهد عبد الناصر ، كنت أجمع ما أستطيع من وثائق ، وأتبع الأحداث بيقظة وانتباه ، فأرى ظلاما وجورا وتدميرا لبلادى ، وأرى نبلا من كرامة الإنسان المصرى وعدوانا على آدميته ، وأرى عبد الناصر وهو يثبّل الشعب ويحارب الديمقراطية ، وأراه وهو يشكّل المحاكم العسكرية التى تحكم بما يريد بصرف النظر عن موضوع النقاضى ، وتسبّل الأحكام إلى إعدام الأبرياء لأنهم لم يسيروا فى ركابيه ، وأراه وهو يبتكر قانونا يدمّر الأزهر ثم يسمّى هذا التدبير تطويرا .

ثم رأيت هزائمه التى تكررت والتى راح ضحيتها عشرات الآلاف من الشبان ، واحتل العدو أرضنا وسلب معدات دفننا دم القلب شهنا لها ، ولم تكن الهزائم عن ضعف وإنما عن سوء تدبير ، وعن خلاف بين الرئيس ومشره .

ورأيته وهو يبعث الجند والسلاح الكونفو ويوزع الملايين من الجنيهات ليكسب صحافة لبنان وصداقة الانتهازيين هناك .



القسوة والخصم والهزائم

ورأيت نوافذ تؤكد وجود انحرافات مالية خطيرة ثبتت فيما بعد ،
وظهرت في الشراء الفاحش الذي برز مرتبطا بأولاده وأزواج بناته •

كنت أرى هذا كله وأدوِّته ، فأسخط على الرجل الذي خان
الأمانة ، الرجل الذي برز من بين الأطلال ، وقاد جماعة بدعوى إصلاح
الأحوال ، فإذا بالجماعة تصبح عصابة كما سماها عبد الناصر نفسه
عندما امتدت أساليب المصايب يوما لمواجهة ، إنها فعلا كانت عصابة
كما قال ، ولكنه هو كان رئيس هذه العصابة وهكوتها ، ثم أفلتت من نفوذه
عندما استند عودها •

وانتفض أفراد العصابة بعضهم على بعض حتى انهاروا جميعا
وكُتِبَ عليهم الفناء ، ولكن بعد أن دمَّروا البلاد وسرقوا ثرائها وأذلَّوها
أبناءها •

وبينما كنت أعيش هذه الأحوال وتلك المرارة كان الناس من حولي
يهتفون لعبد الناصر ويتفتَّون باسمه ، فقد استطاعت وسائل الإعلام
التي يمتلكها جميعا أن تضللَّ الشعب ، بل أن تصوِّر الهزائم كأنها
انتصارات عظيمة ، ولا شك أن بعض المصريين المخدوعين ردِّدوا مع
عبد الحليم حافظ أغنيته عقب حرب ١٩٥٦ التي يقول فيها :

وانتصرنا وانتصرنا

أي نصرٍ هذا بعد الانسحاب من سيناء وتركها لإسرائيل ؟ وبعد
سقوط الآلاف قتلى بأسلحة الصهاينة واستيلاء إسرائيل على سلاح
المنسحبين ومعدَّاتهم ، وبعد توقف قناة السويس وتدمير مدن القناة ،
والاستيلاء على بترول سيناء ومعادنها •

وحتى هزيمة الساعات الست المريعة سنة ١٩٦٧ قنعوا بأن آسَمَوْها
نكسة ، مع أنها هزيمة قاصمة •

وهناك كُتِّبَ كانوا مخدوعين ، أو مأجورين ، أو طامعين في سلطان ونفوذ ، أو متورطين في أسباب الهزائم ، هؤلاء كتبوا يسيِّحون بحمد عبد الناصر ، وتحدثوا عما أسموه إيجابيات وفصائل ، فساعدوا بذلك وسائل الإعلام على تضليل الشعب •

ويسألني بعض السذج : لماذا لم أكتب عن عبد الناصر في حياته ؟
والذي يسأل هذا السؤال هو من السذج البسطاء ، لقد تكلم بعض المفكرين كلمة أو كتبوا سطورا ، وسرعان ما حُكِّمَ عليهم بالإعدام شنقا كما يُحَكِّم على القتلة والمفسكين ، وفي هذا المجال لا يمكن أن ننسى العالميين الكبار عبد القادر عودة وسيد قطب وغيرهما من الأفاذ ، فإذا نجا من القتل بعض المعارضين فإن السجن والتعذيب والجوع وهتك الأعراض تكون في انتظاره •

على أنني أصحح قضية حول كتابتي لتاريخ عبد الناصر ، تلك أنني كتبت تاريخه في حياته يوما بيوم ، ولكني لم أبرز ما كتبت إلا بعد أن مات ، ولو برز من ذلك شيء ، لحطَّمَ الظلم القلم وصاحبه ، ومع هذه الحيلة فإنني لم أنج من ظلم عبد الناصر ، لأنني لم أسِر في الركاب ، ففُصِّلت من الجامعة ، وعانيتُ القيد والمراقبة والجوع فترة من الزمن ، لأنني اشتريت مع الذين طالبوا بعودة الجيش إلى ثكناته وترك أمور السياسة لرجال السياسة •

وبهذه المناسبة يرى بعض البسطاء أنني أنقذ عبد الناصر لأنه فصلني ، وهذا خطأ والصحيح أنني انتقدته أولا ثم فصلني لذلك •

وعلى كل حال فقد احتفظت بأسرار عملي حتى مات الرجل ، فاستطعنا أن نظهر ما كنا نخفي ، ونشرت ما عندي ، فصفت لي المعتدلون وأثنوا على عملي ، ولكن جماهير الشعب لم تستطع بسهولة أن تتحمل نقد عبد الناصر والتحوُّل من جبهه إلى السخط عليه ، ومن الإيمان به إلى سماع طعون في ذمته ، وصرت خلال فترة من الزمن

هدفا لهجوم بعض الذين يعبدون الأشخاص دون تمحيص ، ولكنى دافعت عن رأيى بإصرار ، فأخذ الناس يتحولون إلى الحق من يوم إلى يوم ، وأخذ تأثير وسائل الإعلام ينكمش ، وبدأ الحق يتضح ، وبخاصة عندما عُرِفَت خسائر حرب ١٩٥٦ وخسائر حرب اليمن (١٩٦٢ — ١٩٦٧) وخسائر حرب ١٩٦٧ وعندما اتضح أنه لم يكن من الممكن أن نفتح حربا ضد إسرائيل سنة ١٩٦٧ وجيوثنا هناك في اليمن ، فالحرب في جبهتين شيء يتحاشاه العقلاء ، ثم ظهرت بطائرات الجنيحات عند أولاده وأصهاره ، وأصبح لكل منهم طائرة خاصة يطير بها من قطر إلى قطر ليرعى مصالحه المالية التي انتشرت في مختلف الأنحاء .

ما أقسى ما عانيت من تاريخ عبد الناصر ، ولكنى في النهاية حققت آمالى وقمت بواجبى وأبرزت ما كان خافيا ، وما كان من الممكن أن يظل خافيا ، وانصرفت الكثرة الغالبة عن الرجل الذى خان الأمانة .

وهكذا كنت في يوم من الأيام وحدى أو مع قلة من المثقفين بالنسبة لنظرتنا لعبد الناصر ، ثم أخذتُ الجموع تتجذب لجانبى ، وبخاصة عندما عرِفَت عن الرجل ما لم تكن تعرف .

وأنا الآن في خطواتى الأولى للتأريخ لأنور السادات ، وأرانى في هذه المرة على عكس الأحوال عندما كنت أؤرخ لعبد الناصر ، لقد كنت أكتب تاريخ عبد الناصر بين حشد من المصريين والعرب يحبونه ويمجّدونه ، وكانت الأحداث والوثائق التاريخية تؤكد أنه لا يستحق الحب والتمجيد ، وأنا الآن أكتب تاريخ أنور السادات ، وأرى فيه أشمة من أنور وبخاصة انتصاراته الخارقة على إسرائيل ، ولكن الناس كلهم تقريبا يبالغون حتى لا تكاد تجد إلا قلة قليلة تتعاطف معه .

وتحتفل الدولة رسميا بيوم وفاة عبد الناصر ، أما نهاية السادات فلا تكاد تذكر إلا لأنها يوم النصر (السادس من أكتوبر)

لم يكن الرجل في تقديرى في مجال السوء مثل عبد الناصر ، لم يكن سفاحا ، ولم يكن فاشلا في إدارة الممارك التى خطط لها ونفذها ، ولم يكن مغلوبا على أمره من مشير جاهل ورفاق سوء كما كان عبد الناصر ، ولم توجد فى عصره مأساة كشميش ولا مأساة كرداسة ومع هذا فالتناس يبعصونه وينصرفون عنه •

وتعجب أنه مازال هناك حزب ناصرى وإن كان هزيلا ضئيلا ، ولكن ليس هناك حزب ساداتى ، حتى أن الحزب الذى أنشأه السادات والذى هُرع له الأعضاء من حزب مصر أصبح ولاؤه لعبد الناصر أكثر من ولائه للسادات ، والدنيا حظوظ كما يقولون •

ليس معنى هذا أننى أدافع عن السادات ، فإن التاريخ الذى سندونه هو الذى سيقدر المدح أو الهجوم أو المؤاخذة ، ولكن الذى أدونه هو إبداء العجب من اتجاهات الناس ، فالرجل الذى دمّر البلاد ، وسفك الدماء ، وتسبّب فى هزائم قاصمة جلبت العار والفقر ، الرجل الذى أضاع بسوء إدارته سينا مرتين ، وأوقف سبيل القناة مرتين ، وخسر المعدات وعرض الآلاف للفناء ، الرجل الذى أساء ولم يحسن يوجد له أنصار وأتباع ومحبّثون ، والرجل الذى فعل الخير والشر ، وأساء وأحسن واستعاد سينا ، وأعاد فتح القناة ، وعمر مدّنها ، ليس له أتباع ولا أنصار • • لماذا ؟

إن الإجابة كما استخلصتها من الناس أن لعنة عبد الناصر نزلت على السادات ، فالتناس بعد أن اكتشفوا أنهم خدّعوا فى عبد الناصر أساءوا الظن بكل الزعماء وبخاصة العسكريون ، ولم يعودوا يستطيعون أن يمنحوا الحب بسهولة لأى زعيم عسكري •

ومن هنا يجيء فضل التاريخ الصادق الذى يعيد فكر الناس إلى الرشاد إذا جذبتهم الأكاذيب إلى تاريخ مزيف •

وفى هذا الجو أبداً دراساتى عن أنور السادات غير متأثر بشعور الناس وأهوائهم ، وإنما سأعرض الأحداث وأعلق عليها بكل الحيـدة والدقة ، فأنا لست حاقداً على السادات كالأستاذ محمد حسنين هيكل الذى ينفث كل سطر من سطور كتابه « خريف الغضب » لهيباً وناراً ، ولست موالياً كالأستاذ موسى صبرى الذى يعلن فى كتابه « السادات : الحقيقة والأسطورة » أنه يكتب عن شخصية السادات بقلم مؤيد^(١) . ولست كالفريق أول محمد فوزى الذى تأثر بما وقع له ضمن مراكز القوى سنة ١٩٧١ فاتجه فى كتابه « استراتيجية المصالحة » إلى الهجوم على السادات^(٢) وهناك كتّاب طبلّوا وزمّروا مثل كتّاب « السادات بلا رتوش » ومثل هذه الكتب لا تستحق غير هذه الإشارة^(٣) .

إننى مؤرخ ، اجمع المادة من الوثائق ، وانقدما ، وأقارن بينها ، وأدون التاريخ منها ، وأعلق عليها بكل الحيـدة والعدالة .

وبعد ، إن التاريخ لا يرحم ، وويلٌ للزعماء إذا نسوا عين التاريخ ، تلك العين البصيرة التى تنفذ خلف الحجب ، وتبرّر الحقائق ولو بعد حين .

ويلٌ للحكّام إذا خدعتهم أضواء حكمهم القصير ، وغفلوا عن التاريخ الطويل الذى سيحكى سيرتهم طوال الأجيال والقرون ، يمدح أو يذم^٥ ، يدعو أو يلعن ، وويل لهم إذا اغتروا بحفاوات يقابلون بها هنا وهناك ، فهى مصطنعة وماجورة ، أو هى من أعمال السذج العاطلين الذين يطيب لهم أن يروا المشاهير ويصفّقون لهم كما يصفّقون للحواة

(١) السادات : الحقيقة والأسطورة ص ٨ .

(٢) استراتيجية المصالح فى عدة أمكنة .

(٣) اسماعيل عبد التواب : السادات بلا رتوش .

والبهلوانات ، ونرى عددا كبيرا من هؤلاء يقفون على مدافع أنطيفزيون
العربي لظهم يحظون برؤية الفنانات والمذيعات والممثلين •

فإللهم أسألك العون فيدا أنا مقبل عليه ، وأسألك أن تنير قلبي ،
وتمهّدني بالرشاد لتظهر الحق وتنير الطريق •

وبعد ، لعلّى قد أطلت في هذه المقدمة الأبرز ما يعانيه المؤرخ وهو يعيش
في جو من الوثائق يختلف عن الجو الذي يعيش به سواء تحت تأثير الإعلام
المزيّف ، ولعلّى قد وضحت هذه النقطة ، فلننتقل الى مقدمة أخرى •

٢ — ثورة ٢٣ يوليو ؟؟ وأثرها على العسكريين والمدنيين :

هذه هي المقدمة الثانية للكلام عن عصر السادات ، فقد عاش يتغنى بأنه أول من كوّن تجهشاً في الجيش ليقود إلى ثورة ، ويتغنى بأنه الذي قرأ البيان الأول للثورة صبيحة إعلانها (يوم ٢٣ يوليو) وحتى الحركة التي قام بها في مايو سنة ١٩٧١ سماها ثورة التصحيح .

ما حقيقة هذه الثورات ؟

لقد كتبت دراسة علمية دقيقة عن هذا الموضوع في الجزء التاسع من هذه الموسوعة (ص ٨٥ — ٩١) . ووضحت أن الذي حصل صباح الثالث والعشرين من يوليو كان انقلاباً قام به الجيش ، فالفكر العلمي يقرّر أن الثورة يقوم بها الشعب كالثورة الفرنسية أو كالذي حدث في ثورة ١٩١٩ . أما الانقلاب فيقوم به بعض رجال الحكم من الوزراء أو الجيش ، ولكن انقلاب ٢٣ يوليو كان ضد ذلك كرية للشعب ، يتمنى الجميع القضاء عليه ، وَوَسَّعَ هذا الانقلاب برنامجه خداعاً يعبر عن آمال الشعب وأهدافه ، فانضمّ الشعب للجيش عقب قيامه بالحركة ، فأصبح الانقلاب ثورة ، وفي غضون أيام قليلة مكّن عبد الناصر ورجاله لأنفسهم وقسّوا على الرتب العليا في الجيش والفوّا الدستور ، وبدعوا يظهرون ما كانوا يظهرون من تمسكهم بالسلطة وقهر كل من خالفهم ، وخلقوا بذلك عدداً كبيراً من الملوك لهم مساوىء الملك فاروق أو فاقوه في مساوئه ، وأهملوا المبادئ التي خدعوا بها الشعب عندما قاموا بحركتهم ، وعادت الثورة انقلاباً ، وقامت حركات وانتفاضات ضدها ، ولكن الضباط الشبان الذين استعذبوا الحكم ضربوا بقسوة كل من عارضهم .

وقهر الانقلاب أعداءه بسيل من الدماء والتعذيب والاعتقالات ، ولكن هذه الثورة سرعان ما اتّجهت لتأكل نفسها ، وأصبح رجال الجيش كالسبك الذي يأكل بعضه بعضاً ، وقد نبهت في الجزء التاسع إلى خطورة

الحكم العسكري ، ففى حكم العسكريين دمار للعسكريين والمدنيين
والبلاد ، وقامت بين ضباط الجيش بعضهم والبعض فتن وخيانات وهزائم
وانهيارات وتلاحم بالأيدي أحيانا ثم عزل وتعذيب أدى للموت أحيانا
(اقرأ الجزء التاسع ص ١٢٩ وما بعدها) .

ووصل الصراع إلى قادة الثورة أنفسهم ، فهاجم صلاح سانم
أكثر الأعضاء ، ووصل الأمر إلى تلاحم بالأيدي بين أعضاء مجلس الثورة ،
ثم استطاع عبد الناصر أن يعزلهم الواحد بعد الآخر ، ولم يبق معه إلا
عبد الحكيم عامر ، ثم حدثت مواجهة بين الاثنين انتهت بتحل عامر
بالسهم وادعاء أنه انتحر .

ونذكر كلمة عن كمال الدين حسين ، فقد كان فى وقت ما يشغل
اسمى مركز بعد عبد الناصر ، ثم غضب هذا عليه وانزل به وبذويه ألوانا
من الأضرار والعدوان يشيب لهولها الولدان (اقرأ هذه التفاصيل فى
الجزء التاسع ص ٢١٢ وما بعدها) .

والعجيب أن كمال الدين حسين عانى من السادات كما عانى من
عبد الناصر ، فمجلس الشعب فى عهد السادات أصدر قرارا بعزل
كمال الدين حسين من عضوية هذا المجلس ، ولما أراد كمال الدين
حسين أن يرشح نفسه بعد ذلك أسرع السادات فأصدر تشريعا يحرم
عودته للمجلس .

لم تكن أبدا صداقة تلك التى كان الحقد والإرهاب يعيش فى جنورها .

الثورة أفرزت وحوشا بشرية :

يقول الدكتور عبد العظيم رمضان ^(١) : إن ثورة ٢٣ يوليو حاكت

(١) مصر فى عهد السادات ص ٣٥٤ .

كثيرين ممن أساءوا استخدام السلطة ، وعذبوا الأحرار في عهد فاروق ، ولكنها أفرزت من هم أسوأ منهم ، بل من لا سبيل إلى مقارنتهم بهم في السادية والوحشية ، وعلى يد عتالة الإرهاب والتعذيب الذين أبرزتهم هذه الثورة تعرض الوطنيون الأحرار من إخوان مسلمين واشتراكيين وشيوعيين وأحرار ، بل تعرض كثيرون من أبناء الثورة أنفسهم الأبرشع ما توصم به ثورة من الثورات •

ويقول الدكتور حسين مؤنس ^(١) إن عبد الناصر كان يعرف ما عاناه المصريون من الضباط ، وكان يشجع على ذلك ويؤيده ، ويعرف أن العدوان والإيذاء وصل إلى زوجات المعتقلين وبناتهم ، وقد وصل الأمر إلى شذوذ يتوقف القلم عن تدوينه •

بقى موضوع مهم يتصل بقيام هذه الثورة وهو : هل كانت هذه الثورة إجهاداً لثورة شعبية بدأت تباثيها في أواخر عهد فاروق ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال ستجىء مفصلة في مطلع الباب الثانى من هذه الدراسة عند حديثنا عن : أمريكا والثورة •

٣ - الثورة ومصر :

هذه هي المقدمة الثالثة عن عصر السادات الذي كان امتدادا لعصر عبد الناصر والذي كان جزءا من ثورة ٢٣ يوليو ، وفي هذه المقدمة نسأل :

ماذا قدمت الثورة لمصر ؟

وأنا مع الأستاذ جلال الدين الحمامي الذي يقول :

إن الذين فجّروا الثورة أعدوا لها وخطّطوا ، ولكنهم لم يُعدّشوا أو يخطّطوا لما بعد نجاحها ، وهذا يرجّح القول بأن هؤلاء لم يخطّطوا لها بأنفسهم ، وإنما ساعدتهم آخرون في التخطيط ، فلما نجحت الثورة واجهت الارتجال من هؤلاء الشبان الذين كانت خبرتهم قليلة جدا في الحكم والإدارة ، فراحوا يتخبّطون ، ووصل بهم الأمر إلى إثارة العداوة حولهم في الداخل والخارج مما أنك القوي المصرية تماما (١) .

ولم يكن الأمر جهلا بالحكم والإدارة فحسب ، بل إن أمور مصر أصبحت في يد من يسميهم الدكتور حسين مؤنس « فئران السياسة » فارتكبوا أعمالا عدوانية شنيعة ضد هذا الشعب وأمواله وقيمه ، ونهبوا الأموال بلا حساب ، ولم تقتصر عمليات القبض والمصادرات ونهب الأموال على الخصوم السياسيين ، بل امتدت الأيدي الجشعة إلى كل مالك وكل شخصية لامعة أو مستورة ، فانتقلت القصور والأموال والضّياع إلى باشوات بلا القصاب ، وأشراف بلا شرف ، وناس بلا إنسانية ، ومواطنين بلا وطنية ، وليت ما نهبه الثوار العسكريون بقي بمصر ، فكل الدلائل توضح أن أموالا بلا حدود ألقوا بها وراء الحدود (٢) .

(١) انظر كتاب « حوار وراء الاسوار » للاستاذ جلال الدين الحمامي

ص ٩٢ .

(٢) دكتور حسين مؤنس : باشوات وسوبر باشوات صفحات

المقدمة ب ، د .

ولنترك المفكرين والمؤرخين ولنذهب إلى رجال السياسة لنرى رأيهم فيما فعلته الثورة بمصر .

والحق أنني كنت دائما حريصا كل الحرص على أن أتعرف على مآثر هذه الثورة ، وكنت أقرأ باهتمام وأستمع باهتمام لكل كلمة وحديثٍ يَمتدح هذه الثورة ، لعلى أجد بعض مزايا لها ، ولعل آخر ما سمعته وقرأته هو خطاب الرئيس حسنى مبارك عن هذه الثورة فى يوليو ١٩٨٨ بمناسبة مرور ٣٦ سنة على قيامها .

ماذا قال حسنى مبارك عنها ؟

إن حسنى مبارك قال كلاما مجملا كذلك الذى يقوله أتباع هذه الثورة ، وأمامى الآن خطابه ، وخلاصته هى :

إن الثورة قامت تعبيرا عن إرادة شعبية عارمة ، تريد حياة ديمقراطية سليمة بعد أن عمَّ الفساد ، وتطالب بأن يكون حكم مصر للأبناء مصر .

وقال الرئيس حسنى مبارك إن الثورة جاءت تعبيرا عن إصرار الشعب المصرى على إعادة بناء قواته المسلحة بعد أن فرض المستعمر على الحكومات المصرية المتعاقبة أن تقيّد حركتها خاصة بعد دور مصر فى حرب ١٩٤٨ رغم كل المؤامرات الخارجية التى أرادت أن تضرب الأمة العربية فى مقتل ، ورغم الظروف الصعبة التى كانت القوات المسلحة تؤدى رسالتها فى ظلها .

وأشار إلى ظروف ثورة ٢٣ يوليو الرائدة فى قضايا تحرير الشعوب والدفاع عن حقوق الإنسان فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وأكد دور ثورة يوليو فى مساندة الثورات العربية والإفريقية بكافة الوسائل ، مشيرا إلى أن التحديات التى واجهتها الثورة لم تكن هينة .

ثم أشار إلى أخطائه ثورة يوليو وعثراتها وقال إن الأمجاد لا بد أن تقابلها عقبات وأخطاء .

وأضاف أنه ليس هناك شك في أن ثورة ٢٣ يوليو حدث بالغ المصفاة لا يمكن تجنب تناوله بالبحث والتحليل ، وقال إن علينا التزاما بأن نكون في مستوى المسؤولية الوطنية عند تصديقنا لهذا العمل مشيرا إلى أن الواجب الوطنى يتطلب أن نكون موضوعيين بعيدا عن الشبهة والرغبة في تمجيد الذات والتهجم على الآخرين .

وتحدث الرئيس مبارك عن دور القوات المسلحة في حماية البلاد اليوم ، كما تحدث عن عملية التنمية التى تجرى الآن ، ومناخ الديمقراطية الذى يسود البلاد .

وقال إن الحكم اليوم حكم ديمقراطى يؤمن بحرية التعبير على أوسع نطاق ، وأكد الرئيس مبارك أنه لا غنى عن الديمقراطية الاجتماعية ، وعن الديمقراطية السياسية ، مؤكدا أن حق المواطن فى المشاركة فى اتخاذ القرار يوازى حقه على مجتمعه فى توفير الحياة الكريمة طالما كان يؤدى عمله بإخلاص ، كما أكد حق الشعب فى أن يعلم ، وضرورة مصارحة الشعب بالحكم مشيرا إلى أن هذا هو منهج الحكومة فى مصارحة الشعب بكل شئ لى يشارك فى إصدار القرار بالنسبة لكل القضايا المصيرية ، وأشار الرئيس مبارك إلى أن المشكلة الاقتصادية هى من أصعب المشكلات التى تواجه مصر ، موضحا أن هذه المشكلات ليست داخلية ولكنها تتأثر بالأوضاع الدولية .

ذلك موجز دقيق لكلام الرئيس حسنى مبارك ، وهو كما يبدو كلام عام ، لا يشبع نهما ولا يروى غلطة ، وهو نفس الكلام الذى يقوله أتباع هذه الثورة مما لا ينفع فى مقاييس الحكم وموازن الفكر ، وإذا أردنا أن نتتبع كلام حسنى مبارك جملة إثر جملة عن هذه الثورة فإننا نقول :

أولا : يقول حسنى مبارك إن الثورة قامت تعبيرا عن إرادة شعبية تريد حياة ديمقراطية سليمة وهذا الكلام صحيح تماما ، فالإرادة الشعبية كانت تريد حياة ديمقراطية سليمة ، ولكن الثورة كانت في دكتاتوريتها أشنع وأقسى آلاف المرات من دكتاتورية ما قبل الثورة ، ولم تستجب الثورة إطلاقا لهذا المطلب الشعبى ، وقد كرر أنور السادات الحديث عن طبيعة عبد الناصر الدكتاتورية (١) ولهذا لم تعرف البلاد الديمقراطية الحقيقية التى تبنى على الانتخاب الحر ، وإنما فى عهد حسنى مبارك عرفنا ديمقراطية الكلمة ، أما أن تنتقل الكلمة إلى عمل ، وينتقل الصوت فى الانتخابات إلى ممثلين حقيقيين بمجلس الشعب ، فهذا هو ما يتمناه كل مصرى ، وسنتكلم فيما بعد عن الثورة والديمقراطية .

ثانيا : النقطة الثانية التى أكدها حسنى مبارك هى إصرار الشعب على بناء قواته المسلحة ، والذى حدث فى عهد عبد الناصر الطويل هو تدمير القوات المسلحة عسكريا فى المعارك التى أساء الزعيم ورفاقه التخطيط لها وإدارتها ، وتدمير القوات اجتماعيا من كثرة المحاكمات والعزل ، ومن اشتراكها فى العدوان على الإنسان المصرى ونهب أموال الدولة .

ثالثا : تحدث الرئيس عن دور ثورة ٢٣ يوليو الرائد فى قضايانا تحرير الشعوب فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهذا كلام عجيب ، لأن الذى نتساءل عنه أولا هو مصر نفسها ، والإنسان المصرى ، وسنتحدث عن موقف الثورة من مصر والإنسان المصرى بعد قليل ، وجميع الزعماء فى العالم يوجهون اهتمامهم الأول لبلادهم وشعوبهم ، فإن بقى بعد ذلك جهد أو مال فلا مانع من مساعدة الآخرين ، على أن يكون ذلك للأقرب فالأقرب .

(١) البحث عن الذات ص ٢١٣ و ٢٤١ وغيرها .

والعجيب أن بعض الناس أخذوا ما يقال عن مساعدة عبد الناصر لآسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية قاعداً^١ مسلّماً ، والحق أن الصراع التحرر سبق عبد الناصر بزمان طويل ، وقد وصلت بلدان كثيرة إلى الحرية قبل أن يصل عبد الناصر إلى عالم الضوء بعدة سنوات ، فاندونيسيا تحررت سنة ١٩٤٥ والهند وباكستان جُلبَتَ عنهما القوات البريطانية سنة ١٩٤٧ بعد جهاد طويل .

وتحررت أكثر الدول بسبب ظهور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في المجال الدولي ، فأنحسرت قوة الدول الأوربية المستعمرة كما سنرى بعد قليل عند كلامنا عن « الثورة وطرد الاستعمار » وظلت دول خاضعة للاستعمار حتى تحررت حديثاً كدولة « بروني » أو لانترال تصارع من أجل الحرية حتى العهد الحاضر مثل ناميبيا ، وهذا يثبت أن من الخطأ ربط التحرر في هذه البلاد بثورة عبد الناصر .

قد يكون عبد الناصر صرّخَ من أجل تحرير الشعوب ، ولكنها كانت صرخة الجريح الذي طعنَ وانهار في أول عهده سنة ١٩٥٦ فقلَّ أن حُسِبَ لصرخته أي حساب .

إنها إشاعة^٢ أن يقال إن عبد الناصر حرّر الشعوب ، وتلك الإشاعة لا تقوى على البقاء أمام البحث العلمي الدقيق .

وربما كانت الحقائق التاريخية تثبت العكس ، فهذه الدول هي التي ساعدت مصر ، فإن ما أنزله المعتدون بمصر من ضحايا ودمار أثار الشعوب العربية والإسلامية والإفريقية ، فأدانت العدوان وتصدت للمصالح الغربية الحيوية ، فكان ذلك عاملاً مهماً في تحديد مصر العدوان على مصر^(١) فالشعوب في آسيا وإفريقية هي التي ساعدت مصر أكثر من مساعدة مصر لهذه الشعوب .

(١) انظر « أمن مصر القومي في عصر التحديات » للواء محمد حافظ اسماعيل ص ٦٣ .

رابعا : يقول الرئيس حسنى مبارك ان ثورة يوليو لها اخطاء وعثرات ، والحق أن لها كبوات مهلكات فى كل المجالات ، وسنعرض فيما بعد نماذج من هذه الكبوات بالاضافة لما ذكرناه فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

خامسا : يقول الرئيس إن ثورة ٢٣ يوليو حدث بالغ الضخامة . وذلك مثل قولهم إنها غيرت خريطة المجتمع ، وهو كلام أشبه بقصيدة شعرية حسنة الأوزان لا تحمل أية حقيقة من الحقائق .

سادسا : يتحدث الرئيس عن أن الحكم اليوم حكم ديمقراطى يؤمن بحرية التعبير ، وهذا صحيح تماما ، فإننا فى هذه الأيام نتكلم بحرية ، ونقف عند حدود الكلمة ، أما حرية الانتخابات وحرية تكوين الأحزاب ، وحرية إنشاء الصحف ، وحرية الاجتماعات ، فلا وجود لها ، وأظن أن الرئيس يوافقنى على ذلك .

سابعا : يتحدث الرئيس عن المشكلة الاقتصادية بأنها أصعب المشكلات التى تواجه مصر وأقول للرئيس إن الرئيس موجابى رئيس دولة زيمبابوى نشرت عنه وسائل الإعلام المصرية قوله إن الإنتاج الزراعى تضاعف عشر مرات ببلاده فى ست سنوات فماذا حدث فى بلادك يا سيادة الرئيس خلال ست وثلاثين سنة هى عمر الثورة التى نتحدث عنها ؟

هذا تعليق سريع على كلمة الرئيس فى ذكرى هذه الثورة التى كلما ذكرناها ارتسمت أمامنا صور الشقاء ، والقهر ، والسجن ، وأحكام الإعدام ، والاضطهادات ، والسرقات ، والإهمال ، والجهود ، ومن هنا نسأل هذا السؤال العميق :

ماذا فعلت الثورة بمصر وبالإنسان المصرى ؟

والإجابة مرة الطعم جدا ، فمصر قد انهارت تماما بسبب الثورة ، وأصبحت تعيش على القروض وتمرر بها شهور لا يكون عندها طعام إلا

لأيام قليلة ، ونجدد السعى لنحصل على الطعام ، والحصول عليه دائما من أعدائنا أو من أصدقاء أعدائنا ، ولا ثمن معنا نقدمه مقابل هذا الطعام •

ويحدث هذا في مصر حين استطاعت الصين (١١٠٩ مليون نسمة) أن تنتج طعامها وأن تصدر الطعام والمعلبات والملابس لدول كثيرة •

واستطاعت الهند (٨٠٠ مليون نسمة) أن تنتج ما يكفي هذه الأقوام من الطعام وعندها فائض ، واستطاعت الباكستان واندونيسيا وكوريا وتركيا والسعودية أن تحقق هذا الأمل وسيجيء فيما بعد مزيد من الكلام عن الهند في هذا النطاق ، أما مصر فهي واقفة : محطك سرّ أو تراجعت القهقري على الرغم من تزايد السكان ، وسنعود للصديث عما حققته الهند وغيرها من دول العالم الثالث فيما بعد عند الحديث عن « التطور والجهود » •

كيف نفخر بأن الثورة ساعدت آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وننسى أن الثورة دمرت مصر وأعادتها للوراء ؟

والذى يقال عن الطعام يقال عن الصناعات ، فقد حققت أكثر دول العالم الثالث صورا من التقدم في مجال الصناعات ، وأصبح في ماليزيا وفي تركيا سيارة محلية مائة في المائة ، وقد نقلت الصحافة المصرية المصادرة في ٢٠/٧/١٩٨٩ عن صحيفة التايمز البريطانية أن بريطانيا قد تعاقدت على شراء خمسين ألف سيارة من ماليزيا كدفعة أولى ، وطالبت الصحيفة جميع الشركات البريطانية بضرورة رفع كفاءتها حتى لا تنقضى عليها صناعة السيارات في الدول النامية •

وفي يوم من الأيام سمعنا عبد الناصر يتباهى بأن مصر تنتج من الإبرة للصاروخ ، والحق أننا لم ننتج لا الإبرة ولا الصاروخ وإنما أنتجنا التعذيب والمعتقلات وسهر الليالي الحمراء في رحاب عامر وصلاح نصر •

أما سمعة مصر ومكانتها فقد انهارت إلى القاع في الحروب الخاسرة .
هذا ما فعلته الثورة بمصر ، أما الإنسان المصرى فقد عانى الويلات
خلال هذه السنوات السود ، بين قتل وحبس وتعذيب ، وفصل من
الوظائف ، وعلى الأقل بين الخوف والقلق .

ولم يجد الإنسان المصرى حاجته بالأسواق في فترة الانغلاق التى
فرضها عبد الناصر ، فلما جاء الانفتاح الذى رعاه السادات ظهرت
المسرقات والانحرافات وأصبح الإنسان المصرى يرى سلع الترف ولا
يستطيع لضيق اليد أن يحصل عليها .

ولنعد لصحيفة الأخبار الصادرة في ٢٠/٧/١٩٨٨ وقد خصصت
صفحة كاملة هي الصفحة الرابعة لتتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ، ووضعت
بها عنوانا ضخما هو :

ثورة يوليو في عيدها الـ ٣٦ بين الايجابيات والسلبيات

وزينت الصفحة بمجموعة من صور القادة والزعماء ، وفرحت
بهذه الصفحة لعلى أجد إيجابيات للثورة ، فأنا دائما أبحث عن هذه
الإيجابيات .

ماذا قالت الصحيفة الحكومية في هذا المجال ؟

يبدو أن الكاتب ذكى جدا فلم يكتب تحت هذا العنوان إلا موضوعا
من موضوعات الإنشاء ، وهو قليل الكلمات وليس فيه حقيقة واحدة ،
فهو أشبه بموضوع كتبه تلميذ في المدرسة الإعدادية ، وبالضبط قالت :
إن ثورة ٢٣ يوليو تمثل في تاريخنا سواء في إطار مصر أو الأمة العربية
أو المستوى العالمى أهمية قصوى ، واكتفى الكاتب بذلك دون إعطاء أية
تفاصيل .

ولو رأى هذا الكاتب ما رأيناه من احتقار الناس لنا ، وشماتتهم بنا في هزائنا المتكررة لتوقف عن هذا الكلام العام ، ولقال كلمة الحق ليس من أجل المائى بل من أجل المستقبل ، فالزعيم إذا عرف أنه سيأخذ حقه فقط ، فإنه يخاف ويعمل ليكون ذكره عطرا ، أما إذا عرف أن الأتلام ستمدحه أحسن أو أساء ، فإنه قد لا يرى ضرورة للإحسان والإجادة .

ولقد ذكرت جيهان السادات في كتابها « سيدة من مصر » أنه بعد عشرين عاما من قيام الثورة كان معظم الفلاحين لا يزالون يستعملون المحراث الذى كان مستعملا من عهد الفراعنة ، ولا تزال الجواميس المعصبة الأعين تدور في السواقي ، ولا تزال الأمية منتشرة بنسبة عالية تصل إلى ٤٩٪ بين الذكور و ٦٠٪ للنساء ولا يزال الشعب في قاع الفقر (١) .

الإسلام وعلاج المشكلات الاقتصادية :

وفي خطاب الرئيس بمناسبة العيد الذى نتحدث عنه أشار إلى الأزمة الاقتصادية التى نعانيها ، والتقط المحررون بالصحف هذا الخيط ليسألوا المفكرين المسلمين عن دور الإسلام في معالجة الأزمات الاقتصادية ، وكنت واحداً من الذين سألتهم محرر بصحيفة الاهرام ، وأجبت بكلام نشرت الصحيفة منه يوم ٢٩/٧/١٩٨٨ ما يناسبها كصحيفة حكومية ، وتركت الباقي ؛ لقد قلت إن الاضطرابات الاقتصادية يعالجها الإسلام بوسيلتين : إحداهما إيقاف وسائل النزيف الذى يكون قد أدنى لهذه المشكلة الاقتصادية ، وضربت أمثلة كثيرة لذلك ، كالسفارات الكثيرة بالخارج التى لا تحتاجها بلادنا ، والرحلات التى تقوم بها الوفود دون ضرورة ، وكاستقدام الضيوف للمؤتمرات التى لا تدعو الحاجة الماسة لها ، وكآلاف الجنود مما يسمى (الأمن المركزى) وقد كان ضرر هؤلاء فادحا ولا نعرف لهم فائدة على الإطلاق ، وكالسرقات والغنائم التى يحصل

عليها المحظوظون ، والمجالس النيابية الواسعة ومجلس الشورى والمجالس المحلية التى تضم أعضاء كثيرين يأخذون ولا يعطون ، فالكثيرون منهم يجيدون الأخذ والكسب ولكنهم ليسوا مؤهلين للعطاء ، كالخمسين فى المائة من العمال والفلاحين الذين لا يجيد أكثرهم إلا التصفيق والموافقة .

ولم تنتشر الأهرام من حديثى عن هذه الوسيلة إلا كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة على الرغم من أننى ضربت الأمثال بما فعله « عمر » رضى الله عنه من مصادرة نصف ما عاد به أبو هريرة من ثراء عندما كان عاملا على بعض مناطق الخليج .

أما الوسيلة الثانية فتكون بإخراج الزكاة ، والزكاة التى يلتزم بها الأغنياء كفيلة بتخفيف الضرر أو إزالته ، ونشرت صحيفة الأهرام بالتفصيل ما ذكرته عن موقف عمر بن الخطاب فى عام المجاعة حيث تعاون الجميع بصدق للقضاء على المشكلة الاقتصادية ، وكان الخليفة فى الطليعة بين من تحملوا العبء حتى جاء الفرج .

محاكمة الثورة :

وبمناسبة مرور ٣٦ عاما على هذه الثورة المشؤمة كتب واحد من أبرز الكتاب موضوعات بصحيفة الوفد بعنوان « محاكمة الثورة » واتجاهه أنه اکتوى بنارها لا كشفها ولكن كعصرى ، ولسنا نقف عند المثالب التى ذكرها لها ففى شهيرة ومدمرة ، ولكننا نقف عند الحسنات التى أوردتها ، وهى الآتى :

١ - تحرير الأرض المبللة بعرق الفلاح من وطأة الإقطاع .

وقد نسى هذا الكاتب الخراب الذى جره نظام ما سُمى « الإصلاح الزراعى » على مصر ، ونسى أن الجميع يشكون من الظلم الذى دمر مالكه .

الأطيان بالنسبة لزراع الأطيان ، وأن تفتت الأرض الذى لم يفعل مثله أحد (ولا الاتحاد السوفيتى) حرم مصر من صور من الإنتاج الزراعى ومن تربية الحيوانات ، ونحن الآن نعانى من ذلك ، وقد كانت هناك وسائل متعددة للقضاء على الإقطاع إن كان هذا إقطاعا ، بدون إجاعة الناس وفرض الحرمان عليهم ، وبدون أن تخسر مصر المزارع الكبيرة التى كانت تقدم حاجتنا الغذائية ، ومما يدعوا الحسرة أن التفتت كان يجرى بالنسبة للشعب ، ولكن تجميع الثروات كان يتم فى نفس الوقت بالنسبة لزعماء الثورة وأولادهم كما سنرى فيما بعد .

٢ — مجانية التعليم يراها الكاتب من مصادم الثورة ، ونسى أن مجانية التعليم لها جذور قبل الثورة ، وأن المجانية التى خلقتها الثورة جعلت اليد العاملة تختفى ، وولدت ملايين الماطلين الذين يحملون شهادات ولا يجدون عملا ، أو يلتحقون بعد الليسانس بمعاهد لتدريبهم ليتعلموا الميكانيكا أو السباكة أو نحوها ، وتجاهد الدولة حاليا لتنظيم هذه المجانية التى خلقت أسرابا من الفساد ، هذا بالإضافة للدروس الخصوصية التى تتكلف أضعاف ما كان الطلاب يدفعون من مصروفات .

٣ — المصانع المبتوتة هنا وهناك ، وأنا أسأله أين هى ؟ وماذا أنتجت ؟ وهناك اعلانات ولوحات كثيرة كتب تحتها صنع فى مصر وأنا دائما أحاول أن أتعرف على مصنوعات بلادى الحقيقية المرتبطة بعصر الثورة فأجدها غالبا لا ترضى النفس الطموحة .

— تأميم قناة السويس : والذى أمم القناة سنة ١٩٥٦ فى حركة انفعالية تسبب فى إغلاقها حوالى عشر سنوات ، وكانت على وشك أن تفقد مكانتها لولا جهود أنور السادات ، وكانت القناة ستعود لنا بعد فترة ليست طويلة ، وقد تسبب تأميمها فى حرب خسرها فيها من الأرواح والعتاد أضعاف ما كسبنا ، ثم إننا دفعنا تعويضات باهظة كنا سنعفى منها لو انتظرنا عودة القناة سنة ١٩٦٨ .

ليت الكتاب يتعمقون في الفكرة قبل أن يطلقوا العنان للأسلوب
والأداء .

وللأستاذ جلال الدين الحمامي رأى فيما يسمى إنجازات الثورة
نشبه هنا للإنصاف والحيدة ، يقول سيادته :

لست أفكر أن محاولات ما بذلت لتوفير الدواء ، وتوسيع مجانية
التعليم ، وتوزيع الأراضي الزراعية ، ولكن هذه المحاولات أمتزجت بعوامل
معينة أثّرت على فاعليتها ، أولها وأهمها عامل الارتجال وعدم التخطيط ،
وثانيها عامل العنف في التطبيق ومفاجأة الناس بإجراءات غير مدروسة مما
اغرقهم في نشرعات سمحت لذوى النفوس الضعيفة باستغلال الدواء
والعلاج والتعليم والجمعيات التعاونية لفتح أبواب الرشوة والفساد
على مصاريعها (١) .

(١) جلال الدين الحمامي : حوار وراء الاسوار ص ١٣٠ .

٤ — الثورة والديمقراطية :

هذه هي المقدمة الرابعة الأحاديثنا عن عصر السادات الذي كان جزءا من ثورة الجيش ، وقد كان من بين النقاط الست التي أعلنتها الثورة على أنها مبادئ تسعى لتحقيقها : إقامة حياة ديمقراطية •

وأكثر ما يدعو للسخرية ويجلب غضب الله والناس أن تزيّف الكلمات والمعاني ، فالحاكم المستبد يستطيع أن يحكم بلده بدكتاتورية حاسمة واستبداد واضح ، وبالحديد والنار ، وقد عرف التاريخ المصرى صورا من الحكام المستبدّين ، وكان بعضهم عادلا مع الاستبداد ، وبعضهم جائرا مع الاستبداد ، ولكن الشيء الجديد الذى ابتدئته ثورة يوليو هو أن الحاكم المستبد يتغنى بالديمقراطية ، وقد ظهر فى ظل هذه الثورة حكام عيّنوا المجالس النيابية ، وحكام زيّفوا الانتخابات زيفا مضحكا ، وحكام أهملوا أحكام القضاء ، ومع هذا كانوا يعلنون من حين إلى حين أنهم يحكمون حكما ديمقراطيا ، وقد استعمل هؤلاء الحكام وزراء للداخلية كانوا يجرون الانتخابات والاستفتاءات ويعلنون نتائجها بطريق التسعات ٩ : ٩٩/ وعندى أنه من الخير للحاكم المستبد أن يعلن استبداده بدل أن يتمسح بديمقراطية لا يتبعها ، وذلك نوع من الكذب يثير السخط والاحتقار ، فعيون الناس مفتوحة ولا تخفى هذه الأرقام الحقيقية عن الناس ، وقد اضطر جمال عبد الناصر أن يفسر الديمقراطية بأنها تقديم رغيف الخبز للشعب وتعيين أولادهم فى وظائف •

إن الديمقراطية الحقيقية فى عالمنا الثالث عملية سهلة لمن أرادها ؛ هيئة مستقلة تُجرى الانتخابات وتشرف عليها ، وهناك فى الهند هيئة مستقلة أجرت الانتخابات عندما كانت أنديرا غاندى رئيسة الوزراء ، فسقطت أنديرا غاندى ، ثم أجرت هذه الهيئة الانتخابات وأنديرا غاندى بعيدة عن الحكم فنجحت أنديرا غاندى •

من شاء أن يفعل هذا فليفعله ، ومن أراد أن يخون حق الوطن

والإنسان المصرى فليتركب هذه الخيانة بوضوح ، فلن ينجيه الخداع من حساب التاريخ ١٠

وقد وَضَحَ عبد الناصر أُنسُ الدِيكتاتورية التى سار عليها أتباعه من بعده ، ويقرر المرحوم الدكتور القيسونى نائب رئيس الوزراء أنه مرة اقترح فى مجلس الوزراء — وكان منعقداً برئاسة عبد الناصر — أن يُوَجَدَ نوع من الديمقراطية ومسئولية الوزارة ، فصرخ فيه عبد الناصر : هل يعنى حديثك أن تجعل منى ساراجات آخر ؟

وكان ساراجات فى ذلك الوقت رئيساً لجمهورية إيطاليا • ونظام الحكم فى إيطاليا كما هو معروف يشبه إلى حد ما نظام الحكم فى إنجلترا ، فرئيس الدولة يملك ولا يحكم ، وتتولى الوزارة السلطة الحقيقية فى الدولة ، وتكون مسئولة أمام البرلمان مسئولية تامة •

فقال القيسونى له : إننى إنما أردت أن أبعدك عن النفذ الشعبى ، فكل تصرف عندنا الآن ينسب إلى رئيس الجمهورية سواء قرره هو أو نم يقرره •• كما أردت أن أجعل هناك وزارة مسئولة ، وأن أعطيك حق التغيير الوزارى كلما فكَّدت الوزارة ثقة الشعب •

فقال عبد الناصر : إنه غير معتاد على القيام بمثل هذا الدور •

ويواصل الدكتور القيسونى قوله : وفى أول تعديل وزارى تمَّ بعد ذلك وكان فى ٢٠ مارس سنة ١٩٦٨ ، أى بعد تسعة أشهر من اشتراكى فى الوزارة وجدت نفسى خارج الوزارة (١) •

تسقط الديمقراطية ، تسقط الحرية :

والحق أن أصدق تعبير عن اتجاهات الثوار هو تلك المظاهرات التى

(١) حديث بالاطخبار القاهرية فى ١٦/١/١٩٨٧ •

حشد الثوار لها طبقة من الفوغاء يوم السبت ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ جىء بهم من مديرية التحرير ، ومن قوات الحرس الوطنى ، ومن القيادات العمالية ، وراح هؤلاء يهتفون : تسقط الديمقراطية — تسقط الحرية — يسقط المتعلمون • وكان ذلك فى الحق هو التعبير الحقيقى لاتجاهات قادة ثورة ٢٣ يوليو ، ولابد أن نذكر أن العمال الذين اشتركوا فى هذه المأساة كانوا بقيادة : صاوى أحمد صاوى الذى عُرِف فى التاريخ المصرى بصاوى صاوى على وزن اللورد هاو هاو أشهر خائن فى تاريخ بريطانيا (١) • وقد قنع هؤلاء الفوغاء بقروش ضئيلة نظير هذا الموقف الأثيم •

والعجيب أن أنور السادات يتغنى فى كتابه « وصيتى » بالديمقراطية ويذكر أن الثورة أهملت المبدأ السادس من المبادئ التى أعلنتها بعد قيامها ، وأنه هو تدارك الأمر ، ونحن نوافقه على أن الثوار جميعا بما فيهم أنور السادات أهملوا الديمقراطية وحاربوها ، ونوافقه على قوله « إنه فى ظل الثورة تحول الإنسان المصرى إلى مجرد أداة فى خدمة النظام الثورى مما أدى إلى كل السلبيات والنكبات ، وأن الإنسان المصرى قد تمزق وكان ذلك نتيجة لتطبيق النظام الاشتراكى فى مصر ، فقد أصبحت الاشتراكية مرادفا لفرض الحراسات ، ومصادرة الممتلكات ، وفتح المعتقلات ، وغياب القانون ، وأوشكت هذه الموجة الطاغية أن تطمس معالم شخصيتنا الأصيلة مع ضياع المثل والقيم والتقاليد ، وبذلك فقد الإنسان المصرى إحساسه بالانتماء إلى وطنه لأنه أدرك أن هذا الوطن أصبح ملكا لفئة قليلة تجلس على قمة السلطة الثورية » (٢) •

تلك كلمات صادقة تصف العهد الثورى أدق وصف ، ولكن الديمقراطية لم تعرف طريقا للنور منذ قامت الثورة ، فحرية الانتخابات هى من أهم أسس الديمقراطية ، وهى شىء كرهه جدا للفكر العسكرى سواء كانت القيادة فى يد عبد الناصر أو السادات •

(١) دكتور حسين مؤنس : باشوات وسوبر باشوات ص ٢٣٤ •

(٢) أنور السادات : وصيتى ص ١٢ - ١٣ •

٥ - الثورة وطرد الاستعمار :

في هذه المقدمة الخامسة نذكر أن بعض أتباع الثورة يقولون إنها طردت الاستعمار • وهذه مغالطة جاهلة ، فالاستعمار الأوربي قد انتهى من العالم كله بعد أن ظهر العملاقان : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، فبدون هذين العملاقين ما كانت أوربا تستطيع أن تنتصر على هتلر وموسوليني واليابان ، ومن ثم فهذاان العملاقان يمثلان في غابة الحياة جماعات الأسود ، وعندما تظهر الأسود لابد أن تختفى الذئاب والثعالب ، وعلى هذا قد اختفى الاستعمار الأوربي من العالم كله حتى من أقطار كانت ترحب به لظروف خاصة ولم تطالب بطرده ، وبدأ اختفاؤه من دول كثيرة قبل أن تظهر هذه الثورة بعدة أعوام كما ذكرنا من قبل •

فإذا جئنا إلى مصر وجدنا الثورة جلبت عليها أقدر استعمار عرفته البشرية وهو الاستعمار الصهيوني ، الذي ادَّعى أن البلاد بلاده ، وعمل على الاستقرار بها ، وعندما أبعد هذا العدو بالحرب والمفاوضات لم يقبل أن يمنحنا حرية الحياة في المناطق التي كان يحتلها ، بل اشترط شروطا تنتقص من سيادتنا على هذه الأرض الغالية بسيناء •

ما أقسى ما عانت مصر وعانى الشعب المصري من هذه الثورة اللعينة •

وبعد هذه المقدمات الضرورية نتجه لعرض تاريخ أنور السادات •

عصر أنور السادات

خطة العمل بهذا الجزء « العاشر »

عندما كنت أكتب تاريخ محمد نجيب وتاريخ جمال عبد الناصر في الجزء التاسع من موسوعة التاريخ الإسلامى اتبعت نظام الحوليات ، فسجلت الأحداث من عام إلى عام ، وكان هذا منهجا مناسبا هناك إذ لم يكن لمحمد نجيب ولا لعبد الناصر تاريخ " قبل الثورة ، اللهم إلا وقفة قصيرة لمحمد نجيب في انتخابات نادى الضباط قبيل قيام الثورة •

وفي هذا الجزء المخصص لدراسة عصر أنور السادات أرانى مضطرا لاتباع منهج مخالف ، وذلك بسبب الوجود السياسى لأنور السادات قبل الثورة ، ثم قبل أن يصبح رئيسا للدولة ، ومن هنا فإننى سأعرض تاريخه في ثلاثة أبواب هي :

الباب الأول : أنور السادات قبل الثورة •

الباب الثانى : أنور السادات من مطلع الثورة إلى أن تولّى رئاسة الجمهورية •

الباب الثالث : أنور السادات رئيسا للجمهورية •

وفي حدود هذا التخطيط نرجو بعون الله أن نرسم صورة للرجل في أدق ملامحها ومميزاتها ، وأن نبرز جوانب شخصيته ومراحل حياته •

والله الموفق

الباب الأول
السادات قبل الثورة

جذور السادات ونشأته :

هناك صراع يتحدث عنه المربون بين الجذور والميراث من جانب التربية من جانب آخر ، ومع أن التربية بلا شك تنقل الإنسان من حال إلى حال فإن آثار الجذور والميراث لا تختفى ، ويتفاوت القدر الذى يظهر منه حسب الظروف ، وقد بذل الإنسان جهدا كبيرا لترويض بعض الحيوانات وبخاصة المفترسة ، ونتيجة لنجاح الإنسان فى هذا المجال ظهر الأسد والفيل يقدمان للجماهير بعض الألعاب تبعا لأوامر الإنسان ، ولكننا نشاهد من حين إلى آخر ثورة الوحش على هذا التدريب ، وعودته فجأة لطبيعته وجذوره ، وهذا يؤكد لنا الصراع بين الجذور وبين التربية، وقد وضع الأعشى الشاعر هذا المعنى فى بيت من الشعر قليل الكلمات فقال :

فجَرُوا على ما عَوَّدُوا ولكلَّ عِيدانٍ عصارة

وقد وصل الربيع بن يونس إلى أسمى المناصب فى بلاط العباسيين الأول ، ولكن الربيع كان ينحدر من أصلٍ حقير ، وفى مرة كان يجلس فى مجلس المنصور وكان بالمجلس رجل يفتنى للأسر العريقة ، وكان هذا الرجل يروى بعضا من مفاخر أبيه ، وكلما روى قصة أتعبها بالترحم على أبيه ، فقال له الربيع : كم تكرر ذكر أبيك وتترحمم عليه ؟

فقال له الرجل : إنك معذور لأنك لم تذوق حلاوة الآباء •

وعلى هذا فالتربية — بلا شك كما قلنا من قبل — تنقل الإنسان من حال إلى حال ، ولكن أثر الجذور لا يختفى ، بل يحاول أن يندفع إلى السطح ، وتكبحه التربية ، فتنتصر أحيانا ، وتضعف أحيانا أخرى ، ومن هنا كان من الضرورى أن ندرس جذور السادات ونشأته لنرى مدى تأثير هذه الفترة عليه عندما أصبح فى القمة •

وقد كتب السادات عن جذوره ونشأته ، واعتقاده أنه لم يخف الكثير من عناصر حياته الأولى ، وكتب عنه الآخرون بروح الصداقة

والقسوة وإن كان ذلك أيضا مع الصدق غالبا ، ومن كل هذه المصادر نستطيع أن نرسم للرجل صورة أقرب للحقيقة •

السادات والساداتى :

كان من بين زعماء مصر فى مطلع القرن التاسع عشر زعيم شهير اسمه « السادات » وكان ضمن الزعماء الذين تحدوا السلطان العثمانى وقرروا عزل خورشيد باشا واختيار « محمد على باشا » واليا على مصر ، واضطر السلطان العثمانى أن يخضع لاتجاه هؤلاء الزعماء ورغبتهم •

هل ينحدر أنور السادات من سلالة هذا الزعيم ؟

إن أنور السادات لم يذكر ذلك فى الكتاب الذى يُعتبر قصة حياته وهو كتاب « البحث عن الذات » وقد أورد فى هذا الكتاب طرفا من الحديث عن أجداده ، ولكنه لم ينسب نفسه للزعيم « السادات » •

ولكن أنور السادات فى كتابه « يا ولدى هذا عمك جمال » نسب نفسه للشيخ الزعيم السادات واعتبر ابنه جمال حفيد أولياء الله الصالحين ^(١) ثم أن هذا الاسم « السادات » يوحى بذلك ومن هنا أنبرى بعض المؤلفين يرفضون هذه التسمية ويقررون أن الاسم الحقيقى هو « الساداتى » ^(٢) والفرق كبير بين السادات والساداتى فالسادات يوحى بالارتباط نسبا بهذا الزعيم الكبير ، والساداتى توحى بالتبعية لهذا الزعيم والالتحاق به فى مجال الخدمة والمساعدة • أو أنه انتماء لأسرة أخرى غير أسرة الزعيم « السادات » •

وقد اهتم الأستاذ عبد الله امام بهذه التسمية اهتماما كبيرا فقدم

(١) أحمد طلعت : السادات قبل الرئاسة ص ٢٩ •

(٢) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٢٨ بالهامش وأحمد

طلعت : السادات قبل الرئاسة ص ٢٦ •

لنسا صورة زنكغرافية لوثائق في ملف خدمة أنور السادات تؤكد أن اسمه
« الساداتى » (١) .

وهذا الموضوع يوضح أهمية الجذور في بلادنا ، فالأستاذ محمد
حسنين هيكل والأستاذ أحمد طلعت لا يقبلان أن يرتبط أنور السادات
بنسب شريف ، غير مؤكّد من الناحية التاريخية ، وقد أعلن ورثة الزعيم
السادات أن أنور السادات لا يرتبط معهم بنسب (٢) .

أسرة أنور السادات :

هل كان أنور السادات نفسه هو الذى كتب قصة حياته « البحث
عن الذات » ؟

لو كان هو الذى كتبها فإن قدراته فى هذا الموضوع رائعة ، فقد
أثبت لقطات تثير الابتسام مثل « العسل وصل » حيث تحدث عن
المركب التى كانت تحمل العسل ويهرع الناس لها للشراء منها ، وأثبت
لقطات توحى بجلال أسرته كحديثه عن جدته التى كانت ملجأ للناس
لحلّ مشكلاتهم ، وأنها كانت تسمى « أم الافندى » وهو لقب يحمل
التقدير لها ولابنها والد أنور السادات .

وتحدث أنور السادات عن صور من الفقر عاناها ، والحديث عن
الفقر ليس عيبا ، فكثير من الزعماء كان آباؤهم وأجدادهم من الفقراء .
فإذا تركنا كتاب « البحث عن الذات » وذهبنا إلى ما دونه هيكل
وأحمد طلعت نجدهما يذكران أن أنور السادات تماشى قصدا الحديث
عن أمه « ست البرين » وركّز فى الحديث عن جدته ، لأن الأم كانت
شخصية يصفانها بأنها لا تستحق الذكر ، ولكن كاميليا ابنة للرئيس
السادات تتحدث عن جدتها هذمفيما نشرته من بحوث بكل حب وتقدير .

(١) عبد الله امام : محاكمة عصر ص ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

وكان والد أنور السادات حاصلًا على الشهادة الابتدائية ، وكانت آنذاك شهادة لها قيمة لا بأس بها ، وكان موظفًا في حدود هذه الشهادة ، وقد تعددت زوجاته وكثر أولاده مما جعل حياته الاقتصادية أقرب إلى الضنك ، وانعكس ذلك على أسرته ، ولذلك اضطر أن يعمل بالسودان رجاء الحصول على مرتب أفضل •

التشابه بين طفولة ناصر والسادات :

هناك تشابه واضح في بؤس النشأة التي عاناها كل من السادات وعبد الناصر ، وقد ذكرنا آنفا شيئًا من ملامح نشأة السادات ، فماذا عن عبد الناصر ؟

يقول التاريخ :

طفولة عبد الناصر المبكرة كانت في قرية بنى مر بمحافظة أسيوط ، ثم انتقل أبوه عبد الناصر حسين خليل من محافظة أسيوط إلى الاسكندرية ، وعندما كان « جمال » في السادسة من عمره انتقلت الأسرة إلى الخطاطية ، وعندما أصبح « جمال » في الثامنة من عمره انتقل ليعيش مع عمه خليل بحارة اليهود في حي الموسيقى بالقاهرة ، وفي التاسعة من عمره توفيت والدته التي كانت الأمل الوحيد له ، وعاد « جمال » من القاهرة إلى الاسكندرية بعد وفاة والدته ليعيش مع جديه لوالدته وألحقته أسرة والدته بمدرسة المطارين الابتدائية ، وعاد مرة أخرى وهو في الثانية عشرة من عمره ليعيش مع عمه « خليل » في القاهرة ، ثم ترك بيت عمه خليل الذي انتقل إلى المحلة الكبرى وعاش مع والده الذي كان قد نقل للعمل بالقاهرة ، وعام ١٩٣٦ أجبره والده على أن يعيش مع عمه خليل في المحلة الكبرى ، وبعد قليل عاد إلى القاهرة ليتحق بالكلية الحربية . إنها حياة قاسية أشريًا ووجدانيا وعاطفيا وماديا ، ثمانية عشرة عاما منذ ميلاده في ١٥ يناير ١٩١٨ لم يذق فيها حنانا أو راحة •

ذلك هو عبد الناصر ، وتلك هي حياته التي خلّفت فيه عقدة كئيبة ، وهذا هو الرجل الذي حكم مصر والمصريين عدة سنوات .

عودة للسادات في حياته الأولى :

أمضى أنور السادات حياته الأولى في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية وحديث أنور السادات عن نفسه في هذه الفترة حديث ذكي ، فيه كثير من الخيال ، فهو يتحدث عن أعمال جماعية بالقرية كان يشترك فيها غير منتظر أجراً ١١ ويتحدث عن الزرع والأشجار حديث شاعر لا يتناسب مع طفولة أنور السادات وصباه (١) .

والتحق أنور السادات بالكتاب شأن كل الأطفال في ذلك الوقت ، وفي الكتاب حفظ بعض القرآن وتعلم القراءة والكتابة وبعض الحساب ، ثم التحق بالمدارس الابتدائية ثم بمدرسة فؤاد الأول الثانوية . وانتهى من دراسته الثانوية ووقف على باب الحياة الجامعية أو الكليات العسكرية .

لعبة الحظ في العالم الثالث (الكليات العسكرية) :

إذا تركنا دول العالم الثالث التي يحكمها ملوك كالمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان .. ونظرنا للدول الكثيرة الباقية نجد أن أكثرها يحكمه العسكريون وهذه في تقديري حقيقة تدعو للخجل ، فرجال الجيش آثروا المتع وهدوء البال ، والحجرات والسيارات مكيفة الهواء وتركوا خشونة الحياة العسكرية وصلابتها ، وعندما ظهر أن ذلك يحدث قلقا ونفوراً بينهم وبين القابعين في الخنادق ، أغدق العسكريون الذين بيدهم السلطة على زملائهم بالجيش ، فيسّروا لهم المساكن ، وأفخم الأندية ، ووسائل العلاج ، والرحلات ، والمصايف ، وابتكروا المحققين

(١) البحث عن الذات ص ١٢ .

العسكريين بالسفارات لإرضاء بعض الطموح ، أما المرتبات والبدلات فحُدَّت عنها ولا خرج .

وفي مجال امتيازات الجيش نقتبس سطورا قليلة كتبها الأستاذ الدكتور محمد عصفور في عموده اليومي بصحيفة الوفد في ١٠/١٠/١٩٨٨ عن مساكن الضباط يقول فيه :

أعلن المشير أبو غزالة أن المدن العسكرية السكنية الكثيرة قد لبَّت حاجة جميع أبنائنا الضباط للسكن . . . وأنها قريبا ستلبّي كذلك حاجة جميع أبنائنا صف الضباط . . . وهكذا نجا الضباط من متاعب الحصول على مسكن كما نجوا من السكنى بالمقابر والاكواخ والمخابىء .

ونقتبس في مجال هذه الامتيازات سطورا أخرى من كلمات الأستاذ جمال بدوي نشرها أيضا بصحيفة الوفد وهذه الكلمات ترتبط بالخبز الخاص بالضباط ، قال سيادته :

« في الجولة التي قام بها السيد رئيس الجمهورية في معسكر الهاكستب ، ظهر الرئيس في الصورة التي نشرتها الأهرام ومعه المشير أبو غزالة وهما يتفحصان رغيفا غريب الشان . . . »

« كان الرغيف منتفخ الأوداج . . . مستدير الوجه . . . ناضج القلب مليح القسما . . . متورد الوجنات . . . يثير لعاب الجوعى ، حتى كدت من فرط نهى أن ألهم الورقة التي تحتوى على صورة الرغيف . . . ولكنى تراجعت . . . وقلت لنفسي حرام أن يكون الأكل مصير هذا الرغيف ، إنه يستحق التمجيد ولا أقل من أن يوضع داخل برواز ويتعلّق على الجدران لينتفج عليه العامة . . . أو يصان في « فترينة » زجاجية بالمتحف ليشهده السياح كدليل على رقينا الحضارى واهتمامنا بحقوق الإنسان المصرى . . . وتوقعنت أن تجعل منه وزارة الثقافة موضوعا لمسابقة بين

الشعراء ليتغزلوا في جماله ويدبجوا فيه القصائد الملاح كما كان يفعل ابن الرومي والشريف الرضي وحافظ إبراهيم •

« والسؤال الذي يلح على أمثالي من العمامة كيف السبيل إلى الحصول على نسخة من هذا الرغيف ؟ هل نعر عليه في الصيدليات ؟ أو في البنوك الحرة ؟ وما هي المسوغات المطلوبة لاقتنائه •• هك تكفى البطاقة العائلية •• أو جواز السفر •• أو شهادة فقر موقع عليها من اثنين موظفين لا يقل مرتب كل منهما عن ستين جنيهًا ؟

« دلوني يا أهل الذكر على طريق الوصول إلى هذا الرغيف المدهش ••• ولكم الأجر والثواب من الله » •

ونقتبس من حسن عزت ^(١) وهو ضابط زميل للسادات وصديق له يقول بأن هناك حوالي ٣٠٠ ضابط يحصلون على المعاش المخصص للضباط الأحرار على الرغم من أن ٩٠٪ منهم لم يشتركوا في الثورة ، وهكذا كان للضباط الأحرار ومن دخل في زمرتهم معاش خاص ممتاز •

وهكذا يعيش الضباط بالعالم الثالث في طبقة أسمى وأرفع من طبقة الآخرين •

قد تقول إنهم يعرفون أنفسهم للأخطار من أجل حرية الوطن ، وهذا صحيح ، ولكني أقول إن أخطار الحرب الآن لا تقف عند ميدان الحرب ، بل تصل إلى الناس في بيوتهم ، ثم إن كثيرين من الأساتذة والأطباء والمهندسين يستقنون وهم يؤدون أعمالهم ، ولا مكان لبلاد يخلو من العقول المفكرة التي تجلب الرخاء والجاه للبلاد •

وأخيرا فالطبقات المتقفة ترى أن العدالة والمساواة لابد أن يعمما
الناس دون تفریق بسبب اللون أو الدين أو المهنة •

وقد وصل الحال إلى أن الدكتور عبد المنعم القيسوني نائب رئيس
الوزراء يذكر أن مرتبه لم يكن يكفى ضرورات الحياة ؟ ولذلك استبدل
بعض معاشه ، أما ابنه الضابط برتبة ملازم فكان مرتبه وبدلاته تضعه
في مصاف المترفين (١) •

لهذا أوشكت جيوش العالم الثالث أن تنهار في جو القتراحم
على الترف والملاذ •

على أن الكليات العسكرية كانت لها دائما امتيازات قبل الثورة
وبعدها ، وهذه الامتيازات جذبت لها شبابا مثل أنور السادات وجمال
عبد الناصر ، ومن امتيازاتها أن الدراسة فيها محدودة الأعوام ، فليس
فيها رسوب تقريبا ، وهي داخلية فتوفر على الطالب إيجار المسكن
وتكاليف الطعام والملابس •

ولم تكن الكلية الحربية مفتوحة ببسر للناس جميعا ، بل كانت
ولا تزال تحتاج لبعض الوساطات ، وقد استطاع جمال عبد الناصر
وأنور السادات أن يجدا من السادة (٢) من يدفعهما للكلية الحربية حيث
مهّد لهما الحظ حياة تقودهما ليصبحا رئيسين للدولة الواحد بعد
الآخر •

رجل له جذور السادات أو جذور عبد الناصر ، تربى تربية عسكرية
بعد نشأة كنيية لا يمكن أن نتوقع منه اتجاها للديمقراطية ، فطفولته

(١) حديث نشر بالاخبار في ١٦/١/١٩٨٧ •

(٢) البحث عن الذات ص ٢٦ •

كانت صراعا ، والكليات العسكرية تُعكّم الطاعة الشاملة واحترام كل رتبة لما فوقها ، وهيهات أن نطمع في ديمقراطية من هؤلاء •

قد يخطر ببالك أن تشرشل أو أيزنهاور كانا عسكريين ، ونلفت النظر إلى أن هذين وأمثالهما لم يقفزا من الجندية للرئاسة كما فعل عبد الناصر ، وإنما دخلا الحياة السياسية فتعلما منها الكثير قبل أن يصلا إلى القمة ، هذا بالاضافة إلى أن البيئة غير البيئية ، فما كان تشرشل أو أيزنهاور يفكر في تزوير الانتخابات ، ولو حاول لوجد قوًى هائلة توقفه عند حده •

وهكذا كانت لعبة الحظ في العالم الثالث لعبةً ضمنت الترف للعسكريين وفرضت العسف على المواطنين •

وكانت الكلية الحربية تزدهم أساسا بأولاد الأعيان وفتيان من الطبقات العليا بالمجتمع ، ودخلها أمثال عبد الناصر والسادات ، فأتت الفوارق في هذا المجتمع ، كان بعضهم عند الإجازات تنتظره السيارات الفارهة في وقت قلت فيه السيارات ، وبعضهم كان يقف في انتظار الترام ، وانبتق الحقد في هذا الجو ، وتربت الضغائن التي اندفعت يوما فدمرت كل شيء •

وتخرج هذا وذاك وأمثالهما من الكلية الحربية ، ولهيب الحقد والطموح يملأ الأفئدة ، وقد استطاع عبد الناصر أن يعمل في صمت وعن طريق تكوين ما سمي « الضباط الأحرار » أما السادات فلم يستطع في شبابه كبح جماح نفسه ، فانطلق يتأرجح في معمة الحياة كما سنرى •

السادات بعد التخرج

زواجه من ابنة العمدة :

تخرج السادات من الكلية الحربية وأصبح ضابطا بالجيش ، وللضباط

(م ٥ - التاريخ الاسلامي)

زى* خاص كانت له في تلك الأيام جاذبية كبيرة ، وانتقل السادات بهذه الوظيفة وذلك الزى نقلة واسعة ، واتخذ من هذا وذاك وسيلة لإرضاء طموحه ، وكان طموحه آنذاك ذا شقين ، الشق الأول هو تثبيت مركزه في القرية ، وهذا حققته عن طريق الزواج من بنت العمدة (السيدة إقبال ماضى) ويقول محمد حسنين هيكل ^(١) ان الزواج من ابنة عمدة ميت أبو الكوم كان أقصى ما كانت تحلم به أم محمد لحفيدها أنور •

اتصاله بالألمان وإعجابه بهتلر :

أما الشق الثانى فكان محفوفاً بالمخاطر الجسيمة ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية تمرُّ بفترة دقيقة ، وهى فترة زحف الألمان بقيادة روميل من ليبيا إلى مصر ، وانبهار بعض الشباب العرب بالألمان ، واعتقادهم أن انتصار الألمان سيخلصهم من حكم الإنجليز ، ولذلك هتف بعضهم : تقدم يا روميل •

ولنتوقف قليلا عند هذه النقطة ، لقد كان هؤلاء الشباب مخدوعين بالألمان ، وظنوا أن هؤلاء أخف وطأة من الإنجليز ، والحق أن الجميع فى السوء سواء ، وأنهم لا يتفاضلون فى هذا الضمار ، وربما كان الألمان أسوأ من سواهم ، وقد أدرك الألمان اتجاه بعض المصريين نحوهم فراحوا يعززون هذا الاتجاه بأكاذيب واختلاعات ، ويبدو هذا واضحا من مقارنة الترجمة العربية لكتاب هتلر « كفاحى » بالأصل الألمانى أو بالترجمة الإنجليزية ، فالنسخة العربية خلت من المطاعن فى العرب ، تلك المطاعن التى انبثقت فى صفحات الكتاب باللغات الأخرى ^(٢) •

وقد كان هتلر وأعوانه يعتقدون النظرية التى تقرّر « أن كل ما

(١) خريف الغضب ص ٤١ •

(٢) انظر كتاب « كفاحى » بالعربية والانجليزية •

في الكون من حضارة إنسانية وفنون وعلوم هي تقريبا خلاصة القريحة الآريّة» ^(١) وأن وجهة النظر العالمية للجنس تعترف بأهمية انقسام الإنسانية إلى عناصر جنسية متفاوتة ، ولا تعتقد في المساواة ، بل ترى أن هناك جنسية عليا وجنسية دنيا ، وبمقتضى الإرادة الأزلية التي تسيطر على الكون لابد أن يسمو الجنس الأعلى ، وأن يخضع له الجنس الأدنى» ^(٢) .

هل كان أنور السادات يجهل هذه الحقائق ؟

أغلب الظن أنه كان لا يجهلها ، لكنه كان يريد المغامرة ، فالمغامرة كانت لديه هدفا لذاتها ، مع الألمان ، أو الإنجليز ، أو القصر ، فالهدف يبرّر الوسيلة عنده ، وقد بالغ السادات في إعجابه بالألمان فحذا حذوهم حتى في تضيق الزى كما كانوا يفعلون ^(٣) .

وأُتيحت لأنور السادات فرصة ليلتقى بالفريق عزيز المصرى المفتش العام للجيش المصرى ، وكان لقاؤهما في منقباد ، وعزيز المصرى شخصية أسطورية شاركت في الثورة التركية مع أتاتورك قبل أن يظهر انحراف هذا الزعيم ، وكان عزيز المصرى من مؤسسى جمعية تحرير الأمة العربية ، وله تاريخه الطويل المليء بالكفاح ، مع ولع بالثقافة والدعوة إليها» ^(٤) .

ومن الشخصيات المهمة التي التقى بها أنور السادات في هذه الفترة حسن عزت وهو ضابط في سلاح الطيران جاء إلى سلاح الإشارة

(١) حامد المليجى : كشف الستار عن نظرية امتياز بعض الاجناس

ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧ .

(٣) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٨ .

(٤) انظر : البحث عن الذات ص ٣١ .

بالمعادي في دورة تدريبية، وكان أنور السادات يعمل في سلاح الإشارة ، وبدأت علاقة بين حسن عزت وأنور السادات كان لها تأثير على الأخير في حياته الخاصة والعامة كما سنرى •

وكان لعزيز المصري علاقة بالألمان ، وقد حاول أن يهرب إلى صفوفهم إبان الحرب العالمية الثانية ولكن المحاولة فشلت فسقطت طائرته ، وكانت هناك خلية سرية في الجيش المصري بقيادة عزيز المصري ينتمى اليها مجموعة من الضباط الثنبان منهم السادات ، وهذا قووى في السادات ميوله للألمان ، ثم إنه عن طريق حسن عزت تعرف أنور السادات على اثنين من رجال المخابرات الألمانية هما « أبلد » و « ساندى » وكان هذان قد استطاعا الوصول إلى القاهرة وعاشا بها متخفيين في عوامة المراقصة حكمت فهمى ^(١) وقد ساعدهما أنور السادات في إصلاح جهاز التخابر الذى كانا يملكانه •

طرده من الجيش :

وانكشف أمر الجاسوسين الألمانين فقبض عليهما ، ثم قبض على أنور السادات وحسن عزت ، وتكون مجلس عسكرى لمحاكمتهما ، فقرر طردهما من الجيش في ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٢ بعد خدمة لا تزيد عن أربع سنوات •

هل كان أنور السادات مؤمنا بالمبادئ النازية وفاشستى التكوين كما يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين ^(٢) •

الحقيقة أننى لا أرى ذلك ، وإنما أرى أنها انتهازية ، وطموح ،

(١) أنور السادات : صفحات مجهولة ص ٩٠ وما بعدها •

(٢) محاوراته مع السادات ص ٨ •

والحقائق التاريخية توضح لنا أن أنور السادات كان حريصا على « الوصول » عن أى طريق ، وسنراه فيما بعد عضوا في الحرس الحديدى الذى أنشاه فاروق ، فالهمم عند أنور السادات هو « الوصول » إلى الهدف أيا كانت الوسيلة •

وهذه الأخلاق يمكن أن تنمو مع شخص في مثل ظروف السادات ، عاش مقهورا ، ثم أصبح طالبا بالكلية العسكرية حيث الطاعة الشاملة ، ثم خرج إلى الحياة ضابطا في الجيش يحس بأن له كيانا ومكانة مرموقة في المجتمع ، ومثل هذه الحياة المتقلبة تدفع للحقد والثورة وانتهاز الفرص •

السادات بعد الطرد من الجيش :

عقب طرد السادات وحسن عزت من الجيش ألقت السلطات المدنية القبض عليهما بحكم قانون الطوارئ الذى كان معمولا به آنذاك ، وأودعا « سجن الأجانب » وظلا به حتى ديسمبر سنة ٤٢ •

ويصف حسن عزت حالة السادات آنذاك ، ويظهر من الوصف مدى الخشونة التى كان السادات يعيش فيها ، يقول حسن عزت : وصل السادات السجن ومعه حقيبة صغيرة من الورق المضغوط كالتى يستعملها تلاميذ المدارس الابتدائية ، ولما فتحها رأيت فيها بنطلونا وبيجامة وفوطة وسجادة قديمة ومصحفا ممزق الغلاف ، وسألت أنور : هل هذا كل متاعك ؟

فأجاب باستغراب : وهو ده شوية ؟

فقلت له : على كل حال يا أنور أنا معى (هدوم) كثير وأدوات تسلية وكلها تحت أمرك (١) •

(١) حسن عزت : العمالقة والاقزام ص ٤٤ •

وبعد ذلك نُقِلَ السادات وحسن عزت إلى معتقل « ماقوسة » بالقرب من المنيا ، وقد استطاع حسن عزت أن يهرب من معتقل ماقوسة ، أما السادات فقد بقي به حتى ديسمبر سنة ١٩٤٣ ثم نقل إلى معتقل الزيتون بالقرب من القاهرة حيث استطاع هو أيضا أن يهرب من المعتقل في أكتوبر سنة ١٩٤٤ وكان ذلك بمساعدة حسن عزت ، وتكرر الاثنان حتى لا تتعرف عليهما أجهزة وزارة الداخلية ، ويقال إن هذه الأجهزة أغضت الطرف عنهما بإشارة من القصر .

وكان السادات يلبس البدلة العسكرية بعد طرده من الجيش مع تحريمها عليه (١) .

وعمل السادات خلال فترة التنكر « حمّالا » على عربة لورى يملكها حسن عزت ، وعمل في بلدة أبو كبير بالشرقية في مشروع الترع ، وبهذه المناسبة نذكر أن أنور السادات يقرر أنه كان من عادة مصلحة الرى في ذلك الوقت أن تشق ترعة جديدة كل سنة (٢) .

وللأسف توقفت ثورة عبد الناصر والسادات عن هذا المنهج الوطنى العظيم .

وعمل أنور السادات بالقرب من مدينة بنى سويف في مناجم الرخام الألباستى .

وهذا المنجم يدفعنا لنروى كلمات أنور السادات ونعلق عليها فهو يقول : كان هذا المنجم يعمل أيام الفراغة ، ثم أهمل إلى أن أتى « محمد على » فأعاده إلى العمل ، وبنى منه مسجد القلعة ، ولما كان هذا المنجم يبعد عن النيل بمقدار ٥١ كيلو مترا فقد أقام محمد على

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ١٨ .

(٢) البحث عن الذات ص ٧٦ .

استراحات بالطريق لتسهيل نقل الرخام إلى البواخر النيلية ، وبقياء
هذه الاستراحات قائمة وموجودة حتى الآن (١) .

بالتأكيد لم يكن أنور السادات يقصد امتداح محمد على أو الثناء
على أولاده الذين كانت الترع تحفر في عهدهم واحدة في كل عام ، والذين
أعاد مؤسس أسرته الحياة لنجم الرخام الذى أهمل من عهد الفراعنة ،
ولكن هذه المزايا انزلت دون قصد فى كتاب السادات ، وأنا كمؤرخ
أقول ذلك لأن الثورة بذلت أقصى الجهد لتحريف تاريخ أسرة محمد على
وطمس معالم الخير فيها كما وضحت ذلك فى المصادر المناسبة (٢) .

ولما كان اعتقال حسن عزت وأنور السادات قد جاء نتيجة
للاحكام العرفية التى كانت مفروضة على البلاد خلال الحرب العالمية
الثانية فقد تحققت الحرية لهما عندما ألغيت الأحكام العرفية فى سبتمبر
سنة ١٩٤٥ ، ولم يعودا فى حاجة إلى التتكر والعمل خفية ، وظهرا فى
المجتمع فى صورتها الحقيقية .

حزب الوفد والقصر الملكى وأنور السادات :

كان القصر الملكى فى عدااء سافر مع حزب الوفد الذى كان ولا يزال
يمثل القوة الشعبية ، والذى كان يضم الأغلبية الساحقة من المثقفين
ورجال المال والأعمال والتجار والفلاحين ، والذى تحققت فيه الوحدة
الوطنية ، فى أجلى أعماقها ومعانيها .

ومنذ قام هذا الحزب عقب الثورة الشعبية سنة ١٩١٨ اندفع القصر
الملكى إلى الصراع معه وكون القصر مجموعة من الأحزاب لمنافسة حزب
الوفد ، ولكنها كانت أحزابا بلا جذور شعبية ، وكانت كالبش قصيرة

(١) البحث عن الذات ص ٨٠ .

(٢) انظر ذلك فى الجزء الخامس والتاسع من هذه الموسوعة .

العمر ، ولكن هذه الأحزاب كانت بقوة الملك وتأييد الإنجليز تحظى بفترات حكم طويلة ، أما حزب الوفد وهو الحزب الحقيقي في البلاد فكان مستبعدا ولا يجيء للحكم إلا إذا قامت انتخابات حرة وهو شيء نادر بمصر للأسف ، وإذا جاءت انتخابات حرة لسبب من الأسباب (١) فإن عهد حكومة الوفد في الحكم يكون قصيرا دائما ، فالإقالات كانت متعمدة في ذهن الملك وأعوانه ، يدفعونها للواقع عندما تحين فرصة ، وكان الجيش المصري للأسف يحمي هذه القرارات الظالمة (٢) .

ومن الواضح أن الإنجليز كانوا يؤيدون هذه السياسة ، فحكومات الأقلية تخضع لتعليمات الملك والإنجليز ، فبدون الملك والإنجليز كانت هذه الأحزاب لن ترى النور ولن تحصل على السلطة ، أما الوفد فكان يقف دائما بجانب الشعب ويستمد منه سلطته ، وعندما توجد حكومة وفدية في السلطة تنتقل سلطة الملك وتتوارى ، كما تنتقل كذلك سلطة الإنجليز .

والمهم أنه في أثناء الحرب العالمية الثانية مرت أزمة بالحلفاء ، وجاءت فترة ازدهار للجيش الألماني الذي دق أبواب مصر ، وصاح الكثيرون من المصريين يهتفون لروميل قائد الجيش الألماني الزاحف من ليبيا :

تقدم يا روميل تقدم يا روميل

وقد وجد الإنجليز من الضروري أن يتقربوا من الشعب المصري خلال هذه الأزمة ، فأشاروا على الملك فاروق أن يخضع لرأي الأغلبية وأن يدعو الزعيم مصطفى النحاس ليؤلف الوزارة ، وعندما رفض الملك تلبية هذه الرغبة زحفت قوة من الجيش الإنجليزي وأحاطت بالقصر

(١) أنظر الجزء الخامس من هذه الموسوعة حيث وضعنا الأسباب التي فرضت الانتخابات الحرة أحيانا .

(٢) أنظر تفاصيل ذلك في الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو عن تاريخ مصر .

الملكى وهددت الإنسان الفاسد الذى كان يجلس على عرش مصر ،
وانهار هذا الرجل واستسلم ، ودعا النحاس باشا لإنقاذه بعد أن لادت
نهايته .

وجاء النحاس باشا الى الحكم ، وقد بقى فيه من سنة ١٩٤٢ إلى
سنة ١٩٤٤ أى إلى أن بدأت كفة الحلفاء فى الرجحان ، فاستعمل الملك
سلطاته الجائرة وأقال حكومة الوفد .

لم يفر فاروق للنحاس باشا أنه جاء على غير هواه ، مع أن مجيء
النحاس كان برجاء عميق من الملك ثبتت فى كتاب تكليفه بتأليف الوزارة ،
وفى كتاب التأليف الذى ردّه به الزعيم على الملك .

ولجأ الملك إلى أعمال السوق وقطاع الطرق فى مجاهدة زعيم الأمة
النحاس باشا فالف ما يسمى « الحرس الحديدى » ليقوم بأعمال
تصفية جسدية لمن اعتبرهم أعداء للقصر .

وبدون مجيء النحاس كان فاروق سيواجه نهايته ، ولذلك يرى
بعض المفكرين أن النحاس باشا كان عليه أن يرفض تأليف الوزارة ليتم
النقضاء على الملك عدو الأمة والوفد ، ولكن الزعيم العظيم لم يكن من
هذا النوع الذى يستغل الفرص للنثار .

ومن عجب أن أحزاب الأقليات أو أحزاب القشّس انتهزت فرصة
قيام حكومة الوفد فى هذه الظروف فأطلقت الأبواق بأن النحاس باشا
جاء على أسنة الرماح الإنجليزية ، مع أن هذه الأحزاب عاشت عمرها
كله قابضة على السلطة تحت حماية هذه الرماح وبدون أى تأييد شعبى ،
وليت شعرى كيف يجيء الحق لصاحبه ثم يرفضه ؟

إن بعض القصور تراول حتى الآن أعمال التصفيات الجسدية
لمعارضيه ، وربما كان الحرس الحديدى فى مصر أستاذاً لهؤلاء فى هذا
المجال ، إنها وصمة العمر أن تتدهور أخلاق سكان القصور لتصل إلى
هذا المدى الإجرامى الحقيقى .

ولنعد بحديثنا إلى الحرس الحديدى بقصور فاروق .

الحرس الحديدي :

اعتمد فاروق في تكوين الحرس الحديدي على ضابط طبيب ، اسمه « يوسف رشاد » كان طبيب الملك وموضع سرّه ، وكانت زوجة هذا الطبيب واسمها « ناهد » وصيفة الملكة ، وأعطيت الإشارة لهذا الطبيب ليعاشر عمله في تكوين هيئة أطلق عليها « الحرس الحديدي » تكون مهمتها التخلص من أعداء الملك ، وحتى يأخذ هذا العمل الإجماعي لمحة كاذبة من الشرعية ذكر المشرفون على تكوين هذه الهيئة أن الملك رمز البلاد ، وأن الاعتداء عليه اعتداء على شرف البلاد وكيانها ، ولم يكن ذلك في الحق إلا بريقا كاذبا ، فهذا الملك كان منبوذا ، ولم يكن بخلقه وديكتاتوريته يمثل رمزا للبلاد ولا كان جديرا بالاحترام .

وبدا على كل حال تكوين الحرس الحديدي ، وكان من أبرز أعضائه الذين استطاع يوسف رشاد ضمّهم لهذه الهيئة حسن التهامي وأنور السادات وحسين توفيق ، والأخير شاب متحمس كان يصطاد الجنود الإنجليز الذين يدخلون القاهرة في إجازاتهم ليوقع بأفراد منهم ، وتقول الرواية إن أنور السادات اقتنع حسين توفيق بعدم جدوى جهده في القضاء على بعض الجنود الإنجليز ، وأن من الأجدي الإيقاع بكبار المصريين الذين يتعاونون مع الإنجليز ، وبدأ بذلك تكوين « الحرس الحديدي » ووضع أهدافه .

وكان من أعضاء « الحرس الحديدي » كذلك اثنان من كبار رجال الشرطة اعتبرا معاوينيّن ليوسف رشاد ، وتسعة من ضباط الجيش الشبان الذين كانت لهم تطلّعات وأطماع شخصية ، وينسب للحرس الحديدي أنهم هم الذين قاموا بحريق القاهرة للتخلص من حكومة الوفد .

ومن أعضاء الحرس الحديدي الذين ذكرهم حسن عزت الضباط الآتية أسماؤهم : عبد الرؤوف نور الدين ، وسيد حماد ، ومصطفى صدقي ، وحسن فهمي عبد المجيد وخالد فوزي وعبد الله صادق ، وكان كل ضابط من رجال الحرس الحديدي يتقاضى من القصر مرتبا شهريا

قدره ثمانون جنيتها ، (وهو مرتب كان عظيما آنذاك) كما كان لكل منهم سيارة صغيرة (١) .

ويذكر الدكتور عبد الحميد سلطان (٢) أن السادات عندما كان معتقلا في الزيتون كان يخرج ليلا للاستراخ في العدوان على زعيم الأمة ، وكان يرجع بعد ذلك للمعتقل في هدوء .

ولعل من الخير أن نذكر أن هناك ما يشير إلى أن اختيار أنور السادات لهذا الغرض تمّ وهو في سجن ماقوسة ، وأن هذا الاختيار يسّر له أن ينتقل إلى سجن الزيتون ، ثم يسّر له الخروج منه والعودة له ، وأخيرا يسّر له الهروب نهائيا منه ، وإنّ أصبح القصر كانت وراء ذلك وبدأ الحرس الحديدي يزاوّل نشاطه ووجه جهده أساسا إلى قتل زعيم الأمة مصطفى النحاس وقتل أمين عثمان الذي اعتبروه شديداً الولاء للسلطة الإنجليزية .

ونجح الحرس الحديدي في قتل أمين عثمان ، وفشل الحرس الحديدي في قتل النحاس باشا على الرغم من المحاولات المتعددة لذلك ، فقد حرصه يد الله ، ويصورّ حسنين هيكل إحدى هذه المحاولات بقوله : إن حسنين توفيق ألقي قنبلة على سيارة النحاس باشا ، ولكن سائق السيارة أسرع بها ليتفادى تراما اعترض الطريق بدل أن يتوقف ليمر التزام ، وكانت نجاة الزعيم نتيجة لذلك (٣) . وتلك عناية الله .

بل يذكر حسنين هيكل محاولات عدة لذلك هيأ القصر وسائلها ، وكان السادات أداة لها ولكنها فشلت أيضا ، وقبض على السادات ضمن المتهمين بهذه الأفعال .

ومن شواهد تورط القصر في هذه الأفعال أن المقبوض عليهم لم

(١) حسن عزت : العمالة والأقزام ص ١٥٨ .

(٢) مقال بصحيفة الوفد ١٩٨٧/١٢/٢٤ .

(٣) خريف الغضب ص ٧٠ .

يجاكموا جدياً ، وأن محاكمتهم تأخرت سنتين بعد وقوع الأحداث
من سنة ٤٦ إلى ١٩٤٨ •

ثم أن محاولة جرّت لسرقة ملف القضية ، وقد نجحت هذه المحاولة
وفي ذلك يقول حسن عزت : كان هناك ساعٍ يحمل هذه الملفات فوق
دراجة ، ودخل شارع محمد علي ، فاندفعنا خلفه بسيارة مسرعة ،
وصدمت السيارة دراجته فتطايرت الأوراق ، وأخذنا نجتمعها بسرعة
ونضعها في السيارة ولذا بالفرار (١) •

وهن الشواهد كذلك أن حسين توفيق هُيئ له أن يهرب من
السجن وأن يسافر للخارج •

ثم كان الحكم بالبراءة على أكثر المتهمين ، وحكم على حسين توفيق
غيابياً بالسجن عشر سنوات (٢) •

ما أقسى ما عانت مصر من انحراف الملك ، والذي يهمننا هنا هو
أن السادات جُنّد ليكون عضواً في الحرس الحديدي الذي أنشأه القصر •
واشترك في بعض الأعمال ، ثم قبض عليه ، وحُكِم ببراءته في ظل
الظروف السابقة ، وقد صدر حكم البراءة في أغسطس سنة ١٩٤٨ •
وقفّة للمقارنة :

إن الدارس لكتاب السادات « البحث عن الذات » وللمراجع
المختلفة التي تتكلم عنه وعن عصره يطيب له أن يتجرى مقارنة عن بعض
الأحداث المتماثلة التي حدثت للسادات ، وتلك التي حدثت منه ومن
رفاقه بعد الثورة :

١ — وأول ما نقدّمه من المقارنات مثال " قدّمه أنور السادات
نفسه قال : كان الذين يترافعون عنا من أكبر المحامين بمصر ، وكانوا
يترافعون دون أجر مع أنهم في القضايا العادية كانوا يتقاضون آلاف

(١) حسن عزت : العمالة والاقزم ص ٨٢ •

(٢) المرجع السابق ص ٥٥ وما بعدها •

الجنبيات ، ولكن للأسف لم تكن هكذا حالتهم في العشرين سنة الأولى للثورة بعد أن عطلت سيادة القانون ، فلم يصبح هناك أى مجال للمحاماة أو القضاء ، وأفلس الكثيرون من المحامين أو كادوا (١) .

٢ — يذكر أنور السادات أنه طلب أن يعالج أسنانه عند طبيب خاص فسمحوا له بذلك ، وأنه أوصى الطبيب ألا يعالج الضرس المريض حتى تمتد الرحلة وتتكرر ، ويقول : كان الطبيب يتناول أسناني كلها بما يشبه العلاج ما عدا الضرس موضع الداء ، وكنت أحياناً أزور والدى وأشرب معه الشاي في الطريق إلى الطبيب أو في طريق العودة (٢) .

٣ — عندما كان أنور السادات في سجن الأجانب عقب القبض عليه إثر اغتيال أمين عثمان استدعته النيابة مرة للتحقيق معه ، وكان الاستدعاء في الثانية بعد منتصف الليل ، وهناك أثبت في محضر الجلسة أن إيقاظه بعد منتصف الليل للاستجواب يمثل عملية تعذيب ، ويقول أنور السادات إنهم أثبتوا ذلك في المحضر ، وبعد ذلك كانوا يرسلون في طلبه خلال النهار (٣) .

٤ — يقول حسن عزت : كنت أنا والسادات نباشر ونحن في السجن بعض الأعمال الحرة ، فقد اشترينا بالمكافآت التي حصلنا عليها من وزارة الدفاع سيارتين قديمتين وحوّلنا كلا منهما إلى تاكسى ، وكان ذلك عملاً مربحاً .

وافتحنا مكتباً لتجارة الحاصلات الزراعية وعيّننا لإدارته أحمد أصهار أنور ، وكان يزورنا في المعتقل فنوجّهه ونحاسبه (٤) .

(١) البحث عن الذات ص ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) البحث عن الذات ص ٨٨ .

(٤) حسن عزت : العمالقة والأقزام ص ٥٤ .

ماذا لو قارنا ذلك بالآلاف الذين ألقى عبد الناصر والسادات القبض عليهم دون اتهام ، وفيهم الشيوخ والمرضى ؟ وألقى بهم في السجن دون رعاية صحية أو اجتماعية ؟

ثم ماذا نقول إذا أثبتنا كلمات السادات عن الشيخ المحلاوى أحد هؤلاء المسجونين ؟ فقد قال عنه السادات : أين الآن المحلاوى الذى كان يتكلم فى السياسة ، إنه مرمى فى السجن مثل الكلب !!

يا لها من شماعة رخيصة أن يقول رئيس دولة معه الجيش والشرطة مثل هذا الكلام عن رجل مغلوب على أمره ليس معه إلا فكره وعقيدته ؟ ولكن الله دائما ينتقم من الظالمين .

من البراءة للعودة إلى الجيش :

صدر الحكم ببراءة السادات فى أغسطس سنة ١٩٤٨ وعاد السادات للجيش فى ١٥/١/١٩٥١ وخلال هذه المدة (سنتان ونصف سنة تقريبا) حدثت للسادات أحداث ذات بال نروى فيما يلى موجزا لها :

أولا : أعماله فى هذه الفترة :

كان حسن عزت هو الباب الذى يجد السادات العمل عن طريقه ، ويقول السادات إن حسن عزت أنقذه من الفقر والعوز ، وإليه هبط عليه وقد جففت كل نقوده ، وتهالكت ملابسه وإليه أخذ من الحجرة البالية التى كان يعيش بها فى حلوان ، إلى حياة النور ، فمن حلوان صحبه للقاهرة حيث اشترى له بدلتين وعددا من القمصان والجوارب ... وعمل السادات مع حسن عزت فى أمور المقاولات ، ولكن السادات بعد سطور من ذلك يهاجم حسن عزت بقوة ويصوره على أنه مستغل ظالم ،

وأنه حرمه بعض استحقاقاته ، والباحث المدقق في كتاباته السادات بهذه الفترة يَحْسُ بتجنُّى السادات على حسن عزت ، فقد اعتزل السادات حسن عزت واشتغل (معيدا للصياغة) بدار الهلال ولكنه استقال من دار الهلال وعاد يعمل مع حسن عزت على الرغم من المرتب المناسب الذى كان يتقاضاه من دار الهلال ، وهذا يدل على ثقته فى حسن عزت ، وعلى أن هذا لم يكن يستحق أن يهاجمه السادات أو يطعن فى ذمته (١) .

ويطلق حسن عزت على كلام أنور السادات فيذكر أن ذلك الكلام محض افتراء ، فلا يمكن أن تكون الشركة ربحت هذا الربح الهائل فى الشهور القليلة التى مرت بها هذه الشركة ، ويذكر السادات بالديون التى استدانها من الشركة (٢) .

وعلى كل حال فإن أعمال السادات خلال هذه الفترة كانت بين مشاركة أو مساعدة لحسن عزت وبين العمل بدار الهلال .

ثانيا : زواجه من جيهان :

التقى أنور السادات بجيهان لأول مرة فى بيت حسن عزت بالسويس ، وكانت فى زيارة لابنة عمته زوجة حسن عزت ، وأُعجب بها أنور السادات من اللحظة الأولى وكانت فى السادسة عشرة من عمرها ، جميلة مملوءة بالحيوية ، وإذا كان الإعجاب هو كل ما ذكره أنور السادات عن جيهان ، فإن جيهان قد بالغت مبالغة شديدة فى وصفها لإقبالها على السادات مما لا تتحمله البيئة ، ومما لم يكن لنا به عهد وبخاصة من ثتاة فى مثل هذه السن ، فهى تصفه بأنه بطل قومى ، وبأن ثمار المانجو سقطت من يدها عندما عرفت أنه موجود بمنزل حسن عزت حيث كانت هى هناك ، وكيف

(١) انظر « البحث عن الذات » ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) العمالق والأقزام ص ١٧٣ .



المرويسان

أنها طلبت من أبيها أن تبقى في السويس مدة أطول لأن الجو يناسبها ، وكانت تقصد أن تبقى في بيت يتردد عليه السادات ، وكانت تلح على حسن عزت أن يحدثها عن فترة اخنياته .

خرافة :

ووصل خيالها إلى قمة السذاجة والستخف عندما دونت أنها في تلك الفترة كسرت ثمرة من ثمار الجوز وعندها أنشطرت نصفين بدت التعاريج على أحد النصفين كما لو كان مكتوبا في ثناياها اسم « أنور » بحروف عربية جميلة ، بينما استطاعت أن تقرأ بوضوح على النصف الآخر كلمة « الله » (١) .

وكان لأنور السادات آنذاك ثلاث بنات من زوجته الأولى هن « رقية وراوية وكاميليا » ومن الممكن أن نلاحظ أن الزواج الأول لم تكن به عناصر السعادة ، فالاختيار قد بئى كما ذكرنا من قبل على الرغبة في الارتباط بعمدة القرية ، فهذا شرف حرص عليه السادات وآله آنذاك ، ومثل هذا السبب يكون قصير العمر ، وربما كانت هناك أسباب أخرى تتضح للباحث أو تختفى ، والمهم أننا ينبغي أن نذكر أن السيدة إقبال ماضى أدت دورها مع السادات أداء طيبا ، وقد ذكرت كاميليا السادات (٢) أن أمها كانت وفيقة لزوجها في المحن التي مر بها ، وأنها باعت بعض حليها لمساعدته ولزياراته وهو في المعتقلات ، ولكن أنور السادات لم يشر لذلك في كتابه « البحث عن الذات » .

وتذكر كاميليا السادات أن جدتها لأمها ماتت وأبوها (أنور) يحاكم في التهم التي نسبت له ، ولما كانت السيدة إقبال قد ورثت

(١) جيهان السادات « سيدة من مصر » ص ٨٧ وما بعدها الى ٩٢ .

(٢) مقالات نشرت في الوفد مقتبسة عن كتابها « أبى وأنا » .

(م ٦ - التاريخ الاسلامى)

من أمها بضعة أفدنة ، فقد بدأت تبيع منها لاستئجار محامين للدفاع عن زوجها .

وتذكر كاميليا أنها عندما وُلدت ظهرت أمارات الهلع على السيدات اللاتي حضرن الولادة ، وأن الأم عندما رأت ابنتها قالت إنها فرد صغير ، وتقول كاميليا : كنت أنا الطفلة الوحيدة بين أولاد أبي التي حملت لونه الأسود .

وتقول كاميليا إنها خرجت مع أبيها يوما وهي طفلة وطلبت أن يحملها على كتفه فحملها وهو يقول : كم تشبهين القرد الصغير .

ونعود للحديث عن السيدة جيهان فنذكر أن والدها هو « صفوت رؤوف » وله جذور تركية وأمها « جلاديس » من مالطة .

الجذور مرة أخرى :

قلنا آنفا إن الجذور لها أهمية كبيرة في عالمنا الشرقى ، فهل أنور السادات هو الساداتى أو السادات ؟ ومع السيدة جيهان تتضح هذه المسألة مرة أخرى فهي تقول : كان والدى صفوت رؤوف قد قابل والدتى « جلاديس تشارلز كوتريل » في عام ١٩٢٣ بمدينة شفيلد بإنجلترا حيث كان يدرس الطب في جامعة شفيلد وكانت هي مدرسة موسيقى (١) .

ولكن الاستاذ محمد حسنين هيكل يقول : إن جلاديس كانت مالطية ، وأنه عندما أصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية تصوّرت جيهان السادات من معلومات متأثرة سمعتها أن أمها تنتمى لعائلة إنجليزية من شفيلد ، وعندما قامت مرة بزيارة إنجلترا فإن عملية بحث

(١) سيدة من مصر ص ٤٦ .

واسعة النطاق جرت للبحث عن أصول « جلاديس » ولم يعثر لها على أثر هناك (١) .

أما الوالد الذى قيل إنه كان يدرس الطب فى شفىلد فقد ذكر الأستاذ أحمد طلعت — كما سنرى بعد قليل — أنه كان يشغل وظيفة « مبخّر » بوزارة الصحة .

إن الإنسان الذى يحاول أن ينتكر لجذوره هو إنسان يحس بأنه مرتبط بأقدار هذه الجذور ، ويحاول التظاهر بغير ذلك ، أما الإنسان الذى سيطر على نفسه واستجاب للتربية المثلى فإنه لا يخاف الجذور .

وتقدّم أنور السادات لخطبة جيهان ، ولكن وجود زوجة له وعدم دَخْنِ ثابت كانا كأنهما عقبتان ، ولكن سرعان ما ذلت هاتان العقبتان ، وقد ذكر أنور السادات الأسرة جيهان أنه متّجه للانفصال من زوجته الأولى ، وقد بدأ هذه الخطوة فعلا ، وذكر أنه يستطيع أن يعود للجيش بعد أن حكمت المحكمة ببراءته مما اتّهم فيه ، وسيحاول ذلك وأمله كبير فى النجاح ، وهذا الأمل الواسع يؤكّد صلته بالقصر وبالحرّس الحديدى .

طلاق وزواج :

وقنعت أسرة جيهان بذلك وتم الزواج فى مايو سنة ١٩٤٩ بعد أن تمّ الانفصال عن الزوجة الأولى بحوالى شهرين ، وعطّل أنور السادات طلاقه لزوجته الأولى بقوله لحسن عزّت « إنها أدارت ظهرها لأُمى وأهلّى » (٢) .

وقد قلنا من قبل إن أنور السادات تزوج بنت العمدة لأن ذلك كان أقصى أمانيه ليرفع بهذه المصاهرة قدره ، ولكن العقدة بينها وبينه لم

(١) خريف الغضب ص ٧٠ .

(٢) العمالة والأقزام ص ١٦٩ .

تَزُول ، فعندما اختفى في السجن ، وواجهت بنت العمدة أم زوجها وأهله عادت لكبرياتها وأدارت للأسرة ظهرها .

وامضى أنور السادات شهر العسل لزواجه الجديد بين فندق بوريفاج بالإسكندرية وبين مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية .

أما عن مهر جيهان فقد يكون أنور السادات دفعه من كسبه ، ولكن في هذا المضمار يورد الأستاذ محمد حسنين هيكل (١) روايه تقول : إن كشف حساب وُجِدَ بعد ذلك في مكتب « يوسف رشاد » بالقصر ورد به أن يوسف رشاد قدّم لأنور السادات مبلغ ألف جنيه في هذه الفترة ليؤسس بيتا ، وألف جنيه في ذلك الوقت كان مبلغا هائلا .

ويقول حسن عزت إن أنور السادات بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ظل على اتصال بأسرة يوسف رشاد ، وقدم هدية لابنة يوسف عندما تزوجت ، وكان هو وزوجته السيدة جيهان دائمي الصلة بعائلة يوسف (٢) .

أما عن مصروفات الزواج فيذكر حسن عزت أن السادات اقترض من رأس مال الشركة ١٠٠٠ جنيه لذلك ، وكانت جيهان تحرص كل الحرص على قيمة الأناقة ، وزادت اهتماما بنفسها في هذا المضمار بعد الثورة حيث أصبح لها عيون من السيدات يرتدن لها المحال ليعرفن أهم المعروضات التي تليق بها ، لتكون هذه المعروضات موضع اختيارها (٣) .

جيهان ومظهر أسرتها :

وكانت جيهان السادات كذلك حريصة على مظهر أسرتها ، ولذلك

(١) خريف الغضب ص ٧١ .

(٢) العمالة والأقزام ص ١٧٠ .

(٣) أحمد طلعت : السادات قبل الرئاسة ص ٦٠ - ٦١ .

فعندما أصبح أنور السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامي بعد الثورة وأحيل والد جيهان إلى التقاعد حيث كان يشغل وظيفة « مبخّر » في وزارة الصحة ، التقط أحمد عبد الغفار السكرتير العام المساعد للمؤتمر الإسلامي هذا الخيط وعيّن صفوت رؤوف في وظيفة مناسبة بالبنك العقاري العربى الذى كان أحمد عبد الغفار يشغل وظيفة العضو المنتدب به ، وكانت الوظيفة الجديدة لوالد جيهان تتناسب صهر أنور السادات ، وكان مرتبها عاليا يساعد الأسرة على حياة تتناسب مع مكانها الاجتماعى ويقول أحمد طلعت : إن هذا التصرف من أحمد عبد الغفار ضمن له أن يحتفظ بموقعه فى المؤتمر الإسلامى مدّى طويلا بالنسبة لمن شغلوا هذا المنصب (١) .

ثالثا : الاخوان المسلمون : علاقة ومرتب :

تعود صلة السادات بالإخوان المسلمين إلى سنة ١٩٤٠ وكان السادات آنذاك ضابطا بالجيش ، وحضر أنور السادات محاضرة للمرشد العام الشيخ حسن البنا فى مناسبة المولد النبوى الشريف وأعجب السادات به ، وبطريقة تناوله للموضوع ، وحسن أدائه ، وقوة تأثيره ، ودعاه حسن البنا لحضور درس الثلاثاء الذى كان يليه يوم الثلاثاء بعد صلاة المغرب فى مقر المركز بالحلمية الجديدة (٢) .

ويقرر أنور السادات أن قوة حسن البنا كانت هائلة ، فلقد أراد مرة أن يشتري « فيلا » فخمة لتكون مقرا جديدا للجماعة وطرح ثمنها للاكتتاب ، فغطّى المريدون ثمنها فى يوم واحد .

وتوثقت الصلات بين الاثنين وكشّف كل منهما للآخر عن آماله فى إنقاذ مصر مما كانت تعانيه ، وقررا التعاون .

(١) أحمد طلعت : السادات قبل الرئاسة ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) البحث عن الذات ص ٣٥ وما بعدها .

ويذكر أنور السادات مقارنة بين العون المادى الذى تلقاه من الإخوان المسلمين وذلك الذى تلقاه من إخوانه الضباط فيقول :

فى يوم ما اتصل الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين بشقيقى طلعت ، وأخبره أن الجمعية قد خصصت عشرة جنيهات شهريا لأسرتى ... تماما كما سبق أن فعل إخوانى الضباط وأنا فى معتقل ماقوسة بالبنيا ، ولكن توقفت معونة الضباط بعد أن انتهى الاعتقال وظلت متوقفة طوال فترة هربى ، ربما نسوا سامحهم الله ، ويذكر أنور السادات أنه هو وأسرتة كانوا فى أمس الحاجة لهذا العون آنذاك (١) .

رابعا : السادات وسيط بين حسن البنا والقصى :

فى كتاب « صفحات مجهولة » لأنور السادات حديث عجيب عن دور وساطة بين القصر وحسن البنا ، وهو حديث ينبىء عن صلة أنور السادات بالقصر من جانب وصلته بالإخوان المسلمين من جانب آخر .

يروى أنور السادات (٢) أن المرشد العام قابله مرة ، وبعد أن تبسط فى الحديث معه كشف عن بعض أسرارهِ فقال : إن الخوف على حركة الإخوان يجىء من ناحيتين : هما الملك والأجانب ، والملك يسمع عن رأى الإخوان فى الخلافة أو الملك ، وأنه بالمبايعة وليس بالوراثة ، والأجانب يخافون من تطبيق الشريعة الإسلامية وما قد ينال حريتهم وأموالهم من آثار لهذا التطبيق ، واجتماع الملك والأجانب ضد الحركة الإخوانية فيه خطر على الحركة التى لم يكتمل نموها لتواجه هذا الخطر .

ثم قفز المرشد العام ليقول للسادات : لو قابلت الملك ولو مرة واحدة فإننى سأقضى على مخاوفه ، ووجه حديثه باهتمام أنور السادات

(١) البحث عن الذات ص ٩٩ .

(٢) صفحات مجهولة ص ٩٩ وما بعدها .

قائلا : أنت تعرف يوسف رشاد ولو توسطت لديه لتحقيق هذه المقابلة فإنك تقدم خدمة عظيمة للحركة الإخوانية .

وقبيل أنور السادات أن يقوم بهذا الدور ، وكلم فيه يوسف رشاد ، ونقل يوسف رشاد هذا الرأي للملك ، وطلب الملك من يوسف رشاد أن يقابل هو حسن البنا أو لا ، وينقل حديثه للملك ليرى إن كان من الممكن أن يقابله .

ويقول أنور السادات : وكدنا نحدد موعدا للمقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ، وفي أحد الأيام كنت في منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون وكان الملك هو المتكلم ، واستمع يوسف لحظات قصيرة ثم قال « حاضر » وانتهت المكالمة ، ونظر إلى يوسف وقال لى : إن الملك يقول ألتغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا .

خامسا : القصر وعودة السادات للجيش :

إن الصلات التي ذكرناها بين السادات والقصر كانت تهيء لعودة أنور السادات للجيش في الوقت المناسب ، وإذا كان في إمكان السادات أن يهيء للصالح بين القصر والإخوان المسلمين وإذا كان السادات قد اعتُبر من رجال القصر الذين يَعتَمِد عليهم القصر في أخطر الأحداث ، والذين يثقلون بعض المعونات من القصر ، فإن عودة السادات للجيش لم تكن عملا صعبا ، وإنما كانت فقط تنتظر الوقت الملائم .

وبدخول الخمسينات تخلّى القصر عن قيادة حركات الإرهاب بعد أن تلقى إشارة من لندن بأنه لا يليق به أن يتبنى هذه الحركات ، فلم يعد لأنور السادات وأمثاله مكان في هذا المجال ، ولكن لا يتخلّى القصر عن رجاله الذين استجابوا لدعوته وحملوا السلاح والتسابل لينفذوا أوامره .

ومن هنا لجأ أنور السادات إلى صديقه يوسف رشاد ليهيئ له الوسيلة للعودة للجيش ويروي محمد حسنين هيكل (١) رواية يقول إنها موثوق بها ، فقد نصّح السادات بأن يُلْقَى بنفسه أمام الملك يوم الجمعة عقب صلاة الملك في مسجد الإمام الحسين ، فيقبّل يده ويطلب منه الصفح .

وكان هذا العمل أمام الجماهير كان متفقا عليه ، فالحرس لا يسمح لأحد باختراقه والاندفاع إلى الملك .

أما تكملة الرواية فنقتبسها من أنور السادات نفسه ، يقول : اتصل بى يوسف رشاد يوم ١٠/١/١٩٥٠ وطلب منى أن أذهب الأقابل حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة ، فذهبت ووجدت حيدر باشا في انتظارى ، وما إن رآنى حتى انهال على بالسباب — أنت ولد مجرم . . . تاريخك أسود . . . و . . . و . . .

ويقول أنور السادات — حاولت أن أتكلم ولكن الباشا قال : لا داعى للكلام ، لا تفتح فمك على الإطلاق ، ودقّ الجرس فدخل كاتم أسرار الجيش ، فقال له حيدر باشا : الواد ده ترجعه للجيش اليوم .

وصدرت النشرة العسكرية بعودتى للقوات المسلحة اعتبارا من ١٥/١/١٩٥١ برتبة يوزباشى ، وسرعان ما سُوِّيت حالة السادات ورُقِّي بكباشى في وقت قصير وهى الرتبة التى كان زملاؤه قد وصلوا اليها .

وانتقلت بذلك حالة أنور السادات وجيهان نكتلة كبيرة ، وتصف جيهان

(١) خريف الغضب ص ٧١ .

(٢) البحث عن الذات ص ١٣٩ .

الفرق الواسع بين أرباح زوجها من العمل في المقاولات وبين المرتب الذي أصبح يصرف له بعد العودة للجيش فتقول ^(١) : يا لراحة البال ، أصبح مرتب أنور عاليا ، ولم يكن علينا أن ندفع أية إيجارات أو فواتير كهرباء أو حتى فواتير الطعام ، فكل المستحقات كان الجيش مسئولا عن سدادها وأصبحنا نوفر جزءا من المرتب ، واحتفالا بهذا الرخاء قررنا شراء سيارة ٠٠٠٠

من العودة للجيش حتى قيام الثورة :

كانت الفترة بين عودة السادات للجيش وقيام الثورة عاما ونصف عام تقريبا ، وكان تنظيم الضباط الأحرار بزعامة عبد الناصر يضع الخطط للثورة ، وضم عبد الناصر السادات للجنة التأسيسية للتنظيم ، وعارض كثير من الأعضاء ضم أنور السادات لمعرفتهم بماضيه ، ويذكر محمد حسنين هيكل أسبابا متعددة لموقف عبد الناصر وإصراره على ضم أنور السادات للجنة التأسيسية ، ولكن هذه الأسباب لم تبد لي مستساغة ، واعتقادي أن عبد الناصر كان له ولع بأن يضع في المواضع الحساسة أولئك الرجال الذين تظهر في تاريخهم شوائب وانحرافات ليهدهم بتاريخهم ، وليكونوا في منتهى الطاعة له على ما توحى به بروتوكولات حكماء صهيون ^(٢) ، ولا شك أن أنور السادات من هؤلاء ، وهذا هو سبب خضوع السادات التام وطاعته الشاملة لعبد الناصر في الخير والشر ، واستعداداه ليكون عضو المحاكم التي ألفها عبد الناصر على أن يحكم فيها بالأحكام التي يريدتها قائد الثورة ، وهذا هو السر كذلك في صيحات السادات التي لم تتوقف طيلة حياة عبد الناصر ، بأن عبد الناصر هو المعلم والزعيم والمعلم .

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٣٩ .
(٢) اقرأ عن بروتوكولات حكماء صهيون في كتاب « اليهودية » للمؤلف .

وطى هذا فانضمامه لهذا التنظيم كان فوزاً له لما حقق له
من أجهاد ، وفوزاً كذلك لعبد الناصر ، فقد كان لساناً يمدح ، ويدأ
تصفق ، وقتلما يسجل ما يطيب للزعيم ، لم يعرف لسانه النقد ،
ولا تجراً ليطلب شيئاً لنفسه ، بل كان يقنع بما يلقيه إليه الزعيم ، وكان
الزعيم يضعه في الأماكن الحساسة اعتقاداً منه أن ولاء أنور السادات
لا حدود له ، وتأنت كل أعدال عبد الناصر في نظر السادات أعمالاً
أسمى من مستوى الشبهات ، وعلى هذا فقد كان ضم أنور السادات
الجنة التنظيم فوزاً لعبد الناصر والسادات ، كان الأول يعدل أى شيء ،
والثانى يثنى على هذا العمل ويدعو له ويباركه ، فلما رحل عبد الناصر
ظهر السادات على حقيقته ليفضح زعيمه ويصفه بالحق والآنانية وكل
صفات السوء ، كما جاء في كتابه « البحث عن الذات » .

يا لها من صلة تسمى صداقة وهى فى الحق نفعية وأنانية ،
وخلاص قاتم .

الباب الثاني

أنور السادات من مطلع الثورة ..
إلى أن تولى رئاسة الجمهورية

نتابع هنا هذه المرحلة الطويلة الجافلة بالآلام والهزائم ، مرحلة عهد عبد الناصر ، تلك التي ضُرب فيها الشعب المصرى فى مقتل ، نتابعها هنا من زاوية واحدة هى : زاوية أنور السادات ، أما تتبع أحداثها فى ذاتها فقد وفيناه دراسة فى الجزء التاسع من هذه الموسوعة الخاص بعهد عبد الناصر .

بيد أن هناك معلومات كثيرة خاصة بهذه المرحلة اكتشفت عنها الأسرار بعد صدور الجزء التاسع ، وهذه نضع خلاصتها هنا لمزيد من التعرف على الصورة القاتمة لهذا العهد المرير .

وستحدث فيما بعد عن وظائف السادات فى هذا العهد ، وعن سلوكه فى هذه الوظائف ، ولكن هناك أحداثاً سبقت هذه الوظائف ، وبها نبدأ حديثنا فى هذا الباب .

السادات ليلة قيام الثورة :

هناك أقوال كثيرة عن موقف الثوار ليلة قيام الثورة ، فقول يرى إن عبد الناصر وعامر^(١) حضرا بعد أن استقر الأمر وظهرت بوادر النجاح ، إذ كان يوسف صديق قد تحرك بفيلقه قبل الموعد المحدد بساعة ، وكان هذا من باب الخطأ ، ولكنه الخطأ الذى كتبت النجاح للحركة ، فقد كانت أخبارها قد بدأت تتسرب ، وكانت مقاومة الحركة على وشك أن تتصدى لها .

وتقول الرواية التى يؤيدها محمد حسنين هيكل^(٢) إن السادات حضر إلى القاهرة من رفح حيث يعمل ، وكان حضوره فى الليلة التى حددت لقيام الثورة ، وذهب مباشرة إلى منزله ، واصطحب زوجته وذهب إلى إحدى دور السينما الصيفية بالمنيل ، وكانت هذه

(١) فكرة نحوية : أنا مع الذين يرون أن تظل الأسماء الآن على حالة واحدة دون أن نضع ألفا فى حالة النصب ، فنقول إن عامر بدل أن عامرا فالمقصود العلم على الحكاية .

(٢) خريف الغضب ص ٧٨ .

المدار تعرض ثلاثة أفلام في السهرة ، ويقال إن السادات اصطنع معركة مع أحد الناس هناك ، وأمر على أن يصل الأمر إلى الشرطة ، وكان هدف السادات أن يثبت بذلك — إذا لزم الأمر — أنه كان بعيدا عن هذه الحركة ، وأنه كان موجودا بالسينما ، ونجحت الحركة على أى حال ، وظهر كل من كان قد حاول الاختفاء ، وادّعى البطولة كل من كان رعيدياً مذمورا .

أمريكا والثورة :

كانت الولايات المتحدة هي التي رجّحت كفة الحلفاء في الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولكنها خرجت من الحرب العالمية الأولى بخسائر حينئذ كما يقولون ، وظلت أوروبا تسيطر على مقدرات الشعوب في إفريقية وآسيا ، ولذلك اتجهت الولايات المتحدة اتجاهها جديدا بعد الحرب العالمية الثانية ، ذلك هو أن تطرد الدول الأوروبية المستعمرة من إفريقية وآسيا ، وأن تحل بنفوذها محل الاستعمار ، وكان هذا هو هدف الاتحاد السوفيتي أيضا .

وقد وجدت الولايات المتحدة في ثورة ٢٣ يوليو وسيلة لبدء التدخل ، فشجعت الثورة وقررت حمايتها ، وحذرت بريطانيا من التدخل ضدها ، ووجدت الثورة بذلك وسيلة للحياة ، فمن الواضح أن أهم ما كان الثوار يخشونه هو تدخل القوات البريطانية التي كانت آنذاك موجودة بمعداتها بهصر وبمقرية من الأحداث .

ثورة ٢٣ يوليو كانت إجهاضا لثورة شعبية :

وهناك اتجاه آخر يرويه الأستاذ الدكتور محمد عصفور (الوفد ٢٣/١٠/١٩٨٨) اقتباسا من كتاب : Armies Politics الذي ألفه « جاك ووديز » وهذا الاتجاه خلاصته أن الولايات المتحدة وبريطانيا خافتا من النفوذ الشعبي المتزايد الذي مثلته حكومة مصطفى النحاس باشا والذي بمقتضاه ألفت سنة ١٩٥١ معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا ، وهدعت العمال المصريين من العمل في المستعمرات البريطانية ، ودفعت السلاح

إلى الشباب لمقاومة الاحتلال ، ومعنى هذا أن ثورة شعبية عارمة ستنتج وتطيح بكل النفوذ الغربى ، ولذلك وعدت الولايات المتحدة بعض العسكريين بتأييد أى انقلاب عسكرى لتجَهِّض هذه الثورة الشعبية ، وقامت مؤامرة اشترك فيها فاروق وبريطانيا والولايات المتحدة وبعض ضباط الجيش لحرق القاهرة ليكون ذلك وسيلة للتخلص من حكومة النحاس باشا (د • عصفور : الوفد ٢٤/١٠/١٩٨٨) ونجحت هذه المؤامرة ، وأقيمت حكومة النحاس باشا ، وجاءت حكومات ضعيفة زادت خلالها انتهاب الشعب ، فأعلنت الولايات المتحدة النور الأخضر لنوار الجيش لإحداث انقلابهم • ووعدتهم بالمساعدة والتأييد •

وهكذا جاءت الثورة بديلا عن القصر ، فأهملت الاتجاهات الشعبية وحكمت بالاقليات ، على نحو ما كان متبعاً من قبل ، وخدعت الثورة الشعب الذى أسلم لها الزمام ، وكانت الثورة أقسى على مصر والمصريين من فاروق وأعوان فاروق •

وبذلك كانت ثورة ٢٣ يوليو اجهاضا لثورة شعبية بدأت تباشيرها ، وقد استطاعت ثورة ٢٣ يوليو أن تقضى على كل الزعامات الشعبية المصرية سياسية كانت كالزعامات الوفدية ، أو دينية كجماعة الإخوان المسلمين ، وكانت فى حركتها هذه مستجيبة للمخابرات الأمريكية ، وللتسلل الأمريكى داخل هذه الثورة ، ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان : إن السياسة التى اتبعتها ثورة ٢٣ يوليو ضد القوى الثورية المصرية السابقة على قيامها — التى أقضت مضاجع الاستعمار — لم تكن تحلم بها أشد الدوائر الإمبريالية مغالاة ، ففى خلال عام وثمانية أشهر فقط كانت هذه الثورة قد أطاحت بالوفد ، وزجت بالشيوخ فى السجون ، وحلّت جماعة الإخوان المسلمين ثم زجت بأعضائها فى السجون كذلك ، وصفت الحزب الاشتراكى لمصر الفتاة ، وأقصت الجماهير عن العمل السياسى ، وفرضت على مصر وصاية سياسية ممثلة فى مجموعة

من الضباط ، فكأنها قضت على فاروق واحد لتقييم بدله عبداً من الفواريق بل أعادت عهد المماليك ، وكبتت حرية الرأي في مصر بشكل لم يحدث في أشد عهود الرجعية ظلاماً ، وفرضت عهداً من الإرهاب لم تعرفه النظم الفاشية ذاتها (١) .

بيان الثورة :

كان هناك بيان قد أعد للإلقاء عقب قيام الحركة ، وعندما أحس جمال عبد الناصر بأن الأمور قد وصلت إلى مرحلة الأمان نادى أنور السادات وكلّفه بإلقاء بيان الثورة بحجة أن صوته قوى ، وأنه يجيد الإلقاء ، وكان عبد الناصر بذلك يدفع للأمام أو للخلف من يشاء حسب المخطط الذى يخدم أغراضه .

واستيقظ الناس على صوت أنور السادات يلقي بيان الثورة ، ذلك البيان الذى حفل بالوعود ، تلك التى لم تعرف الظهور إلى دنيا الواقع .

الثورة والملك :

اختلف الثوار حول موقفهم من الملك ، وكان جمال سالم — مدفوعاً برعونته — يتجه إلى إعدام الملك ، أما جمال عبد الناصر فكان يكتفى بأن يتنازل الملك عن العرش ويرحل عن البلاد ، ولم يكن موقف عبد الناصر نابهاً عن رحمة في قلبه ، فقد عرفناه محباً لسفك الدماء وتعذيب الناس ، ولكنه كان في عجلة من أمره ، يريد أن يتسلم السلطان ، أما المحاكمة والدفاع والحكم والتنفيذ فستؤجل حصوله على الغنيمة ، هذا بالإضافة إلى خوفاً من أن إعدام الملك قد يثير الشفقة عليه ، ويهزّ الضباط وهم راغبون في الكسب السريع ، ولذلك اتجهت النية إلى إرسال إنذار للملك ليتنازل عن العرش ويغادر البلاد في يوم السادس والعشرين من يوليو .

(١) دكتور عبد العظيم رمضان : مصر في عهد السادات ص ٤٩ و ٥٢ .

وأرسل عبد الناصر أنور السادات إلى الاسكندرية يحمل الإنذار للملك ، وهكذا ، دفع عبد الناصر صنيعته أنور السادات للامام ، فقام بأخطر مهمتين آنذاك ، مهمة تلاوة بيان الثورة ، ومهمة حمل الإنذار للملك .

وفي خلال هذين العملين حاول أنور السادات أن يضع نفسه في مركز الدائرة ، فظهرت له بعض الصور التي تجعله كأهم شخصية بين الثوار ، وهذا أثار حقد الحكام الجدد الذين اعترضوا منذ فترة على ضم أنور السادات للجنة التنظيم ، وإذ به يحاول أن يسبقهم في الظهور أمام الجماهير ، فالرجل الذي كان بعيدا عن الجيش فترة تقرب من عشر سنوات ، والذي دُفعَ به إلى رفح عقب عودته إلى الجيش ، والرجل الذي كان يبتعد نفسه عن كل حركة تثير الشبهة حوله ، هذا الرجل يريد أن يخطف الأضواء ، ويريد أن يعطى لنفسه ما لا تستحق من الجهد والاهتمام!! هذا شيء أثار نائرة الشبان الطموحين للسلطان .

ويعبر أنور السادات عن هذا الوضع بقوله :

كنت الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذي كتب عليه مواجهة جميع الأحداث ، منذ إعلان قيام الثورة وخروج الملك من مصر ، فقد تسبب هذا في خلق حساسيات كثيرة بيني وبين زملائي في مجلس قيادة الثورة ولقد عانيت الكثير من هذه الحساسيات التي لم يكن لي يد في إيجادها (١) وبعد أن حدث ما حدث في الأيام الأولى للثورة دخلت برجا بعيدا وعشت فيه (٢) .

وهكذا تصوّر أنور السادات أن إعلانه لقيام الثورة أو حمله خطاب الإنذار للملك كان لمكانة خاصة به ، ونسى أنه كان أداة في يد عبد الناصر .

(١) البحث عن الذات ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(م ٧ - التاريخ الاسلامي)

وكان عبد الناصر يمسك الزمام بيده ، يعطى ويمنع ، ويهب ويحرم ، ويرضى ويسخط ، وكان كل تصرف منه محسوبا ، فرأى أنه أعطى السادات فوق ما يستحق ، فقرر التوقف عن مزيد من العطاء له ، فتركه بدون منصب في وقت وُزعت المناصب الكبرى على الآخرين ، ويقول أنور السادات إنه قبل أن تنتهى سنة ١٩٥٣ كان جميع الثوار يحكمون ما عدا واحدا هو أنا (١) .

عبد الحكيم ملاذ السادات :

أحس السادات بأن عبد الناصر أغضى عنه الطرف ، وأحس كذلك أن عبد الحكيم عامر قفز ليكون الشخص الثانى بعد عبد الناصر ، وإذا فقد السادات رعاية عبد الناصر ، فلينتجه لعبد الحكيم عامر ليجد عنده الملاذ والمعين ، وكان عبد الحكيم عامر محتاجا إلى من يجالسه ويعظم شأنه ، فقد كان معروفا بالهمجية والانحلال في حياته الخاصة ، مما دعا البغدادى وكمال الدين حسين وزكريا محى الدين . . . إلى الابتعاد نوعا ما عنه ، فرحب عامر بالسادات يمتدحه ويغنى له ، وفرح السادات بعامر ملجأ وملاذا ومعينا ، ويذكر محمد حسنين هيكل أنه في هذه الفترة التصق السادات بعامر ، وأصبح ملازما باستمرار له حتى في بعض شئون حياته الخاصة (٢) .

الموظائف التى شغلها السادات في عهد عبد الناصر :

بعد هذه المقدمات نذكر أن الوظائف التى شغلها السادات في عهد عبد الناصر هي :

- ١ — رئيس تحرير جريدة الجمهورية .
- ٢ — السكرتير العام للمؤتمر الإسلامى .

(١) البحث عن الذات ص ١٧٥ .
(٢) خريف الغضب ص ١٩٤ بالهامش .

- ٣ — وكيل مجلس الأمة •
- ٤ — رئيس مجلس الأمة المشترك •
- ٥ — نائب رئيس الدولة •

وسنحاول أن نرسم صورة للسادات في كل موقع من هذه المواقع :

١ — السادات رئيس تحرير جريدة الجمهورية :

كان أنور السادات قد طلب في فترةٍ من فترات تعطُّله عن العمل قبل الثورة من الأستاذ إحسان عبد القدوس أن يساعده ليجد له عملاً في الصحافة ، واستطاع الأستاذ إحسان عبد القدوس أن يجد له عملاً في دار الهلال •

وأنشأت الثورة صحيفة الجمهورية لتكون صحيفة الثورة ومعبرة عن اتجاهاتها ، فرأى جمال عبد الناصر أن يضع أنور السادات رئيساً لتحريرها باعتبار أنه كانت له صلة بالصحافة ، وكانت هذه الصحيفة في فترة من الفترات تحمل اسم جمال عبد الناصر على أنه رئيس مجلس الإدارة وصاحب الامتياز ، وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها الثوار لدعم هذه الصحيفة فقد اعترض عنها الشعب إعراضاً تاماً ، ولعل ذلك كان السلاح الذي عجز الثوار عن سلبه من الشعب ، فالشعب قد فقد بالثورة كل شيء ولم يبق له إلا أن يختار صحيفته التي يقرؤها ، وعلى الرغم من وضع المع الاسماء بين محررين لهذه الصحيفة أو مشرفين عليها فقد كسدت تماماً ولم تعرف طريقتها للقراء •

ونشر أنور السادات في « الجمهورية » مجموعة من المقالات ، ويقال إنها كانت تنشر مقالات باسم أنور السادات دون أن يعرف السادات عنها قليلاً أو كثيراً ، فكان الكتاب يكتبون باسمه ما يشاءون مما أحدث أحياناً بعض الأزمات السياسية ، ولم يطل عهد أنور السادات في الجمهورية ، بل تحول إلى عمل جديد سيكون موضع حديثنا التالي •

السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى :

لم تكن أطماع عبد الناصر تقف عند حد ، ولم يكن لديه ما يدعم هذه الأطماع ، كان يريد أن يتسع سلطانه ولكن بدون مؤهلات لاتساع هذا السلطان ، وكان يفكر فى أن يثول له حكم الشرق والغرب ولكن بدون قدرات حتى أن يحكم ما تحت قدمه ، وقد كتب فى كتابه « فلسفة الثورة » يذكر دوائر أطماعه وفكره وكانت هذه الدوائر ثلاثا هى :

- ١ — الدائرة العربية .
- ٢ — الدائرة الإفريقية .
- ٣ — الدائرة الإسلامية .

وباسم الدائرة العربية ابتكر ما سُمى « القومية العربية » بل انتهاز فرصة الوحدة مع سوريا فأهمل كلمة « مصر » التى تضرب فى أعماق التاريخ عدة آلاف من السنين وسمى دولة الوحدة « الجمهورية العربية المتحدة » وكان هو رئيسا لها وساورته الأطماع أن هذه التسمية ستكون بابا مفتوحا لكل الدول العربية لتدخل فى نطاقها تحت رئاسته .

وللرغبة فى تحقيق حلم الدائرة الثانية وهى « الدائرة الإفريقية » انشأ ما سُمى « منظمة الوحدة الإفريقية » مع عدو الإسلام والمسلمين هيلاسيلسى ، واقترح أديس ابابا مركزا لها ، وباسم هذه الدائرة حارب فى الكونغو ، وقدم أموالا وأسلحة لعدد من دول إفريقية .

وباسم الدائرة الثالثة وهى « الدائرة الإسلامية » أسس المؤتمر الإسلامى وهو موضوع حديثنا الآن :

هل توجهت وفود من الدول الإسلامية ؟ ووضعت دستورا لتعاونها ؟ واختارت ممثلين لها وأميناً عاما يباشر السلطات التى حددتها هذا الدستور ؟ واختارت مصر مركزا لهذا المؤتمر ؟

الجواب بالنفى ، فلا وفود تمثل الدول الإسلامية ، ولا دستور يحكم العمل ، ولا مقر اختيار لمثل هذه الدول ، ولم يؤخذ رأى أية دولة إسلامية فى اختيار الأمين العام .

لم يحدث شئ من ذلك وكل ما حدث أن عبد الناصر كان يريد تحقيق أحلامه نحو هذه الدوائر لتخضع لسلطانه فقرر إنشاء « المؤتمر الإسلامى » وقرر أن تكون القاهرة مقرا له وأن يكون أنور السادات سكرتيرا عاما لهذا المؤتمر ، وحدد قصرا فخما من القصور المصادرة ليكون مركزا له ، وأخذ أنور السادات يعين مساعديه من المصريين وحدهم على هواه ، وسرعان ما أصبح هذا المؤتمر « بالوعة » تبتلع النفقات الباهظة وتقول هل من مزيد .

والتقط أنور السادات اتجاه عبد الناصر فى الدائرة الإسلامية وأخذ يشرجه ، وكان عبد الناصر مبعوث القدر ، ومعه مال « قارون » ، ولأنور السادات كتاب عنوانه « نحو بعث جديد » وعنوان الكتاب يوحى بالطموح والأطماع الواسعة ، ومنه نقتبس بضعة سطور :

— وبَحَثَ جهال أمور المسلمين فى كل مكان مع وفودهم فى الملايو ، وفى اندونيسيا ، وفى المغرب ، وفى تركستان ، وفى أفغانستان ، ومع وفود من قلب إفريقية ومن شواطئها ، كانوا جميعا يرون فى جهال أهلا جديدا كبيرا

ثم ينتقل أنور السادات من ذلك ليقول :

— على المسلمين فى كل بقاع الأرض أن ياملوا فى المستقبل ، لأن هاساتهم أصبحت تحت أعين المناضلين الثوار (١) .

(١) انظر كتاب « نحو بعث جديد » بدءا من سطور على غلاف الكتاب الذى يحوى فيضا من الاعاجيب ، ويصور الثوار جندا من عند الله يرفعون المشعل ليضىء للملايين الطريق ، ياللعجب .

— لا بدّ لى يصبح المشعل على درأى من أنظار المسلمين جميعا ،
يهديهم بعد محمد وأبى بكر وعمر وعلى ، أن يهمله ثوار مناضلون ودعاة
عمل • لا دعاة كهنوت وخنوع وموت (١) •

وهكذا ألحق السادات عبد الناصر وزملاءه بركب الهداية الذى
قاده محمد صلوات الله عليه وقاده من بعده خلفاؤه الأبرار •

— وكان لا بدّ أن يقود المسلمين رجال قضوا أعمارهم فى نضال
وكفاح وإيمان ، لا فى أسيرة وثيرة أو فى مقاعد تحوطها السلامة
والأمان (٢) •

— إن المستقبل يبدو لا شك مضيئا أكثر من الماضى ، فلم يحدث
من قبل أن أصبح اتحاد المسلمين وتكتلهم فى آسيا وأفريقية وأوربا
أقرب إلى التحقيق منه فى تلك الأيام التى قضيتها مع أخى جمال عبد الناصر
نستمع إلى آمال الناس ، وإن جمال يؤمن كما تكلم فى كتابه « فلسفة
الثورة » بأن ملايين المسلمين يمكن أن يكونوا قوة لا تقهر •• (٣) •

— فى الحجاز ألف كثر من الحجاج حول عبد الناصر ، وخيل إلى
أنهم يريدون أن يقولوا له : أيها الثائر الذى من مصر ماذا نصنع ؟ (٤) •
تلك لقطات من هذا الكتاب العجيب فى طهوحه ، والذى يثير السخريّة
والاستمزاز •

وصدرت أوامر السكرتير العام لموظف عادى فى المؤتمر أن يصبح
وكيلا لإدارة الاستعلامات وأن عليه أن يجمع البيانات عن المسلمين فى
كافة أنحاء العالم ويعمل على تزويدهم بما يحتاجون إليه من الأساندة
والكتب والمراجع ، وأن ينشر نشاط المؤتمر على أجهزة الإعلام العالمية •

(١) نحو بعث جديد ص ١٥ •
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة •
(٣) المرجع السابق ص ٢٠ •
(٤) المرجع السابق ص ٢٠ •

ما أضعف العقل الذى يضع كل هذه المسئوليات فى عنق شاب واحد .
ولا شك أن اتجاهها على هذا النمط كان جديرا أن يدمر مصر ويدمر
أكبر دولة فى العالم ، لأن العبء الذى اتجه الثوار لحمله كان أصعب من
أن تحمله دولة أيما كانت ، وهذا هو السر فى ضياع مصر ، وضياع ثراء
مصر ، وجيش مصر ، وتطورت كل هذه الدول ، أما مصر فقد تراجعت
بسبب طموح تنقصه الأسس والمواهب والإمكانات .

هل أدى هذا المؤتمر أية خدمة لمصر أو للعالم الإسلامى ؟
الجواب أن هذه المؤسسة قامت ثم اختفت ، وكانت كفقاعة ماء
وزبد البحر ، وسنعيش مع هذه المؤسسة نسجل الأحداث التى اتصلت
بها ، وقد كنت شخصيا لى صلة بالمؤتمر الإسلامى فى فترة من الفترات ،
ولذلك فحديثى عنه حديث شاهد عيان ، وسأعتمد كذلك على موظف
بالمؤتمر ألف كتابا يذكر المفاز التى قدمها المؤتمر للمجتمع الإسلامى ،
فلننظر فى هذه المفاز .

موظفو المؤتمر

السيد السكرتير العام :

كان السكرتير العام يمثل قمة الهيئة التى تدير المؤتمر ،
وقد حدد السكرتير العام لنفسه المرتب الذى يرضيه .
ويقول عنه الأستاذ أحمد طلعت ^(١) وكيل إدارة الاستعلامات بالمؤتمر
واصفا ترف السادات فى المؤتمر ما يلى :

كان للسيد السكرتير العام بمقر المؤتمر الإسلامى مكتبان ، ملحق
بكل منهما حجرة للسكرتارية ، المكتب الأول يقع فى الجانب القبلى وهو

(١) السادات قبل الرئاسة ص ٢١ .

مخصص للاستعمال في الشتاء حيث تصطدم أشعة الشمس بزجاج الحوائط المغلقة فتكسب الحجرة دفئا طبيعيا ناعما لعله يساعد على التدبش في أمور المسلمين !! أما المكتب الثاني فيقع في الجانب البحري ، وهو يتصل بشرفة فسيحة من الرخام الأبيض المزين بنقوش عربية تتسلل منها النسمات المنعشة إلى داخل الغرفة فتحيلها روضة فيحاء حتى في أشد أيام القيظ والحرارة .

اعوان السكرتير العام :

وأطلق السكرتير العام يده في تعيينات الموظفين اللازمين للمؤتمر ، وخلق ألقابا ، وعيّن مرتبات كما يشاء ، وكان حريصا أن يظهر في مظهر السكرتير العام للأمم المتحدة أو على الأقل الأمين العام لجامعة الدول العربية .

وقد شغل منصب السكرتير العام المساعد مجموعة من علية الضباط غالبا ويمكن القول إنهم ليست له صلة بالدراسات الإسلامية ، ومنهم أمين شاعر وحسن التهامي وأحمد عبد الغفار وأحمد عبد الله طعيمة وتوفيق عويضة .

كنت من موظفي المؤتمر الإسلامي :

وينبغي أن نقول إن بعض كبار الموظفين بالمؤتمر كانوا يأتون للسادات بأوامر عليا ، حتى أصبح المؤتمر مخزنا لثقافات واتجاهات مختلفة ، ولعلّي كنت واحدا من هؤلاء ، فقد فصلني مجلس قيادة الثورة من جامعة القاهرة ، إذ كان لي دور في معارضة عبد الناصر خلال حركة مارس سنة ١٩٥٤ وبعد فترة استدعاني المرحوم الأستاذ محمد فهمي السيد المستشار القانوني لجمال عبد الناصر ، والذي كانت تربطه به روابط مصاهرة وتربطه بي روابط قديمة ترجع إلى أيام الدراسة الثانوية

بالزقازيق ^(١) وسألنى الأستاذ محمد فهمى السيد : ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ •

قلت : أن تيسّر أمرى للخروج من مصر ، فقد صدر قرار جامعة القاهرة بإعارتى لإندونيسيا بناء على طلبها ، ولكننى ممنوع من السفر بسبب الفصل •

قال رحمه الله وأثابه : لنبدأ بإلحاقك بالمؤتمر الإسلامى ، وبعد ذلك سيكون السفر مباحاً وميسراً •

وذهبت معه للقاء أنور السادات وتمّ تعيينى بالمؤتمر ، وبعد فترة قصيرة صدر قرار سفرى لإندونيسيا أستاذاً بالجامعة على أن أكون ممثلاً للمؤتمر ، وحدد أمين شاكى مرتباً قدره خمسة وعشرون جنيهاً مقابل هذا التمثيل أما مرتبى الحقيقى فكانت أتقاضاه من الحكومة الإندونيسية •

وهناك عدد من الموظفين وضعهم أنور السادات مكافأة على خدمات وجهت له من هؤلاء ، أو لأى سبب شخصى آخر ، ومن هؤلاء :

محمد أحمد : الذى كان مديراً لمكتبه ، وقد كان ضابطاً مشرفاً على معتقل الزيتون حينما كان أنور السادات معتقلاً به ، وكان محمد أحمد يعامل أنور السادات فى المعتقل برقة وسماحة فكافأه السادات على عمله بتعيينه فى هذه الوظيفة •

عبد الخالق كامل : وهو لواء متقاعد كان رئيساً للسادات ، فلمنا أحيل للتقاعد أحب السادات - فيما يبدو - أن يراه مرة وسأله •

حسن جعفر : ابن المستشار صالح بك جعفر من زوجته الألمانية

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب « رحلة حياة » للمؤلف •

تلك الزوجة التي كانت أمًّا للجاسوس الألماني « ابلىر » الذي تحدثنا عنه من قبل ، والذي جذب السادات للعمل لصالح الألمان •

كامل عابدين : وهو (بلديات) السادات •

محمد زكى عصمت : وقد أوصى بتعيينه الفريق عزيز المصرى •

الأستاذ سيد أبو المجد والمرحوم الأستاذ على عبد الرازق ، وهما من أساتذة اللغة العربية وكان السادات يعتمد عليهما فى صياغة خطبه

ومما يذكر مرتبطا بالسكرتير العام ومعاونيه أن السيارات المرسيديس المصادرة ملأت ساحة المؤتمر الإسلامى ، وكان السادات قد خصّ نفسه بالسيارات العملاقة ووزع الباقي على معاونيه •

أعمال المؤتمر لخدمة الإسلام :

فى الحق إن المؤتمر أنشئ للدعاية من الألف إلى الياء ، ولم يهتم بكفاءات ولا ببرامج ، وما كان فى استطاعته أن يفعل شيئا ، ويقول الأستاذ أحمد طلعت فى مجال الافتخار بأعمال المؤتمر :

- استطعنا أن نترجم معانى القرآن إلى اللغة الصينية •
- واستطعنا أن ندرس أحوال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى •
- واستطعنا أن نوفد الأئمة وعلماء الدين إلى البرازيل ، وبورما ، وإندونيسيا ، والملايو ، وشرقى افريقية •
- واستطعنا أن نقدم منحة دراسية لطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامى للدراسة فى الأزهر •
- واختار جمال عبد الناصر أنور السادات مبعوثا شخصيا له عندما قررت مصر أن تقوم بدور الوسيط فى النزاع الذى نشب بين باكستان وأفغانستان •

ذلك ما يذكره بفخر الأستاذ أحمد طلعت ، وهى أشياء تدعو للخجل ، فمبعوث اندونيسيا كان « أنا » وكان مرتبى من اندونيسيا كما ذكرت آنفا وكان هناك شخص واحد أرسل للبرازيل بناء على طلبها وكانت الجالية المسلمة تدفع له مرتبه ، وكانت الصلة بينه وبين المؤتمر تماثل الصلة التى كنت أشغلها •

أما الملايو فقد ضمت لدائرة نشاطى •

وأما الطلاب الذين جاءوا للدراسة فى الأزهر فهم امتداد لآلاف الطلاب الذين وفدوا للدراسة بالأزهر على مر التاريخ •

رحلات السادات إلى دول العالم الإسلامى :

فى أول عهد المؤتمر الإسلامى بالحياة قام أنور السادات وأمين شاكى برحلة إلى أقصى الأرض ، إلى إندونيسيا ، وكانت إندونيسيا حديثة العهد بالاستقلال (أغسطس ١٩٤٥) بعد نضال طويل قدمت إندونيسيا فيه آلاف الضحايا من البشر ، ونجحت فى النهاية ، وفوجئت إندونيسيا بهذه الزيارة التى لم يكن لها معنى ، وأحسّت الجمعية المحمدية وهى جمعية عظيمة فى إندونيسيا أسهمت بالكثير من أجل الاستقلال ، ومن أعظم ما أسهمت به تربية النشء عن طريق آلاف المدارس التى كانت تملأ المدن والقرى والنجوع ، وأحسّت هذه الجمعية بالفتور فى استقبال جماعة الثورة من مصر ، فعالجت الأمر بأن استضافت الثوار خلال المدة الوجيزة التى أقامها ذلك الوفد بإندونيسيا ، وأصبح هناك اصطلاح شاع آنذاك وهو أن المصريين يريدون Misirkan Indonesia أى يريدون تمصير إندونيسيا ، ولست أعرف التقرير الذى لابد أن يكون أنور السادات قد رفعه لعبد الناصر ، ولكنى أتخيله موضوعا من موضوعات الإنشاء الإسعاد الرئيسى اللهم •

وقد سأل أنور السادات زعماء المحمدية عما يطلبون فقالوا : نطلب أوراقا لنعمل منها الكراسات ولنطبع عليها المجلات ، ونطلب بعض الأساندة

للتعليم في الجامعات الإسلامية الإندونيسية التي كانت قد أُنشئت حديثاً ، وهذا الطلب الأخير يَسَّرَ سفرى إلى إندونيسيا ، أما الأوراق فُقد رأيت بعينى أكداساً منه ملقاة بساحة السفارة المصرية بجاكرتا ، وقد أرسلت مصر هذه الكمية الكبيرة في وقت كانت الصحف المصرية تعاني أزمة ورق .

وكان هذا هو ما خص مائة وخمسين مليوناً من الشعب الإندونيسى .

وتمت رحلات مماثلة إلى أقطار عربية وإسلامية ، وكثير من الأقطار كان شبابها مفتوناً بما يشاع عن الثوار المصريين من أمجاد في الهجوم على الاستعمار ، ولكن مصر عانت الكثير من المتاعب والأزمات نتيجة لهذا الهجوم الذى كان يرضى عواطف الشبان ، وبخاصة أولئك الذين لا يتدبرون الأمور .

المهم أن كثيراً من الأقطار العربية والإسلامية كانت تجامل أنور السادات ومرافقيه حتى لا تثير شبابها المفتون بهذه الجماعة ، وكانت بعض الأقطار العربية تستعمل الذكاء فتقدم الهدايا والبهيات ، وكانت السيارات من الهدايا التى تلقاها أنور السادات ويقول : محمد حسين هيكل إن أنور السادات قدم أكثر من سيارة كاديلاك في هذه الفترة للمشير عبد الحكيم عامر (١) .

لقد كانت رحلات للمتعة والنزهة ، والكسب الرخيص ، ولم يدور التاريخ أية فائدة لهذه الرحلات .

الاستجداء :

مع قيام المؤتمر الإسلامى حدث العدوان الثلاثى على مصر وأنزل

الغزاة الضرة ببور سعيد ، واحتلت اسراثيل سيناء وتوقف العبور في قناة السويس .

وكانت ميزانية الدولة قد بدأت تضيق بالإنفاق التوسع الذي اتجه له الثوار في كل مجال ، فاتجه المؤتمر الإسلامي — للأسف — إلى الاستجداء ، وطلب أنور السادات من مبعوثيه إلى البلاد العربية والإسلامية إثارة موضوع المساعدات المالية المطلوبة الأسر شهداء بور سعيد ، وقد دون الأستاذ أحمد طلعت مبعوث أنور السادات إلى الكويت ، هذه الكلمات ، واستجاب لهذا الاستجداء الأمير عبد الله المبارك فكتب شيكا بمبلغ خمسين ألف جنيه استرليني باسم السيد : أنور السادات ، وكان هذا المبلغ وقتها بالغ السخاء (١) .

وهكذا انتقل هؤلاء بسرعة من النظام بالمعطاء والعون إلى قساع الاستجداء والعوز .

مقر المؤتمر مخبأ لعبد الناصر :

وبمناسبة الحديث عن العدوان الثلاثي نذكر أنه في خلال هذا العدوان كان هناك احتمال أن يضرب الطيران البريطاني مقر إقامة جمال عبد الناصر للتخلص منه ، وتطوع أنور السادات بإعداد مبنى السكرتارية العامة للمؤتمر الإسلامي ليكون مقراً بديلاً لإقامة جمال عبد الناصر ، وكان تقديره أن وجود المبنى وسط حي الزمالك ، وبالقرب من معظم السفارات الأجنبية ، يجعل من قصف الطيران له مغامرة .

وأعلنت حالة الطوارئ في المبنى ، وتقرر أن يبيت فيه أحد المسؤولين كل ليلة ليكون « ضابط الاتصال » إذا استدعت الحالة انتقال جمال عبد الناصر إليه (٢) .

(١) أنور السادات قبل الرئاسة ٣٤ - ٣٥ .

(٢) أحمد طلعت : أنور السادات قبل الرئاسة ص ٢٧ - ٢٨ .

خراب بيور سعيد والدعاية :

انهارت مصر الثوار في دقائق أمام العدوان الثلاثي ، وانتقلت بيور سعيد من مدينة عامرة تعيش في رخاء إلى أطلال وخرائب ، واحتلت إسرائيل سيناء كما قلنا آنفاً ، وركزت قواتها في شرم الشيخ ، ذلك المكان الخطير الذي لم ينجح حتى الآن من أقدام الأجانب بصورة أو بأخرى ، وفي تقديرى أن الثوار الذين صاحوا ضد الاستعمار في كل مكان ، وأوهوا الشعوب المستعمرة أنهم سيقودونهم إلى الاستقلال والرخاء ... هؤلاء الثوار كان عليهم أن يخففوا هزائمهم ، وأن يعالجوا جراحهم في صمت وكتمان ، ولكن عدم الخبرة دفعتهم إلى صراخ يشبه صراخ الأراملة ، وكان المؤتمر الإسلامى مركزاً من مراكز الصراخ ، فقد جمع أنور السادات عدداً كبيراً من الصور الفوتوغرافية التى تَصَوَّرَ منها نزل بيور سعيد من حرائب ودمار وطلب أن يُعَدَّ كتاب على وجه السرعة يحوى هذه الصور والتعليق عليها ، وأن يترجم هذا الكتاب إلى اللغات الإفريقية والآسيوية ، وأن يُطبع منها مليون نسخة .

ثم عمل المؤلفون والمترجمون ودارت المطابع وتكلف هذا الجهد ما يتخيله القارئ من تكاليف ، ثم أعد المبعوثون الذين سيطيرون إلى الأقطار المختلفة لتوزيع هذه الكتب ، وكتب السادات خطابات للشخصيات التى أرادها لتقدم العون لتوزيع هذا الكتاب ، وعندما تضاف تكاليف الرحلات وبدل السفر إلى تكاليف إعداد الكتاب يظهر الرقم خطيراً .

وسرعان ما اصطدم هذا الجهد برأى الخبراء ، فالسفير عبد الحميد غالب كانت له بعض التحفظات على توزيع هذا الكتاب في لبنان ، ورأى أن الصور المنشورة فيه تمثل بشاعة العدوان الثلاثي مما قد يخيف

القوى الوطنية في لبنان ويثبط عزيمتها إذا فكرت يوما في أن تدخل في مواجهة مع الاستعمار (١) .

وهناك أصدقاء لمصر خجلوا من تسجيل الاستسلام والانهايار السريع أمام العدوان ووجدوا في هذا الكتاب ما يسئ إلى سمعة مصر .

واكتشفت أنا في إندونيسيا بعد حين من إرسال هذه الكتب أن ربطات الكتب التي كان يحوى كل منها خمسين كتابا لم يفك رباطها ، ولا تزال ملقاة هنا وهناك ، وقال الإندونيسيون : لقد صارعنا أعتى دول العالم ، صارعنا أمريكا وانجلترا وهولندا ، وقدمنا الضحايا ، ودُمرت دورنا وزادنا ذلك تصميما دون صراخ أو عويل .

وهكذا جلب المؤتمر العار على مصر بدل أن يسلك الطريق الأمثل في التعريف بالإسلام ومساعدة المسلمين .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما سبق أن ذكرناه من الاتجاه للاستجداء باسم معونة أسر الشهداء ، فإن الطامة تكمل ، والعار يثيب ، ولست أدري بأى وجه ظهر الثوار بعد ذلك على أنهم حماة للضعفاء مع أنهم كشفوا للناس عن ضعفهم المادى والأدبى .

ويح البلاد عندما يحكمها عسكريون بنون خبرة أو ثقافة ، ويدون دستور ولا قوانين .

المؤتمر الإسلامى يسئ استخدام الحقائق الدبلوماسية :

طبيعة الحقائق الدبلوماسية أنها تحمل أسرار السياسة ، ولكن للأسف اتجهت بعض الدول إلى استعمال الحقائق الدبلوماسية في تهريب المنوعات وحمل المخدرات ، وفي مصر أعادت الحقائق في خلال عهد

(١) احمد طلعت : السادات قبل الرئاسة ص ١٢ .

عبد الناصر ليوضع بها إنسان مخدّر اختطف من الخارج وأريد تصديده
إلى مصر التي كان قد هرب منها (١) .

وقد استعمل المؤتمر الإسلامي الحقائق في حمل نوازم الثوار من
الخارج حتى تصل بسرعة وحتى تهرب من الجمارك . فعندما ولد
الطفل « جمال » لأنور السادات كلف مبعوثه أن يشتري لبن أطفال
للطفل الجديد ، وأن يسلمه للسفير المصري في بيروت ليرسله بالحقيبة
الدبلوماسية .

وأقرر على مسئوليتي أنني شاهدت صورا من سوء استعمال
الحقائق الدبلوماسية عندما كنت بإندونيسيا ، ولست في حل من كشف
خباياها .

« جمال » ابن السادات مع بشاعة العدوان الثلاثي :

ولد الابن الذكر الوحيد لأنور السادات في الليالي الحالكة التي
شهدتها مصر بسبب العدوان الثلاثي ، وقد أسماه أبوه « جمال » تيمنا
بجمال عبد الناصر بعد أن اهتزت زعامته بسبب هذا العدوان ، ويرتبط
بهذا الطفل كتاب ألفه أبوه أنور السادات بعد أن انكشفت الغمة وصرخ
الماردان : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بالمعتدين وألزمهم
بالجلاء ، حينئذ ظهر جمال عبد الناصر من تحت الأنقاض ليذكر أنه
حقق النصر على المعتدين ، وقد التفت أنور السادات هذا الخيط وكتب
هذا الكتاب واسماه « يا ولدي هذا عمك جمال » وهذا الكتاب يعتبر قمة
في النفاق والزلفى والنفعية وكل الكلمات والمعاني التي تدخل في هذا
الإطار ، ولنا وقفة فيما بعد مع هذا الكتاب حيث سنقتبس منه ما
يؤيد ما ذكرناه .

(١) انظر بعض التفاصيل عن ذلك في الجزء التاسع من هذه
الموسوعة .

نهاية المؤتمر الإسلامى :

واختفى المؤتمر الإسلامى بعد خسائر واسعة مادية وأدبية ، وسبحان الله العظيم الذى يقول « نأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

أنور السادات وكيلا ثم رئيساً لمجلس الأمة :

أقامت الثورة أول برلمان سنة ١٩٥٧ ، وكان برلماناً اختير أعضاؤه كما يشاء الثوار لا كما يشاء الشعب ، ويذكر أنور السادات هذه الحقيقة بقوله (١) .

أخذنا فى الاستعداد لانتخابات مجلس الأمة ، وراعينا فى ذلك شيئين : أولهما حق الاعتراض لمجلس قيادة الثورة ، وفعلنا بعد أن تمت الترشيحات اعترضنا على أعداد كبيرة ، وكان من أسباب الاعتراض الانتماء إلى الأحزاب القديمة أو عدااء المرشحين للثورة ، أما الإجراء الثانى فقد كان إغلاق بعض الدوائر على الضباط الأحرار الذين تركوا الجيش وخرجوا إلى الحياة السياسية والمدنية ، وفعلنا أغلقنا ٦٠ دائرة ثم أجريت الانتخابات .

هذه هى كلمات أنور السادات عن الانتخابات الأولى للثورة ، وهو يعترف بأن الثورة عجزت عن جذب الناس لها خلال سنوات خمس فانفض الشعب عنها ، وكان لابد من تدخل الثوار ليجىء مجلس أمة حسب رغبتهم ، وقد اتخذ الثوار قراراتين ديكتاتوريتين ذكرهما أنور السادات ، ولكن القرار الثالث الذى لم يذكره أنور السادات هو تزوير الانتخابات لينجح من يشاء الثوار نجاحه ، ويرسب من كان الثوار يغضبون عليه ، وجاء بذلك مجالس مزيف ككل المجالس التى ظهرت بمصر منذ قامت الثورة المشؤمة .

(١) البحث عن الذات ص ١٩٥ .

ونعود لكلام أنور السادات حيث يقول :

قبل اجتماع المجلس بثلاثة أيام كنت مع عبد الناصر في استراحة برج العرب ، فإذا بى أفاجأ بطلب منه بأن أستعد لرياسة المجلس ، وقبلت ، ولكن قبل افتتاح المجلس بليلة واحدة دعانا عبد الناصر للاجتماع به في القاهرة ، وقال إنه يفكر في إسناد رياسة المجلس إلى عبد اللطيف بغدادى •

ويستمر أنور السادات قائلاً : كيف غير عبد الناصر رأيه في خلال يومين ؟ ويجيب أنور السادات بقوله : لا أعرف حتى الآن ، ولكن الذى يعرف جمال عبد الناصر يدرك أنه كان يمكن أن يغير رأيه من لحظة لأخرى ، ولذلك كان بعضنا يحرص على ألا يذيع رأياً أو قراراً لعبد الناصر إلا بعد أن يعلنه عبد الناصر نفسه (١)

وعمل أنور السادات وكيلاً لمجلس الأمة تحت رياسة البغدادى ولعل من الحق أن نذكر أن البغدادى لم يترك له صوتاً في هذا المجلس ، وأنور السادات كان يجيد الخضوع لمن هو أقوى منه كما هو معروف من سيرته •

ولم تطل فترة هذا المجلس ، فقد طرأ على الحياة المصرية طارئ جديد هو الوحدة مع سوريا ، فحلَّ مجلس الأمة في مصر ، وحلَّ نظيره في سوريا وشكل مجلس جديد موحد بالتعيين سنة ١٩٥٨ ، ويقول محمد حسنين هيكل : إن جمال عبد الناصر قال آنذاك : إن أنور السادات يستطيع أن يخطب بصوت عال مثل كل البعثيين السوريين ، وعيَّن أنور السادات رئيساً لمجلس الأمة المشترك ، ويضيف محمد حسنين هيكل : إن من أظهر ملامح نشاط أنور السادات آنذاك هي الخطبة التي

كان يلتقيها كل عام أمام جمال عبد الناصر ليحرب به في المجلس ، ويبيّنه بانزعامة (١) .

ومن أخطر القوانين التي قررها هذا المجلس القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذي يسمّى (قانون تطوير الأزهر) والذي أجمع الباحثون أنه قانونٌ تدميري وليس قانون تطوير ، ومما يذكران هذا القانون الخطير مرّ بالمجلس في ليلة واحدة ولم تُقرأ فيه نصوص القانون ، وإنما اكتفى بأرفافها ، وحقق أنور السادات بذلك رغبة ملحة في نفس زعيمه لتدمير الأزهر والإضرار بالإسلام (٢) ، ولم يطل عهد الوحدة فقد تم الانفصال سنة ١٩٦١ .

وكانت الوحدة نكبة سياسية واقتصادية على مصر ، فبواسطتها سُرّق عرّق الإنسان المصري وتحول إلى مشروعات هائلة في (الإقليم الشمالي) لجذب أقطار عربية أخرى للدخول في نطاق الجمهورية العربية المتحدة ، ثم جاء الانفصال الذي كان أيضاً مدمراً للمال والآمال ، والذي كان نكبة سياسية وعسكرية واقتصادية .

وعن الوحدة والانفصال يتحدث الدكتور حسين مؤنس فيقول :
كان عبد الحكيم عامر يعيش في دمشق حياة السلاطين ، وفي ليلة كان نائماً في قصره ومقر ملكه ، فصحا ليجد مماليكه الشوام قد خلعوه ، ووضعوه في طائرة وشحنوه إلى مصر مع عتاولته الذين كانوا يتصرفون في سوريا كأنهم سادة عظام هبطوا من السماء ليصلحوا الكون ، وبينما كان الجوع والعوز ينتشر في مصر ، كانت أموال مصر تجري في دمشق على يد عبد الحكيم عامر وأعوانه كأنها ماء الترع ، وكانت سهراتهم وعربدتهم حديث الناس ، وكان مكتب عبد الحكيم عامر هناك يتضخم

(١) خريف الغضب : ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) اقرأ تفاصيل ذلك في الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

ويزداد عدداً ، وكان المتجرون في العملة يستعملون الحقائق الدبلوماسية لتتمية ثرواتهم (١) .

حرب اليمن :

يربط كثير من الباحثين بين حرب اليمن وبين أنور السادات فقد كان بين الذين عرفهم أنور السادات عن طريق عمله في المؤتمر الإسلامي عبد الرحمن البيضاني الذي كان لاجئاً يمينياً بمصر ، وفي صيف سنة ١٩٦٢ جاء مبعوث من اليمن يصطحب عبد الرحمن البيضاني إلى أنور السادات وذكر له أن حركة سرية قد كوَّنت في الجيش اليمني ، وأنها تعمل على القضاء على نظام الإمامة في اليمن وأن يستبدل به النظام الجمهوري على النمط المصري ، وطلب هذا المبعوث من أنور السادات نقل هذه الفكرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر لعله يتبنّاها .

وكان عبد الناصر آنذاك يعاني من إحساس عيق صور له شماعة الدول العربية وبخاصة المملكة العربية السعودية بسبب الانفصال ، كما كان عبد الناصر يعيش آنذاك في حزن رهيب نتيجة لهذه الخيبة التي ظنها غنيمة فجاءت ضربة قاضية .

وكان السادات يدرك أن زعيمه يمر بفترة عاصفة مدمّرة ، وأنه محتاج إلى نواء يعالج به هذا الداء ووجد السادات في حركة اليمن ضربة يستطيع أن يوجهها إلى المملكة العربية السعودية التي اعتبرت في قمة الشماعة ، كما يوجهها إلى الإمامة في اليمن التي روى أن زعيمها الإمام أحمد ألف قصيدة يهاجم بها الاشتراكية ويغمز زعيم الاشتراكية عبد الناصر .

والتقت على هدف واحد حركة اليمن وأطماع عبد الناصر وحقدّه

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ١٤١ .

ورغبة السادات في خدمة زعيمه ، فاشتركت مصر في تأييد هذه الحركة التي استمرت ست سنوات ، ضاع خلالها رصيد مصر تماما ، وقتل الآلاف من جنود مصر على صحراء اليمن ، وهيات هذه الهزائم للهزيمة الكبرى التي حدثت في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ فقد كان في قاع الجهل أن يحارب عبد الناصر في جبهتين ، في اليمن من جانب وفي التحرر في إسرائيل من جانب آخر ، ويعترف السادات بتشجيعه لغزو اليمن فيقول : كانت هذه فرصة مناسبة لردع الملك سعود الذي مول الانفصال والذي كان في ذلك الوقت يتزعم الحركة ضدنا ، فاليمين على حدوده مباشرة ، ولذلك عندما اجتمع مجلس الرياسة هنا للنظر في طلب ثوار اليمن للنجدة ، كنت أول المتحمسين ، وأقنعت المجلس بضرورة مساندة الثورة ، وفعلنا تمّ هذا (١) .

إنها مآسى عصر حافل بالمآسى والعبر (٢) .

نائب رئيس الجمهورية :

في أحزان عبد الناصر المتصلة ؛ ضراعه مع محمد نجيب وحركة دارس ، وضرب الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٥ والصدوان الثلاثي ، وحركة الوحدة ثم الانفصال ، وحرب اليمن ، وهزيمة يونيو القاصمة ، والاستجداء في مؤتمر الخرطوم الذي قدّم فيه الملوك الذين طاموا هاجمهم عبد الناصر واستخفّ بهم ، قدهوا عونا لمصر ٠٠٠٠٠٠٠ في وسط هذه الأحزان وغيرها مما يتعرّف وما لا يتعرّف كان بيت السادات هو الملجأ الوحيد لعبد الناصر ليهضى به أمسية هادئة من حين لآخر ، وكان خضوع السادات ودبلوماسية زوجته يهدئان من قسوة الحياة على الرجل الذي دمر نفسه ودمّر ما حوله ومن حوله .

في هذه الظروف بدأت قسوة المرض تشدّ على عبد الناصر ، ثم

(١) البحث عن الذات ص ٢١١ .

(٢) اقرأ عن حرب اليمن في الجزء التاسع من هذه الموسوعة .

جاء مؤتمر القمة العربى فى الرباط وكان على عبد الناصر أن يسافر للرباط ، وقبل أن يرحل استدعى أنور السادات وأصدر قراره بأن يكون نائبا لرئيس الجمهورية ، وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٩٦٩ ، وعاش عبد الناصر الشهور التسعة بين تعيين السادات نائبا له وبين وفاته ، عاش فى اضطرابات صحية وسياسية متتالية .

بيت السادات :

كان بيت السادات بالهرم قد أصبح غير مناسب للمناصب والمكانة التى أصبح السادات يشغلها ، وكانت أطعام زوجته واسعة ، فكانت تمتد عينيها هنا وهناك باحثه عن مسكن يلائم مكان الرجل وطموح زوجته ، وزاد هذا الأمر عندما أصبح أنور السادات نائبا للرئيس الجمهورية ، وحدث خلال رحلة عبد الناصر إلى موسكو قبل وفاته بشهور قليلة أن راق فى عين زوجة نائب الرئيس قصر فى شارع الهرم يملكه ضابط سابق يشغل بالأعمال الحرة ، فعرضت جيهان السادات على الضابط استئجار القصر ولكنه رفض ، فأصدر أنور السادات قرارا بوضع القصر تحت الحراسة ، أو بلغة أخرى بالاستيلاء على هذا القصر .

وقبيل أن يتم هذا عاد عبد الناصر وعرف القصة من مخابراته ، فغضب من هذا التصرف لأنه تصرف ضد ضابط فى القوات المسلحة ، ولكن هذا التصرف وجهه عبد الناصر إلى تخصيص بيت مناسب للسادات ، فقدم له بيتا من بيوت الضيافة كان قصرا شامخا يطل على النيل ، وكان من قبل ملكا لليونيير يهودى فرضت عليه الحراسة سنة ١٩٦١ وتسلم أنور السادات هذا القصر الشامخ ، وأجرت زوجته فيه بعض الإصلاحات ، فلما مات عبد الناصر بعد ذلك بقليل زادت اتجاهات الإصلاحات حتى تكلفت ٦٥٠ ألف جنيه ، واختارت جيهان السادات بعضا من التحف التى كانت موجودة فى القصور الملكية السابقة لى تجمّل بها بيتها الجديد (١) .

(١) محمد حسنين هيكى : خريف الغضب ص ٩٦ .

نهاية عبد الناصر :

المعروف أن عبد الناصر مات سنة ١٩٦٧ بعد ضياع أمله ، وانكسار صوته ، بسبب الهزيمة القاسية التي دمرت جيشه في دقائه . *

وكان يقول عن حرب ١٩٥٦ إنها عدوان ثلاثي ، ولولا انجلترا وفرنسا ما استطاعت إسرائيل أن تقف أمام جيشه ، غماداً يقول الآن عن حرب ١٩٦٧ ؟

وكيف يوارى وجهه من أعدائه الكثيرين ومن الشامتين في كل مكان ؟
وراح الرجل صاعراً إلى مؤتمر الخرطوم يستجدي من أعدائه ،
وأعطاه الأعداء بعض المال . *

وسحب جيشه من اليمن بعد ذلك مثقلاً بالهزائم والضحايا .
ونزلت بعبد الناصر أمراض كثيرة هددت جسمه الذي طالما دمر أجسام الآخرين ، وألزمه طبيبه الروسي « تشازوف » بعدم الإجهاد ونفك الزبانية حوله نصيحة الطبيب فجردوا عبد الناصر من كل نفوذ ، وأصبح هؤلاء يمارسون صلاحيات الرئيس نفسه دون الرجوع إليه باسم المحافظة على صحته ، ونظراً لوجود ختم عبد الناصر لدى سامي شرف فقد أصبح أمراً عادياً أن تصدر قرارات جمهورية مهورية بتوقيع الرئيس دون أن يدري عبد الناصر عن معظمها شيئاً (١) . *

لقد مات الرجل فعلاً عقب هذه الهزيمة ، ولم يبق في جسمه إلا روح حزينة تنتظر الإفلات من هذا الجسم الذي دبت فيه كل الأمراض ، لقد انهكت الأمراض جسم الرجل ، ولا بد أن روحه القاسية هسها الضر أيضاً نتيجة لما أنزلته بالبلاد والعباد من قسوة وعناء . *

(١) جمال حماد : الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر ص ٤٦ . *

إن ثمانية عشر عاما كانت أعوام بلاء ونكبات على شعبنا الصابر ،
وإننا ندوّن ذلك بإقاضة لعل غيره من الرؤساء يدركون ان التاريخ
لا يموت ، وأنه سيدوّن يوما ليعيش آلاف السنين يصمّ الجبار
ويدمغه بالطغيان ، وينزل عليه اللعنات إلى يوم الدين .

وفي الثامن والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٧٠ آن للروح الخضبة
بالدماء أن تفارق الجسم المخضب بالجراح .

شكوك حول سبب الوفاة :

ونهاية عبد الناصر ليست عادية ، فمثلا كتبناها وكتبها سواى في
حينها في حدود ما كان عندنا من وثائق وروايات ، وحسبناها موتا نتيجة
الأمراض والإرهاق والنكبات ، ولكن وثائق جديدة ظهرت خلال عام
١٩٨٨ و ١٩٨٩ فغيرت ما كان معروفا من قبل .

لقد نشر الأستاذ الكبير مصطفى أمين أقوال الطبيب الخاص بأمير
الكويت ، وقد قال هذا الطبيب الذى رأى عبد الناصر وهو بالمطار يودع
الأمير : إن آثار سُمّ تبدو على وجه عبد الناصر ، وإنه لن تطوق
مقاومته لهذا السم .

وقال عبد اللطيف البغدادى إن عبد الناصر اتصل به قبل وفاته
بفترة واتفق معه على أن يصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية ، وذكر
الأستاذ مصطفى أمين كذلك في مقاله الذى نشر بتاريخ ٢٠/٥/١٩٨٨
منا يلى :

« إن عبد اللطيف البغدادى اتصل به وقال له إنه يريد للتاريخ
أن يذكر أن عبد الناصر اتصل بى في الشهور الأخيرة من حياته ، وقال
البغدادى إن الاتفاق قد تمّ بينه وبين عبد الناصر على أن يعلن قرار
تعيينى نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزراء عقب انتهاء اجتماع

الملوك والرؤساء في القاهرة لبحث الصراع بين الملك حسين والفلسطينيين ، وقد روى لى المرحوم عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء * وأحد أشد المقربين للرئيس السادات في ذلك الوقت أن الهدف الحقيقي من فتح خزانة عبد الناصر السرية بعد وفاته هو سرقة القرار الذي كتبه عبد الناصر بتعييني نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للوزارة * وقد أشار الأستاذ الزيات إلى هذا في مذكراته التي نشرها في جريدة الأهالي .

وأضاف البغدادى قوله : وقد أخبرنى الدكتور الفريق رفاعى كامل الذى كتب شهادة الوفاة لجمال عبد الناصر ، والذى حضر بعد وفاته بنصف ساعة ، بأن ما أصيب به جمال كان أزمة سكر ، وليس أزمة قلبية ، وأنه كان يمكن إنقاذه بكمب اليمون ، ولكن الذى حدث إنه أعطى بدلا من ذلك حقنة مورفين ، ولما أفاق تكرر حقنه مرة أخرى بحقنة مورفين ، ويعتقد الدكتور رفاعى كامل كبير أطباء الجيش المصرى ، أن هذا هو الذى قضى على حياته ، ولم يحقق أحد في هذا الموضوع * وقال بعض المطلعين إن عبد الناصر أملى قرارا وطلب من مرافقيه أن يذاع هذا القرار في نشرة الأخبار ، ولم يذع هذا القرار في حينه ، ويرى هؤلاء المطلعون أن هذا القرار كان تعيين البغدادى في هذا المنصب .

ونتيجة هذه الأقوال أن رفاق السوء خافوا من تعيين البغدادى ، ورأوا فيه خصما عنيدا لن يتمكنوا من هزيمته بسهولة ، ومالبوا إلى الإبقاء على أئور السادات فهو عندهم أضعف عودا وأقل صلابة ، وكان عبد الناصر في ساعاته الأخيرة أو أيامه الأخيرة ، فرأوا أن يجهزوا عليه قبل أن ينفذ رغبته بتعيين البغدادى ، فالتغلب على السادات في رأيهم كان يسيرا .

ونفذ رفاق السوء هذه المؤامرة في سيدهم الذى كانوا يسبحون بحمده ويمجدونه ولا يستطيعون معارضته أو إبداء رأى لا يتفق مع مزاجه .

ثم انطلق الطبيب الخاص لعبد الناصر ، وهو الفريق الدكتور رفاعي كامل فقرر أنه عقب وفاة عبد الناصر استندعى ليكتب تقريراً عن وفاة الرئيس وأنها طبيعية ، ولكنه عندما شاهد الجثمان انتابه الشك ، فاقترح إجراء بعض التحليلات ليتأكد مما يشك فيه ، ولكن أنور السادات ورفاق السوء قالوا له أن ذلك سيثير بلبلة في النفوس ، وسيخلق قلقاً ، ومن الأوفق أن توقع على البيان الذي يروى أن الوفاة طبيعية ، ووقع الطبيب على البيان ، وهو يقول في المقال الذي نشره سنة ١٩٨٨ إنه لم يأسف على شيء أسفه على هذا التوقيع ويطلب أن يغفر الله له .

مزيد من الشكوك حول سبب الوفاة :

لم تقف الشكوك حول وفاة عبد الناصر عند الحد الذي ذكرناه ، بل روى منير حافظ — الرجل الثاني في مكتب معلومات عبد الناصر — أن الرجل مات مسموماً ، وهذا يتفق مع ملاحظة طبيب أمير الكويت التي أثبتناها آنفاً (١) .

وفي سنة ١٩٨٩ نشر الكاتب الناصري جمال سليم كتاباً يتحدث عن شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر ، وهو عبارة عن تحقيق صحفي حول الساعات الست الأخيرة في حياة عبد الناصر التي أعقبت توديع أمير الكويت في الساعة الثالثة ظهراً .

ومن أخطر الأسئلة التي يقدمها الصحفي جمال سليم قوله :

ما هو الدور الذي لعبه أشرف مروان ليكافأ بعد ذلك بتعيينه مديراً لمكتب الرئيس السادات للمعلومات ثم سُمح له بأن يتضخم لدرجة أنه أصبح واحداً من أثرياء العالم الآن ؟

ماذا حدث في غرفة نوم الزعيم بعد الساعة الثالثة والرابع ؟

(١) نشر هذا القول في مجلة « الأنباء » الكويتية يناير ١٩٨٥ .

(٢) كتاب الاستاذ جمال سليم غير قاطع ولكنه مفيد لمن يدرس هذا

الموضوع .

وعلى كل حال فقد انطوت صفحة ذلك الرجل وتركت مادة خصبة للباحثين يكتبون عن ماضيه ، ويحذرون أى حاكم أن يسير في هذا الطريق الموعر ، الطريق الذى فتحة عبد الناصر ودفن فيه •

السادات أو البغدادى ؟

لم يخطر ببال المثقفين أن يفاضلوا بين السادات والبغدادى ، فالأحرار لا يقبلون أن يفرض عليهم أحد ، إننا نريد الحرية كاملة ؛ يتقدم للترشيح من يشاء ، ويختار الشعب من بين المرشحين من يريد ، أما نظام التسلسل الذى ابتكره عبد الناصر وسار عليه السادات فهو نظام مرفوض ، إنه نوع من الملكية أو أسوأ من الملكية ، وقد قال عمر ابن الخطاب : لا أريد أن أحمل وزر الخلافة حيا وميتا ، ولكن هؤلاء يحملون الأوزار في حياتهم ويظلون بعد وفاتهم مسئولين أمام الله عن الإنسان الذى وضعوه على الطريق ليلى الأمر بعدهم •

إن بعض البسطاء يقولون أن عبد اللطيف البغدادى أنشأ كورنيش النيل كما أنشأ عبد الناصر السد العالى ، وأقول إن هؤلاء بسطاء لأنهم يتوهمون أن حياة الدول واقفة لا تتحرك ، فإذا أنشأ عبد الناصر السد العالى كان ذلك ماثرة تذكر ، وإذا فتح شخص جامعة كان مشعل نور ، وإذا أقام البغدادى طريق الكورنيش كان كأنه بنى الصراط المستقيم •

نقول لهؤلاء إن الحياة تسير ، ومن أموال الشعوب تقوم بعض الإصلاحات ، وقد عرفت مصر السكك الحديدية وإنارة الشوارع ورصف الطرق ، وعرفت الخزانات والسدود على طول مجرى النيل منذ أمد طويل قبل الثورة التى دمرت الإنسان ، وأفلست الخزينة ، وأضاعت الثراء وأسالت دماء الأبرياء •

نحن مرة أخرى لا نريد أن يفرض علينا مرشح من إنسان في طريقه للفناء ، وإذا كان السذى يرشح خلفا له يعتقد أنه يضيع في السلطة من يحفظ عليه ذكراه ويدارى عوراته فهو مخطئ ، ويكفى أن

فقرأ كتاب « البحث عن الذات » لنرى الأهوال التي ينسبها السادات لعبد الناصر ، ولو جمعت العبارات والقضايا التي دوّنتها السادات ضد عبد الناصر في هذا الكتاب لكونت قصيدة من الهجاء أقذع من أى هجاء دونه الشعراء الهجّاءون .

وجمال عبد الناصر لم يكن مؤهلاً للحكم ، وبالتالي فليس مؤهلاً لتحديد من يخلفه .

وزكريا محيي الدين :

لم تقف الإشاعة لاختيار رئيس الجمهورية عند عبد اللطيف البغدادى ، بل إن الإشاعة امتدت إلى زكريا محيي الدين ، وكان سبب هذه الإشاعة أن « الأهرام » نشرت له نعيّاً بارزاً لجمال عبد الناصر ، وركز التليفزيون عليه عند تشييع الجنازة ^(١) ، ووقت الدفن ، وكان ذلك سبباً في بروز اسمه ليتولى رئاسة الجمهورية ، ولعلّ مما قوّى ذلك أنه كان المرشح الذى ذكر عبد الناصر اسمه عقب الانهيار في حرب ١٩٦٧ .

وهكذا كانت رئاسة الجمهورية رخيصة في نظرهم إلى هذا المدى ، فنحنى بارز ، أو تركيز جهاز التليفزيون على شخص يكفى لتوجيه الأنظار إلى استحقاق هذا الشخص ليكون رئيساً للجمهورية . يا للسخرية ؟

وعلى صبرى وجماعته :

لم يكن طريق أنور السادات للرئاسة سهلاً ، فالمجموعة المحيطة بعبد الناصر (على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف) حاولت أن تضع العراقيل أمامه ، ويذكر أنور السادات ^(٢) إن هذه المجموعة اقترحت أن يبقى الأمر كما هو ، أى أن يبقى هو قائماً بعمل رئيس جمهورية دون استفتاء إلى حين ، وكانت حجتها في ذلك أن الشعب يرفض السادات ، وفي رفضه رفضاً للثورة ، ولكن السادات أصرّ على تنفيذ

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ١٣٣ .

(٢) البحث عن الذات ص ٢٨٤ .

الدستور بإجراء الاستفتاء ، وذكر أن الشعب لو رفضه فإن الاتحاد الاشتراكي ينبغي أن يرشح شخصا آخر حتى يتم شغل منصب رئيس الجمهورية *

وفي محاكمات مؤامرة مايو يقول شعراوي جمعة إنه كان هناك رأى أن يسمر أنور السادات قائما بعمل رئيس الجمهورية بصفة مؤقتة ، دون استفتاء ، ولكنى عارضت هذا الأمر واقترحت إتمام الاستفتاء حتى لا تحدث بلبلة (١) .

وفي هذه المحاكمات أيضا قال سامى شرف : إنه في يوم وفاة عبد الناصر عقد اجتماع في قصر القبة مشترك بين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء ، وبدت في الاجتماع محاولات مريبة تتلخص في عدم تمكين أنور السادات من رئاسة الجمهورية (٢) *

ولجأ أنور السادات إلى نكاته الذى لم يتخل عنه ، فقد تظاهر بالإعياء الشديد ، وبأنه أصيب بذبحة صدرية في أثناء جنازة عبد الناصر ، وحرص على أن يهمس لكل من اقترب منه للأطمئنان على صحته من كبار المسؤولين قائلا : أوصيكم بالمؤسسات ، الحكم يجب أن يكون بالمؤسسات ، فخذ رجال عبد الناصر بهذه العبارات ، واطمأنوا إليه ، باعتبار أن حكم المؤسسات يعنى أن الحكم سيسهر في أيديهم ، فتحمسوا لإجراءات تعيينه رئيسا للجمهورية (٣) .

الفريق أول محمد فوزى :

وللأسف كانت القوات المسلحة بقيادة الفريق أول محمد فوزى لها رأى في هذا الموضوع ، وكمنتهنى أن تبعد القوات المسلحة عن السياسة ، وقد كشف محمد فوزى رأيه في محاكمات مايو إذ قال : قبل دفن جمال عبد الناصر جمعت قادة القوات المسلحة في مبنى القيادة بمدينة نصر ،

(١) كمال خالد : رجال عبد السادات والسادات ص ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ٢٠٦ .

وألقيت توجيها حاسما يفيد رفض أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة القديم مثل زكريا محيي الدين ، والبغدادي ، وكمال حسين ، وقلت : إن من عارض أو خالف الرئيس جمال عبد الناصر في حياته لا يصح أن يخلفه بعد مماته ، وتجمع الرأي داخل القوات المسلحة على تأييد أنور السادات ليكون رئيسا للجمهورية (١) .

والذى يقره كتاب محمد فوزى (استراتيجية المصالحة) يدرك بوضوح اضطراب هذا الرجل فهو أولا يريد أن يتقرب من السادات ببعض التصرفات الرديئة ، وهو ثانيا يؤمن إيمانا كاملا بأن الجيش هو الذى يختار الرئيس ، يقول سيادته فى ذلك : يوم ١٩٧٠/٩/٣٠ بادرت بفكرة توجيه رسالة نيابة عن قادة وضباط ورجال القوات المسلحة إلى الرئيس المؤقت أنور السادات تحمل تأييد القوات المسلحة لترشيحه رئيسا للجمهورية وكان تأثير هذه الرسالة كبيرا إذ سرعان ما ردّد الشعب فى كل مكان « الجيش عاوز السادات » (٢) .

وكرر هذا « الفريق » تلك الجملة مرة أخرى بعد صفحتين .

وفى تقديرى إن هذا قمة التسلط والغفلة ، فالجيش عند الفريق أول محمد فوزى هو كل شيء ، والشعب يردد ما أقره الجيش ، وهذا خطأ كبير من الناحية الدستورية والاجتماعية ، ولا يصح لقلم يحترم نفسه أن يكتب هذه العبارات .

أمين شاكى والوفد السودانى :

ولكن المسئولية ليست على محمد فوزى وحده ، فبيد إن هذا العصر جعل من كل ضابط سلطة هائلة تخلق الرؤساء أو على الأقل توحى بذلك ، فمحمد فوزى يروى أن أمين شاكى — أحد الضباط الأحرار — حضر إلى فندق هيلتون حيث تنزل وفود المعزين ، وقابل السيد فاروق أبو عيسى وزير خارجية السودان آنذاك ، وطرح

(١) المرجع السابق : ص ١٦٠ .

(٢) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ١٣١ و ١٣٣ .

عليه رأييه بأن يتولى زكريا محيي الدين رئاسة الجمهورية ، وطلب أمين شاكراً أن يتولى الوفد السوداني هذه الفكرة •

وتلك — إن صحت — خيانة وطنية أخرى أن يطلب من السودان اقتراح رئيس لجمهورية مصر ، فهؤلاء الناس ينسون ملايين المصريين ، وكان علماء مصر وأقذاذها لا قيمة لهم ، ولكن الوفد السوداني كان أذكى من ذلك فقرر عدم التدخل في الشؤون المصرية (١) •

مجلس الثورة مرة أخرى :

وهناك محاولة ثالثة قام بها أعضاء مجلس الثورة القدامى : البغدادي وزكريا محيي الدين وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين ، وكانت ترمى إلى تشكيل مجلس رئاسة منهم ٥٥٥٥ برئاسة السادات وذلك عودة للوراء لجماعة لم يسجل التاريخ لهم أو الأكثرهم موقفاً لصالح مصر ضد ما نزل بها من طغيان ناصر وعامر (٢) •

دهاء السادات :

ويجىء دهاء السادات فيقضى على هذه المحاولات ، فقد اصدر بياناً امتدح فيه القوات المسلحة وأكد ضرورة الوحدة العربية ، وضرورة مصارعة إسرائيل ٥٥٥٥ كما ذكر أننا نتهمسك بسياسة عدم الانحياز كما علمنا عبد الناصر ، وأنها جزء من الاتجاه التقدمي الاشتراكي •

ولكن أهم خديعة ظهرت في هذا البيان قوله : إننى أعلن أنه ليس بهقدورى ولا بمقدور أى شخص أن يتحمل ما كان يتحمله عبد الناصر ، ولذا يجب توزيع المسئوليات على المؤسسات السياسية والدستورية التى تمثل سلطة تحالف قوى الشعب العامل (٣) •

واطمأن البلهاء لهذا القول وظنوا أن السلطة ستبقى في أيديهم فوافقوا بل تحمسوا لنجاح أنور السادات •

(١) المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٢ •

(٢) المرجع السابق ص ١٣٢ •

(٣) المرجع السابق ص ١٣١ •

ولعل هذا الخلاف هو الذى جعل الاستفتاء يتم بعد ١٧ يوما من وفاة عبد الناصر ، أما بعد اغتيال السادات فإن الاستفتاء جرى بعد أسبوع واحد من الاغتيال .

ويقول محمد حسنين هيكل ^(١) إن السادات طلب منه — وكان وزيرا للإعلام والثقافة — إدارة حركة الاستفتاء ، واستجاب له هيكل وأدير الاستفتاء على أساس أن جمال عبد الناصر هو الذى اختار السادات ليخلفه فى منصبه ، فقد كان اسم عبد الناصر لا يزال — للأسف — يتحكم فى نفوس العامة ، وإن كانت الاستفتاءات والانتخابات التى أجرتها الثورة منذ ظهرت لا تعرف العدالة ، ولا تقييم وزنا لآراء الناس ، وإنما تدبر السلطة نتائجها كما تشاء ، فتم الاستفتاء ونجح أنور السادات ، والعجيب أن تركية السادات لم تكن لأنه كفاء بقدر ما كانت لأنه اختيار عبد الناصر .

لقد رأت العصاة السابقة أن تؤجل هجومها على السادات إلى حين ، فوافقت على ترشيحه وعملت على نجاحه حتى تدبر أمرها ضده ، ومن جهته هو فقد كتم غيظه ، وأخذ يدبر الأمر للقضاء على هذه العصاة ، وهذا يوضح لنا صورة من حياة مصر فى ظل الثوار .

وسنرى فيما بعد أن الصراع قد أعلن بعد حين ، وسنرى كيف نجح السادات ضد هذه العصاة التى لم تكن تستمتع بقيم ذاتية ، ولا بنفوذ بين الجماهير ، وهذا ما يسر للسادات أن ينجح فى هذا الصراع .

(١) خريف الغضب ص ١٠٠ .

الباب الثالث السادات رؤساء الأئمة

قبل أن نسير خطوة خطوة مع السادات وأحداث عصره ، نذكر بعض الدراسات التي تعدُّ ضرورية في التقديم لسيرة الرجل ، ومراحل حياته ، وجوانب شخصيته .

أولا : تاريخ فردٍ أو تاريخ دولة ؟

كان أكثر المؤرخين السابقين يديرون أحداث التاريخ في الامبراطوريات أو في الدولة الإسلامية حول الامبراطور المسيحي أو الخليفة المسلم وكأن هرون الرشيد مثلا هو الأمة الإسلامية ، ويسير الحديث عنه من عام إلى عام ، يحارب وينتصر أو يهزم ، ويبنى ويهدم ، وتروى أحاديث ترفه ، وقصوره ، وأبنائه

وفي الجيل الحديث رفض أكثر المؤرخين هذا المستوى من التفكير ، وعمدوا إلى كتابة تاريخ الأمة ، وبقي بعض المؤرخين يكتبون تاريخ الخلفاء على النسق القديم ، وحجة هؤلاء أن الخليفة كان مصدر الحركة والنشاط ، وأن كل شيء كان يرتبط بشخص الخليفة ، فهو الذي يعيّن معاونيه ، وهو الذي يقود الجيوش ، ويكنز المال أو ينفقه

أما المؤرخون الذين كتبوا تاريخ الأمة ، فقد اهتموا بكل نشاط في الدولة ، وعنوا بعرض حركات المعارضة الدينية والثورات السياسية التي كانت تواجه الخليفة وتترك أثرا واضحا في مسيرة الدولة ، ولو نظرنا إلى تخطيط أى مجلد من المجلدات التي كتبتُها في « موسوعة التاريخ الإسلامى » نجد أنها أخذت هذا المنهج ، فالعناوين الرئيسية للجزء الثالث الخاص بالخلافة العباسية مثلا هي :

— تعريف بالخلافة العباسية .

— تعريف بخلفاء العصر العباسى الأول .

-- المشكلات الكبرى التي قابلها خلفاء هذا العصر : العلويون — الخوارج —

الزنادقة — الخرمية .

— العلاقات الخارجية •

— مشاهير وزراء العصر •

ماذا نفعل الآن في تأريخنا لزعماء هذه الثورة المشؤمة ؟

لقد كان عبد الناصر هو كل شيء ، يعيّن رشاد مهنا رئيسا للجنة الوصاية على العرش ثم يعزله ويسجنه ، ويعيّن محمد نجيب رئيسا للجمهورية ثم يعزله ويسجنه ، ويؤمّم القناة دون أن يستشير أحدا ، ويدفع جيش مصر إلى اليمن أو الكونغو لهدف في نفسه هو ، ويفتح ميدانا آخر للحرب ضد إسرائيل سنة ١٩٦٧ دون أن يستمع لناصح أو خبير ، ويقيم أعمدة هزيلة لمساعدته ، كهيئة التحرير ، ولما أحس بفشلها أسماها الاتحاد القومي ، ثم الاتحاد الاشتراكي ، وصادر أموال الناس

ثم جاء أنور السادات فسار في هذا الاتجاه ، ألغى الاتحاد الاشتراكي وابنكر « المناير » ثم حوّلها إلى أحزاب ، ثم حارب الحزب الذي اختلف معه ، وانتقل من الولاء للاتحاد السوفيتي إلى الولاء للولايات المتحدة مع علمه بأنها حارسة إسرائيل عدوة الإسلام والعروبة ، وألغى المعتقلات ثم أعادها ، وعين الوزراء ، وعزل الوزراء وعلى العموم كان هو صاحب الصوت الوحيد في كل ما يبدو من أمور

هل نكتب تاريخ السادات كما كتّـبَ السابقون تاريخ هارون الرشيد ؟

الجواب أن هذا مستحيل ، لقد تحرّكت الأمم ، وفرضت نفسها على من اتجه للدكتاتورية ، لقد قرر زكريا محيي الدين مرة أن يرفع الأسعار في أواخر عهد عبد الناصر فثار الشعب وتنحى زكريا محيي الدين وعادت الأسعار كما كانت •

ونفس الشيء حدث في عهد السادات فقامت حركة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وعادت الأسعار كما كانت •

ولم تتوقف حركات الهيئات طيلة عهد عبد الناصر والسادات ،
فالقضاة أعلنوا سخطهم وقامت مذبحة القضاء ، ولكن القضاة صمدوا ،
وأساتذة الجامعات رفعوا أصواتهم في حركات استتكار من مطلع الثورة
حتى الآن ، وقدموا الضحايا ولكنهم لم يستكينوا ، والصحفيون ورجال
الأعمال والفلاحون والجهابذة ثم الأعضاء المعارضون في
البرلمان عندما ظهر جانب من الحرية ، وأخيرا صحافة قوية معارضة عندما
سمح بصحف للمعارضة *

إنه تاريخ دولة من مطلع الثورة حتى الآن على الرغم من كل
دكتاتورية ، بل على الرغم من حدة الدكتاتورية أحيانا .

ثانيا : السادات والثورة

لم يجيء السادات من فراغ ، وإنما كان شريكا لثوار قلموا بهذه
الثورة ، ثم كان امتدادا لعبد الناصر ، وقد ترك الثوار والثورة للسادات
رصيدا من المتاعب والمشكلات ، ولهذا ينبغي أن نعطي لمحات لهذا التراث
الذي تلقاه السادات وتحتم عليه أن يتعامل معه ، وسنلجأ للاختصار
بقدر الإمكان :

ثم إن معلومات جديدة ظهرت عن عصر عبد الناصر ، لم تكن قد
اتضحت عندما كنت أكتب الجزء التاسع من هذه الموسوعة الخاص بعصر
عبد الناصر ، فلزم رصد هذه المعلومات هنا ، فقد كانت شديدة التأثير
في عصر السادات .

وفي مطلع حديثنا نورد وصفا قدمه السادات نفسه عن الثوار ،
كما نورد وصفا آخر قدمه أحد الثوار الذين أسرع عبد الناصر بعزلهم
وهو عبد المنعم أمين ، وهذان الوصفان سيضعان لنا أساسا للحالة قبل
السادات ، تلك الحالة التي ستكون شديدة التأثير في عصر السادات .

أنور السادات يصف الثوار :

كان الثوار مجموعة من الشبان العسكريين ، قليلي التجارب
ثم بعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة وجدوا أنفسهم ينتقلون فجأة من
مكاتبهم البسيطة ومراكزهم العادية في الجيش إلى مراكز السيادة ،
وأصبحوا وحدهم يحكمون مصر بلا منازع ولا دستور ولا قوانين (١) .

عبد المنعم أمين يصف الثوار :

كان عبد المنعم أمين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وهو يقرر
أن عبد الناصر اشترك في الثورة لصالحه الشخصي ، وكان عبد الناصر
يعتقد أنه لا يشترك في الثورة إلا من ستنتفعهم الثورة مادياً ، ولذلك فإنه عندما
زارنى مع كمال الدين حسين وجلس عندى بعض الوقت ، ثم خرجا قال
عبد الناصر لكمال الدين حسين : أنا جلست على الكنبه فوجدت نفسى
غطست فيها فقلت فى نفسى : طيب عبد المنعم أمين يطلع معنا فى الثورة
ليه ؟ عنده كل حاجة فما حاجته للثورة ؟

ثم إن عبد الناصر كان لا يقرّب أحداً إليه إلا من يرى فيهم الرغبة
العارمة فى الانتفاع بالثورة ، فلم تكن الثورة لمصر وإنما كانت لأهداف
ذاتية .

وكان عبد الناصر لا يقرّب منه إلا من كان فى تاريخه نقطة سوداء
فى حياته ، لكى يستطيع أن يسيطر عليه من خلال ذلك وذكر عبد المنعم
أمين أمثلة كثيرة لذلك .

وقال عبد المنعم أمين عن صلاح سالم :

إنه هو الذى أخرج مجوهرات وتحف الأميرة فائزة من مصر بعد

(١) البحث عن الذات ص ١٥٧ .

أن أوصلها إلى باب الطائرة ، ولم يجزؤ أحد من رجال الجهارك أو من رجال المطار أن يقول له شيئاً ٠٠٠٠ كانت هناك إشاعات ولكن الحقيقة قد تكشف بعد ذلك بالكامل وثبت أنه أخرج لها جواهرها حقيقة ، وأن الأميرة فائزة أعطت لصالح سالم خاتما من السوليتير ، حاول أن يبيعه في جنيف ، فقبل له إنه مسروق ، والحكومة المصرية تدخلت وقتها ، وكانت أخلافة تقبل هذا ، وعنده استعداد أن يفعل أى شئ من هذا النوع ، ويبدو أن ذلك كان أساس أخلاقيات الثورة ، فالفرد يشترك في الثورة من أجل أن ينتفع في النهاية (١) .

وإذا اتخذنا هذه الكلمات أساسا لتصويرنا للفترة التي سبقت عصر السادات فإننا نجد الثوار متأثرين تأثرا تاما بمجموعة من المثالب في قمتها الحرص على المال ، واندفاعة الجهل ، ورغبة الاستمتاع بالمرأة .

وإذا كان بعضهم — للمحق — لم يتأثر بالمرأة فإن الغالبية العظمى قادتهم الرغبة في تحصيل المال من جانب ، والجهل من جانب آخر ، وإن كانوا بطبيعة الحال تفاوتوا في ذلك كما سنرى ، وسنرى فيما يلي بعض الحقائق حول هذه المثالب :

(١) دراسة قدمها عبد المنعم أمين أحد الثوار سنة ١٩٨٨ بمناسبة مرور ٣٦ عاما على هذه الثورة المشؤمة ونشرت بصحيفة الوفد .
وينبغي أن نذكر أن عبد المنعم أمين هاجم الثوار بعد أن عزله جمال عبد الناصر ، أما قبل ذلك فقد كان نصير الثورة ، وهو الذى تطوع ليرأس المجلس العسكرى الذى حكم بالاعدام على العاملين خميس والبقرى ولم يعطهما الفرصة الكافية للدفاع عن أنفسهما (انظر الجزء التاسع من هذه الموسوعة ص ٢٥٩) .

المال وتأثيره على الثوار

واجه الثوار في اللحظات الأولى لعصرهم ثراء ضخما يتمثل في جواهر أسرة محمد علي وكنوز هذه الأسرة ، فأتجهوا من أول يوم لعدم حصر هذه الجواهر حصرا دقيقا حتى تكون في متناول كل يدٍ أثيمة ، وما أكثر هذه الأيادي .

وشدهم الحرص على المال إلى تعذيب من كانوا أغنياء قبل الثورة ، وشمل هذا التعذيب مصادرة الأموال والقصور ، وصورا من الإيذاء والعدوان ، كما شمل إذلال الأعداء ، وكل ذلك كان تنفيسا عما في نفوسهم من حقد على الغنى والأغنياء ، وفيما يلي نماذج ترتبط بمجال المال :

جواهر أسرة محمد علي :

وبمناسبة كلام عبد المنعم أمين عن الخاتم السوليتير الذي نفخته الأميرة فايزة لصالح سالم نذكر أن الكتاب كتبوا كثيرا عن اختفاء كنوز أسرة محمد علي ، وذكروا أن الثورات في العالم سواء في فرنسا أو روسيا القيصرية أو في تركيا ضد الخلافة هذه الثورات احتفظت بجواهر الأسر التي كانت حاكمة على أنها رصيد وطني ، ووُضعت هذه الجواهر الثمينة في متاحف يزورها الزوار من كل أنحاء العالم برسوم تدّر دخلا كبيرا على الدولة ، أما كنوز أسرة محمد علي فقد ضاعت ، وللآن لم يُعرف مَنْ سرقها وماذا تبقى منها ، ونحن نكرر القول لعل أذننا تسمعنا وتعي صراخنا الذي لن ينقطع عبر الأجيال حتى يقيض الله حاكما قويا يستجيب لهذا الصراخ ولا يخاف إلا الله ، فيعيد الحق إلى نصابه ، والمال المنهوب إلى مالكة الحقيقي وهو الشعب ، ونقدم اليوم في هذا المجال سطورا من « فكرة » للأستاذ مصطفى أمين كتبها يومى ٨٢/٦/١ و ١٩٨٣/١٢/٧ :

أذاعت وكالة رويتر لمراسلها في البحرين البرقية التالية : « عرض

أحد الصاغة في البحرين أمس للبيع ماسة نادرة ، كان يمتلكها ملك مصر السابق فاروق ، ضمن جواهر أخرى نفيسة ذات قيمة تاريخية ، ويمتلك حاليا هذه الماسة الخضراء اللون مجموعة من الصاغة ، من بينهم السيد سامى فرج صاحب شركة جواهر في جنيف بسويسرا .

وقد لا يعرف شباب هذه الأيام أن أمراء وأميرات أسرة محمد على كانوا يملكون جواهر وتحفا ثمينة كانت تقدر ببلايين الجنيهات ، وفي أوائل الثورة صدر قرار بمصادرة كل أموال أسرة محمد على وأقاربهم وأصهارهم .

واختلف الرأى بين الحكام الثوار ؛ فريق يرى الاحتفاظ بهذه الجواهر التى لا تقدر بثمن فى متحف بقصر عابدين يزوره السياح ، كما فعلت الثورة الشيوعية بالاحتفاظ بأموال أسرة رومانوف المالكة فى متحف بالكرملين ، وكما احتفظت ثورة مصطفى كمال بجواهر الأسرة المالكة العثمانية بعد خلعها .

وفريق آخر من الحكام كان من رأيه بيع هذه الجواهر التى لا تقدر بثمن ، فى مزادات عالمية ويخصص ثمنها الهائل لإنشاء الجامعات ، وبناء المستشفيات ، وإقامة مدن للعمال ، وشراء أسلحة للجيش المصرى

ولم يحدث هذا ولا ذاك وإنما اختفت هذه الجواهر والتحف ، أو على الأقل اختفى أروع ما فيها وليس هناك من السادة من يسأل عن مصير هذه الثورة حتى الآن . (انتهى) .

وكان عبد الناصر يتعامل مع هذه الجواهر على أنها ملك خاص له ، فطالما أخذ منها ليقدم هدايا لأصدقائه ومحبيه ، وتعامل السادات على نفس المستوى مع هذه الجواهر .

وعندنا لمحات سريعة عن هذه الجواهر ، ففي كتاب (القضية الكبرى)
الذى كتب مقدمته الضابط ابراهيم الطحاوى الذى كان سكرتيراً لهيئة
التحرير يقول مؤلف الكتاب : وقد جمعت جواهر أسرة محمد على
بالاسكندرية فى ٣٧ صندوقاً حجم كل صندوق متر مكعب •
أما جواهر أسرة محمد على بالقاهرة فكانت أكثر وأكثر •

نصيب لبنان من ثراء مصر :

يقرر الدكتور حسين مؤنس أنه يعرف واحداً من الضباط الذين
أسندت لهم عملية جرد الجواهر ، وأن هذا الضابط يعيش الآن فى بيروت
وهو من أصحاب الملايين هناك (١) •

والمجيب أنه لا أحد من المسؤولين يتكلم عن هذه الجواهر الآن ،
ولا أحد تكلم عنها من قبل •

وبمناسبة الحديث عن أموال مصر فى لبنان يذكر الدكتور حسين
مؤنس أنه لا يمكن أن يتصور أى مصرى مقادير الأموال التى ألقتها
عبد الناصر فى بيروت ليبنى أسطوره ، فهناك صحفيون كانوا لا يساؤون
قلامة ظفر أصبحوا أصحاب ملايين من أموال مصر التى قدمها لهم
عبد الناصر ، وأى هلفوت لبنانى كتب سطرأ فى مدح عبد الناصر تقاضى
ثمنه ذهباً ، وقد حدث هذا فى وقت كان المصريون يعانون شدة اقتصادية
بالغة (٢) •

ويذكر الدكتور ابراهيم عبده (٣) أن فى بيروت داراً ضخمة من سبعة
طوابق كان لعبد الناصر فضل إنشائها وأزدهارها •

(١) باشوات وسوبر باشوات : ص ٢٩٤ •

(٢) باشوات وسوبر باشوات : ص ١٩٠ •

(٣) أقول للسلطان ص ٣٨ •

وتذكر مجلة أكتوبر أن الابتزاز في لبنان فتح أبوابه لمصر ، وأن
أذكىء لبنان وجدوا في سذاجة عبد الناصر وسيلة لاء جيوبهم ، وتقرر
المجلة أن السيد عبد الحميد غالب قدّم ملايين الجنيهات لزعماء بيروت سنة
١٩٥٨ ، وأنه شوهد يسافر بالبحر ومعه ٥٠ صندوقا باسم الحقيقة
الدبلوماسية ، وكل صندوق كان لا يقل عن طن كامل ، وتذكر المصادر
أنهم كانوا يطبعون في لبنان صحيفة لتمجيد عبد الناصر ، ولا يطبع منها
أكثر من ١٠٠ نسخة يرسل أكثرها إلى الرئاسة بمصر لئلا منهم على
الولاء الزائف (١) .

عبد الناصر سبب الحرب في لبنان :

ولكن لبنان الذي اتهم مال مصر عن طريق عبد الناصر عانى من
عبد الناصر أشد معاناة ، ويذكر الأستاذ محمود عبد المنعم مراد في عموده
اليومي بصحيفة الأخبار أن الحروب المدمرة في لبنان بدأت بسبب تدخل
عبد الناصر في شؤون هذا البلد ، وأراد كميل شمعون أن يبقى لبنان
مستقلا دون أن يتلقى توجيهات من الخارج ، ودارت بينه وبين حلفاء
عبد الناصر حرب "أهلية شريسة" وهكذا دفع عبد الناصر الأموال
إلى لبنان ، ولكنه دفع لها الخراب أيضا .

أسرة عبد الناصر والماس الثمين :

لن المعروف أن نشأة عبد الناصر كانت نشأة أقرب للبؤس ، ولكن
السلطة جعلت هذه الأسرة تعرف الماس النادر ، وقد نشرت صحيفة الوفد
بتاريخ ١٧/١/١٩٨٥ نقلا عن الصحافة الباريسية ما يلي :

تتحدث الأوساط الفرنسية عن الماسة الثمينة التي أهداها الليبوتين
أشرف مروان إلى زوجته السيدة منى عبد الناصر ابنة الرئيس الراحل
جمال عبد الناصر ويبلغ وزن هذه الماسة اثنين وعشرين قيراطا ، ويصل ثمنها
إلى ما يقرب من مليون دولار ، وكان أشرف مروان قد اشتراها من ميل

« فان كليف » الذى يتعدّد من أشهر محلات بيع الجواهر فى باريس ،
وتعتبر الماسة التى أهداها أشرف مروان إلى ابنة عبد الناصر من أغلى
الماسات التى بيعت منذ أشهر عديدة •

ثراء أسرة عبد الناصر :

نشر الأستاذ المرحوم جلال الدين الحمامصى مقالا فى ١٩٨٤/٨/٢٤
عن الطفل المعجزة أشرف مروان زوج ابنة الرئيس جمال عبد الناصر ذكر
فيه أن هذا ركب اليخت الخاص به فى رحلة للاستجمام والاسترخاء ،
وكانت رحلة عمل كذلك ، اشترى فيها عدة أسهم من دار « فليت هولدنجر »
للنشر التى تشدّر عدة صحف بريطانية ، وثمان الحصة التى اشتراها صهر
عبد الناصر أحد عشر مليوناً من الجنيهات الاسترلينية أى حوالى أربعين
مليوناً من الجنيهات المصرية ، وقبل هذا اشترى هذا الطفل المعجزة جزءاً
من أكبر محلات تجارية بلندن المسماة « هارودز » ودفع فى ذلك عشرة
ملايين من الجنيهات الاسترلينية أى ما يقرب من المبلغ السابق ، ويذكر
المقال أن أشرف مروان اتسع نشاطه أيضاً فى الجانب « الفندقى » على
شواطئ أسبانيا ، وأنه يمتلك قصراً فخماً اشتراه لنفسه ولأسرته فى
ضواحي لندن •

ويذكر المقال أيضاً أن أولاد عبد الناصر المقيمين بمصر قد وصل
حجم أعمالهم المعمارية بمصر إلى أكثر من مائتى مليون من الجنيهات رغم
أنهم ما زالوا فى بداية الطريق ، ورغم أن هذا الحجم لا يمكن أن يتحقق
إلا إذا كانت البداية مرتكزة على أرقام الملايين من الجنيهات أو الدولارات •
ويختم الأستاذ جلال الدين الحمامصى مقاله بقوله متهمكاً :

هذه هى نتائج الاشتراكية التى أسسها عبد الناصر الذى كان دائماً
يصرخ « لا مكان فى مجتمعنا لأصحاب الملايين » وكان فى الوقت نفسه
يرتب الأولاده ليصبحوا من أصحاب الملايين ، فما حرّم على الناس كان
حلالاً للثوار وأسر الثوار •

عبد الناصر هو طريق هذا الثراء لأهله :

ربما يسأل سائل : كيف وصلت أسرة عبد الناصر إلى هذا الثراء
الموسع في حين انهارت اقتصاديات البلاد ، وفي حين يحارب الرئيس
الرأسمالية ويجاهر بالاشتراكية ؟

والإجابة سهلة ، كانت الاشتراكية والجوع وشدء الأحزمة على
البطون نصيب الشعب ، أما عبد الناصر وأسرته ومن حوله فالرأسمالية
حلال لهم ، ويقدم الأستاذ كمال خالد أدلة على التسيب والبذخ للذين
عُرفَ بهما عبد الناصر بالنسبة لمن حوله ، فيقول : (١) .

في الجلسة السرية التي عقدت لمحاكمة مراكز القوى وقف سامى شرف
في قفص الاتهام ليقول متهمًا ساخرًا : « المدعى الاشتراكي يتهمنى
باستغلال النفوذ ، والمحقق رئيس النيابة يسألنى إذا كان عندى مستند
يفيد أن الرئيس جمال عبد الناصر هو الذى صرح لى بإنفاق المبالغ
التي يقال إنى اختلستها من المصاريف السرية لرئاسة الجمهورية بمناسبة
زواج ابنتى » : ليلى وهدى ، وواصل سامى شرف كلامه قائلاً :

« إن الرئيس جمال عبد الناصر كان له مبلغ مليون جنيه سنويا
مصاريف سرية . وقد رفض رفضا باتا الإمساك بدفاتر توضح أوجه
الإنفاق بطريقة تفصيلية ، وقال لى « لا تخلق قاعدة كهذه » وأنا
استشهد بالسيد حافظ بدوى رئيس المحكمة ، ما الذى حدث بالنسبة لزواج
ابنته الأولى والثانية والثالثة والرابعة ؟ ففى كل مرة كنت أستدعيه
إلى مكتبى ٠٠٠ وأسلمه ظرفا به مبلغ ثلاثة آلاف جنيه وأقول له : هذه
هدية الرئيس جمال عبد الناصر للمروس ، فكان يدعو الرئيس
جمال عبد الناصر ويدعو لى أيضا ، وفى المرة الأخيرة كان الظرف به أربعة
آلاف جنيه ، وبمجرد أن لاحظ حافظ بدوى هذا الرقم على الظرف أخذ
يدعو لى ويكرر الدعاء وقد استمع جمال عبد الناصر لتسجيل هذه

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١١٦ .

المقابلة ولفت نظره أن دعاء حافظ بدوى لشخصى يزيد أضعافاً عن دعائه للرئيس جمال ، فقال لى « أوع تعطيه فالوس تانى ، وإن كنت عايز أعطيه من جيبك علشان الدعاء يبقى حلال عليك » .

وكل ما أريد أن أسأل رئيس المحكمة عنه هو : هل حصلت منه على إيصال يستلزم أى مبلغ من هذه المبالغ . . . هل طلبت منه التوقيع على أى دفتر أو على أى ورقة : هل أحضر لى خطاباً من الرئيس بتسليمه أى مبلغ من هذه المبالغ ؟ إن شيئاً من ذلك لم يحدث ، فقد كانت أوامر الرئيس جمال الشفوية مطاعةً وتنفذ فوراً ، وليس هناك حاجة لورق أو إيصالات أو أوامر مكتوبة .

هذا هو نص شهادة سامى شرف أمام المحكمة :

ومن الواضح أن المليون جنيه التى كانت لعبد الناصر فى الستينات يتساوى الآن على الأقل عشرة ملايين ، وكان ذلك بدء السرقات التى تساعت ، وانتقلت عدة طرق بعد ذلك ، والمعروف أن المصروفات السرية كانت تنفق فى الصالح العام ولا تقدم هدايا لأفراد عاديين مثل حافظ بدوى وسامى شرف .

هل يظن ظان أن جمال عبد الناصر يعطى سامى شرف وحافظ بدوى ولا يعطى أولاده ؟

إن من نظن ذلك أنسان ساذج ، والحق أن فيضا من الأموال وصل إلى أولاد عبد الناصر بطريق أو بآخر ، فكون رصيد هذا الثراء الذى ظهر بعده ، والذي يتتبع الوثائق والمصادر التى بين أيدينا يدرك حرص جمال عبد الناصر على توفير الترف لأولاده ولو على حساب الآخرين .

وثائق فينشرها الأستاذ الحمامى :

وتستمر مع الأستاذ جلال الدين الحمامى الذى يورد معلومات خطيرة فى هذا المجال يؤيدها بالوثائق الزنكوغرافية وهاك كلماته :

كشف صلاح نصر في أقواله التي أدلى بها بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٥ عن تصرفات مالية معينة منسوبة للرئيس عبد الناصر كانت كافية لأن تشكل قضية من قضايا نزاهة الحكم ، وتطرح سؤالاً مهماً هو : هل يجوز للرئيس الجمهورية الدخول في شركات تجارية خاصة ، أو شركات تديرها المخابرات العامة لحسابه الخاص وتقدم له أرباحها عاماً بعد عام ؟

هذا السؤال طرحه اللواء (الفريق أول بعد ذلك) محمد صادق على صلاح نصر في التاريخ المذكور آنفاً وطلب منه الإجابة عليه بدقة فقال صلاح نصر : هناك شركات كانت تديرها المخابرات العامة وكان يشترك في رأسمالها كل من الرئيس عبد الناصر والمشير عامر ، وكانت أرباح عبد الناصر من هذه الشركات تصرف إلى محمد أحمد سكرتير الرئيس ووزير الدولة فيما بعد ، وهناك شهود على ذلك ذكر صلاح نصر أسماءهم (١) .

تجارة المشير وثراؤه :

ونستمر مع الزعماء التجار فنذكر أن منير حافظ صاحب « التاريخ السري لعبد الناصر » يقرر أن المشير عامر عقد صفقات مع تاجر أثاث مصري ، يورّد المشير بمقتضاها للتاجر أوراق الذهب ، وهي الأوراق التي تستعمل في تذهيب الأثاث الفاخر ، وكانت هذه الأوراق تدخل بكميات ضخمة باسم المشير بدون جمارك فيما أسموه « الحقيبة الدبلوماسية » وكانت تسلّم للتاجر بثمن يساوي عشرين ضعفاً لثمنها الأصلي ، إذ منعت استيراد هذه الأوراق إلا عن طريق مكتب المشير فتضاعف ثمنها (٢) .

ونستمر مع المشير ورجاله فنروى أنه عندما سقطت دولة الطغيان بعد حرب ١٩٦٧ وجدوا في قصر المشير تلالاً من العملات الأجنبية

(١) جلال الدين الحمامصي أسوار حول الحوار ص ٧٦ - ٧٧ .
(٢) روز اليوسف في ١٧ مايو سنة ١٩٧٦ و « أقول للسلاطنة »
للدكتور إبراهيم عبده ص ٥٩ .

وخمسة أكياس من الذهب ، ووجدوا في خزائن شمس بدران ثلثا أخرى من جميع العملات الصعبة ، كما وجدوا ابنت المشير ثمانين سيارة لكل سيارة سائقان (١) .

ملايين ... ملايين ملايين احتازها وأنفقها ببذخ على القمار وعلى الهدايا لرفاقه ، وللعجب نقف بمصر نشكو الفاقة ، ولا نقف أبدا نحاسب هؤلاء الأثمين .

الشراء بالقوة :

ولنعد لعبد الناصر لنؤكد أن أولاده كانوا حريصين كل الحرص على التملك ، بل كانوا يستعملون صورا من الضغط على بعض الملاك ليبيعوا لهم ما يملكون ، فعقب فشل الصفقة المرتبطة بالأرض الواقعة غير بعيد من أهرامات الجيزة (هضبة الأهرام) اتجهت السيدة منى بنت الرئيس عبد الناصر لشراء أرض أخرى بصور من الضغط ، وقد تقدم عدد من الثبان بشكوى من ذلك الأمر ، وتدخل المدعى الاشتراكي الدكتور مصطفى أبو زيد ، وجرى الحوار التالي بينه وبين البائع المسكين :

الدكتور مصطفى أبو زيد : هل بيعت الأرض برضاك ؟

الفلاح : ليس تماما .

الدكتور مصطفى أبو زيد : ماذا تعنى بذلك ؟ هل وقع عليك ضغط ؟

الفلاح : نعم ، نوع من الضغط الأدبي ، ولقد قبضت الثمن فعلا عشرة آلاف جنيه مازالت في جيبي ، وأنا أب لسبعة أولاد ، كانت قطعة الأرض تغطي احتياجاتنا ، ولكن ماذا أفعل بهذا المال السائب في جيبي ، وقد ارتفعت الأسعار بسبب تدخل ابنة عبد الناصر في الشراء بأى ثمن (٢) .

(١) دكتور ابراهيم عبده : أقول للسلطان ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) جلال الدين الحمامصي المرجع السابق ص ١٤١ .

ويعلق الأستاذ جلال الدين الحمامصي على تصرفات عبد الناصر
وتصرفات أولاده بقوله :

كان عبد الناصر يقول إنه لا اعتراض له على أن يملك الناس ،
ولكنه كان يذكر أن التملك لا يتمشى مع وضعه الخاص باعتباره مسئولا
عن التحول الاجتماعي في مصر ، ولكن الذي تدل عليه الوثائق أن عبد الناصر
كان حريصا على التملك لنفسه ، وعلى تمكين أولاده من الملكيات ، وقد
اتضح ذلك مما أوردناه عنه آنفا من المساهمة في شركات تدار لحسابه
وحساب مشيره ، ومن حرص أولاده أن يملكوا الأرض بل أن يشتروا
الأرض من أولئك المساكين الذين حصلوا عليها بواسطة الإصلاح
الزراعي (١) .

وننتقل بعد ذلك لتملك اشتراك فيه عبد الناصر وأولاده وصحبه ،
ويروى لنا عثمان أحمد عثمان قصة ذلك فيقول :

عثمان أحمد عثمان وفيلات لبنتي عبد الناصر ولغيرهما :

يذكر المهندس عثمان أحمد عثمان قصصا عن استغلال عبد الناصر
وأصحابه له فيقول : (٢)

إن عبد الناصر أراد أن يبني فيلا لابنته ، فسأل عن قيمة تكاليفها ،
فقلنا له : أنها تتكلف حوالى ستة آلاف جنيه فقط ، وكانت تكاليفها الحقيقية
تصل إلى مائة ألف جنيه . . . وعندما استطلت الأسعار الرخيصة طلب
بناء فيلا لكريمته الثانية ، التي أصبح زوجها فيما بعد من أكبر مليونيرات
مصر ، وجمع ثروة تقدر بمئات الملايين ، فقلنا له : إن الأسعار قد ارتفعت

(١) جلال الدين الحمامصي المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) صفحات من تجربتي ص ٣٩٣ .

وإن تكاليف الفيلا تصل إلى ثمانية آلاف جنيه هذه المرة .. ولكن الحقيقة المرة أنها كانت ستتكلف مائة وعشرين ألف جنيه وغيره وغيره ممن بنيت لهم فيلات بنلك الطريقة ، هل كانت تخفى عليه التكاليف الحقيقية لكل من الفلتين ، وهو الذى كان يعلم ما يدور بين الرجل وزوجته فى حجرة نومه •

ويذكر أنور السادات أن عبد الناصر ذكر له سنة ١٩٧٠ قبيل وفاته بمدة وجيزة أن خزانته بالبيت بها ٢٢٠ ألف جنيه مصرى و ٨٠ ألف عملات أجنبية مختلفة : استرلينى دولارات وماركات ألمانية ، وأن سامى شرف عنده مليون ونصف مليون جنيه من المصروفات السرية التى تأتى من المخابرات ولا تخضع لأى رقابة (١) •

هذه — أيها القراء — أموال مصر التى اعترفوا بها ، أما الأموال التى لم يشملها اعتراف فلا يحصيها عد ، والعجيب أن الرئيس الجديد لم يذكر لنا هل تسلم هذه الأمانات بعد وفاة عبد الناصر أو تركها هبة لأولاده وهو ما يفهمه الباحث من عدم ذكر مستقبل هذه الثروة •

إفطار الأغنياء وإذلال الشرفاء :

وبينما كان عبد الناصر يهدق على سامى شرفا وعلى حافظ بدوى ويسرب الأموال إلى ذويه الذين ظهروا بعده وهم فى قمة الثراء بينما كان يفعل ذلك مع أتباعه كان القهر والفقر والعوز هو ما يوزع على الناس بمصر ، فمثلا محمد سلطان بن عمر سلطان باشا كان من أكبر الأثرياء بمصر ، وكانت له أرض زراعية واسعة بالمنيا وغيرها ، ويمتلك مجموعة من الجواهر ، والتحف العالمية النادرة •

وخضع هذا الرجل فى الستينات تحت الحراسة وصودرت أمواله ، فماذا قرر الاشتراكيون له ليعيش هو وأسرته ؟

(١) موسى صبرى : السادات ص ٣٤٣ - ٣٤٤ •

تقرر منحه نفقة شهرية قدرها سبعون جنيها ، له ولزوجته ولبناته الثلاث ، وعلم أحد أولاد أغاخان بما جرى لصديقه فعينه مشرفا على مزارعه التي يملكها بغرب باريس بمرتب ستمائة جنيه استرليني في الشهر ، وطلب من وزير الداخلية الإذن له بالسفر ، فاشتراط الوزير أن ينتازل عن السبعين جنيها في مقابل تأشيرة الخروج ، وتوفي في فرنسا سنة ١٩٦٦ ودفن فيها .

المصادرة الارتجالية :

ويروى الدكتور حسين مؤنس خبر سيدة تقدمت بها السن ، وكانت تملك أربعين فدانا مجاورة الأطيان شعراوى باشا ، ولما صدر عبد الناصر أطيان شعراوى التي كانت مساحتها ٤٠٠ فدانا صادر رجاله أطيان هذه السيدة ، ولعل الجوار هو الذى دفعهم لذلك ، وقد بذلت أقصى الجهد لتوضح ملكيتها للأربعين فدانا ، ولكن أحدا لم يسمع قولها ، واضطر أهل الخير أن يطلبوا عوناً لها من المرحوم الشيخ الباقورى وزير الأوقاف فدبر لها مبلغ ٢٧ جنيها في الشهر كانت تدفع نصفها إيجارا لمسكنها ، وعجز المبلغ الباقي عن العلاج والدواء ، بل عجز عن ضرورات الحياة ، ففئنت — كما يقول الدكتور حسين مؤنس — بالخبز والماء حتى ماتت (١) .

الملكة فريدة والجوع :

وهناك مثال آخر يدعو للأسف والحسرة ذلك هو الملكة فريدة التي تزوجت الملك فاروق سنة ١٩٣٨ وبقيت معه عشر سنوات ثم طلقها (سنة ١٩٤٨) وانقطعت العلاقة بينهما تماما ، ولما جاءت الثورة المشؤومة وصادرت أموال أسرة محمد على صادرت أيضا أموال « فريدة » مع أن صلتها انقطعت بالملك ، ومع أن الملك لم يكن كريما معها ،

(١) باشوات وسوبر باشوات ص ٧٩ .

ولكن هذه الثورة لا ترحم ولا تعي ، واستسلمت الملكة فريدة لقدرها ،
ومسها الضر بعد ذلك ، أو قتل مسها الجوع ، فأخذت تعيش على رسم
بعض اللوحات ، وتبييعها لتحصل من ذلك على قوتها ، ولم تفتن الدولة
لها حتى هدها المرض سنة ١٩٨٨ فصدر قرار بعلاجها على نفقة الدولة ،
ولكن ذلك جاء بعد فوات الآوان وماتت هذه السيدة الصابرة في نفس
العام .

هذه هي عدالة الاشتراكية الناصرية ، أما الجواهر الثمينة والتحف
النادرة فقد اختفت وشهرت إلى جيوب المحظوظين .

وعندما نتذكر أحوال النماذج التي لاقت البلاء من الثورة المصرية ،
نتذكر ما حدث بإندونيسيا ، فقد كانت هذه البلاد مجموعة من الأقاليم ، وكان
يحكم كل إقليم حاكم يحمل لقب « سلطان » فلما جاءت ثورة إندونيسيا
نجحت في توحيد البلاد ، وأصبح لها رئيس واحد ، ولكن الثورة تركت
السلاطين القدامى في قصورهم ، وجعلتهم في وظائف تشبه وظائف
المحافظين ، وعاش السلطين وأسرهم في ظل الثورة عيشة كريمة ضمن
الموالة والحب للثورة وللبلاد ، أما مصر فقد أصبحت ملكا للثوار العسكريين
الذين استباحوا كل شيء وحرّموا على الناس كل شيء .

وفي مجال المال نتحدث عن صور يشيب لها الولدان من القسوة
والظلم ، وقد وقع هذا الظلم الفادح على جماعة كان كل ذنبهم أنهم
كانوا أعزاء أغنياء ، ماذا فعل الثوار مع أعيان قرية كمشيش كنموذج
لإذلال الأعزاء ، وإفقار الأغنياء ؟ هذا ما سنعرضه فيما يلي بإيجاز :

قضية كمشيش : نموذج للطفان الذي أدّى للانهدار :

وقد كتبت عن قضية كمشيش في الجزء التاسع من هذه الموسوعة

في ضوء ما كان عندى من وثائق ، ثم ظهرت أخطر وثيقة تصف هذا العمل الوحشى الذى تمّ في عهد ناصى بأمره وبأمر صديقه عامر ، وفيما يلى نورد تصويرا دقيقا لحاكمة المجرمين في هذه القضية ، ثم نورد الوثيقة التى أصدرتها محكمة الجنايات :

تمت محكمة جنايات القاهرة بالأشغال الشاقة لمدة ٩٦ سنة على ١٧ متّهما في قضية تعذيب أهالى كمشيش ، وألزمت المتهمين بدفع مليون و ١٧٥ ألف جنيه تعويضا إلى ١٧ شخصا من المجنى عليهم تمّ تعذيبهم في السجن الحربى ، وفيما يلى تفاصيل هذا الحكم :

يقتضى الحكم بمعاقبة رياض إبراهيم بالأشغال الشاقة ١٥ سنة ومعاقبة صفوت الروبى ، ومحمد رجب بكر بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات ومعاقبة ١١ شخصا بالأشغال الشاقة ٥ سنين لكل منهم •

كما قضت بدفع مبلغ ١٠٠ ألف جنيه تعويضات لورثة صلاح الفقى و ٥٠ ألف جنيه لكل من عبد الله السيد الفقى وعزيز أحمد الفقى وحسام أحمد الفقى وفاروق أحمد الفقى ، وزكريا سيد الفقى وكمال عبد الحميد الفقى •

وكان المتهمون وكلهم من المباحث الجنائية العسكرية قد قاموا في عام ١٩٦٦ بناء على تعليمات من مكتب المشير عبد الحكيم عامر بالقبض على المتهمين بغير إذن من السلطات القضائية المختصة ، وقاموا بتعذيبهم في قرية كمشيش بالمنوفية ، ثم نقلوهم إلى السجن الحربى حيث قضوا ١٥ شهرا في تعذيب وحشى مستمر بإدعاء أنهم قتلوا صلاح حسين الشبيوعى المتطرف الذى كان يشغل منصب أمين لجنة الدعوة والفكر بقرية كمشيش •

وقد تمّ في السجن الحربى إطلاق الكلاب المتوحشة على المجنى عليهم وإيقاعهم في زنانات مليئة بالمياه عدة أيام ، كما قاموا بنزع

أظافهم بالكماشة ، وأطلقوا عليهم أسماء النساء ، وهددوهم بالاعتداء على زوجاتهم أمامهم ، ثم نقلوا إلى سجن أبو زعل حيث أمضوا حوالى سنة دون محاكمة •

وبعد هذا التعذيب الوحشى اتضح أن القاتل الحقيقى لصلاح حسين قد قبض عليه وأُعتُرف • وأُرشد عن المسدس الذى استعمله فى الجريمة ، ولم يكن بينه وبين المجنى عليهم أية علاقة أو صلة ، وقد عوقب بالأشغال الشاقة المؤبدية •

وفى عام ١٩٧٥ قدّم المجنى عليهم بلاغا أمام نيابة التعذيب التى تولت التحقيق فى القضية ، وأثبتت وقائع التعذيب الوحشى ، واستمر التحقيق حوالى أربعة شهور ، وتم القبض على المتهمين وتقديمهم للمحاكمة التى استمرت خمسة شهور ، وأصدرت حكمها أمس برئاسة المستشار محمد جويفل سليمان وعضوية المستشارين محمد حسين غراب وحسن عثمان عمار وحضور عبد العزيز عبد الغفور وكيل أول نيابة شرق القاهرة وأمانة سر أحمد رمضان وعباس أبو سعدة وفوزى عبد الكريم •

وقد عقدت المحكمة وسط حراسة مشددة من قوات الشرطة والأمن المركزى والمباحث ، بقيادة العميد يحيى زكى مأمور قسم إمبابية والرائد محمود حنفى بركات رئيس مباحث القسم •• وجيء بالمتهمين من السجون فى حراسة مشددة من الشرطة العسكرية والمباحث •

وفيما يلى ننقل فقرات مما جاء فى حكم محكمة الجنايات وهى تبين الوحشية التى تعرض لها الشعب فى هذا العهد الذى استعذب الإجرام ، وفاق فيه ما نتخيله مما يمكن أن تفعله الشياطين •

« تسجل المحكمة والتاريخ أن هذه الفترة التى جرت فيها أحداث هذه القضية هى أسوأ فترة مرت بها مصر طيلة تاريخها القديم والحديث ، فهى فترة قد ذُبحَت فيها الحريات وديست فيها كرامة

الإنسان المصرى ، ووطئت فيها أجساد الناس بالنعال ، وأمر الرجال بالتسمى بأسماء النساء ، ووُضعت ألحجة الخيل فى فم رب العائلة وكبير الأسرة ، ولطمت الوجوه والرؤوس بالأيدى ، وركلت بالأقدام ، كما هتكت أعراض الرجال أمام بعضهم البعض ، وجىء بنسائهم أمامهم وهتدوا بهتك أعراضهن على مرأى ومسمع منهم ، ودُرِّبَت الكلاب على مواطأة الرجال ، ومن أبشع ما وقع فى هذه القضية من تعذيب فى نظر المحكمة ، إخراج جثة والدتهم من مدفنها — وكانت حديثة الدفن — والتمثيل بها أمام الناس ، والتشهير بهم ، وإذلالهم أمام أهلهم وذويهم ، وإن المحكمة تسجل بأن المخلوق الذى ينسى ربه وتبنيه ويأمر الابن أن يصفع وجه أبيه أمام الناس هو مخلوق وضع وتافه ومهين ، وإن المحكمة وهى تسجل هذه الفظائع ينتابها الأسى العميق والألم الشديد ، من كثرة ما أصاب الإنسان المصرى فى هذه الحقبة من الزمان من إهدار لحريته وذبح لإنسانيته ، وقتل لكافة مقوماته : وإهدار لرجولته وأمنه وأمانه وماله وعرضه ، وإن المحكمة لتسجل أيضا للتاريخ وقلبها يقطر دما أن ما حدث فى هذه القضية لم يحدث مثله حتى فى شريعة الغاب ولا البربرية الأولى * .

وقد وصفت السيدة جيهان السادات ما حدث فى كمشيش بأنه شئ همجى لا إنسانى (١) .

الهجرة لإسرائيل أهون من هذا العذاب .

ويصف الصحفى عبد العاطى أحمد وزير الدفاع شمس بدران بأنه « وزير التعذيب » وأن بعض رجاله كان يهتف : نفسى أشم ريحة الكباب الآدمى . وقد وصل الحال بأحد المعتقلين أن تمنى أن يذهب إلى إسرائيل وكان يقول إن إسرائيل مع كل ما عرف عنها من غدر ، أرحم من العذاب الذى فى معتقلات ناصر (٢) .

(١) ميدة من مصر ص ٢٦٠ .

(٢) عبد العاطى أحمد : كرسى الوزارة ص ٣٣ و ٣٨ و ٣٩ .

ولكن شمس بدران أعلن أن التعذيب ومراحله كانت بإرادة عبد الناصر وتعليماته وفي قضية المستشار على جريشة قرّر شمس بدران : (أن أمراً صدر إليه من الرئيس بتعذيب جريشة حتى الموت) (١) •

قرار جمهورى مطلق بإباحة الاعتقال :

ومن أخطر القرارات التى اتخذها عبد الناصر ومن أكثرها خيانة للمجتمع ذلك القرار الذى صدر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ وهو يقضى باعتقال محمد صلاح الدين محروس وآخرين •

وكلمة « وآخرين » كلمة فسيحة تعطى لزيانية عبد الناصر الحق فى القبض على من يشاءون دون تحديد ، وهو شئ لم يحدث ولا فى دنيا الغاب وعلى الصفحة التالية نقدم صورة زئكوغرافية لهذا القرار الجمهورى •

ليس عبد الناصر وحده :

ولم يكن الاستيلاء على أموال الشعب ولا تعذيب الأمنيين هدف عبد الناصر وحده ، فقد شاركه فى ذلك هشيره وأعوان المشير الذين كانوا يخفون فى أرض الحديقة عقب هزيمة ١٩٦٧ أكياس الذهب التى غنموها من مصر ، وفى مقدمة هؤلاء عباس رضوان وشمس بدران ••••• ووصل الثراء إلى الطبقة الثانية والثالثة من الضباط ، فقادة الجيش المصرى باليمن اتخيموا بأكياس الذهب التى أخذوها من دم مصر لتوزيمها على القبائل باليمن ثم استاثروا بها أو ببعضها ، وعلى شفيق وجدوا معه فى حجرته التى مات بها بلندن مليون جنيه استرلينى ، وقد كان لعل شفيق صلة بطالعت السادات ، ولذلك سنتكلم عنه فيما بعد عند حديثنا عن أسرة السادات ، أما عن التمزيب فإننا نكرر أن عدداً

(١) باشوات وسوبر باشوات : ص ٩٢ •

هذا نص قرار جمهوري بالقبض على المواطن محمد صلاح الدين عروس وآخرين دون
تجهيد . . . ومن الممكن للذين تسلموا هذا القرار لتنفيذه أن يقبضوا به على أهل مصر أجمعين . .

تسري

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ٢٨٧٢ مكرر لسنة ١٩٦٥

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن بعض التدابير الخاصة بأمن الدولة

تسري

مادة أولى : - اعتقال : محمد صلاح الدين عروس مصطفى (وشهرته
صلاح - وآخرين .

مادة ثالثة : - حجزوا بكان أمن .

مدير برئاسة الجمهورية في ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٨٥ هـ

٢٩٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ م

(انضام)

صورة طبق الاصل :



نسخ في يوم ٢٨/٢/١٩٦٦

عشوب :

كثيرا من الضباط استمتع بتعذيب الشعب ، وكان في القمة من هؤلاء
شمس بدران الذى كان يلقب كما قلنا « وزير التعذيب » .

نقاط أخرى من تراث عبد الناصر :

لا تزال هناك نقاط أخرى من تراث هذه الثورة المشؤمة ، ولا نملك
إلا أن نلم بها إلاما سريعا لتكتمل صورة مصر كما تركها الرجل الذى
تمتع بأعظم قدر من حب الشعب ، ولكنه لم يبرع ذمّة لهذا الحب ، وهذه
النقاط هى :

مواقف ضد الإسلام والمسلمين

من أخطر ما يجب إبرازه أن عبد الناصر وقف مواقف متعددة ضد
الإسلام والمسلمين ، وفي الجزء التاسع من هذه الموسوعة دراسات
عنوانها « شئ كان يتراد بالإسلام » ونضيف هنا بعض مواقف جديدة
من هذا النوع :

إعدام الإخوان وتحية للهاخام :

وحول إعدام الرعيل الأول من علماء الإخوان المسلمين وفي قمتهم
العالم القانونى المرحوم الأستاذ عبد القادر عودة ، بناء على حكم من
« محكمة الشعب » الذى كان أنور السادات أحد قضاتها ، حول إعدام
هؤلاء الأبرياء لاحظ المطلعون خبرا عجيبا ، فقد نشرت صحيفة الأهرام
التي كانت لسان النظام العسكرى بمصر ، يوم الأربعاء ١٢ ربيع الثانى
سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤/١٢/٨) خبرين هما :

١ — تنفيذ حكم الإعدام فى ستة من زعماء الإخوان المسلمين :
عبد القادر عودة ، وتنفيذ عقوبة السجن لحوالى الألف الذين حوكموا
أمام محكمة الشعب بتهمة الخيانة العظمى .

٢ — أوفد الرئيس جمال عبد الناصر الأستاذ صلاح الشاهد

تشريفاتي الرياسة للاستفسار عن صحة سيادة (حاييم ناحوم) الحاخام
الأكبر لليهود ، وإبلاغ سيادته تحيات الرئيس وتتمنياته بالشفاء العاجل .
ويعلق الباحثون على هذا الموضوع بقولهم : إعدام هنا واسترضاء
هناك .

ونقول إن من يفلت من الحساب في الدنيا لن يفلت منه في
الآخرة .

القابضون على الجمر :

وقد كُتِبَ الكثير عن تعذيب الإخوان وقتلهم والتككيل بهم ، وهو
شيء يفوق جرائم النازي والفاشيست واليهود ، وقد ألمنا ببعض ذلك
في هذا الجزء وفي الجزء التاسع من هذه الموسوعة ، وكتب كثير من
الباحثين عن هذه المآسى البعيدة عن الإنسانية ، والتي تدل على بعد
عن الأديان والأخلاق ، ولكني هنا أشير لكتاب مهم هو « القابضون على
الجمر » الذي ألفه الأستاذ محمد أنور رياض ، وهو كما يقول قصة
وتجارب عاشها شباب من أبناء هذا الوطن هم « الإخوان المسلمون »
الذين تعرضوا لأبشع أنواع التككيل والتعذيب ، ولأسوأ صور الإهدار
لحقوق الإنسان بل لحقوق الحيوان .

ويقرر الكاتب أنه رغم ظلام المحنة ودماء الضحايا يظل الإيمان
ثابتاً ، وعندما تواتيه الفرصة ينطلق لينير بهداية الله طريق الحائرين (١) .

المقارنة بالرسول عليه الصلاة والسلام :

وقد نشر أن أحد المحافظين وقف أمام عبد الناصر ، وألقى خطاباً غليظاً
قال فيه : إنك أيها الرئيس ما عبست وما توليت (وكان يقصد بذلك أن
الرسول عليه الصلاة والسلام عبس وتولى أن جاءه الأعمى ..) ولكن
عبد الناصر لم يعبس ولم يتوك ، وعلق الكاتب على ذلك بأن عبد الناصر

(١) اقرأ كتاب « القابضون على الجمر » .

لم يعبس ولم يتول ، ولكنه نفخ الناس وجلدهم وصعقهم بالكهرباء
وشنقهم ظلما ، وسجنهم بلا جريمة •

عدوان على الإسلام والدعوة الإسلامية :

ويقرر الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف سابقا أن مذبحة^١ حدثت
للأوقاف الإسلامية في عهد عبد الناصر فقد صدر قانون سنة ١٩٥٧ يقضى
بتسليم أراضي هذه الأوقاف الإسلامية للإصلاح الزراعي لتوزع على
الفلاحين ، وكانت هذه خطة مدبرة للقضاء على الإسلام ومحاربة الدعوة
الإسلامية ، وفي عهد أنور السادات استطعنا أن ننقذ ما يمكن إنقاذه^(١) •

ولنعد لسرد بعض مثالب العصر ، ولتتبع غاية الإيجاز :

- قضايا تصفية الإقطاع والمعاناة التي نزلت بالملك دون عدل أو
رحمة ، ويطلق عليها سيد مرعى « سنوات الجحيم السياسى »^(٢) •
- نهاية القطاع الخاص والاعتماد على الحكومة فى كل شئ •
- العلاقات الدبلوماسية أصبحت مقطوعة مع أكثر دول العالم •
- قضية الدكتور أنور الفتى واتهام عبد الناصر بقتله •
- الاضطراب الاقتصادى الذى شمل الجميع •
- مديرية التحرير والجرائم التى اتصلت بها •
- اختلال الأخلاق اختلالا خطيرا حتى أصبحت الرشوة عملا
عاديا •
- الجرائم التى ارتبطت بالحراسات من نهب واختلاسات •

أسس الاضطرابات الاقتصادية :

من أهم أسس الاضطرابات الاقتصادية التى نعانيها حتى الآن ، اختفاء
الرصيد الذهبى لمصر والذى كان مودعا فى خزائن البنك المركزى المصرى ،

(١) مضبطة مجلس الشعب فى فبراير سنة ١٩٨٠ •

(٢) أوراق سياسية ٢ : ٤٢٣ •

ولا يعلم أحد حتى اليوم أين اختفى هذا الرصيد الذى يبلغ ٥٠٠ مليون من الجنيهات الذهبية الانجليزية (١) اللهم إلا أن يكون هو الذى ظهر أخيرا مع الأبناء والأصهار . ومما يؤيد القول بأن الرصيد الذهبى لمصر انتقل إلى ثروة خاصة بورثة عبد الناصر ما ذكره الدكتور محمد عصفور فى مقال نشره بصحيفة الوفد بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٨ من أن عبد الناصر — فى أثناء عدوان ٥٦ — نقل الرصيد الذهبى والمعدنى إلى مقره بحجة حمايته من غزو انجليزى فرنسى إسرائيلى متوقع ولم يعد هذا الرصيد .

وقد فصل الأستاذ محمد فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد الذى كان وزيرا للمالية فى عهد وزارة الوفد سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، فصل القول فى هذه الملايين التى أضاعتها الثورة فقال ان منها ٦١٥ مليون جنيه من الذهب استردتها حكومة الوفد من الولايات المتحدة الأمريكية وأودعتها خزائن البنك الأهلى المصرى ، ومنها ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى كانت مصر تدين بها بريطانيا ، وعقد فؤاد سراج الدين اتفاقية تعهدت بريطانيا بموجبها أن تسدد هذا المبلغ خلال ٣ سنوات ، وقد سددها فعلا ابتداء من سنة ١٩٥٢ .

فأين ذهبت هذه الملايين التى ورثتها الثورة ؟

غزوة لا ثورة :

وهكذا ضرب نظام الحكم الثورى أفحش مثال لحكم الغزاة والمستعمرين ، حتى ليصدق قول نقيب أسبق للصحفيين : إن ما حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو لم يكن ثورة وإنما كان غزوة ، وما كانت هذه الغزوة غزوة جيش متعاد للشعب المغزوء ، وإنما كانت غزوة بعض الضباط الثبان المغامرين والمتسجرين بالشعارات ٥

(١) دكتور ابراهيم دسوقي أباطة : الخطايا العشر ص ٤٣ وما بعدها والبحث عن الذات لأنور السادات .

جهل الثوار وما أوقعه بمصر من هزائم عسكرية

إذا التمسنا العذر بشكل ما للثوار في جهلهم بالأمور الاقتصادية ،
والتمسنا لهم العذر كذلك في جهلهم بالأمور الاجتماعية والثقافية ،
فإننا لا يمكن أن نلتمس لهم العذر في الكبوات العسكرية التي أنزلوها
بمصر ، فالمفروض أنهم عسكريون لهم ثقافة وخبرة في إعداد الجيوش
 وإدارة المعارك ، ومن هنا فإن ما نزل بمصر من هزائم في عهدهم يعتبر
جرائم مضاعفة •

والحق أن هزائم عبد الناصر فاقت في خطورتها كل تقدير ، ولم يكن
عبد الناصر وحده هو الذي أثبت جهله بالأمور العسكرية ، بل إن مشيره
يقاسمه هذه الجهالة ، ثم يجيء شمس بدران وزير الدفاع الذي دفعه
جهله بالشئون العسكرية ليسخر من الأسطول السادس ويعلن أن عندنا
ما يقضى عليه •

ولنعط بعض اللمحات التفصيلية عن هزائم هذا العصر : (١٩٥٦ ،
والحركة الانفصالية — وحرب اليمن — وحرب ١٩٦٧) تلك التي كانت
شديدة التأثير في عصر السادات •

وفي مجال الأمور العسكرية نعتمد على العسكريين ، ونبدأ بباحث
عسكري شغل أخطر المناصب بمصر هو محمد حافظ إسماعيل الذي شغل
منصب الوزارة والسفارة أكثر من مرة ، وكان رئيساً للمخابرات سنة
١٩٧٠ ومستشار الرئيس للأمن القومي بعد ذلك ، وهذه الاقتباسات
من كتابه « أمن مصر القومي في عصر التحديات » وهو باحث غير متهم ،
يقول محمد حافظ إسماعيل •

تناقض الحياة العسكرية مع الحريات العامة :

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو لم يثق أغلب رجال السياسة في
العالم في إمكان أن تمارس قيادة عسكرية سلطة الحكم دون عدوان

على الحريات العامة والديمقراطية ، ويستمر سيادته فبنتحدث عن :
« اللهم » ونتائج تأميم القناة فيقول :

بنى عبد الناصر رأيه في تأميم القناة على أساس أن :

• * الولايات المتحدة لن تشترك في عمل عسكري •

• * وبالتالي لن تتقدم إسرائيل على الحرب مادامت لم تثق في
معاونة الولايات المتحدة •

• * فرنسا مشغولة في حرب الجزائر •

• * بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن تتصدى لمصر ، ولكن
مركزها المالي واحتمال قطع إمداداتها من البترول سيحولان دون ذلك (١) •

وأتمَّ عبد الناصر القناة على أساس هذا الوهم ، وضاعت
تقديرات هذا « اللهم » هباء ، واشتركت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في
العدوان (٢)

وانطلقت القوات الجوية الحلفاء في ٣١ أكتوبر وسرعان ما دُمِّرت
قواتنا الجوية ، ولم ينج منها إلا طائرات النقل التي أرسلت إلى الخرطوم
وجدة ، ومع تحقيق السيادة الجوية للمهاجمين اتجهت القوات المعادية
لقصف الأهداف الاقتصادية ومحطات الإذاعة (٣) •

تلك كانت كلمات اللواء محمد حافظ إسماعيل عن « اللهم »
واستسلامه للإلهاام الزائف •

رفض كل دليل يخالف إلهاام الرئيس :

ولنسر مرحلة أخرى مع تحذير آخر أو تحذيرات أخرى قويصة
رفضها عبد الناصر لأنها لم توافق إلهااماته ، ونزلت الكوارث بالشعب

(١) محمد حافظ إسماعيل : أمن مصر القومي في عصر التحديات

ص ٥٣ •

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ •

نتيجة هذا الرفض ، يقول المرحوم الأستاذ مصطفى شردي البورسعيدى
في مقال له بصحيفة الوفد في ١٧/١١/١٩٨٨ •

في منتصف أكتوبر ١٩٥٦ عاد أستاذي المرحوم على أمين من رحلة
عاجلة قام بها إلى كل من باريس ولندن لاستطلاع الموقف بعد تأميم
شركة قناة السويس ، وفي الاجتماع الأسبوعي الذي كان يعقد يوم الجمعة
في الدور التاسع بدار « أخبار اليوم » ، تحدث على أمين إلى أسرة
الدار عن رحلته ، وقال إن مصادره في العاصمة البريطانية بصورة
خاصة ، أكدت له أن لندن وباريس قررتا خوض حرب ضد جمال
عبد الناصر ، وأن تدخلًا مسلحًا سيقع بهدف استرداد قناة السويس
بالقوة ، وأنه من المنتظر أن يحدث ذلك خلال أسبوعين أو ثلاثة ، وأن
سفن الأسطولين البريطانيين والفرنسي يتم حشدتها وإعدادها بإحدى
جزر البحر المتوسط ، وأن طبيعة المعدات العسكرية التي شحنت ، تشير
إلى اعتزام الحكومتين البريطانية والفرنسية غزو مصر •

وأبرز على أمين رحمه الله صورة فوتوغرافية ، قال إنه حصل
عليها ، وكانت لسفينة من حاملات الدبابات البرمائية أثناء شحنها ، وقد
بدت الدبابات منقوشًا عليها حرف « H » الذي تبين بعد ذلك أنه
شعار القوات التي غزت بورسعيد •

وعندما سمعنا تلك المعلومات خيم علينا الصمت • وما لبث الزميل
المرحوم محمود عبد السميع أن سأل على أمين قائلاً : هل أبلغت سيادتكم
هذه المعلومات إلى الرئيس جمال عبد الناصر ؟ وأجاب على أمين حزينا
نعم •• ولكنه لم يصدقها •• وقال إن كل هذه المعلومات هدفها
التهويل •• •• •

وصوب على أمين نظراته إلى وقال : أريد منك أن تذهب إلى
بورسعيد ، وتكون متأهبًا تمامًا •• فلست أعتقد أن هذا كله مجرد
تهويل •• ••

وعدت إلى بورسعيد • وحوالى يوم الثانى والعشرين من أكتوبر ، دخلت مكتب المهندس محمد توفيق الديب بهيئة قناة السويس فى الصباح الباكر فوجدته واجما على غير عادته وقال لى إن قباطنة السفن القادمة من البحر المتوسط أبلغوا مرشدى هيئة قناة السويس ، أن أسطولا ضخما يتجمع بالقرب من مياها الإقليمية ، وأن قيادة هذا الأسطول توجه رسائل إلى السفن المتجهة إلى القناة ، بعدم التباطؤ فى المياه المصرية لأى سبب ، ولو كان إجراء بعض الإصلاحات ، وتوصى بالإبراق للشركات مالكة تلك السفن بأن خط العودة قد يتغير خلال أسبوعين أو ثلاثة •• !

وتذكرت على الفور حديث على أمين ، ورويته للمهندس الديب ، وكيف أن الرئيس عبد الناصر رفض أن يصدق وأجاب المهندس الديب فى أنسى شديد ، أنه أبلغ ما لديه من معلومات إلى كل من المهندس محمود بونس رئيس هيئة القناة رحمه الله ، والمهندس عبد الحميد أبو بكر نائبه متعه الله بالصحة ، وأنهما اختارا المرحوم الشهيد محمد شوقى خلاف ، وكان من ضباط القوات المسلحة الذين شاركوا فى عملية تأمين القناة ، وأوفداه إلى الرئيس عبد الناصر لإبلاغه بالموقف ، وقد عاد شوقى خلاف رحمه الله من القاهرة ، وقال إن الرئيس رفض أن يصدق ، وأكد له أن هذا كله مجرد حرب أعصاب •• !

وسألت توفيق الديب عن رأيه ، وكنت أكنش له احتراما ومودة عميقة ، فقال لى الرجل : إننى أعتقد أن بورسعيد بالذات سوف تتعرض لاعتداء عسكرى ، وينبغى أن نستعد لذلك •

أما الاستعداد الذى كان الرجل يراه ، والذى كان يطالب به أيضا الرجل العظيم محمد رياض محافظ بورسعيد فى ذلك الوقت ، فهو تهجير النساء والأطفال ، وإعداد المستشفيات لحالة حرب ، وتخزين كميات من المواد التموينية ، ولم يحدث شئ واحد من ذلك كله ، بل إن القاهرة نهزت المحافظ عندما ألح بشدة للسماح له بتهجير النساء والأطفال وكبار (م ١١ - التاريخ الإسلامى)

السن ، واتهمته بأنه فقد أعصابه . والغريب أن الذين احتفظوا بأعصابهم وسط إعصار النار والدم الذي عشناه في بورسعيد بعد ذلك ، كانوا أربعة رجال : أولهم المرجوم حامد الألفى زعيم الوفد ببورسعيد ، وثانيهم محمد رياض المحافظ وثالثهم جمال عزب قائد قوات الأطفال ، ورابعهم حسن رشدي رئيس القلم المخصوص أو المباحث العامة . وقد استطاع الرجال الأربعة قيادة أبناء المدينة لمواجهة الهول الذي نزل بها ، وتطوير آثاره ، وقاد حامد الألفى عمليات دفن أكثر من خمسة آلاف شهيد سقطوا خلال ستة أيام ، وذلك خوفا من تعفنها ، تماما كما قاد رجال الاسعاف في أثناء الحرب ، ثم في أثناء فترة الاحتلال ، أما محمد رياض فقد جلس في مكتبه مهيبا وقورا شامخا ، يتحدث إلى قيادات قوات الاحتلال في شجاعة وكبرياء وصلابة .

وليس معنى ذلك أن الرجال الأربعة وحدهم كانوا أبطال الموقف ، لأن البطولة توزعت بالتساوي على جميع أبناء المدينة الباسلة ، الذين حملوا السلاح وخاضوا قتالا ضاريا في الشوارع ومداخل البيوت ، ولم تؤثر في روحهم المعنوية جثث الشهداء التي غطت الشوارع ، وسبعة آلاف جريح كانوا فريسة الرصاص وشظايا القنابل ، حتى عندما أشعلت القوات الغازية النار في أحياء المدينة ، وارتفع اللهب كأنه تلال حمراء عالية ، ظل أبناء بورسعيد ، شبابا ورجالا وشيوخا ، يقاتلون في الشوارع ، حتى نفذت ذخيرتهم ، وعز الماء ، وتكاثر عليهم طوابير الدبابات ، ولكنهم كانوا قد تمكنوا من تعطيل الغزاة لثلاثة أيام . أحدثت خلا جسيما في خطة الحرب ، وغيرت وجه التاريخ .

من المسئول عن هذه الأرواح وتلك الدماء وهذا الخراب ؟

جيش مصر يلجأ للشعب عند الهزيمة :

ولجأ الجيش المنهزم إلى الشعب فوزع عليه الأسلحة لمواصلة القتال في المناطق التي كان الجيش ينسحب منها ^(١) ، وكانت هذه هي عادة

(١) أمن مصر القومي في عصر التحديات ص ٦٢ .

الجيش دائماً ، يعتمد على الشعب في حمل عبء المقاومة كلما تقهقر ، حدث ذلك سنة ١٩٥٦ في بورسعيد وحدث في مدن القناة إبان الحرب سنة ١٩٦٧ (١) .

والعجيب أن الجيش يقهر الشعب ، فإذا انهزم الجيش تحمل الشعب مسئولية المعركة ونسى ما عاناه من جيشه .

مدى الهزيمة سنة ١٩٥٦

— عن مدى الهزيمة سنة ١٩٥٦ يقول محمد حافظ اسماعيل : فقدت مصر سيناء وبورسعيد كما دُمِّرت قواتها الجوية بصورة تكاد تكون تامة ، وتحملت الوحدات البرية خسائر كبيرة خلال انسحابها من شمال سيناء ، واستسلمت بعض العناصر العاهلة والحرس الوطني التي دانت مرابطة في شرم الشيخ وفي غزة (٢) .

— في هذه المعركة ظهر الخلاف بين ناصر وعامر ، وقال ناصر : إن جيشي قد هزمى (٣) .

المعون العربي والعالمي :

— كان الموقف الذي اتخذته الشعوب العربية ، وإدانتها للعدوان وتصديها للمصالح الغربية الحيوية عاهلاً هاماً في تحديد مصير الحرب ، وكذلك كانت وقفة الرأي العام العالمي ، مما أدى في النهاية إلى زلزلة الاستعمار في الدول الصغيرة (٤) .

أهل الثقة وأهل الخبرة :

— ظهر تعبير « أهل الثقة » أول ما ظهر في وزارة الخارجية حيث

(١) أمن مصر القومي في عصر التحديات ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .

(٤) نفس المرجع ص ٦٥ .

دفعَت الثورة بعدد من العسكريين ليشغلوا مناصب دبلوماسية باسم
أنهم « أهل الثقة » أما الدبلوماسيون فكانوا « أهل الخبرة » ثم اتسع
المجال فظهر « أهل الثقة » في كل مكان ، وكان التسلسل العسكري
صدمة للمفكرين من غير العسكريين (١) .

طموحات عبد الناصر ونتائجها المدمرة :

— شملت طموحات عبد الناصر الجوانب التالية :

١ — تبَنَّى « القومية العربية » فأعلن أن مصر تشكل جزءا عضويا
من الكيان العربى الكبير ، ثم طوَّر ذلك إلى وضع أخاف الكثيرين من
العرب وكان ذلك إبان الوحدة مع سوريا ، إذ أعلن إن الدولة الجديدة
قاعدة للتطور نحو الاشتراكية ، وكان عبد الناصر فى تدخله العربى مزعجا
إذ أعلن قوله : نحن مسئولون عن حرية الأمة العربية فى كل وطن عربى ،
وعن تحقيق العدالة الاجتماعية فى جميع أنحاء الأمة العربية (٢) .

٢ — شكل برياسة الجمهورية « مكتب الشؤون الافريقية » بتكاليفه
الباهظة .

٣ — اشترك فى بناء مؤسسة الدول غير المنحازة ، وتدخلت مصر
بجيوشها فى مشكلات الكونغو .

٤ — كان تدخل العسكريين فى اليمن شديد الخطر ، ولقد نظمت
السعودية والأردن حلفا بينهما ، وقيادة مشتركة لقواتهما فى القواعد
الأممية بنجران وجيزان على حدود اليمن الشمالية ، وأسهمت الباكستان
وبريطانيا فى نقل الأسلحة جوا إلى السعودية ، وانتهزت إسرائيل فرصة
ما تواجهه مصر من عداء عسكرى ونفقات اقتصادية باهظة ومن بُعد

(١) المرجع السابق ص ٨٣ .

(٢) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى ص ٨٧ .

٧٠ ألف مقاتل عن مصر وانتشارهم هناك في جبال اليمن وضربت ضربتها القاصمة سنة ١٩٦٧ •

والحديث عن اليمن يحتاج لإضافة مهمة تلك هي دور السادات في اشراك مصر في تلك الحرب ، فبعد الانفصال سنة ١٩٦١ أشيع أن عبد الناصر فقد اهتمامه بالعمل العربى ، وهذه الإشاعة أثرت على الزعيم الذى لم يترد أن يفقد نفوذا كان يجد فيه متعة عظيمة ، ثم جاء السادات يصور للزعيم أن دخول مصر معركة اليمن سيكون غنيمة بدون جهد ، وانساق الزعيم لذلك إلى حتفه ، ولم تجيء سنة ١٩٦٥ إلا كان لمصر في اليمن سبعون ألف مقاتل ، وهذا هيا الفرصة لإسرائيل فضربت ضربتها القاضية ^(١) وقد تحدثنا عن مشكلة اليمن من قبل •

لم تنصرف مصر للبناء الداخلى :

— يقرر محمد حافظ اسماعيل أن كل هذه الأشياء جعل الأمل في أن تنصرف مصر للبناء الداخلى لا وجود له ، واستهلكت بذلك البنية الأساسية تماما ، فشبكات الطرق ، والسكك الحديدية ، والكهرباء ، والمياه ، والمجارى ، والتليفونات ، لم تمتد إليها يد الإصلاح أو التطوير منذ سنوات طويلة ^(٢) •

— وكانت الزراعة تعاني من تراجع شديد في الإنتاج بسبب نقص المساحة المزروعة بحوالى مليون فدان ، وقلة اليد العاملة ، وضعف الميكنة الزراعية ، ونادرة الصناعات الزراعية ، وللأسف نواجه في مصر قلة اليد العاملة ونواجه بطالة واسعة ، ووجود هذين الضدين شيء عجيب •

(١) مذكرات محمود رياض ج٢ ص ٢٧٠ - ٢٧٢ بايجاز •

(٢) أمن مصر القومى ص ٩٤ •

— وعانت الصناعة كذلك من انخفاض كبير في الكم ، وتدهور هائل في الكيف بسبب فوضى الإدارة ، وضخامة العمالة ، واستهلاك الآلات .
وهكذا ضاعت مصر وعبد الناصر مشغول باتساع نفوذه عن طريق الدوائر التي ابتكرها وغرق فيها ^(١) .

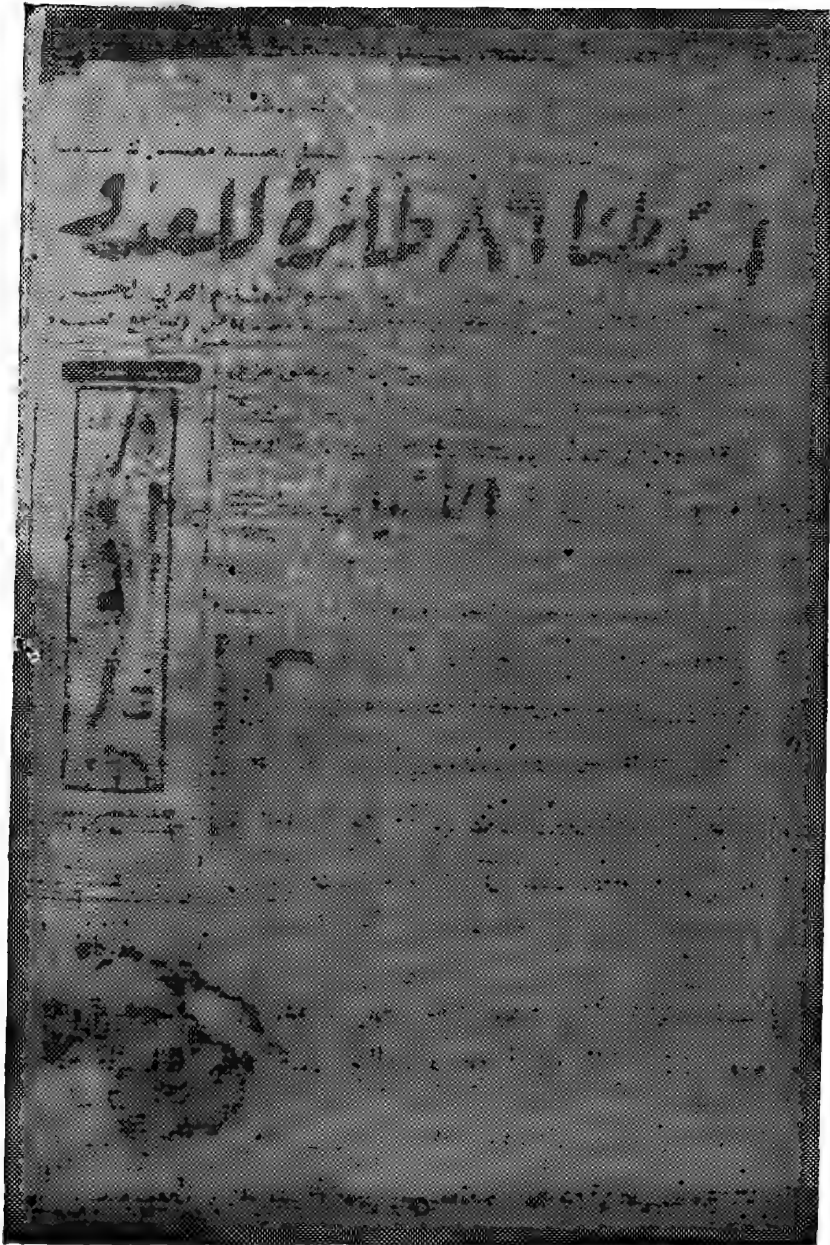
حرب يونيو ١٩٦٧

إن الفجيرة الكبرى التي حدثت لمصر في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ هزمت مصر هزماً عنيفاً ، ونزلت بسمعتها إلى القاع ، وللأسف رقص النواب للمنهمزم بدل أن يحاسبوه ، وعندما بدأت المعركة صدرت التعليمات للصحافة المصرية المملوكة للحكومة أن تكذب وأن تدعى أننا انتصرنا ، وكأن النصر أو الهزيمة شيء يمكن أن يخفى ، وهذا يدل على عمق البلاء ، وسرعان ما اتضحت الحقيقة الفاجعة ، وعلى الصفحة التالية صورة من صور النصر المزيّف .

وفي كل يوم تظهر معلومات عن هذه الحرب يشيب لها الولدان ، ونحن نرصد هنا هذه المعلومات لعلها في يوم من الأيام تجد من ينعنى بها ، ويحاسب المسئول عن هذه المأساة .

وفي مذكرات الفريق أول محمد فوزي أحاديث مهمة عن الظروف التي سبقت هذه الحرب والتي أدت إلى نتائجها ، ونقتبس من أحاديثه لمحات تبرز لنا ما يمكن أن يكون خافياً على الكثيرين ، وأبرز ما يكرره الفريق أول محمد فوزي هو الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، ذلك الصراع الذي بدأ مبكراً ، والذي كان يهدف إلى التسابق في السيطرة على الجيش ، وقد كان عبد الناصر أسبق من عبد الحكيم عامر في الاتصال بالوحدات المختلفة بالجيش ، وفي ضمان ولائها له وكان ذلك قبل الثورة ، ولكن وجود عبد الحكيم عامر بعد الثورة كنائب أول للرئيس ، وقائد

(١) دكتور إبراهيم دسوقي اباطة : الخطايا العشر ٦٠ - ٦١ .



عام للجيش جعله أقرب إلى قيادات الجيش من عبد الناصر ، وبخاصة أنه اعتمد على شمس الدين بدران وكان هذا ورفاق دفعته لا يتجهون بالولاء إلا إلى عبد الحكيم عامر .

وقد حاول عبد الناصر — كما يقول محمد فوزى — إقصاء المشير عن الجيش عدة مرات :

١ — كانت المحاولة الأولى في عام سنة ١٩٥٦ عقب العدوان الثلاثي وما سببته لمصر من خسائر .

٢ — أما المحاولة الثانية فكانت في أكتوبر سنة ١٩٦١ عقب انفصال سوريا عن مصر ، وما نشب لعامر من أنه من أهم أسباب الحركة الانفصالية .

٣ — والمحاولة الثالثة كانت في نوفمبر سنة ١٩٦٢ حينما حاول « مجلس الرياسة » أن تكون له سلطة التعيين والترقى بدءاً من رتبة العقيد ، وقد قيل إن هذا الطلب كان بإيعازٍ من عبد الناصر .

والمعجيب أن عبد الناصر هُزِمَ في هذه المحاولات ، بل أنه أصدر قرارات تزيد اختصاصات المشير ، وكان في ذلك مغلوباً على أمره ، أما هذه القرارات فهي :

١ — قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٧٨ سنة ١٩٦٢ الذى ترك المسؤولية كلها الخاصة بالجيش والدفاع عن البلاد إلى المشير عامر .

٢ — قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٧ لسنة ١٩٦٤ الذى نقل اختصاصات وسلطات القائد الأعلى إلى نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

٣ — قرار رئيس الجمهورية رقم ١٩٥٦ لسنة ١٩٦٦ بأن يتولى شمس بدران معاونة نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في ممارسة اختصاصاته ويكون مسئولاً أمامه .

وهكذا نجد تضاربا خطيرا بين محاولة اقضاء عامر أو تقليل سلطاته ، وبين توسيع هذه السلطات على حساب رئيس الجمهورية الذي ظهر مغلوبا على أمره (١) .

المشير يهدد :

وعندما أحس عامر بالضغط عليه مرة من عبد الناصر سافر إلى مرسى مطروح بعد أن كتب استقالته ، وختمها بقوله :

إنه يرجو ألا ييدر من أحدٍ ما قد يندم عليه مستقبلا (٢) .

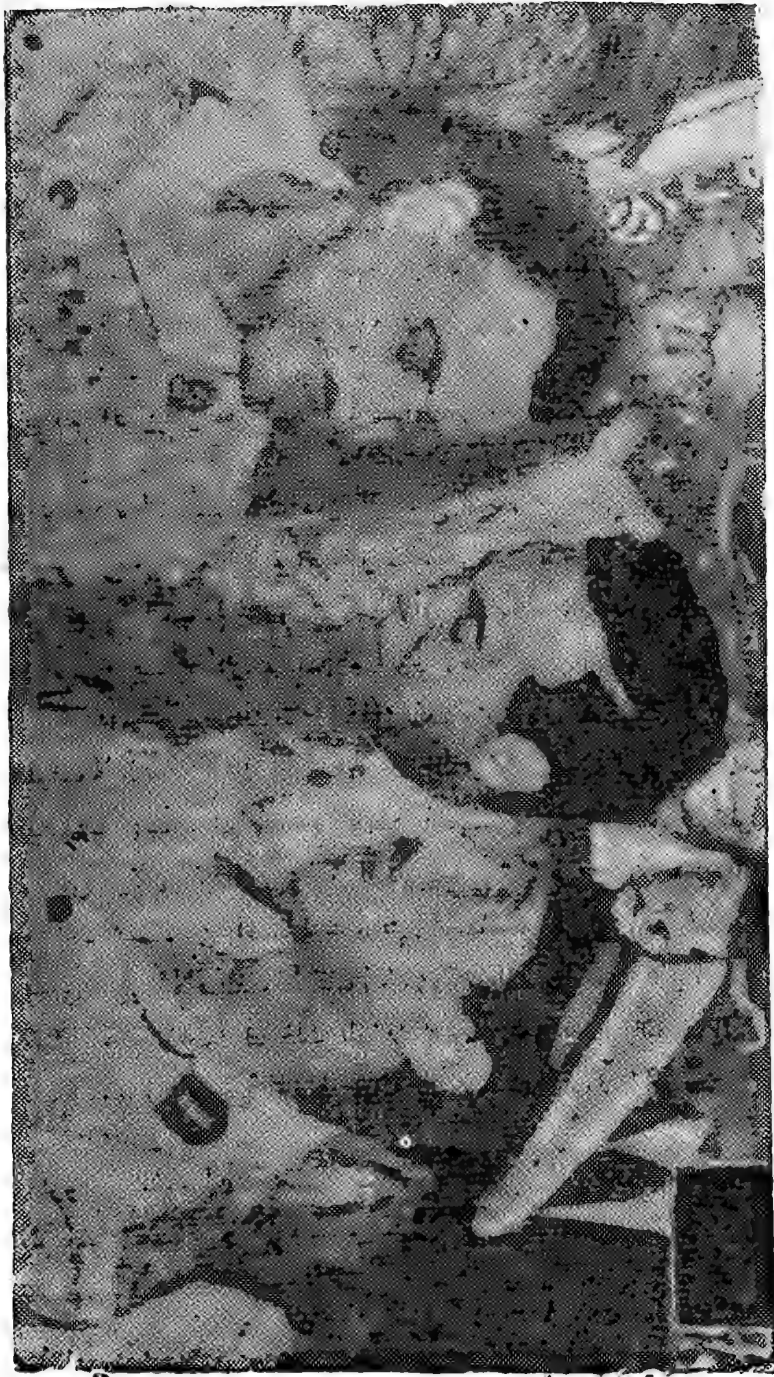
وكانت هذه الاضطرابات بين الرئيس ومشيره من أهم أسباب ضعف الجيش وإثارة الخلل فيه ، ونضيف إلى ذلك أن المشير لم يكن حريصا على تقوية الجيش بقدر حرصه على السيادة عليه ، ومما يدل على عدم الحرص ما يذكره الأستاذ محمود رياض من أنه التقى مرة بعبد الحكيم عامر وعبد الناصر ودار الحديث حول ضرورة استعداد الجيش لمواجهة التحرش الذي تهديه إسرائيل من حين إلى آخر فطمأنه عبد الحكيم على ذلك ، ثم أخرج عبد الناصر ورقة من جيبه وناولها لمحمود رياض وكان آنذاك وزيرا للخارجية وقال له إن عبد الحكيم عامر يريد نقل عشرة من الضباط هذه هي أسماءهم إلى وزارة الخارجية ، ودهش رياض لأن هؤلاء الضباط كانوا ذوى كفاءات عالية ، وكان الجيش في حاجة ماسة لهم وبخاصة في ذلك الوقت ، وكان من بينهم أحمد اسماعيل الذى أصبح وزيرا للحربية ونفذ خطة العبور فيما بعد (٣) .

إن أرواح الشهداء ستمسك بتلابيب هؤلاء الأوغاد ، الذين كانوا يهتمون بالجيش حسب « المزاج » وليس حسب الكفاءات .

(١) الفريق أول محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ٣٤ - ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٣) مذكرات محمود رياض ص ٤٤ .



الصديقان اللوديان : رمزان للهزائم وبينهما النائب الوفدي الاستاذ على حافظ

وبمناسبة طلب نقل هؤلاء الضباط إلى وزارة الخارجية نذكر أن الضباط من مطلع الثورة انسحبوا في كل المواقع والمرافق : في السفارات ومجالس الإدارات والحكم المحلي والقطاع العام ، وكان ذلك من أسباب انهيار هذه المواقع لقلة خبرة هؤلاء الضباط بهذه الأعمال ، لقد خسرهم الجيش ، وضعت بسببهم الأعمال المدنية ، ولكنهم كانوا « أهل الثقة » كما ذكرنا من قبل .

المشير يرفض طلبات عبد الناصر :

وفي رحلة رسمية لعبد الناصر بطريق البحر كانت هناك مدمرتان تحرسان الباخرة التي يركبها عبد الناصر ، ولكن المدمرتين تعطلتا في البحر قبل أن يصل الركب إلى غايته ، وغضب عبد الناصر لذلك ، وطلب من المشير عقاب مَن أهمل في إعداد المدمرتين ، ولكن المشير لم يذعن لطلب الرئيس (١) .

ويحايى العسكريين على حساب المدنيين :

وتمادى المشير لإذلال عبد الناصر فاستصدر قانوناً بأن المواطن المدني الذى يشترك في خصومة مع فرد عسكري يقدم إلى محكمة عسكرية ، وقدّم هذا القانون إلى مجلس الأمة في مايو ١٩٦٦ وتم اعتماده في دقائق دون مناقشة (٢) .

وللمشير ميزانية نثرية خاصة :

وكما كان لعبد الناصر ميزانية خاصة باسم « مصروفات سرية » تقدر بمليون جنيه في العام ، فقد كان للمشير عامر « ميزانية نثرية » كان حجمها السنوى قدره مليون ونصف إلى ٢ مليون جنيه ، وكانت هذه

(١) مذكرات محمود رياض ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ .

الميزانية الضخمة لا توضع تحت رقابة الدولة ، وإنما تصرف بإمضاء
أى ورقة من المشير أو شمس بدران أو على شفيق (١) .

منح ومكافآت للقوات المسلحة :

عمل المشير على كسب ولاء القوات المسلحة لشخصه فاستجاب
لرغبات أفرادها دون حدود ؛ وشمل ذلك المساكن وصرف السيارات
المدنية ، وزيادة المرتبات ، وكثيراً من المنح والتيسيرات لهذا الغرض (٢) .

المعركة :

تلك مقدمات أوجزناها مما كتبه محمد فوزى ومحمود رياض ، فإذا
سرنا مع الفريق محمد فوزى إلى معركة ١٩٦٧ ، نراه أثبت صوراً عجيبة
كان لابد أن تحقق الهزيمة ، وفيما يلي نلتقط لمحات من هذه التصرفات .

— يثبت الفريق محمد فوزى أن أمريكا خدعت مصر بأن إسرائيل
لن تضرب الضربة الأولى ، وأكدت أمريكا ذلك لعبد الناصر ، وفي نفس
الوقت كانت أمريكا تعد العدة مع إسرائيل لضرب مصر (٣) .

— وردت برقيات إنذار من مكتب مخابرات العريش بقيادة
المقدم إبراهيم سلامة ، ومن الفريق عبد المنعم رياض الذى كان
آنذاك بالأردن ، وهذه البرقيات تفيد أن إسرائيل تتحرك لضرب
مصر ، ولكن هذه البرقيات لم تصل إلى القيادة العامة إلا
متأخرة ، ولو وصلت فى وقتها وتحرك الجيش بمقتضاها لكان من الممكن
أن تتغير الصورة ، وإذا صح ذلك فإن خيانة عظمى تكون وراء هذا
التأخير (٤) .

(١) المرجع السابق ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) حرب الثلاث سنوات ص ١٤١ - ١٤٣ .

(٤) محمود رياض : مذكراته ص ٦٤ .

ومحمد فوزى المرجع السابق ص ١٣١ .

— أصدرت قيادة الدفاع الجوى أمراً إلى جميع المطارات وجميع عناصر الدفاع الجوى بين القاهرة وسيناء بالتوقف عن إطلاق النيران في المدة من الساعة الثامنة إلى الساعة التاسعة صباح يوم ١٩٦٧/٥/٥ لأن طائرة المشير كانت في الجو^(١) .

والذى أصدر هذا القرار يرى أن سلامة المشير أسمى من سلامة مصر .

ويقرر محمد فوزى أن المشير تسرع في تحقيق الهزيمة على مصر وذلك بأن أصدر في الساعة الخامسة وخمسين دقيقة صباح يوم ٦ يونية أى في اليوم التالى لبدء المعركة ، أصدر إشارة لاسلكية من القيادة العليا بانسحاب القوات المصرية إلى غرب القناة ويقول الفريق أول محمد فوزى إن القوات البرية في سيناء كانت متماسكة ولم يكن هناك ما يستدعى إطلاقاً التفكير في انسحابها .

ومن ذلك يقول محمود رياض^(٢) : إن عبد الحكيم عامر هو الذى أصدر الأمر العشوائى بالانسحاب الشامل من سيناء ، وهو القرار الذى كان بمثابة حكم بالإعدام على قواتنا ومعداتنا المنسحبة من الجبهة . — ثم أصدر المشير قراراً آخر بانسحاب القوات بأسلحتها الشخصيه فقط إلى غرب القناة^(٣) أى أمر بترك الأسلحة الثقيلة .

ويورد الفريق أول محمد فوزى^(٤) قائمة بخسائر هذه الحرب وهى خسائر هائلة في الأفراد والمعدات ، ويكفى أن نذكر منها

أنها في القاذفات الثقيلة كانت ١٠٠٪
وفي القاذفات الخفيفة كانت ١٠٠٪ كذلك .

(١) محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ١٣٤ .

(٢) مذكرات محمود رياض ص ٧٩ .

(٣) محمد فوزى : حرب الثلاث سنوات ص ١٥٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦٠ .

وفي معدات القوات الجوية والدفاع الجوي كانت ٨٥٪ •

وفي معدات القوات البرية ٨٥٪ •

ويذكر الأستاذ محمود رياض أنه كان من الممكن ألا تتجاوز الخسائر ٢٠٪ لو وزعت الطائرات بطريقة أفضل^(١) بدلا من تدميرها وهى رابضة على أرض المطارات العسكرية صباح الخامس من يونيو^(٢) •

وبعد يومين من بدء المعركة أصبحت القوات المسلحة بلا قيادة وذلك قاع الهاوية^(٣) •

ولنترك محمد فوزى لتفسير خطوات أخرى مع حرب ١٩٦٧ وقادتها النعساء ، والحق أن القوات المصرية لم تكن مستعدة للدخول في معركة مع إسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وهذه حقيقة واضحة ، ولذلك فكل تحرش بإسرائيل كان معناه تسليم الجيش المصرى ومعداته وأرض مصر للعدو •

ويقول الفريق أنور القاضى فى لقاء مع وجيئه أبو ذكرى نشر بصحيفة الأخبار فى يونيو سنة ١٩٨٨ ما يلى :

فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٦٦ (أى قبل نشوب الحرب بأقل من ستة أشهر) أرسلت هيئة العمليات للقوات المسلحة تقريراً هاماً إلى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة « الفريق محمد فوزى » الذى وافق عليه ، وفيه تحذير من الدخول فى مواجهة مع العدو الإسرائيلى ، وتجنب مواجهة إسرائيل فى هذه المرحلة بقدر الإمكان ،

(١) مذكرات محمود رياض ص ٦٣ •

(٢) المرجع السابق ص ٦١ •

(٣) المرجع السابق ص ١٦١ •

ولقد ذكر في هذا التقرير أن الكفاءة القتالية للقوات المسلحة ليست في أحسن حالاتها ، وأن التجهيزات دون المستوى ، وأن المعدات مستهلكة تقريبا بسبب حرب اليمن • وأن لدينا نقصا في الأفراد بسبب اليمن لا يقل عن ٣٧٪ وأن أرض المعركة لم يتم تجهيزها وسوف يستغرق ذلك وقتا طويلا ، وأن القوات ينقصها الكثير حتى يمكن تنفيذ الخطة « قاهر » ، وهي الخطة الدفاعية التي وضعتها القوات المسلحة قبل الحرب بفترة طويلة ، وأن الوقت الذي يمكن أن يتم فيه كل هذا يحتاج إلى شهور طويلة وأموال طائلة وجهد وعرق ، ولقد حرصت أن أقول بصوت مرتفع يجب أن نتجنب الحرب مع إسرائيل حتى نستكمل استعداداتنا •

وقد صدّق الفريق فوزى على هذا التقرير وأرسله إلى القيادتين السياسية والعسكرية ، إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى المشير عبد الحكيم عامر •

كان هذا التقرير في ديسمبر عام ١٩٦٦ وكان هذا وحده يكفي لتجنب الحرب مع إسرائيل ولكن الذي حدث أن القيادة السياسية بإرادتها ، وبالرغم من علمها تماما بحالة القوات المسلحة قد اتخذت من الإجراءات والقرارات الخطيرة ما تعتبره إسرائيل إعلان حرب ، وكان أخطر هذه القرارات هو إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة البحرية الإسرائيلية ، وقد عارض اتخاذ هذا القرار ، رجل واحد هو المهندس صدقي سليمان رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت •

ولكن

لم يكن عبد الناصر جادا في دخول الحرب ، وكان يقوم بمظاهرة عسكرية ليكسب بعض المكاسب في الشارع العربي ليقال إنه أنقذ سوريا

من الحشود الإسرائيلية ويخرس اللسنة الصحف العربية والإذاعات العربية . ولكنه لم يخرس اللسنة ، وإنما أطلقها تنهش عظامه بعد أن نهشت أظافر العدو أرض الوطن وشبابه ، وكان إغلاق خليج العقبة وطرد المراقبين الدوليين من شرم الشيخ دافعا لإسرائيل لتكوين وزارة حرب برياسة اشكول ، ودخلها موسى ديان ويوسف ساير ومناحم بيجين ، والثلاثة من صقور الحرب ، وأخذت إسرائيل المسألة مأخذ الجد ، ولكن كل هذا لم يوقظ عبد الناصر وظل في « تهويشه » .

ولنتنقل إلى قائد آخر من قادة معركة ١٩٦٧ ليحدثنا عن أحوال الجيش المصرى قبيل المعركة . يقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى (١) :

« مضى بنهاية يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ ثلاثة أسابيع على رفع درجات الاستعداد للقوات وفتحها تعبويا في سيناء ، ولم تستقر الأوضاع بعد ولم تنته القيادة العليا إلى قرار حاسم محدد واضح ، فالخطة الدفاعية « قاهر » فقدت فاعليتها بمرور الأيام ، فمرة يركز المجهود الرئيسى للدفاعات في القطاع الأوسط ، وأخرى يوجه الاهتمام إلى الفردقة ، فترسل لها القوات البرية والبحرية والجوية ، ومرة — بناء على تدخل الزعامة السياسية — يتحول الاهتمام الى شرم الشيخ ، ثم لا يلبث أن يتحول الى القطاع الشمالى ، ثم تتوهم القيادة العليا بناء على نصيحة تقدم لها بأن القطاع الجنوبى لا يقل أهمية عن غيره فتحرك القوات إليه .

« وقد كان أبرز الأخطاء القاتلة التى وقعت فيها القيادة العليا ، هو الذى تمثل في دفعها بكل القوات المتيسرة في الجمهورية الى سيناء ، دون الاحتفاظ باحتياطيات كافية خارج مسرح القتال ، يمكن استخدامها في مجابهة المواقف الطارئة أو لاستغلال نجاح لاج في منطقة ما . وقد

(١) « الفريق مرتجى يروى الحقائق » في أمكنة مختلفة من هذا الكتاب .

تركزت منطقة غرب القناة الى القاهرة عارية تماما من القوات المقاتلة ذات الفاعلية ، ومن هنا أعلن عبد الناصر عقب الهزيمة أنه لم يكن هناك جندي واحد بين الزحف الإسرائيلي والقاهرة *

« أما بالنسبة للقوات البحرية ، التي كانت تملك تفوقا على إسرائيل ، فقد أفلحت إسرائيل في توزيعها على البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وقد أرسل القسم الأكبر والأكثر ، فاعلية الى البحر الأحمر تحت فكرة خاطئة بأن عمليات اسرائيل ستوجه ضد شرم الشيخ والغردقة ، وبذلك بقيت هذه القوات بدون استغلال *

« فإذا انتقلنا إلى القوات الجوية فإننا نذكر أن عدد الطيارين كانوا أقل من عدد الطائرات الصالحة ، ولم تكن الخدمة الأرضية الفنية على المستوى المطلوب في جميع الحالات ، وكانت وحدات اصلاح المطارات والممرات ينقصها معدات الاصلاح الحديثة ، ولم تتسلم وحدات التوجيه من العجز ، كما أن الدفاع المضاد للطائرات لم يكن كافيا ، بل ان بعض المطارات تركت بلا أسلحة مضادة للطائرات ! وإذا وجدت تكون مقصورة على الرشاشات التي لا تصلح الا للهجوم المنخفض المنخفض » *

إن الهزيمة كانت بلا شك من القيادة السياسية ، وهذه القيادة لابد يومًا أن تحاسب على الدم والأرواح التي ضاعت نتيجة إهمالها ؛ هذا الإهمال الذي سجله قادة المعركة ، وتحاسب كذلك على سمعة البلاد التي هوت كأثر من فوضى الجهلاء الذين حملوا عبئا سياسيا فاتهموا للمتع والسرقات ، ونسوا تماما حق الوطن والمواطنين ، لعنة الله على هؤلاء إلى الأبد *

الجاسوس اليهودي باروخ نادل :

بقيت كلمة عن حرب ١٩٦٧ توضح غفلة المخابرات المصرية التي اتجه اهتمامها للتجارة والمرأة ، فإن الجاسوس اليهودي باروخ نادل (م ١٢ - التاريخ الاسلامي)

انتحل شخصية (أرام أنور) التركي الذي مات سنة ١٩٥٤ ، وظل يلعب هذا الجاوس دوره دون أن تكتشفه المخابرات المصرية حتى تخطيم الطائرات المصرية صبيحة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ حيث فر* .

وهذا الجاسوس يحكى قصته فى كتابه « تحطمت الطائرات عند الفجر » ويصف الليلة الساهرة التى عاشها كبار ضباط الطيران والتى ظلت حتى صبيحة الخامس الحزين ، والتى كانت حافلة بالخمر والنساء والموسيقى ولم يستيقظ الساهرون إلا على القصف المدوى الذى أكل الطائرات المصرية .

جهل قادتنا بخطورة الأسطول السادس :

وإذا كان عبد الناصر ليس جادا فى دخول معركة مع إسرائيل وكان يقوم بهذا فى مجال التهويل ، فإن من حوله كانوا يأخذون المسألة مأخذ الجد ، ولم يعرفوا الهدف الذى كان فى نفس الزعيم ، وفى ضوء إحساس الوزراء والكبار أثير فى مجلس الوزراء احتمال دخول أمريكا الحرب مع إسرائيل وبخاصة أن الأسطول السادس موجود بالبحر المتوسط ، فرد وزير الدفاع الجاهل شمس بدران على الوزراء ردا تهكميا هو : الأسطول السادس يطلع إيه ؟ عندنا ما يقضى عليه (١) .

ويبدو أن شمس بدران حسب أن الأسطول السادس زورق من زوارق النزهة التى كانت كثيرة الاستعمال آنذاك فى المغامرات والنزهات النهرية .

الغفلة قبل حرب ١٩٦٧ :

نثبت فيما يلى لقطات من حديث للأستاذ أنيس منصور نشره فى أخبار اليوم بتاريخ ١٩٨٧/٢/٢١ ونصه :

(١) تحطمت الطائرات عند الفجر ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(١) موسى صبرى : السادات ص ٤٩٣ ومذكرات محمود رياض ص ٥٤ .

الادعاءات والأحلام :

تذكرتُ أن المخابرات الحربية قد دعنتى لمشاهدة قواتنا على الجبهة ومشاهدة النصر المؤكد لنا على إسرائيل ٠٠٠ فما إسرائيل هذه إلا دولة صغيرة عالية الصوت ، ومنهم زعماءها وقادتها ؟ ٠٠ وأين هؤلاء من زعيمنا جمال عبد الناصر ، إنها نزهة بالبر والبحر والجو ٠٠ ساعات وبعدها نعود نتغنى بالنصر الساحق المالحق بعدونا .

وكنا خمسة من الصحفيين واثنين من المصورين أركبونا سيارة حربية وزودونا بالخبز والطماطم والخيار والجبنه والمياه الباردة والبرتقال ، وعبرنا القناة واتجهنا إلى أرض المعركة ٠٠٠ معركة الساعات وينتهى كل شيء . وتنتصر مصر وسوريا والأردن وتعود فلسطين إلى أهلها وبأسلحة الأثقاء العرب الذين تكاثروا على العدو ٠٠٠ وفي ضربة واحدة ينتهى كل شيء .

جوع قاتل للجنود على الجبهة :

وفجأة اعترضتنا أحد الجنود ، وكان الجندى يقف فى منتصف الطريق ، فوقفت سيارتنا ، واندھش السائق العسكرى وضباط المخابرات المرافقون لنا ، إذ صاح هذا الجندى قائلاً : يا أفندم ٠٠ إننا منذ ثلاثة أيام لم نذق طعاماً .

وتعالى صوت الضباط المرافقين لنا يستنكرون ما قاله الجندى ، ولكن الجندى لم يهتز ولم يأبه للزعيق والتهديد ٠٠ وشعر الضابط بخجل وخرج من وجودنا ، ونزل واحد منهم واقترب من الجندى الذى ضم قدميه ورفع يديه للتحية ، ولكنه لم يغير من موقفه أو لهجته أو ملامح وجهه . بينما أطل جندى آخر من الدبابة الواقفة على جانب الطريق يتابع ما يسمع ويرى ، وتسابقتنا جميعاً فى تقديم كل ما لدينا من طعام لهذا الجندى ، ولم يشأ أحد من الضباط أن يفسر لنا ما حدث ، ولكن واحداً من الزملاء قال بصوت مسموع : لا يستطيع أى جندى أن يتجرأ

على الضابط بالقول والإصرار والصلابة التي شاهدناها إلا إذا كان فلا
يوشك أن يموت من الجوع .

المواصلات السلكية واللاسلكية مقطوعة بسيما :

وسألنا الفريق مرتجى ، أين تبيتون هذه الليلة وقتلنا : طبعاً في
العريش ... لكى نرى العدو زاحفاً على يديه وركبتيه يطلب الاستسلام .
وحاولنا أن نتصل بالعريش تليفونيا فلم نفلح ، فالفريق مرتجى
شخصياً لا يستطيع أن يتصل بالقوات عند العريش ، فالمواصلات السلكية
رديئة جداً ... فلم نتمكن من حجز غرفتين أو ثلاثاً نبيت فيها .

الشباب ضحايا التهور والدعاية :

وكان الشباب فى أى مكان ولايئة مناسبة يخطبون ويلقون القصائد
الملتفة ويجمعونها ويضعونها أمانة فى عنقى لكى أنشرها عندما أعود إلى
القاهرة ، وقابلت عدداً من الأقارب حديثى التخرج فى الكليات ، وكنت
آخر من رآهم رحمة الله عليهم جميعاً ، وعلى عشرات الألوف من أمثالهم فى
اليمن وفى سينا .

قابلنى شاب واقترب منى يقول : أمانة يا اونكل ... أنا ابن الأستاذ
محمد أمين حماد رئيس التليفزيون ... أرجو أن تبليغ والدى بأننى لم
أذهب إلى اليمن ، وأننى هنا فى الجبهة وأننى سوف أعود فى أقرب وقت .
ولم أفهم ، فعاد يقول : إن جبهة اليمن خطيرة ... أما هنا فآمان
تماماً .

وقامت معركة الساعات الست وابتلعت الحرب شبابنا الأبرياء الذين
سيقوا كما سيق إخوان لهم إلى اليمن دون أى استعداد ولا رعاية .

ومع هذا لا يزال هناك من يترحم على هؤلاء القادة ، الذين كانوا
أسادا على الشعب وكالنعام فى مواجهة المشكلات .

عائد البترول وعائد قناة السويس :

ويرتبط بهزيمة ١٩٦٧ موضوع مهم هو أن مصر خسرت بسبب هذه الهزيمة الشنيعة أعلى مصدرين من المصادر المالية وهما عائد البترول وعائد المرور بقناة السويس ، ومن المعروف أن أهم مناجم البترول أيضا تقع في سيناء ، وحولها ، وأن قناة السويس توقفت وتعرضت للتلوث ، هذا بالإضافة لخسائرنا البشرية ولضياع الأسلحة التي يقدر ثمنها بمئات الملايين .

ولم يكن هناك ما يحل محل هذين المصدرين المهمين من مصادر المال ، ولذلك لجأت حكومة عبد الناصر إلى القروض من كل مكان وإلى التسول من البلاد العربية بوجه خاص .

قادة مصر عقب الهزيمة :

نحن دولة تقع في قارة افريقية ما في ذلك شك ، وكانت الدائرة الافريقية إحدى الدوائر التي اهتم بها عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » وتبعاً لذلك كان علينا أن نلتزم بتقاليد القارة وآدابها ، وقد أوردت في الجزء السادس من هذه الموسوعة الخاص بتاريخ افريقية أن التقاليد المعروفة عند قبائل اليوروبا بافريقية تقتضي أن الملك إذا أرسل حملة عسكرية وفشلت فإنه يقتل نفسه قبل أن تعود الحملة المهزومة إلى أرض الوطن ، وإذا لم يقتل الملك نفسه فإن الشعب يرى أن تنفيذ القانون أمر لا مفر منه ، وهكذا كان حق إعلان الحرب يعني الانتصار أو الموت بالنسبة للملك (١) .

ولكن الذي حدث في مصر هو تشبث ناصر وعامر بالحياة والسلطة على الرغم من الهزيمة التي خلقها .

(١) فجر التاريخ الافريقي ترجمة عبد الواحد الابيارى ص ٩٠ .

انتصارات الحضارة على التخلف سنة ١٩٦٧ :

وبمناسبة الحديث عن حرب يونيو يذكر اللواء حافظ إسماعيل (١) ، أن انتصار إسرائيل كان انتصارا للمجتمع الديمقراطي أمام المجتمع المصرى الديكتاتورى المتخلف ، فإسرائيل بلسد المليونين ونصف المليون تنتصر على أكثر من أربعين مليوناً فى المناطق المواجهة ، وقد توقف القتال بعد أن حققت إسرائيل كامل أهدافها الاستراتيجية ، باحتلال سيناء والوصول إلى قناة السويس وإعادة فتح خليج العقبة للاحتيا ، ثم كذلك باحتلال القدس والوصول إلى نهر الأردن واحتلال هضبة المرتفعات السورية (الجولان) وأعلنت إسرائيل فى كبرياء سقوط اتفاقات الهدنة وألا عودة لخطوط يونيو ، ونالت إسرائيل بذلك فوق ما تمنكت .

رأى موسى ديان فى سياسة عبد الناصر :

وأعلن موسى ديان تصريحاً خطيراً نصه : إن ما حققناه من نصر كان أكثر جداً مما تمنيناه ، ولو أن أكثر أعداء مصر قد وضع تخطيطاً لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة عبد الناصر .

أسئلة وإجابات خطيرة :

وهنا تخطر بالبال أسئلة مهمة هى :

١ — لماذا أقدم عبد الناصر على معركة بدون استعداد ؟

الإجابة : التهويش والدعاية من جانب ، واغتناذه — كما قلنا — أن التهويش لن يسبب حرباً — ثم إنه — كما يقول الفريق أول محمد فوزى لم يكن يعرف قواته ولا قوات العدو ، وتلك أخطر وصمة يوصم بها قائد أو رئيس .

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ١٢٤ .

يمكن أن يحقق نجاحا أكثر لولا الرأي العام العالمى ، فقد أعلن عبد الناصر بدون خجل كما ذكرنا من قبل أنه لم يكن هناك أى جندى بين العدو والقاهرة •

مجزرة الأبرياء :

وهنا يتحتم أن نذكر كتاب « مجزرة الأبرياء » للأستاذ وجيه أبو ذكرى ، فقد سبق شباب مصر للموت بالآلاف وبدون تدريب على الإطلاق ، وبدون تسليح ، وبدون أجهزة ، وبدون خطة • بل وبدون طعام • والمسئول الأول والأوحد عن هذا هو عبد الناصر ، فهو الذى أثار إسرائيل دون استعداد ، وهو الذى أطلق الكلاب بالداخل تقضى على حماسة المصريين وشرفهم ، منذ عين صلاح نصر وحمزة البسيونى وشمس بدران وعلى شفيق ليكونوا صقورا وهم أضعف من اليمام ، ليكونوا قادة وهم فى ذلة العبيد •

ويقول الأستاذ إسماعيل النقيب تعليقا على ما أثير حول جانب من جوانب الفجور فى ذلك العهد كشفت عنه امرأة فى كتاب ساقط : العجيب أن السادة أصحاب الأقلام قد أدانوا « اعتماد خورشيد » • مؤلفة الكتاب ، لأنها أعلنت عن كبائر الإثم والفواحش ، ولم يحاكموا الأفعال ذاتها ، حاكموا الإعلان ولم يحاكموا الأفعال ، وقد اتضح أن الثورة المصرية بمبادئها الستة دخلت غرف نوم الحريم ، والمحظيات ، ولم تدخل ساحة العمل الثورى (١) •

أمراض نفسية نتيجة حرب ١٩٦٧ :

جرت دراسات نفسية قام بها اثنان من المتخصصين أكدت أن نسبة المصابين من الجنود الذين تحولوا إلى العلاج النفسى كانت ١٤.٨٪

(١) الاخبار فى يونيو ١٩٨٨ فى ذكرى الهزيمة السوداء ومجزرة الأبرياء للأستاذ وجيه أبو ذكرى •

وكانت أمراضهم بالترتيب : هستريا عضوية مع قلق ، قلق مع اكتئاب .. هوس .. وانتهت إلى الإنهاك والجفاف .

وتجاوزت الأمراض النفسية الجنود إلى المدنيين وبخاصة إلى الأدباء والشعراء والكتّاب — الذين تشتد حساسيتهم ، وقد سقط بعض هؤلاء مرضى وأُرسِلوا للعلاج بالخارج ^(١) .

وامراض اجتماعية :

احترقت الجسور بين الفرد والمجتمع ، وابتعد القادرون — بالهجرة — عن السفينة الغارقة ، واهتزت صورة الحاكم ، وفقدت الجماهير ثقتها في القيادة ، واحترق الضمير الاجتماعي فظهرت الفرصة مناسبة للغرق في تجارة اللذة ، ومن هنا انطلقت الرغبات والأهواء بلا حدود — : جنس — رشوة — فساد — لا مبالاة ... ^(٢) .

حركة الاستنزاف ونتائجها على مصر :

وقبيل نهاية عبد الناصر بدأ ما سمي « معركة الاستنزاف » بقصد رفع الروح المعنوية للقوات المصرية ، وجعل الحياة على الضفة الشرقية غير محتمة بالنسبة لليهود ، ولكن إسرائيل كثفت دفاعاتها الأمامية وضربات لقواعد دفاعنا الجوي ، وقامت قواتها بعمليات عبرت بها قناة السويس وخليج السويس ، وخلال ثناء ١٩٧٠/٦٩ بادرت بضرب أهداف عسكرية واقتصادية وجماهيرية في العمق ، بقصد إضعاف قدراتنا على مواصلة القتال .

مصر في حماية السوفييت :

ثم يتحدث محمد حافظ إسماعيل عن الكارثة الكبرى ، وهي أن تتولى عناصر من القوات السوفيتية إدارة شبكة الدفاع الجوي بين

(١) عادل حمودة : الهجرة إلى العنف ص ٨٩ — ٩٠

(٢) المرجع السابق ص ٩٠

الاسكندرية واسوان إلى أن يتم تدريب الوحدات المصرية على القيام بهذا العمل (١) .

وهكذا تحتل إسرائيل بعض بلادنا ، ويقع الباقي من مصر تحت حماية السوفييت ، ومع هذا لا يزال هناك من يمجّد عبد الناصر .

معاناة الجيش من الثورة :

عانى الجيش من الثوار صوراً من الاضطراب والقلق ، ومن الثابت أن ما عاناه الجيش من الثوار لا يقل عما عاناه الشعب من هؤلاء الثوار لعنهم الله .

ومن الضباط الذين نكّلت بهم الثورة لاتجاهاتهم الديمقراطية ولا انحراف الثورة عن مبادئها ، أحمد المصري ومحمود حجازي وصبحي القاضي وأحمد حمودة وفاروق الأنصارى وغيرهم ، وبلغ بهم الإيمان بما نادوا به ، إلى تكوين سرى داخل سلاح الفرسان ، لقلب مجلس الثورة وإيجاد نظام ديمقراطى بعد أن تمكنت الثورة من ضرب الديمقراطية في أزمة مارس ، ولكن التنظيم كُشِفَ أمره ، وحوكموا أمام محكمة ثورية أصدرت أحكامها على ١٦ ضابطاً بالسجن مددا متفاوتة ، كذلك كان من ضباط الثورة المشرقاء الذين طالبوا بعودة الجيش إلى ثكناته وإفساح السبيل للحياة الديمقراطية القائم مقام أحمد شوقي الذى كان أكبر الضباط رتبة بعد محمد نجيب والذي كتب في جريدة « المصرى » يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ ، يتكلم الثورة بصراحة بالانحراف عن مبادئها ويقول :

هل كان من أهداف الثورة أن تحكم البلاد ؟

هل كان من أهداف الثورة أن تكتم الأقواء وتقيّد الحريات ؟ ؟

هل كان من أهداف الثورة أن يُزَجَّ بالمواطنين الجانى منهم والبرىء

فى السجون ؟ وأن تَمَلَأَ بهم المعتقلات ؟

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحدييات ص ١٥٤ .

هل كان من أهداف الثورة أن تتقحم الجيش في السياسة وفي كل مرفق من مرفق البلاد ؟

أليس هناك من أبناء مصر من يستطيع القيام بالأعمال المعهود بها الآن لبغض ضباط الجيش حتى يتفترغ هؤلاء الضباط إلى النهوض بجيشنا لكي يتمكن من القيام برسالته ؟

إذا عودوا إلى صفوفكم في الجيش •

ومن الضباط الذين ثاروا على انحرافات الثورة اللواء عبد القادر عيد ، الذي رفع مذبذرة للرئيس عبد الناصر وللمشير عامر عقب الانفصال عن سوريا ، وطالب في هذه المذكرة ببعض إصلاحات من بينها الأخذ من الاشتراكية بما يتناسب مع الإسلام ، وتقديس حرية المواطنين والبعد عن التكتلات السياسية شرقا وغربا ، وفوجيء في ٢٥ مايو ١٩٦٢ بأفراد من الشرطة العسكرية يقتحمون منزله ويحطمون أثاثه ويعتقلونه مكبلا بالحديد ومعصوب العينين لبني المخابرات العامة حيث كان فريسة لكل أنواع التعذيب ، وحيث اتهمته مراكز القوى في ذلك الوقت بأنه يدبر ثورة مضادة لنظام الحكم •

ثم أحالوه إلى محكمة الدجوى مع عدد من زملائه فقضت عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم ادّعوا — بقرارات رسمية — وفاته ، وضرفت معاش لزوجته مع أنه حي يرزق •

وفي سنة ١٩٨٢ رفع دعوى تعويض عما أصابه من تعذيب هسو وأسرته ، وشهد ثمانية شهود بأن اللواء عيد رفض منصب الوزارة مرتين عام ١٩٥٩ و ١٩٦١ تمسكا بعسكريته ، وأنه كان بطلا في حرب ١٩٥٦ واعتقل بواسطة المخابرات العامة عام ١٩٦٢ إثر تقديمه لمذكرة لإصلاح بعض الأوضاع العامة ، وناله كثير من صنوف التعذيب المادي والمعنوي ، وتمثل التعذيب بضربه بالسياط والعصى ، ووضعه تحت الدش الكهربائي ، وآلة الرعش الكهربائي ، والكرسي الكهربائي ، وحقنه في النخاع الشوكي ،

واحتلال فصيلة عسكرية لمسكه وانتهاك حرمة له لإكراهه على توقيع إقرار بقرعه تنظيميا يضم مجموعة من كبار العسكريين والمدنيين ورجال الدين لقلب نظام الحكم .

وأصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمها بالزام رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس المخابرات العامة متضامنين بدفع مبلغ ٢٠ ألف جنيه للواء عيد وأسرتة تعويضا عما لقيه من تعذيب عام ١٩٦٢ بدعوى تدبيره لانتقال ضد نظام الحكم ، والادعاء بوفاته لأنه طالب بقتديس حرية المواطنين .

وقالت المحكمة إن المدعى قد لاقى صنوفا من التعذيب تقشعر منها الأبدان وأهدرت آدميته بطريقة تشيب منها الولدان ، بالإضافة إلى ما أصابه من آلام نفسية وأحزان مع أنه كان من خيرة الضباط بالقوات المسلحة في ذلك الوقت ، وأدى دورا بارزا في حرب ١٩٥٦ ورفض ٣ أوامر بالانسحاب من منطقة خليج العقبة وصمم على القتال حتى آخر رجل . وقد صدر الحكم لصالحه في يونيو ١٩٨٣ .

عبد الناصر يعانى هو أيضا من الجيش :

وكما عانى الجيش من عبد الناصر عانى عبد الناصر من الجيش ، فقد كان عبد الناصر يعيش في ذعر من الجيش ، ويتوقع دائما أن يقوم الجيش بتحركات ضد الثوار ، ولذلك استأجر شققا بمداخل القسامة لمراقبة ما يمكن أن يحدث من تحركات الجيش تجاه القاهرة ، ووفكر لهذه الشقق وسائل مواصلات سريعة تنقل الأخبار عن أى تحركات .

عصابة ومساكنها :

وأهم ما نختم به هذه الدراسة الموجزة هي جملة رواها أنور السادات عن عبد الناصر هي : يا أنور البلاد تحكمها عصابة (١) .

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والأسطورة ص ٣٥٥ .

وهذه الجملة صادقة كل الصدق ، ولذلك يميل كثير من الباحثين إلى استعمال كلمة « عصابة » للتعريف بما أسموه « ثورة » والذي لا شك فيه أن عبد الناصر والمشير كانا زعيمين لهذه العصابة .

وهناك جملة أخرى يذكرها أنور السادات هي :

تحول الناس في مصر إلى مساخيظ (١) .

أخطاء الثورة وقعت في طول عهدها

ويقول أنور السادات كذلك إنه من مطلع الستينات بدأت الثورة فترة المعاناة والآلام والهزائم والنكسات والأخطاء البشعة من جانبنا (٢) .

والحق أن الأخطاء البشعة صاحبت الثورة ليس فقط من الستينات بل من مطلع قيام هذه الثورة كما وضعنا ذلك في الجزء السابق الخاص بعهد عبد الناصر ، واعتقادي أن السادات أغفل الخمسينات قصدا حتى تظل هناك فترة يئنسب للثورة فيها بعضُ المفاخر حتى يعيش في ضوءها ، والحق أن الأخطاء البشعة المرتبطة بالخمسينات لا تقل بأي حال عن الأخطاء البشعة التي ذكرها السادات عن الستينات :

ففي أغسطس سنة ١٩٥٢ حكمت المحكمة العسكرية التي شكلها مجلس الثورة بالإعدام على قائدين من قادة العمال هما خميس والبقرى ونفذ فيهما حكم الإعدام .

وفي نفس العام ألغى الدستور وهو أبو القوانين ، ثم حلت الأحزاب في مطلع ١٩٥٣ ، وتم الاستيلاء على أملاك الناس بما سمي القضاء على الإقطاع دون رحمة من جانب ، ودون ملاحظة مصلحة

(١) البحث عن الذات ٠٠٠٠ ص ٢٨٩ .

(٢) البحث عن الذات ٠٠٠٠ ص ٢٠٢ .

مصر من جانب آخر ، وحدد الإيجار ولا يزال ذلك التحديد حتى الآن ، ويشكو منه كل الناس ولا من مجيب •

وفي الخمسينات حدثت أحداث فبراير ومارس سنة ١٩٥٤ واعتدى الخوغاء والمأجورون بقيادة الضباط بالضرب على الدكتور السنهوري وأعضاء مجلس الدولة •

وفي الخمسينات نكل بالإخوان المسلمين تنكيلا بشعا ، وقتل ستة من قادتهم في قمتهم العلامة الأستاذ عبد القادر عودة ، وامتد نطاق الاعتقالات فشمّل السامعة ورجال الدين ، وكان التعذيب أسلوبا متبعاً مع الرجال والنساء ، وفي الخمسينات ظهرت المحاكم بأسمائها المختلفة : العسكرية ، الغدر ، الثورة ، الشعب •

وفي الخمسينات فُصل بعض أساتذة الجامعات الذين رفضوا أن يسيروا في الركب الظالم •

وفي الخمسينات حدث العدوان الثلاثي وقد تناولناه من قبل ، وأبرزنا نتائجه •

وفي الخمسينات حدثت الوحدة مع سوريا ، تلك الوحدة المشؤومة التي كانت قصيرة العمر والتي تسببت عنها صور من الفشل العسكري والخلقي والمادي أثّر على مصر عدة سنوات •

ونقرر أن ما يدّعيه أنور السادات عن قسّص أخطاء الثورة على الستينيات يتناقض مع قوله في نفس الكتاب (١) •

إن النجاح لم يحالفنا بعد الثورة لأسباب مهمة ، أشدها عدم وضع الرؤية بالقدر الكافي ، لا في وقت مجلس قيادة الثورة ، ولا بعد أن أصبح

(١) البحث عن الذات ، ص ١٢٠ •

عبد الناصر رئيسا للجمهورية ، وقد كان بطبعه كثير الشك ، ولذلك انشغل بأمنه عن الرؤية البعيدة ، وعن أهم وأثمن ما في الوجود وهو الإنسان ، ففى غمرة شكوك عبد الناصر وانشغاله بأمنه حدثت فى مصر أخطاء جسيمة ضد أخطر وأهم ما كان يجب أن نحرص عليه ، وهو آدمية المصرى وإنسانيته .

ذلك قول صريح وحاسم ، لقد كانت الثورة وبالا على الإنسان ، وعلى الفكر ، وعلى الاقتصاد ، ولئن تعود البلد إلى طبيعتها إلا بعد أن تنتهى نيل هذه الثورة اللعينة .

التطور والجمود

من التزامات المؤرخ فى العصر الحديث أن يحاول الدقة فيما يرويه من أحداث ، ثم أن يجيد التعليق عليها بما يدفع قومه إلى حياة أفضل .

ولقد عاصرت هذه الحركة المشؤومة التى تسمى ثورة ، ورأيت الناس وقد تفتانوا فى حب عبد الناصر كما لم يحدث لسواه على الإطلاق ، وكنت فى قمة الدهشة من تصرف الناس ، هؤلاء الذين لم يروا شيئا من أفضله ، ورأوا الكثير من أخطائه القاتلة ، ومع هذا يحبونه ، وبعضهم أخذ يفلسف هذا الحب فيقول إنه هو الذى أخرج الإنجليز من مصر ، وقد قلنا من قبل إن الإنجليز خرجوا من كل المستعمرات ، وأن جمال عبد الناصر جكّب لبلادنا أخطر استعمار عرفته البشرية وهو الاستعمار الصهيونى ، ومات الرجل وهذا الاستعمار يسيطر على جزء مهم من أرضنا ويهدد الباقي .

وقالوا إنه أنشأ السد العالى ، وبالغوا فى حسناته ، ونسوا أن مصر عاشت آلاف السنين بدون السد العالى ولم يمسسها سوء ، ثم إن السد العالى ليس إلا واحدا من السدود التى أقيمت على النيل ، قد يكون أكبر من غيره ، وهذا طبيعى فمع الزمن يصل الخبراء فى هذا

المجال وغيره إلى الأحسن والأنفع ، ومع هذا فالذى يطالع رأى المهندس أحمد عبده الشرباصى فى أضرار السدّ يتردد فى اجلاله لهذا الحدّ ، ثم إن السدّ العالى أقيم لتوسيع رقعة الأرض الزراعية ، ولإقامة مصانع على ما يولّده السد من كهرباء ، ومرّة الزمن ولم تتسع الأرض الزراعية ولا أقيمت المصانع •

ولكن السدّ العالى على أى حال اذا قيس بالتطور الذى سنشير إليه ، فإنه يعتبر لا شىء على الإطلاق ، والقارىء الفاضل يدرك أن صيحة عالية ومتكررة قام ويقوم بها رؤساء مصر من مطلع الثورة حتى الآن وتسخّر لها أجهزة الإعلام على أوسع نطاق ، بل يتسخّر لها علماء الشريعة والأطباء ، والدعاة وهى تنظيم النسل ، فالقيادات فى مصر ضاقت بالمصريين ، لأن الزيادة فى السكان تلتهم كل ما يحققونه من زيادة فى الإنتاج كما يقولون ، وهذه الكلمات مقتبسة من الرئيس حسنى مبارك الذى اشترك فى الحملة التى تحارب انطلاق النسل ، ويخيّل للإنسان من كثرة الاعلانات عن وجوب تحديد النسل أن ولادة الأمور لو استطاعوا أن يدفنوا نصف السكان فى الصحراء أو أن يلقوا بهم فى البحر لفعلوا حتى يتخلصوا مما يستهلكون من طعام وكساء ، وما يحتاجونه من تعليم وعلاج بل بدأ تهديد يظهر فعلا وهو يقرر أن الدولة لن تعلم بالمجان الطفل الثالث ، ولن تقدّم لهم المواد التى يتدفّع لها دعم •

ومن الواضح أن هذا الصراخ سببه أن دولتنا حفظها الله ، تنتظر إلى هذا العدد على أنه أفواه تلتهم الطعام ، وأجساد تبلى الملابس ، وقد عجزت الدولة تماما عن الانتفاع بهذه القوة لتصبح منتجة ، وهذا هو السر فى هذا الصراخ •

ونقول بصراحة إن العجز ظاهر حتى لو بقى عدد السكان دون زيادة ، والطريق الوحيد للإنقاذ هو إيقاف السرقات ونزيف الإنفاق ، ثم

التخطيط لمزيد من الإنتاج ، وبدون ذلك سنتقع الطامة ولا مفر منها .

والحق أن عندنا عجزا شاملا في الطعام ، والشراب ، والكساء ، والعلاج . ودور العلم ، وكل مطالب الحياة ، ولما كانت الدولة السنوية عاجزة تماما عن التطور فإن العجز في هذه الأشياء يزداد مع زيادة السكان ، ويصبح الأمر خطيرا للغاية .

وهنا يجيء السؤال المهم : هل هذا العجز موجود في الدول كلها ؟ أو أنه في مصر فقط ؟

وإذا كانت الدول تغلبت على هذا العجز فلماذا لا تتعلم دولتنا وهي تقول إنها تعيش في ثورة ؟ وإذا كان عندنا بظالة بسبب عدم المشروعات التي تجتذب أيدي الشبان ، فإن بعض الدول تنشر الإعلانات من يوم إلى يوم عارضة مئات الوظائف التي تبحث عن يشغلها (١) .

أيها القارئ الكريم

إن الحياة في ظل هذه الثورة حياة ركود وجمود ، ومن أجل أن نثبت ذلك سأبرز لك كيف تطورت الحياة عند الآخرين :

في الهند :

وأبدأ مع دولة كثيرة التعداد يصل سكانها إلى حوالي ٨٠٠ مليون نسمة ، وفي وصف تقدمتها نلجأ إلى كاتب من كتاب الصحف الحكومية هو الأستاذ موسى صبرى ، ماذا يقول موسى صبرى عن الهند ؟ لقد كتب مقالا بالأخبار بتاريخ ١٥/٣/١٩٨٣ عنوانه « دروس من الهند » .

(١) أحمد أبو الفتوح : التحدى ص ٩٩ .

وأسلوب المقال مفكك ومضطرب ، ولكنه يوضح التطور الهائل في الهند ، وفيما يلي كلماته بعد إعادة ترتيبها :

لقد زرت الهند في عام ١٩٦٨ وأمضيت في مختلف ولاياتها قرابة الشهر ، وزرتها أخيرا سنة ١٩٨٣ بمناسبة مؤتمر عدم الانحياز ، وقد شاهدت تطورا هائلا في كل مجال كالآتي:

في مجال الزراعة :

في الزيارة الأولى كانوا فخوريين بأنهم حققوا الاكتفاء الذاتي في القمح والحبوب ، بخطه أثمرت نتائجها في أربع سنوات ، وفي الزيارة الثانية قالت لنا انديرا غاندى ، إنهم بدأوا يخطون إلى الأرض الجافة كما بدأوا في زراعة الأرز .

في مجال الصناعة :

في الزيارة الأولى تفقدت كثيرا من مصانع القطاع العام وكانت الشكوى هي نفس الشكوى عندنا من عدم فاعلية الإدارة في القطاع العام ، ورأيت مشروعات تصنيع صغيرة في القطاع الخاص ، تشجع عليها الدولة وتمدها بالخبرة ، وتساعد لها في توفير الأرض وإقامة المصانع بالقروض الميسرة .. وكانت التجربة لا تزال في أولى سنوات عمرها ... وفي الزيارة الأخيرة رأيت أن كل ما في الهند ، هو صناعة وطنية ، سواء من القطاع العام أو القطاع الخاص الكبير والصغير ، ورأيت المتاجر تبيع المنتجات اليدوية ومنتجات الصناعات الصغيرة ، ومنتجات البيئة الهندية بالعملات الصعبة ، ولم ألق أحدا أو أى واحد في أية بقعة رأيناها أثرا لصناعة مستوردة ... كل شيء من قاع الهند ، كل شيء مصنوع بأيدي هندية وخبرة هندية ، وكان من الصعب أن نرى سيارة مستوردة !!!

في مجال الذرة :

في الزيارة الأولى زرت مدينة الذرة • كانوا فخوريين ، بأن جميع علماء الذرة من الهند ودون سن الأربعين ••• مدينة هائلة ، وعلم هائل ، وانتماء هائل إلى الكرامة الوطنية ، وقبل الزيارة الثانية ، فجبرت الهند القنبلة الذرية •••• وكسبوا حربا عسكرية صعبة ••• وفي الزيارة الثانية شاهدنا التقدم الرائع في التطبيق التكنولوجي في شتى وسائل الإنتاج إلى درجات مذهلة •

هذا مثال من الهند وتطورها الهائل بقلم كاتب حكومي ، ولنتنقل إلى مثال آخر :

في سلطنة عمان :

في سلطنة عمان وهي أيضا من بلدان العالم الثالث كان هناك مصريون من أصدقائي يعملون لبضع سنوات في مسقط وعادوا ، ثم دعيت لزيارة مسقط مدة أسبوعين بعد عودة هؤلاء الأصدقاء بسنوات قليلة ، فقال لي هؤلاء الأصدقاء : احترس من العقارب التي تنتشر في مسقط ، وتدخل أحيانا عبر جهاز التكيف ، وذهبت وأنا على حذر ، وأمضيت الفترة التي ذهبت لها ، ولما عدت صرخت في أصدقائي هؤلاء : كنتم تحذرونني من العقارب ، فما رأيكم أننى لم أجد ذبابة واحدة أو ناهوسة واحدة ، لقد اكتسح التطور كل خطر ، وأصبحت مسقط من أرقى البلاد وأنظفها •

وأشهد الله أنه في إحدى الليالي وأنا بمسقط هبت على العاصمة عاصفة من العواصف الخطرة التي يعرفها سكان هذه المناطق ، دمرت بعض المنازل وخلعت الأشجار وطارت بها بعض المسافات ، ودفعت الطيور للاصطدام بالمباني أو الأشجار فماتت الطيور من هول الصدمات ، وثار البحر فأغرق الطرق ••••• إنه شيء أشبه بيوم القيامة ، كما وصفه القرآن الكريم ، وهذأت العاصفة ، وإذا بكائنات الناس تقريبا وعلى رأسهم السلطان والأمراء يباشرون إصلاح الأحوال

ورفع الأشجار من الطرق ، وإزالة الأثرية والعمل على سلامة الناس في أقصر وقت ممكن لم يزد عن يوم واحد وعادت الحياة إلى طبيعتها •

في إندونيسيا :

وهناك مثال آخر من دول العالم الثالث هو إندونيسيا وقد كنت فيها إبان العهد الأخير لسوكارنو وقد انهارت العملة الإندونيسية إلى أخط وضع كالحال بالنسبة للجنيه المصرى واختفت البضائع من المحلات ، وزرتها من سنتين فرأيت الرخاء والتقدم والتطور ، ورأيت العملة الإندونيسية وهى تنافس الدولار ، فيقدم الإنسان للبنك روبيات إندونيسية ويأخذ بديلا لها دولارات فى الحال ، على نمط ما إذا قدم دولارات ليأخذ روبيات ، دون فرق فى الحاليتين •

موجابى في زيمبابوى :

وأعلن موجابى زعيم زيمبابوى الدولة الإفريقية حديثة الاستقلال أن الإنتاج الزراعى ببلاده تضاعف عشر مرات خلال ست سنوات •

والملكة العربية السعودية أصبحت تنتج غذاءها وتقدم عوناً للمحتاجين من أمثالنا ، ويعلم الله أننى مسنى الضر والحسرة عندما رأيت اسم مصر بين الدول الفقيرة التى ستوزع عليها لحوم الهدى من السعودية •

ألا تخجلوا أيها السادة من أبطال ثورتنا التى تسمونها ثورة مجيدة ، أما سنغافورة وفرموزا وكوريا فعالم آخر الآن ، فهناك مليارات من الدولارات المدخرة عند هذه الدول •

ويلاحظ القارئ أننى لم أتحدث عن اليابان أو ألمانيا أو غيرها من دول الغرب ، ولكنى تحدثت عن دول من العالم الثالث وجَدْتُ طريقه للرخاء ، وكلما تحدثت عنها أحسست بألم لأن ثورتنا وقفت بالبلاد دون

تطور ، بل ارتدت بها القهقري عدة أجيال ، ومع هذا يفخرون بهذه الثورة •

صيحة الإنتاج قاصرة :

وفي مصر نسمع صيحة تتكرر دائما هي الدعوة للإنتاج ، ولم يَصْخُ المسؤولون عناصر النجاح لهذه الدعوة ، وإنما تُلْقَى جزافا ، فالمُتَخَرِّج في كلية التجارة مثلا يستطيع أن ينتج إذا وجد وظيفة في بنك ، والمُتَخَرِّج في كلية دار العلوم يستطيع أن ينتج إذا وجد مدرسة يعطّم بها ، والمُتَخَرِّج من كلية الطب يستطيع أن ينجح إذا وجد مؤسسة طبية يعمل بها ، وهكذا • أما أن ندعو للإنتاج دون تدبير الوسيلة للعمل فإن هذه دعوة لا نتائج لها •

والجيش في مصر وفي غير مصر يتلقى الشباب من القرية ومن المدينة ، بعضهم مثقف وبعضهم لا ثقافة له ، ويهيئ الجيش لهم التدريب الكافي ، والرعاية ، والأسلحة اللازمة ، والتوجيه السليم ، ويستطيع هؤلاء أن يحققوا النصر بعد ذلك ، كما حدث في مصر ضد الصهاينة ، وكما حدث في العراق ضد إيران •

أما أن ندعو لتعمير الصحراء مثلا دون دراسة ، ودون معدات ورعاية ، فإن هذه الدعوة ستضيع في مهب الريح ، ومثل هذا أن ندعو لرقى الضاعة دون تدريب ودون أجهزة ودون ضماير تخاف الله •

محاكمة الثوار :

في مقدمة هذا الكتاب أشرنا إلى المقالات التي نشرها الأستاذ خالد محمد خالد في صحيفة الوفد بمناسبة مرور ٣٦ عاما على « الثورة » وكان عنوان هذه المقالات « محاكمة ثورة » وانتقدت ما جاء بهذه المقالات مما عدّها الكاتب إنجازات لها •

والآن بعد هذه الدراسة التي ألمّت بحياة ناصر وعامر وركبهما وما فعلوه بمصر والمصريين ، فإننا نقول : ألا يجب أن يحاكم هؤلاء الثوار ؟

إننى أدعو إلى محاكمة عادلة أمام أعظم القضاة ، ويتقدم الباحثون بالمادة العلمية الموثقة عما أحدثه هؤلاء الثوار من خلل واضطراب وسرقات وتقصير ببلادنا ، ويقول القضاة كلمة الحق ، وعلينا أن نحترم كلمة القضاة ، فإذا كانت الكلمة خيرا مجدنا هذه الثورة واحتفلنا بذكرها وأقمنا التماثيل لزعمائها ، وإن كانت ثورة مدمرة عانى منها الإنسان والوطن طمسنا ذكرها وأزلنا التماثيل التى شيدت فى عصور القهر لزعيمها •

وعلى كلِّ حال فإن القضاء قال كلمته فيما عُرِض عليه من قضايا ، وقد سجلنا كلمة القضاء فيما سبق ، ولكننا نريد محاكمة الثورة بصفة عامة • ومن الظلم أن نظل هكذا مختلفين حول قضية رئيسية من قضايا بلادنا ، وأكد وأكد أن هذه المحاكمة ستقتم يوما ما على نحو المحاكمات المتعددة التى تمت عن عدوان كمشيئى بعد عشر سنوات من وقوع العدوان ، ومن الخير أن نعجل بهذه المحاكمة حتى لا تظل الأجيال تعيش فى قلق واختلاف •

الثوار والاستمتاع بالمرأة

فى الحق إننى لا أريد أن أطيل الحديث عن هذا الجانب البشع من حياة بعض الثوار ، وإنما أشير له إشارة سريعة ، وقد طالعنا فى مطلع هذه الدراسة موقف الصاغ صلاح سالم من الأميرة فائزة ، وهناك روائح كريهة ترتبط بالمشير ومحظياته ومحظيات رجاله فى دمشق اقتبسناها من الدكتور حسين مؤنس وأوردناها فيما سبق ، وهناك حفلات الرقص والموسيقى والخمر والنساء التى تحدث عنها باروخ بادل الجاسوس اليهودى الذى تقمص شخصية ضابط تركى مسلم ووصف حياة الثوار وبخاصة ليلة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ •

أما الفضائح التى ارتبطت بصلاح نصر ورفاقه التى نشرتها اعتماد خورشيد تلك الزوجة التى أرغمها صلاح نصر على أن تتزوج منه دون طلاقها من زوجها الأول فهى فضائح جاوزت الحد •

هذه جوانب معتمدة وقائمة في حياة بعض الثوار كانت من أسباب ما عانيناه من هزائم واضطرابات سياسية واقتصادية *

قبل أن نطوى عهد عبد الناصر :

بقى قبل أن نطوى عهد عبد الناصر ، وقبل أن نتحدث عن عصر السادات أن نذكر قضيتين مهمتين هما :

١ — قصة عز الدين عبد القادر حفيد أحمد عرابي *

٢ — ختام عهد كما يصوره الدكتور عبد الحميد سلطان ،

وفيما يلي خلاصة هذين الموضوعين :

قصة حفيد أحمد عرابي :

هذه القصة نشرتها الصحيفة الحكومية (الأخبار) وكتبها الأستاذ ابراهيم يونس وخلاصتها إن عز الدين حفيد أحمد عرابي ضاقت به الحياة في مصر في مطلع الثورة مثل كثير من الشبان ، فهاجر إلى المغرب ، وهناك وجد صنوفا من التكريم بسبب انتمائه للزعيم أحمد عرابي ، فاستطاع أن يكمل دراسته وأن يحصل على درجة الدكتوراه ، وبالتالي أسندت له وظيفة مرموقة ، وتحسنت حالته إلى مدى بعيد *

وبدأت سلبيات عبد الناصر تشيع وتنتشر ، ويبدو أن عز الدين تكلم ناقدا لكل شباب مصر في الداخل والخارج ، فاتجهت جهود صلاح نصر لإحضاره لمصر ، وقد رويانا في الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن بعض رجال المخابرات ذهبوا إلى إيطاليا ، حيث استطاعوا أن يخذلوا مصريا تلفظ بعبارات نقد لزعيم مصر ، ووضع رجال المخابرات هذا الرجل في صندوق كأنه بضاعة تشحن في طرد إلى مصر ، وكانت فضيحة لأن أثر المخذل زال قبل وصول الصندوق لمصر

ومع عز الدين اتجهت المخابرات إلى طريقة أيسر ، إذ أرسلوا له برقية رسمية عاجلة نصها : احضر على أول طائرة لأنك مرشح وزيراً للشباب ، ومع البرقية تذكرة طائرة بالدرجة الأولى إلى مصر *

ووقع الشاب في الفخ وصدق هذه الأكذوبة ، وأجرى له أصدقاؤه حفلات وداع ، وحزم حقائبه وحضر ، واستقبله الزبانية في المطار ، ودفعوا به من سلم الطائرة إلى عربة حملته للجحيم ، وبعد عدة وجبات من الضرب ، قُدم لحاكمة سورية قُضت بالحكم عليه بالسجن المؤبد ، ولم يخرج من السجن إلا في عصر السادات بعد أن دمره التعذيب ولم يلبث أن مات شاكيا إلى الله ما عانى من هذا العهد الأسود .

ختم عهد :

يقول الدكتور عبد الحميد سلطان في مقال نشره بصحيفة الوفد .
اننا لو أردنا تقييم عهد عبد الناصر تقييما موضوعيا لقلنا : انه عندما جاء إلى الحكم عام ١٩٥٢ كان الانجليز يقيمون في قاعدة القناة وكنا ندينهم بمبلغ ٥٠٠ مليون جنيه استرليني ، وعندما رحل بعد ١٨ عاما من الحكم المطلق كانت مصر قد أصبحت قاعدة روسية بها ١٧ ألف جندي روسي ، وكانت سيناء والقدس وغزة والضفة الغربية والجولان قد أصبحت تحت الاحتلال الاسرائيلي ، كما كانت قناة السويس مغلقة ومدنها وقرائها مهجورة ومهطمة ، وسمعتنا جيشا وشعبا في الحضيض وديوننا الخارجية قد أصبحت فوق الاحتمال .

هذا من الناحية الاقتصادية والعسكرية اما من الناحية الاجتماعية فكانت هذه السنوات سنوات قهر وإذلال ومرارة .

وبعد

ذلك هو التراث الذي تلقاه السادات ، وقد واجه السادات فنيجح في بعض جوانبه كالحرب والإطلاق الحريات إلى حد ما ، وفشل أحيانا كالمسيرة التي سارها أخوه عصمت على نسق ما سار آل عبد الناصر .

وسنرى الرجل وهو يسير ، ويخطو للأمام أحيانا ويتعثر أحيانا ، وسنقدم دراستنا بأقصى ما يمكن من حييدة .

والله المستعان

خطوات السادات الأولى في الرياضة

عندما نبدأ حديثنا عن مسيرة مصر في عهد السادات نجد أن أحداث هذا العصر تنقسم قسمين :

١ — قسم يرتبط بسنة من سنوات حكم السادات كالقضاء على مراكز القوى سنة ١٩٧١ والحرب ضد إسرائيل سنة ١٩٧٣

٢ — قسم لا يرتبط بسنة من سنوات هذا الحكم ، بل هو طبيعة في السادات امتدت بصورة أو بأخرى من عام إلى عام وذلك كالديكتاتورية والترف ، أو هو مشكلة امتدت عبر عدة أعوام كالديون والثورات •

ومن أجل هذا سنتجه في هذه الدراسة إلى البدء بالأحداث التي ترتبط بالسنوات فنذكرها من عام إلى عام أشبه بنظام الحوليات ، مع ملاحظة المنهج الذى اتبعته في الجزء التاسع من هذه الموسوعة ^(١) وهذا المنهج يقرر أن نتبع الأحداث بتسلسلها التاريخي ، ولكننا عندما نبدأ الحديث عن حدث امتدت أطرافه إلى عام آخر أو أعوام أخرى بعد العام الذى بدأ فيه ، فإننا نظلّ معه حتى ننتهى من عرضه ؛ فحرب أكتوبر مثلا بدأت سنة ١٩٧٣ ولكن مشكلاتها امتدت إلى سنة ١٩٧٤ حيث تمّ فك الاشتباك الأول ، ثم إلى سنة ١٩٧٥ حيث تمّ فك الاشتباك الثانى . . . وفى هذه الحال وما شابهها سنظل مع الحدث حتى نهايته •

وبعد الانتهاء من الأحداث المرتبطة بالسنوات ، نعود للحديث عن القضايا الأخرى التي ترتبط بعهد السادات دون أن تكون حدثا من أحداث عام بذاته •

ولنبدا الدراسة تبعا لهذا المنهج :

(١) انظر ذلك المنهج في ج ٩ ص ٢٣٨ •

حوليات عصر السادات

أعمال سنة ١٩٧٠

تولّى أنور السادات رئاسة مصر في منتصف أكتوبر سنة ١٩٧٠
بعد الاستفتاء ومعنى هذا أن الفترة التي كانت باقية من سنة ١٩٧٠
فترة قصيرة •

ولكن أنور السادات اعتاد طيلة مدة رئاسته ان يعدّد مفاخره من
عام إلى عام ، فيذكر إنجازاته في كل عام من أعوام رئاسته ولم يَنسَ
عام ١٩٧٠ وهو يعدّد هذه المفاخر مع قصر المدة ، ونحن بحكم الحيدة
لن نضنّ عليه بذكر مفاخره ، ولكننا سنعلق عليها أحيانا ، ونضيف
ما لم تذكره هذه المفاخر من أحداث •

حلف اليمين الدستورية :

وأول شيء يرتبط بالسادات عقب إعلان نتيجة الاستفتاء أنه ذهب
إلى مجلس الشعب الأداء اليمين الدستورية أمامه ، وفيه أقسم أن يؤدى
عمله بأمانة وإخلاص ، وأن يرفع مصالح الوطن وسلامة أراضيه ٠٠٠٠

أهمية الإيمان عند حالفها :

وعلى ذكر اليمين الدستورية نقرر أن المناصب العليا تحتم على
من يتعيّن فيها أو ينتخب لها أن يبدأ عمله بحلف اليمين الدستورية ،
فيقف الرئيس أو الوزير ومعه ورقة كتبت عليها كلمات القسم ، ويقرونها
كما يقرأ التلاميذ في كتاب المطالعة ، وأغلب الظن أن الكثيرين يقرءونها وهم
يفكرون في شيء آخر ، فليست هذه القراءة إلا عملا روتينيا ، وقلّ جدا
من اتبع الدستور ، ولم يزيّف الانتخابات ، وكثر جدا من يتشرون على
حساب مصالح الشعب ، وهن يصلون الرعية لتخفى عنهم الحقائق في
أخطر الأمور ، وفيهم من طفى وتجبر ، وأزهق الأرواح البريئة ، وامتدت
عينه ويده إلى ما لا حقّ له فيه •

وعلى كل حال فقد ذهب أنور السادات إلى مجلس الشعب الذى صُفِّقَ له طويلا قبل القسم وبعده ، والتصفيق شىء تَبَرَّعٌ فيه مجالسنا اكل رئيس يتقدم لها من قبل أن ترى منه أى خير .

السادات وبرنامج عبد الناصر :

وخطر ببال أنور السادات أن يفعل شيئا يخدع به معارضيه ، فأعلن أن برنامجه هو برنامج عبد الناصر ، وأنه سيسير على هُدايه ونوره ، وأودع فى المجلس نسخة من بيان « ٣٠ مارس » الذى كان قد أصدره عبد الناصر واستفتى عليه الشعب سنة ١٩٦٨ ليكون دليلا على التبعية المطلقة للأفكار زعيم الهزائم .

هل كان لعبد الناصر فكر أنار لنا طريق الحياة ؟ وماذا استفدنا من « فلسفة الثورة » أو من « الميثاق » أو من « بيان ٣٠ مارس » ؟ الحقيقة أننا لم نستفد شيئا ، وأن الهزائم لا يعالجُ جراحها أمثالُ هذه الورقات الخداعة .

الانحناء أمام تمثال عبد الناصر :

ولم يقنع أنور السادات بذلك الإعلان ، بل استدار إلى تمثال لعبد الناصر كان موضوعا على المنصة ، فأنحنى له انحناءة تَقَرُّبٍ من الركوع ، وصرخنا فى البيوت من هذه الوثنية الأليمة .

وبعد القسم بدأ أنور السادات يباشر سلطاته الدستورية كرئيس للدولة ، والحق أنه لم يكن فى واقع الأمر حاكما وحده لمصر آنذاك ، بل كان هو وخصومه يتقاسمون السلطة والحكم ، فمن الواضح أن كلا الطرفين كان يتربص بصاحبه ، وكان أنور السادات يَسْرِثُ هذا التربص ، وَيَعْدُ أنفاس خصومه ، ويفكر فى اختيار الزمان والمكان الذى يَنْشُبُ

أظافره في أعناقهم ، أما هؤلاء البلهاء فكانوا يتخذون من كثرتهم ومن تشعب السلطات التي يسيطرون عليها وسيلة للتغلب عليه ، وسنرى في أحداث سنة ١٩٧١ عملية الصراع وخطواتها ونتائجها •

وقد ظل الصمت على كل حال يغطي هواجس النفس ، وما يمكن أن يكون هناك من إعدادٍ لساعة المصدام •

الحراسات :

تقول قائمة مفاخر السادات إنه في عام ١٩٧٠ ألغى قوانين الحراسة ، أى أمر بتصفية هذا الكابوس المرير الذي فرضه عبد الناصر ، والذي كان سلاحا استعمل للإيقاع بالذين لا يعلنون ولاءهم للنظام ، وكان هذا الكابوس قاسيا ظالما يتجه للتعذيب والإجاعة ، وقد فرض ناصر وعامر الحراسات على العديد من الأسر ، وفرض السادات بعض الحراسات كذلك كما سنرى فيما بعد ، ولكن عصر السادات بدأ فعلا في تصفية الحراسات ، أما مسيرة التصفية فكانت بطيئة واصطدمت بعقبات كثيرة ، وفي حالات كثيرة جاءت التصفية بعد وفاة الذين فرضت عليهم هذه الحراسات ، أو بعد هجرتهم من البلاد أو بعد وصولهم إلى أعمار وأمراض لا تجعلهم ينتفعون بهذه التصفية التي جاءت بعد فوات الآوان •

ولم يضع السادات قانونا لإلغاء تام للحراسة ، بل إنه عدل القانون الذى كان موجودا ، وبه تقتضى هذا التعديل أوقفت الحراسة كإجراء إدارى ، وأصبحت لا تنتم إلا بحكم قضائى ، ولا تفرض الحراسة على أحد قبل أن يشمّع دفاعه عن نفسه حتى تطمئن قلوب الناس ، وقد عارض رجال عبد الناصر هذا التعديل زاعمين — سامحهم

الله — أنه يتضمن حمايةً للعناصر غير الاشتراكية ، وأنه مقدمة لتصفية الإجراءات الاشتراكية (١) .

كيف أطلقوا لفظ الاشتراكية على الاستيلاء على مال الغير دون محاكمة ؟ ودون أن يسأل صاحب المال ؟ ودون تعويض ؟ إنها نظام العصر الأسود .

وفي سنة ١٩٧٠ كذلك ألغى السادات القرار الخاص بمنع المصريين من السفر للخارج .

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٦ .

أحداث سنة ١٩٧١

في سنة ١٩٧١ عرّفت مصر مجموعة من الأحداث التي تتصل بالجهة الداخلية ، ومجموعة أخرى من الأحداث المصرية ذات الاتصال بالقوى الخارجية •

ثورة التصحيح :

في قمة الأحداث التي جرت هذا العام يقف ذلك الحدث الذي سمي « ثورة التصحيح » ولذلك نجد « أخبار اليوم » الصادرة في ١٤/١١/١٩٨١ عندما عدت مفاخر السادات في سني حكمه تتحدث بإفاضة عن « ثورة مايو » كحدث وحيد في سنة ١٩٧١ •

وتؤكد صحيفة أخبار اليوم أن هذه الثورة لم تكن منفصلة عن ثورة يوليو ، وأنها امتداد لها ، وتصحيح لمسارها لحماية مبادئها في الحرية والاشتراكية والوحدة ، وأنها تؤكد على الديمقراطية ، فالسيادة أصبحت للشعب وحده وهو مصدر السلطات ، كما أن ثورة التصحيح تؤكد على مبدأ الشرعية وسيادة القانون واحترام الحريات ونهاية المعتقلات •••••

وجماعة الثوار استطابوا كلمة « ثورة » فإذا كان عبد الناصر قد استولى على ثورة يوليو ، وطرد زملاءه وسجنهم أو قتلهم ، فلماذا لا يُحدث أنور السادات « ثورة » يتغنى بها كما تغنى سلفه بثورته ؟

أقول هذا لأن الذي حدث في مايو سنة ١٩٧١ لم يكن يستحق أن يسمى ثورة على الإطلاق لقد انقضَّ أنور السادات بذكائه أولاً ، وبجيشه وشرطته ثانياً على مجموعة من الأفراد الذين وصفناهم من قبل بأنهم بلهاء ، والذين كانوا موضع ازدراء الشعب واحتقاره ، وفي لحظة من الزمن اختفى هؤلاء ، واعتقلوا ثم كَوَّنَ الحاكم الجديد محكمة على نحو ما فعل سلفه مع أعدائه فقضت عليهم بالسجن عدة سنوات ، فليس في المسألة ثورة ولا شبه ثورة •

وإن القول بأن السيادة أصبحت للشعب ، وأصبح الشعب مصدر السلطات ، وإن الديمقراطية شملت أرجاء مصر ، هو إلى الأساطير أقرب ، إنها أقوال قالها عبد الناصر ورددها من جاءوا بعده ، ولم تصبح الأمة في الحقيقة مصدر السلطات ، ولا أن الديمقراطية الحقيقية عرفت طريقها لمصر منذ بدأت هذه الثورة المشؤومة سنة ١٩٥٢ .

وينبغي أن نتذكر أنه في غيبة وعنى عبد الناصر السياسى ، وفي غفلته الاجتماعية ، تكوَّنت مراكز كثيرة للعبث بشئون الناس ، ومن هذه المراكز تلك القوة الجبارة التى كان يقودها رجل لا يتفقد هو عبد الحكيم عامر ، وكان معه مجموعة ضربت الرقم القياسى فى الانحلال والخيانة الوطنية ، ولم تسقط هذه المراكز إلا عندما سقطت البلاد فى هاوية الهزيمة سنة ١٩٦٧ ، وسرعان ما تكوَّن مركز آخر من بعض الشخصيات الذين كانوا إلى القش أقرب منهم إلى الصلابة هم على صبرى رئيس الوزراء وعضو اللجنة المركزية وشعراوى جمعة وزير الداخلية ومحمد فوزى وزير الحربية ومحمد فائق وزير الإعلام وسامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية ومعهم أمين هريدى مدير المخابرات العامة ولم يكن هذا المركز فى مستوى المركز الذى أنشأه عبد الحكيم عامر ، فعامر كان يناوىء عبد الناصر وينافسه ويعتمد على الجيش ، أما هؤلاء فكانوا ذيو لا لناصر ويعيشون فى رحابه ، ولما سقطت تضعفت مكانتهم إذ لم تكن لهم قوة ذاتية .

وهكذا حدث الخلاف بين رئيس الدولة الجديد ، وبين هذه القوة المتداعية التى سقط من كانوا يعمدون ظهورهم عليه .

ولنهد للمسألة من أولها :

كانت المؤسسات التى خلفها عبد الناصر وهى مجلس الوزراء ، والاتحاد الاشتراكى ، فاللجنة المركزية ، فاللجنة التنفيذية العليا ،

فمجلس الأمة ، كلها كانت واقعة تحت سلطة هذه الطغمة التي ذكرناها باعتبار هؤلاء كانوا لسان عبد الناصر ويده ، وكان ذلك في وقت لم يكن السادات شيئاً ، وكان السادات عقب الاستفتاء يتوق للتخلص من هذه المؤسسات لإعادة تكوينها على هواه ، وكان على صبرى في قمة الزعامة عند وفاة عبد الناصر وبالتالي كان شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد فوزى وفائق من رفاقه ، فلما جاء السادات ضرب هذا أول ضربة خفيفة له ، بأن جعل الدكتور محمود فوزى رئيساً للوزارة ، ونقل على صبرى ليصبح نائباً لرئيس الجمهورية ، وهو بهذا أضعف صلته بالوزراء إلى حد ما ، ولكن هؤلاء لم يسرّشوا حقدهم وعصيانهم واستعانوا بالمؤسسات التي كانت تخضع تماماً لهم ، وفي ظاهر الأمر اتضح أن كفتهم راجحة حتى شاع في الأوساط العليا من أول الأمر أن السادات لن يستمر في الحكم أكثر من بضعة أسابيع .

مؤامرات وتفاهات مراكز القوى :

وبدأت مراكز القوى تنفذ مخططاتها في مهاجمة السادات كالآتي .
— وضعت كل التليفونات التي تتصل بالقصر الجمهورى تحت المراقبة ، ويقول محمد حسنين هيكل إن تليفونات القصر لم تكن مراقبة ، ولكن كل التليفونات التي يمكن أن تتصل بالقصر أو يتصل بها القصر وضعت تحت المراقبة للتعرف على تحركات القصر ، وبهذا وضعت تليفونات القصر تحت المراقبة بشكل غير مباشر .

— في اجتماع الاتحاد الاشتراكي أعلن الوزراء الذين تكلموا أن قيادة البلاد ضعيفة ، وأنهم لا يثقون في القيادة ، وأن سياسة مصر في الفترة الأخيرة كانت ضد كل ما كان عبد الناصر يمثلّه .

— تذكر السيدة جيهان السادات ^(١) أن إحدى جاراتها ذكرت لها أن ضباطاً من الشرطة عابنوا سطح منزلها بحجة حماية بيت السادات ،

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ٩٩٢ وما بعدها .

وأدركت جيهان السادات أن المقصود هو البحث عن أحسن الوسائل للهجوم والقبض على السادات ، إذ لم تكن هناك أوامر بالحراسة •

— في عيد العمال بحلول في أول مايو أجلست مراكز القوى بعض الأتباع في الصفوف الأمامية ، وكان هؤلاء من حين الآخر يرفعون صور عبد الناصر ، وبخاصة عند تصفيق الجماهير لأي مقطع من مقاطع خطاب السادات (١) •

— اتصل الأستاذ محمد حسنين هيكل بالسيدة جيهان السادات وحذرها من أن يدخل زوجها مبنى التلفزيون ، وذكر لها أن هناك مؤامرة للقبض عليه هناك •

— وكان السادات ينوي أن يزور مديرية التحرير ، وأُشيع أن مؤامرة ستقضى عليه هناك ، وارتبط ذلك باسم فريد عبد الكريم رئيس الاتحاد الاشتراكي في الجيزة ، والذي روت السيدة جيهان السادات أنه قال لمحمد السعدني تليفونيا : سسنتخلص منه حينما يذهب إلى مشروع الاستصلاح بمديرية التحرير •

وهناك كتاب عنوانه « رجال عبد الناصر والسادات » كتبه محام هو الأستاذ كمال خالد ، والكتاب عبارة عن مرافعات المحامين في قضية مراكز القوى ، وليس به تنسيق الكتب وتخطيطها ، ومن الاطلاع عليه يمكن اقتباس بعض النقاط التي توضح التحركات ضد الرئيس السادات في ذلك الوقت •

— في اجتماع ضم الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة

(١) محمد فوزي : استراتيجية المصالحة ص ٢١٥ وانظر « الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر للأستاذ جمال حماد ص ١٤٤ وانقلاب ١٥ مايو للاستاذ عبد الله امام ص ٢٧٦ » •

وعبد المحسن أبو النور الأمين العام للاتحاد الاشتراكي اتفق الاثنان على معارضة قانون الحراسة الجديد (١) .

— كان هناك مجموعة من الشبان يترددون على المقاهى ويهاجمون الرئيس السادات ، ويصفونه بأنه ديكتاتور ، وكان نشاطهم فى دائرة قسم الدقى ، ويشييعون انهم مكلفون بذلك من فريد عبد الكريم ، وهو بالتالى مكلف من شعراوى جمعة (٢) .

— إثارة إشاعات بأن السادات يحاول أن ينفرد بالسلطة ، ولا بمستشير المؤسسات (٣) .

— ضبط بمنزل ضياء الدين داود مضبوطات ضد الرئيس السادات كان من أقذعها منشور عنوانه :

الصدق والكذب بين سادات اليوم وسادات الأمس

وهو منشور يحوى كثيرا من الاتهامات والعدوانية ضد أنور السادات .

— وطراً على الحياة السياسية طارئ يتطلع للوحدة بين مصر وسوريا وليبيا ، ولعل أحدا لم يكن متحمسا لهذه الوحدة تحمسا حقيقيا ، وآثار الانفصال لم تغب بعد عن عقول المصريين وعيونهم ، ولكن السادات تظاهر بالحماسة لهذه الوحدة لا عن اعتقاد ، ولكن ليثير زوبعة ، يهدد فيها هذه المؤسسات ويتخلص من أولئك الطامعين .

وتصدى على صبرى للهجوم بقسوة على اقتراح الوحدة فى اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى يوم ٢١ ابريل ، وقد أصدر السادات قراراً بفصله من كل وظائفه فى ٢ مايو .

(١) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٤ .

(٢) رجال عبد الناصر والسادات . ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣ .

وكان على صبرى يتوقع ردّ فعل سريع من مجموعته لمقاومة فصله ، ولكن كل ما تأقاه من هذه المجموعة هو : اهدأ° ، لا تتعجل °° انتظر يومين °°°°° ولذلك طلب على صبرى صهره محمد فائق وقال له : شعراوى وسامى يقدمان لى « البنج » °

واتجهت الجهود إلى الاستعانة بالجيش ، وقد عبر سعد زايد عن ذلك بقوله : لو كان معى كتيبة دبابات لعملت بها °°° (١) °

وكان التعليق على هذه الجملة بأن ذلك نوع من الهوس بسعد زايد الذى كان للأسف محافظا للقاهرة فى عهد ناصر ، ومن هذا النوع ما روى عن محمود رياض أنه قال « ما فيش ضابط جدع يعمل انقلاب ويخلصنا ؟ »

وانفلتت بعض أعصاب الذين كانوا يشغلون أرقى المناصب فى الدولة مما يدل على مدى تفكيرهم فمثلا ضياء الدين داود يقول : أنا جزهتى نفهم فى السياسة أكثر من أنور السادات ، وأنه يدعى أنه هو الذى صنعنى ، والحق أن الذى صنعنى هو عبد الناصر °

وايس لنا من تعليق على هذا القول إلا أن نقول : بنسبت الصنعة ° وبدأ الصدام يظهر بعد عزل على صبرى زعيم هذه المجموعة ، واتضح أن الفوز سيكون لمن يسانده الجيش والشرطة ، ولذلك اتجه أنور السادات لهاتين القوتين فى صمت ، فبدأ يقوِّى علاقته بالفريق « محمد صادق » رئيس أركان حرب القوات المسلحة وهو من عائلة كبيرة متدينة غنية بريفنا بمركز أبو حماد شرقية ، وقوِّى علاقته كذلك بالسيد « ممدوح سالم » وهو من رجال الشرطة المشهود لهم بالقوة والانضباط ، وكان يشغل منصب محافظ الإسكندرية ، وأعدّ الاثنين ليتولى الأول وزارة الحربية والثانى وزارة الداخلية °

واتجه السادات كذلك لتأمين نفسه بواسطة قوى هائلة هي الحرس الجمهورى ، وكان قائده هو اللواء « الليثى ناصف » وكان الليثى يدرك أن مهمته هي حماية الرئيس تماما ، ولكنه كان على علاقة طيبة بالشخصيات السابقة ، شخصيات مراكز القوى التي وضعته في هذا المنصب وبخاصة سامى شرف كما اتجه السادات كذلك لتجنيد بعض الشخصيات العامة بحرص وفى الخفاء (١) .

ويقول سامى شرف فى بيان سلطاته على الحرس الجمهورى : « كنت أصدر أوامرى بالإشارة فأطاع » وظن سامى شرف أن نفوذه لا يزال باقيا فقال لشعراوى جمعة : الراجل أنور السادات اتجنن وباعت يجيب ممدوح سالم علشان يعينه وزير داخلية مكانك ، وأنا ناوى أقبض عليه وأجبيه لك فى قفص » ولكن شعراوى جمعة كان أكثر كياسة فحذره من أى تصرف من هذا اللون (٢) .

وكان الرئيس السادات يحس بمكان سامى شرف فى الحرس الجمهورى ، لذلك استدعى الليثى ناصف وسأله بحزم :

إذا طلبت منك إلقاء القبض على الوزراء فهل تنفذ الأمر ؟

فأجاب : نعم يا سيادة الرئيس فهذا واجبى ولن أتردد فى تنفيذه .

وسنرى فيما بعد أن الحرس الجمهورى قبض على هؤلاء الوزراء ، وحوكهم ولكننا نريد أن نقف وقفة من الليثى ناصف الذى نفذ حركة القبض على هؤلاء الأشخاص ، ونقول عنه السيدة جيهان السادات (٣) .

كان الليثى واقعا تحت ضغط عصبى ونفسى ، كان يتمزق بين واجبه

(١) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ٢١٦ .

(٢) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ١٠٨ .

(٣) سيدة من مصر ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

من جانب وصداقته لهؤلاء ولسامى شرف بوجه خاص من جانب آخر ، وقد ملأ الخوف قلبه ، وبعد أن انتهت هذه المشكلة أصابته حالة من الاكتئاب العميق ، فأُرسل إلى لندن للعلاج ، وهناك سقط من شرفة في الدور الخامس ولقى حتفه • وتواصل جيهان كلامها قائلة :

واعتقد الجميع في مصر أنه انتحر لعدم استطاعته التوفيق بين واجبه تجاه الرئيس وولائه لعبد الناصر ومريديه ، ولعل الأدوية التي تناولها أضعفته أو أثرت عليه فقفز من الشرفة دون أن يدري • وقد حزن عليه أنور السادات حزنا شديدا •

ولنعد لنواصل المسيرة مع هذه المجموعة من مراكز القوى فنذكر أنه انكشف بعد ذلك شيء من مساوئهم وهو أشرطة « تصنت » على عدد كبير من المواطنين في مقدمتهم أهل القمة لمعرفة أسرار حياتهم الخاصة والعامة ، حتى يكون هؤلاء أسرى كلماتهم التي قالوها في سر ، فإذا هي معلنة بواسطة هذه الأشرطة السوداء ، وعندما انكشف سر هذا التصنت الدنيء استقال شعراوي جمعة من وزارة الداخلية يوم ١٢ مايو وتولى مكانه ممدوح سالم •

ولم يبق لدى مراكز القوى إلا اللجوء للجيش وبخاصة أن معهم « محمد فوزي » القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية ، وكذلك اللجوء للمؤسسات الجماهيرية التي كانوا يمسكون بمقاليد السلطة بها ، واتخذوا طريقهم لذلك أن يقدّموا استقالات جماعية ، وأن يذيعوا هذه الاستقالات قبل أن تصل إلى يد السادات إذ كان وزير الاعلام « محمد فائق » واحدا من هؤلاء •

وذهب محمد فوزي ليلعب دوره في تحريك القوات المسلحة ، فدعا قادة القوات المسلحة إلى اجتماع في مكتبه بوزارة الحربية ، وقال لهم : إن رئيس الجمهورية يبيع البلد للأمريكان ، وكان يعرض بذلك للعرض

الذى تقدم به روجرز ، والذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وتساءل محمد فوزى عن موقف القوات المسلحة من ذلك ، ولكن محمد صادق رد عليه ردا حاسما هو : أنت قدمت استقالتك ، ثم إنك تعرض علينا ما لا دخل لنا فيه ، فكل جهودنا متجهة لمهمتنا الرئيسية ، ولا دخل لنا فى أمور السياسة ، ومن الأوفق لك أن تعود لبيتك لتستريح فإنه يبدو عليك أنك متعب •



الفريق أول محمد فوزى

ويتحدث الفريق محمد صادق عن أول اتصال له بالسادات فيقول :

رأيت من واجبى أن أتصل لأول مرة بالرئيس السادات ، فبلغته أن القوات المسلحة خارج الصراع ، وأنها لا تكن أى ولاء إلا للسلطة الشرعية ولمصر ، فطلب منى الحضور فوراً لمنزله الأحلف اليمين كوزير للحربية ، فاعتذرت له بأنى لن أترك مكانى فى القيادة حتى أطمئن ، لأن الموقف لا يسمح بغير ذلك •

ويواصل الفريق محمد صادق كلامه فيقول : اتصلت بقيادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وقادة الجيش ، ••••• وطلبت من الجميع

البقاء في أماكنهم وعدم إطاعة أى أمر من أى شخص إلا إذا كان صادرا منى شخصيا (١) .



الفريق أول محمد صادق

وعَيَّن محمد صادق وزيرا للحربية ، وقبل السادات استقالة المستقيلين وعيَّن بدلهم بسرعة ، وعندما انتصر السادات في هذه الجولة اتجه له بالولاء الغالبية العظمى ممن كانوا بالأمس يقفون مع الوجوه الزائلة .

إنها السياسة الكاذبة لا تعرف الأصدقاء ولكنها تدين بالنفعية .

وأصبح السادات بذلك رئيسا بالفعل غير منازع ، وصار لامعا بعد أن كان باهتا ، وأُجريت محاكمة هؤلاء فحكم عليهم بعقوبات مختلفة ، ودفع بهم خلف جدران السجون كما فَعَلُوا بالكثيرين من قبل .

(١) عبد الله امام : انقلاب ١٥ مايو ص ٣٠٤ .

وينبغي هنا أن نورد ما دونه أنور السادات عن أحداث مايو سنة ١٩٧١ يقول سيادته (١) .

— كان المفروض أن أذهب في يوم الخميس ١٣ مايو سنة ١٩٧١ إلى مديرية التحرير ، ولكنى علمت أنهم قد دبروا كميناً هناك لاغتيالى . فأجلت الرحلة معتذراً بأنى مجهّد وقررت أن أتخلص منهم ولكن كان لابد من بيّنة .

— منذ تاريخ توليتى فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٠ إلى ١١ مايو سنة ١٩٧١ ، كانت هناك أسباب كثيرة للتخلص منهم ولكن كانت تنقصنى البينة إلى أن أتى يوم ١١ مايو سنة ١٩٧١ فجاءنى ضابط بوليس شاب لم تكن لى به سابق معرفة وهو يحمل معه شريط تسجيل عليه مكالمة تليفونية بين اثنين من مراكز القوى يتضح فيها تأمرهم على وعلى الدولة .

ولم يذكر أنور السادات منّ هما هذان المتحدثان ، ولم يذكر كذلك محتويات هذا الشريط بشئ من التفصيل ، وترك الأمر هكذا مبهماً ، ولكن الفريق أول محمد فوزى يذكر بعض تفصيلات عن هذا الشريط ، ولسنا نعرف بالتأكيد مدى صحة ما يقوله محمد فوزى ، لأنه نشر كتابه بعد وفاة السادات ، وعلى كل حال فهو يقول ما يلى :

صباح يوم ١١ مايو ١٩٧١ اتفق ثلاثة من الضباط العاملين فى التسجيلات وهم العقيدان محمد معوض جاد المولى وحسن رشوان سليمان ورائد طه زكى على تبليغ الرئيس ما يحدث من تسجيلات عنه ، فذهب الأخير وسلم سكرتير الرئيس السادات شريطاً طلب منه أن يستمع الرئيس لمحتوياته ، وهذا الشريط كان عبارة عن تسجيل لمكالمات تليفونية بين

(١) البحث عن الذات ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(م ١٥ - التاريخ الإسلامى)



السادات ومحمد صادق
الصدّاقة عند الضرورة

فريد عبد الكريم أمين الاتحاد الاشتراكي بالجيزة ومحمود السعدنى الكاتب الصحفى ، وكان الحديث يدور حول الموقف السياسى والأحداث الدائرة آنذاك ، وكذلك ما حدث فى اجتماعات اللجنة المركزية يوم ٢٥/٤/١٩٧١ بالذات ، بالإضافة إلى تناول شخصية الرئيس وحرمة بعبارات وألفاظ خارجة نتيجة بعض تصرفات حدثت فعلا تتعلق بمحاولة الاستيلاء على أحد القصور بمنطقة الهرم ، واستمع الرئيس السادات إلى الشريط واستدعى الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فحضر واستمع إليه كذلك (١) .

وذكر الرئيس السادات (٢) كذلك أن الإذاعة كانت محاصرة يوم جلسة اللجنة المركزية للاستفتاء على مشروع الوحدة حتى إذا ذهبت للإذاعة الأخطب الشعب أحاصر هناك ويفتالوننى .

وعندما وصلنى هذا الدليل قلت يجب أن أصفيهم على الفور ، فلم يعد هناك شك فى تأمرهم على مصر ، وبدأت بإقالة وزير الداخلية المسئول عن التسجيلات وفى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء نفس اليوم ١٣ مايو سنة ١٩٧١ جئاعنى أشرف مروان (وهو زوج كريمة عبد الناصر) وكان يعمل مديرا لمكتب سامى شرف ، وهو يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة ووزير الحربية ووزير الإعلام ووزير شئون رئاسة الجمهورية وأعضاء من اللجنة التنفيذية وأعضاء من اللجنة المركزية العليا وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد ، فقبلتها جميعا وأعلنتها على الشعب فى الحال ، وحددت إقامتهم فى بيوتهم ... وفى نفس الليلة أجريت تعديلا وزاريا وأعيد تشكيل الوزارة ولم يحدث أى انهيار دستورى مما كانوا يحلمون به ، بل على العكس خرج الناس إلى الشوارع وهم يهللون فرحين بما تم ،

(١) الفريق أول محمد فوزى : استراتيجية المصالحة ص ٢١٨ .

(٢) المرجع السابق .

وهكذا تخلصت مصر من كابوس مركز القوة الأساسى الذى شل حركة مصر سنوات طويلة

ولكن كان من الضروري أن نتخلص من آثار هذه المراكز التى ظلت جائحة فوق الصدور سنة بعد سنة ، تعبت بأقدار الناس ، تزرع الخوف فى صدر الإنسان المصرى ، وتعطل العدالة ، وتثبىح الحق ، وتذيق الناس من ألوان القهر والتعذيب مالا طاقة لهم به وتحرمهم من أهم مقومات الحياة وهى الحرية

فأمرت بحرق جميع شرائط التسجيل الموجودة فى وزارة الداخلية ، والتى تشمل أسرار الناس ، وكان هذا زمرا لإعادة الحرية إلى المواطنين .

وأمرت على الفور بإغلاق جميع المعتقلات ، وتحريم الاعتقال ، وأعلنت أن لكل مواطن الحق فى أن يفعل أو يقول أى شئ فى ظل سيادة القانون .

تعليقات مهمة على « ثورة التصحيح » :

إن الباحث فى موضوع ثورة التصحيح يحس أن هناك تعليقات مهمة حول هذا الحدث ، نوجزها فيما يلى :

١ - ثورة التصحيح تناولت أعداء السادات لا أعداء الشعب . فكثيرون من رجال ثورة ٢٣ يوليو كانوا متورطين فى الكثير من الجرائم والانحرافات المنسوبة لعهد عبد الناصر ، مثل صلاح نصر وشمس بدران ، ولكن السادات لم يفتح ملفاتهم ولم يعلن للشعب انحرافاتهم . السادات هؤلاء لم يعلنوا سخطهم على السادات ، بل إن السادات تعاون مع مجرمي عهد عبد الناصر ، فقد سمح بخروج العقيد شمس بدران من مصر على الرغم من اتهامه فى عشر جنایات من قضايا أمن الدولة ، وعلى الرغم من مسئوليته كوزير دفاع وقت الهزيمة ^(١) وهما يروى عن هذا الرجل أنه

(١) دكتور ابراهيم ابازة : الخطايا العشر ص ٢٤ و ٢١٥ .

ذهب مرة لزيارة المعتقلين للاطمئنان على الشدة في معاملتهم ، ورأى ضرب الجنود لهم ، فلم يقنع بذلك ، وتناول « الكرياج » وأخذ يضرب الجنود بقسوة ، ويقول لهم هذا هو الضرب الذى نريده لهؤلاء .

وسنرى السادات فيما بعد يحمى صلاح نصر ، وعندما حكم عليه بالسجن أمر أن يكون سجنه فى المستشفى لرضه ، ثم سرعان ما أصدر عفوا صحياً له .

٢ — أعداء السادات الذين قفلوا أفواههم فلم يقولوا كلمة ضده ، نجوا من عدوان السادات ، وظلوا على صمتهم وقنعوا بالنجاة من جانب وباستمرار مكاسبهم على حساب الشعب من جانب آخر ، وما أكثر هؤلاء .

٣ — لم تغير ثورة التصحيح شيئاً من الأوضاع ، ولا عدلت جوهر النظام ، فالاختيار الأول لأهل الثقة ، واليد العليا للحاكم وحده ، واليد السفلى لكل الشعب ، وليس هناك تغير فيما يتعلق بالقطاع العام ، أو فيما يتعلق بالشركات الحكومية الخاسرة (١) .

٤ — عقدة مراكز القوى جعلت السادات حريصاً على ألا يدع فرصة لإنسان نابه ليستمر فى عمله السياسى طويلاً خشية أن يصبح فى يوم ما مركز قوة ، ولعل هذا هو السر فى تخلصه من محمد صادق الذى لعب دوراً مهماً فى مواجهة محمد فوزى كما ذكرنا من قبل ، وبالتالي أبعد الجيش عن التورط فى السياسة كما أرادها محمد فوزى ، وتخلص السادات كذلك من الجمصى الذى حقق بقدراته ومواهبه مكاناً مرموقاً .

٥ — أورد الأستاذ محمد حسنين هيكل صورة زنكوغرافية لخطاب خطير من محمد فوزى وزير الحربية إلى محمد صادق رئيس أركان حرب

(١) دكتور ابراهيم دسوقي اباطة : الخطايا العشر ص ٣٢٤ .

القوات المسلحة ، وهو في هذا الخطاب يعطى أوامر للفريق صادق ليتحرك ببعض الجيش (١) .

ولم ينفذ الفريق صادق هذه الأوامر ، ثم إنه لم يعلن هذا الخطاب ويعتبر ذلك قمة الكياسة والسماحة ، ولو كان قد أعلنه في فترة المحاكمات كانت مسئولية محمد فوزى خطيرة لأنه أهر بالزج بالجيش في هذه الأهر السياسية لصالح الطغمة الفاسدة ، وذكر في هذا الخطاب ان مصدر الأوامر فوزى — شعراوى — سامى .

وقد تحرك الجيش مرة في يوليو سنة ١٩٥٢ فجلب لمصر كل صنوف الهزائم والظلم والفتور والقهر ، واعتقادي أن الجيش تعلم من هذه المساة ، فلن يقدم مرة أخرى على خوض هذا الطريق .

ويعلق المؤرخ العسكرى الكبير جمال حماد (٢) على موقف محمد صادق بقوله :

وقد كان للموقف الوطنى الحكيم الذى وقفه الفريق محمد صادق الفضل فى استقرار الأوضاع داخل تشكيلات الجيش ووحداته ، وعدم إتاحة الفرصة لأحد لإحداث أية فتنة أو بلبلة أو استغلال الفرصة للقيام بحركات مضادة للشرعية .

وكان من الأسباب التى لم تشجع محمد فوزى على محاولة تحريك الجيش لصالح جماعته ، ما ذكره أحمد كامل مدير المخابرات العامة لهذه الجماعة ، فقد قال لهم بصراحة : من تتبعى للرأى العام فى الجيش أقرر أنه يكره جماعتكم كراهة تحريم ، كما أن الفريق محمد فوزى مكروه جدا فى الجيش ، وأن الغرض من إنشاء قوات الأمن المركزى هو استخدامها ضد أى حركة فى الجيش (٣) .

(١) خريف الغضب ص ١١١ .
(٢) الحكومة الخفية فى عهد عبد الناصر ص ١٥٣ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

٦ — يتحدث أنور السادات فيما اقتبسناه سابقا منه عن الشعب الذى خرج للشارع فى فرح وسرور بسبب القضاء على مراكز القوى ، وهذا الادعاء مبالغ فيه ، فقد بالغت الصحافة الحكومية فى عرض الأشرطة التى حُرقت بوزارة الداخلية ... وهذه الأشرطة تتصل بالكبار ولا تمس الشعب من قريب ولا بعيد ، ولكن البلهاء الذين رقصوا بمجلس الشعب يوم التاسع والعاشر من يونيو ، ودماء الآلاف من المصريين لا تزال تقطر فى سبيلهم ، هؤلاء البلهاء لا يستبعد أن يرقصوا لأى حدث يرضى الزعيم ، ولكن الشعب الحقيقى لم يعرف الفرحة منذ قامت هذه الثورة واتجهت بالعدوان على الحرمات والأموال والأعراض •

٧ — شككت محكمة سُميت « محكمة الثورة » لمحاكمة المتهمين وكان رئيسها حافظ بدوى وعضواها بدوى حمودة وحسن التهامى ومما يذكر عن مثل هذه المحاكم أن الحاكم الفعلى فيها هو الخصم ، ومما قضاة هذا الحاكم إلا الصوت المعبر عن صوته ، فكانون محكمة الثورة رقم ٤٨ لسنة ١٩٦٧ يقضى بعرض الحكم قبل النطق به على رئيس الجمهورية الذى خول له القانون إجراء تعديل على الحكم سواء بالإلغاء أو التخفيف أو التشديد ، ولا تنطق المحكمة بالحكم النهائى إلا بعد إجراء ما يراه الرئيس من تعديل فيه ، ثم يصدّق عليه •

وكان المتهمون فى القضية ٩١ متهما ، اتُهم بعضهم بالخيانة العظمى ، واتهم آخرون بتهمة مختلفة ، وطلب المدعى الاشتراكى عقوبة الإعدام على بعضهم وعقوبات بالسجن على الآخرين •

واتهم على صبرى باستغلال النفوذ ، وأنه حصل على رشوة فوققف على صبرى فى القفص يقول :

يتهمنى المدعى الاشتراكي باستغلال النفوذ ، وأنى حصلت على رشوة من مقاول إحدى شركات القطاع العام التى بَنَتْ لى الفيلا التى أقيم بها ، وأنى لم أسدد إلا مبلغاً ضئيلاً لا يتناسب مع تكاليف البناء الفعلية ، والمقاول المقصود هو عثمان أحمد عثمان ، والشركة المعنية هى شركة « المقاولون العرب » والقانون يعاقب الراشى والمرتشى ، وإذا كنت أنا المرتشى فقد كان على المدعى الاشتراكي أن يقبض على عثمان أحمد عثمان ويضمه معنا فى القفص لأنه دافع الرشوة .

ثم إن الفيلا التى بَنِيَتْ لى هى واحدة من ثلاث فيلات أقيمت فى وقت واحد ، وفى موقع واحد ، وبتموج واحد ، وبسعر واحد ، فأين ملاك الفيلتين الأخريتين ، ولماذا لا يكون معنا فى القفص أشرف مروان ، وحاتم صادق زوجا ابنتى جمال عبد الناصر اللذان يسكنان فى الفيلتين مع زوجتيهما (١) .

وقد حكمت هذه المحكمة بالإعدام على أربعة من المتهمين هم على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف وفريد عبد الكريم ، وحكمت على الباقيين بالسجن لمدة متفاوتة ، ولكن رئيس الجمهورية أمر بتخفيف حكم الإعدام فجعله الأشغال الشاقة المؤبدة ، كما أمر بتخفيف الحكم على بعض المحكوم عليهم بالسجن ، فقلل مدة السجن .

صورة هؤلاء الحكام :

وجاء فى حكم المحكمة « براءة على صبرى من تهمة استغلال نفوذه للحصول على فوائد وميزات ذاتية له والأسرته » (٢) .

وكانت هذه البراءة نتيجة طبيعية لدفاع على صبرى عن نفسه ،

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١١٧ و ١١٨ .

(٢) كمال خالد : رجال عبد الناصر والسادات ص ٢٦٠ .

ذلك الدفاع الذى جرّ إلى المسئولية أولاد عبد الناصر الذين يهلكون فيلات تماثل فيلا على صبرى ، ودفعوا ثمننا يماثل الثمن الذى دفعه ، كما جرّ إلى المسئولية عثمان أحمد عثمان الذى دفع الرشوة ، فيبدو أن توجيهها صدر بالتغاضى عن هذه الانحرافات التى كان التمسك بها خطيرا على بعض ذوى النفوذ •

ومما يذكر أن هذه المحاكمة شملت عددا كبيرا كان أكثرهم من رجال السياسة أو رجال الإعلام •

صور لزعماء عصر عبد الناصر :

وهنا نقدم صورة لبعض الشخصيات الهزيلة التى كانت لامعة فى عصر عبد الناصر ، ثم كثفت الأيام عن طبيعتها ، فإذا بهم ينهارون ويتبادلون التهم ، وذلك قمة الصغار :

— مثلا الفريق أول محمد فوزى نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية شهد ضد شعراوى جمعة نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية • وقال إن شعراوى سأله عما إذا كان يمكنه استخدام الجيش فى عمل انقلاب ، وإنه (أعنى الفريق فوزى) رد على استفسار شعراوى بأنه « حاشوف »^(١) وأنه « حايدرس » •

أما على صبرى (نائب رئيس الجمهورية) فقد اعترف على عبد المحسن أبو النور الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربى بأنه هو الذى دفعه إلى الهجوم على الرئيس السادات خاصة فى اجتماع ٢٥ إبريل ، وقال إن الرئيس ناوى يشيلك • « خش عليه جامد »^(١) ! •

وشهد أكثر من متهم ضد على صبرى • بأنه كان غاضبا لأن الرئيس السادات لم يكن يستشيرَه فى أى موضوع •

(١) دكتور مصطفى أبو زيد فهمى : مجلة أكتوبر (١٠/٣٠ / ١٩٨٨) •

وشهد أحمد كامل رئيس المخابرات آنذاك أن شعراوي جمعه قال :

« نخلي الجيش يعمل عملية (انقلاب) ونشكل مجلس رئاسة برئاسة الفريق محمد فوزى • لكن أحمد كامل قال له — ولهم — إن الجيش يكره الفريق فوزى وانه لا يمكنه اطلاقا أن يسير خلف فوزى ليكون رئيسا للدولة •

وعلى كل حال فقد كانوا جميعا مرحبين ومتقربين ومتلهفين إلى أن يجيء محمد فوزى لينهى الموضوع بانقلاب عسكري • وتبلغ الלהفة والترقب من جانب على صبرى أنه يسأل أكثر من مرة وبإلحاح : فوزى أخبره إيه ؟ وطبعا هو هنا لا يستفسر عن صحة الفريق فوزى !

ومرة أخرى — أو فى حوار آخر مسجل بين على صبرى وسامى شرف — يقول على صبرى : « هذا التدبير يحتم موضوع فوزى » • أى تدخل فوزى •

ونجىء الآن إلى حسين الشافعى الذى قال عنه شعراوي جمعة فى المحاكمة إنه احتل أحد القصور الملكية « قصر الطاهرة » وصمم على أن يقيم فيه ، وقد تمكن شعراوي جمعة بأسلوب هادىء أن يقنعه عن العدول عن هذا الموقف (١) •

والشفعية التالية التى نريد أن نرسم لها صورة هى شخصية سامى شرف الذى كان معه نفوذ غير محدود ، وكان معه خاتم رئيس الجمهورية ، ومفاتيح خزانته ، وكان يمثل الصلة بين الوزراء وبين الرئيس جمال عبد الناصر •

وقد ثبت أن سامى شرف قال قبل تحديد إقامته إن السادات ثعبان أزرق ، وفيه كل الخسة والمكر والنذالة والفدر (١) .

هذا الإنسان لم يكن فقط خائناً للسادات ، بل إنه كان خائناً للجميع ، فقد ثبت أنه أمر أحمد كاهل رئيس المخابرات أن يسجل أحداثا كبار المسؤولين التى حوكهوا بها ، وكان ذلك برأيه أو برأى سيده ناصر .

هذا الإنسان عندما صدرت قرارات بتحديد إقامته ومحاكمته انهار انهيارا كاملا ، ولم تكن فيه قدرة الرجال لمواجهة هذه الأحوال الجديدة ، وبكى واولول ، وكتب رسالتين للنائب العام يلقي فيهما بالمسؤولية على زملائه ، ثم عاد بعد ذلك يسحب كلامه ويقرر أن الخطابين اللذين كتبتهما للنائب العام حدثا وهو في ظروف نفسية وصحية سيئة ، وأنه كتبهما وهو بدون وعى ، ولم يكن يعنيه إلا النجاة بحياته (٢) وإن كان فى ذلك ما يؤدى بمن كانوا رفاقا له (٣) .

وهكذا حاول هذا الإنسان أن يستنكر ما جاء على لسانه بهذين الخطابين ، إذ أحس أنه اساء إساءة بالغة لمن كانوا بالأهس زملاءه .

وكان من وسائل انهياره وصفار نفسه أنه توجه بالتماس إلى الرئيس السادات يقول فيه : إنك الوالد ، ويستحلفه بروح حبيبته جمال عبد الناصر !! وبحياة بنته «نانا» « ابنه السادات » يا له من صغر .

ويذكر الأستاذ جمال حماد أن أدلة قوية تؤكد أن سامى شرف كان مجندا لحساب المخابرات الروسية ، وأن اسمه الحركى كان «الأسد» ويطالبه بدفع هذا الاتهام عن نفسه إذا استطاع بدلا من السكوت الذى

(١) المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

استغرق عشر سنوات ، ويقرر أن هذه نهضة شائعة وبخاصة أنه كان شديد القرب من عبد الناصر ، ويهدده بمحكمة التاريخ التي تذلل الجبابرة والظفاة (١) .

ولا شك أن هذه الصورة ترينا مكانة الذين حكمونا في يوم من الأيام .
والصورة التالية التي نقدمها هي صورة ضيياء الدين داود الذي صرح — كما ذكرنا من قبل — أن جزمته تعرف في السياسة أكثر من أنور السادات ، ولكنه عندما جدد الجدد ، تهاوى وسقط وراح يستعطف ، ومن صور استعطافه ذلك الخطاب المخجل الذي كتبه للمهندس سيد مرعى ، وكان هذا نائباً لرئيس الوزراء آنذاك .

وهو في مطلع خطابه الطويل يصفى أرق الصفات على سيد مرعى ، ثم ينتقرب للسادات بأن يدعى أنه لا يرتبط بعلى صبرى بشيء ولا يتأثر له برأى .

ويحتذر عن كلامه في اللجنة التنفيذية بما أغضب السادات ويقول :
إنى اعترف أنى اندفعت في الكلام وكان الأفضل ألا أتكلم .

ويقرر استعداداه بأن ينسحب من الحياة السياسية تماماً ، ثم يشير إلى حياته في السجن وأنه أمضى به شهراً في أسوأ ظروف صحية ونفسية وعصبية .

ويذكر أنه كتب للرئيس السادات من السجن كتابين يلتمس فيهما عفوهم ورضاه ، وينتقرب إليه .

ثم يختم خطابه بأن يستحلف سيد مرعى بالله بأن يساعدته في

(١) الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر ص ٦٠ و ٦٩ و ٨٢ .

محنته ، وأن يتذكر أن والدته تعاني خلال الشهور الثلاثة الماضية من الأمراض والحرمان وتحتاج للمواساة (١) .

هؤلاء — أيها القارئ الكريم — هم الذين حكمونا خلال فترة الظلام وهم غير جديرين على الإطلاق بالمكانة التي شغلوها .

الإفراج بعد عشر سنوات :

في ١٣ مايو سنة ١٩٨١ قرر أنور السادات الإفراج عن بقى من المحكوم عليهم بالسجون في مؤامرة مايو سنة ١٩٧١ ، وكان الكثيرون قد امضوا العقوبة وخرجوا ، وبقي بالسجن على صبرى وسامى شرف وفريد عبد الكريم وشعراوى جمعة الذين كان قد حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، فاكتفى السادات بعشر سنوات .

ولم يحس الناس بفراغ عندما سجن هؤلاء ، ولا فرح الناس عندما تمَّ الإفراج عنهم ، لقد كانوا في نظر الجماهير كما مهملاً ، عاشوا في السلطة لتحقيق أهدافهم ، ولا يذكر لهم أجد أية مفخرة وطنية أو موقف يستحق الثناء .

عام الحسم :

عُرف عام ١٩٧١ بأنه عام الحسم ، وكان عبد الناصر قد توفي في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وأعلنت مصر الحداد مدة أربعين يوماً تنتهى في ٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠ وكان هذا داعياً لموافقة مصر على مد فترة وقف إطلاق النار مع إسرائيل مدة ثلاثة شهور أخرى تنتهى في ٥ فبراير سنة ١٩٧١ وأعلن أنور السادات أنه بعد ذلك لابد من تسوية الموضوع فالعام (١٩٧١) هو عام الحسم .

(١) رجال عبد الناصر والسادات ص ١٨١ - ١٨٢ .

ويبدو أن أنور السادات اتخذ هذا الأسلوب للتمويه على أعدائه « مراكز القوى » حتى يظنوا أنه مشغول عنهم ، فينقضوا عليه وهو في دائرة هذا الانشغال بالالتزامات عام الحسم .

ثم طرأ على الساحة الدولية في ديسمبر هذا العام ما سبب تأجيل عام الحسم ، فقد نشبت الحرب بين الهند وباكستان ، على إثر التدخل الهندي المسلح عبر حدود باكستان الشرقية (بنجالاديش الآن) لفض النزاع فيها لإعادة ملايين اللاجئين لها إلى بنجالاديش ، وكان الاتحاد السوفيتي يؤيد الهند ، وأيدت الولايات المتحدة باكستان ، وكان النصر للهند والأسلحة الاتحاد السوفيتي ، ورأى الاتحاد السوفيتي أن هزيمة الولايات المتحدة في هذه المعركة لا تحتل هزيمة أخرى في الشرق الأوسط ، فأجلل توريد الأسلحة اللازمة لمصر لتحقيق الحسم عام ١٩٧١ ، وهكذا تأجل الحسم الذي كان أملا للمصريين ذلك العام .

فكرة « عام الحسم » لها نتائج خطيرة :

عندما لم يتحقق ما وعد به السادات في « عام الحسم » اتخذ الناصريون واليساريون هذه الفرصة ففجّروا مظاهرات ضد السادات في الجامعة وفي المجتمعات الأخرى ، وفي مقابل ذلك قدّم مستشارو السادات له النصيح ليسمح لنشاط الجماعات الدينية بالظهور ، فهؤلاء هم الذين يستطيعون مقاومة الاتجاهات اليسارية والناصرية ، ووافق السادات على ذلك ، وظهرت عبارة « الرئيس المؤمن » وقدّمت مساعدات لهذه الجماعات الدينية ، فظهرت هذه الجماعات وأصبح الزمام في يدها بالجامعات والمجتمعات وسيطرت على اتخابات الطلبة وفازت في الانتخابات فوزا كاملا .

ونسى السادات أن الجماعات الدينية لا يمكن أن تعمل لحسابه ، فسرعان ما اصطدمت به وبنظامه فظهرت الأحداث الخطيرة التي سنلمّ بها في مكانها .

محاولات لحلول سلمية :

كانت موافقة مصر على مد فترة وقف النار مع إسرائيل تنتهى فى ٥ فبراير كما ذكرنا آنفا ، وقبل حلول هذا التاريخ كانت الجهود تبذل لحلول سلمية حتى لا تستأنف الدولتان إطلاق النيران ، والجهود السلمية تركزت فى الآتى :

١ - فى ٤ فبراير أعلن أنور السادات بمجلس الشعب استعدادة لمدّ وقف إطلاق النار مدة شهر آخر يتم خلاله انسحاب جزئى للقوات الإسرائيلية من سيناء ، وتبدأ مصر عقب ذلك تطهير قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة •

٢ - وفى ٨ فبراير تقدم الدكتور يارنج ممثل الأمم المتحدة بمشروع يقضى بإعلان إسرائيل أنها تنسحب إلى حدود ١٩٦٧ على أن تتعهد مصر بتوقيع اتفاق سلام معها تضمن حرية الملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران مع ترتيبات خاصة لشرم الشيخ وقبلت مصر هذا الاقتراح ورفضته إسرائيل •

٣ - فى ٤ ، ٥ مايو زار ولیم روجرز وزير الخارجية الأمريكية مصر على الرغم من قطع العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وكان الذى شجعه على هذه الزيارة الأمل فى أن القيادة الجديدة ستختلف عن قيادة عبد الناصر ، ثم أن السادات كان قد أقال على صبرى من جميع وظائفه فى ٢ مايو ، وعلى صبرى هو درع الاتحاد السوفيتى فمن الأفضل للولايات المتحدة أن تتمدد رجلها فى ظل هذه الظروف وأعلن روجرز أن الديبلوماسية النشطة يمكنها أن تعدّل موقف إسرائيل وتدفعها لقبول المسألة ، وقدم اقتراحات تفيد اهتمام الولايات المتحدة بالتوصل إلى اتفاق مرحلى ومحاولة التوفيق بين تفسير مصر وتفسير إسرائيل للقرار

رقم ٢٤٢ واستعداد أمريكا للقيام بهذا الدور إذا طلبت مصر منها أن تقوم بدور الوسيط •

وأعلن روجرز أن إسرائيل توافق على دور أمريكي نشط كما أعلن أن الوجود العسكري السوفيتي في مصر عامل معوّق للإدارة الأمريكية •

٤ — في ٩ مايو جاء لمصر سيسكو مساعد وزير خارجية أمريكا يحمّل وجهات نظر إسرائيل في الحل السلمي ، وهى وجهات نظر جائرة وخلاصتها : وقف دائم لإطلاق النار والاتفاق حول إعادة فتح قناة السويس بانسحاب جزئى لإسرائيل على ألا تعبر قوات مصرية إلى شرق القناة ، وأن يبتشى في خط بارليف مهندسون مدنيون إسرائيليون (١) •

ورفضت مصر هذه المقترحات ، وأحسّت مصر أن أمريكا فى يدها الهل ولكنها لا تريد استعماله ، وأن السوفييت غير متحمسين لمساعدة مصر ، ولكنهم الذين يؤمل منهم العون العسكرى ، وإذا كانت أمريكا قد ألقت بثقلها مع إسرائيل فلا بد لمصر أن تخطب ود الاتحاد السوفيتي على الرغم من كل شيء ، وهذا الموقف هو الذى قاد لتوقيع معاهدة صداقة وتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي ، وسنتحدث عنها فيما يلى :

معاهدة صداقة وتعاون مع السوفييت :

ذكرنا آنفا أن السوفييت هم الذين كان يترجى منهم العون العسكرى لمصر لتحرير أرضها ، وأن إلقاء أمريكا بكل ثقلها مع إسرائيل دفع السادات لمحاولة الاعتماد على السوفيت ويضاف إلى ذلك أن أنور السادات بعد أن أقال على صبرى فى ٢ مايو وقبض على مراكز القوى فى ١٥ مايو أراد أن يتقرب من موسكو حتى لا يظن زعماء

(١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى ص ١٧٣ - ١٧٧ •

السوفيت أن القضاء على تلك العناصر سيؤثر على علاقة الاتحاد السوفيتي بمصر ، وأراد أنور السادات كذلك أن يبرهن للسوفيت أن حضور روجرز وسييسكو للقاهرة لن يؤثر على علاقته بموسكو .

وأقبل السوفيت على هذه المعاهدة ليبرهنوا على عدم تمسكهم برجال مايو ، وأن علاقتهم الحقيقية إنما هي بالقيادة المصرية ، ووقع الطرفان معاهدة صداقة في ٢٧/٥/١٩٧١ .

وقد نصت هذه المعاهدة ^(١) على قيام صداقة راسخة بين البلدين والشعبين ، وعلى بذل الجهود للتوصل إلى سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، ودعت إلى التشاور بين البلدين في الأمور التي تهمهما ، وإلى تنسيق مواقفهما للتصدي لأي تهديد للسلام أو خرق له ، كما نصت على تطوير التعاون في المجال العسكري بهدف تعزيز قدرات مصر الدفاعية وتمكينها من إزالة آثار العدوان .

دهشة الأمريكيان لهذه المعاهدة :

ويذكر الأستاذ هيك أن الأمريكيين دهشوا لهذه المعاهدة وتساءلوا : لماذا تخلّص السادات من أصدقاء السوفيت مما صورّه لهم بأنه منسّجّه" لليمين ، ثم إذا هو فجأة يأخذ زاوية حادة في الاتجاه اليسار ويعقد معاهدة مع الاتحاد السوفيتي ؟ وإن عبد الناصر الذي كان مكروها لدى الأمريكيان لم يتقدم على هذه الخطوة ^(٢) .

وغضب العرب أو أكثرهم لهذه المعاهدة ، وخافوا أن تكون مصر متجهة لليسار ، ولكن السادات دافع عن وجهة نظره بأن الأمريكيان ماضون في سياستهم التي تؤيد إسرائيل إلى أقصى حد ، فكان لزاما عليه أن يتجه للسوفيت ليحصل على ما يحتاج إليه من سلاح .

(١) هذا الایجاز من مطالعة نصوص المعاهدة المذكورة .

(٢) خريف الغضب ص ١١٨ .

وحضر الملك فيصل إلى مصر وكان دائما يؤكد أن المعاهدة تصرف
ظاهري للضرورة ، ولكن النوايا الحقيقية للسادات بعيدة عن الولاء
للسوفييت •

وبرهنت الأيام على أن السادات لم يكن في نفسه ولاء حقيقى
للسوفييت ، فسرعان ما طرد الخبراء الروس من مصر ، ثم ألغى هذه
المعاهدة كما سنرى ، وبخاصة عندما اتضح له أن زمام الأمر كله
في يد أمريكا ، فهي التي تستطيع أن تأمر إسرائيل بما ينبغي أن يكون ،
وإذا رفضت إسرائيل مطلباً أمريكياً فهو من قبيل الدلال وليس من قبيل
العناد والمواجهة •

توتر مع السوفييت بسبب السودان :

لم تمض فترة طويلة على توقيع هذه المعاهدة حتى ظهرت في الأفق
سحابة كثيفة ، ففي يوليو من هذا العام (١٩٧١) شهدت السودان
أحداثاً خطيرة ، ففي العاشر من هذا الشهر نجح اليسار السودانى
في السيطرة على مقاليد الأمور بالسودان وإلقاء القبض على الرئيس
نميرى •

ويقول محمد حافظ إسماعيل (١) : إن الرئيس السادات عارض
الانقلاب السودانى بشدة ، وأعلن رفضه قيام حكم شيوعى على حدود
مصر الجنوبية ، وأكد تأييده لنميرى ، وخلال يومين أو ثلاثة فشل
الانقلاب في تحقيق أهدافه ، واستعادت القوات المؤيدة للنميرى بمساعدة
مصر سيطرتها على الموقف وقامت بالإفراج عن الرئيس •

وقد ترتب على هذه الأحداث توتر في العلاقات السوفيتية
بالسودان وبمصر ، فقتطعت العلاقات بين السودان والاتحاد السوفيتى ،

(١) أمن مصر القومى ص ١٨٢ •

وبالنسبة لمصر أجّل السوفييت الوفاء بما وعدوا به في المعاهدة من تقديم الأسلحة والذخائر •

وهكذا لم يحدث هناك تطور في موقف مصر من إسرائيل فلا التدخل الأمريكي أجدى ، ولا الوعود السوفيتية تحققت ، ولعل الخلافات الداخلية بين السادات ومراكز القوى سببت هذا التراخي حتى يتضح من سيمسك بالزمم •

إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي :

عقب انتصار السادات على أعدائه ، جرت انتخابات لتشكيل جديد للاتحاد الاشتراكي ، فالتشكيل القديم تمّ في عهد عبد الناصر وكان ولاؤه له ولزبانيته ، وأجريت الانتخابات من القاعدة ، ولكنها لم تصل إلى القمة ، فبعد انتخابات اللجنة المركزية أعلن السادات تأجيل انتخاب اللجنة التنفيذية العليا بحجة حاجة أعضاء اللجنة المركزية إلى التعرف قبل أن يخطّوا لانتخاب اللجنة التنفيذية العليا •

وكان هذا يتيح للسادات أن يحكم دون منافس ، ودون الرجوع إلى أحد أو دون أن يستمد سلطاته من أى فرد أو من أية لجنة •

دستور السادات : عرض ونقد :

كان من أهم الأعمال التي أصدرها أنور السادات سنة ١٩٧١ ، إعلان دستور جمهورية مصر العربية ، وقد حرّمت مصر من الدساتير من مطلع الثورة حتى هذا التاريخ ، فعلى مدى عشرين عاما تقريبا كانت مصر تحكم بدون قوانين وبدون دساتير ، ثم جاء هذا الدستور الذي أعلنه أنور السادات ، وبمطالعة هذا الدستور نجده في كثير من مواده استمرارا لاتجاهات الثورة ، ويقول رجال القانون وبخاصة رجال المعارضة إن هذا الدستور كان تعبيرا دقيقا عن اتجاهات السادات التي تعنى دكتاتورية

مغلقة بغلاف رقيق دقيق من الديمقراطية لا يتعارض مع اتجاهاته المطلقة ، فالدستور بذلك كائن خداع ، وسنعيش معه في هذه السطور نعرضه وننقده .

في مطلع الدستور مقدمة جميلة تذكر أن هذا الدستور تعلنه جماهير الشعب ، فكأنما كان الدستور نابعا من عقول الشعب ومعبرا عن آماله ، وذلك ليس بصحيح .

وفي هذه المقدمة حديث عن التطوير المستمر للحياة في وطننا .

والملاحظ أن الحياة في وطننا توقفت مع مطلع الثورة ، وبدأ الثائر الأعظم عبد الناصر يعمل لصالحه هو ، وسارت حاشيته ومن جاء بعده في هذا النطاق .

وتتحدث المقدمة عن الحرية للإنسان المصري وذلك هدف لم نصل لتحقيقه حتى الآن .

ثم تجيء مواد الدستور فتقرر المادة الأولى أن جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي واشتراكي .

وقد ذكرنا في دراستنا السابقة أن مصر لم تعرف الديمقراطية منذ مطلع الثورة حتى الآن ، وأن الانتخابات تـُـرَيف كما يريد الحاكم ، ثم أين هو النظام الاشتراكي مع السرقات التي وصلت ببعض الناس إلى درجة المليونيرات أو أكثر من ذلك .

وتقرر المادة الثالثة أن السيادة للشعب وحده .

ويعلم الله أن السيادة لولى الأمر ، وليس للشعب فيها نصيب يذكر .

وتتحدث المادة الخامسة عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقد عدلت هذه المادة فيما بعد ، فقد ألغى هذا الاتحاد المشؤم بعد أن ترك فيضاً من الآلام في نفوس الشعب ، ولكن النظام الجديد الذى حل محل الاتحاد

لا يزال يحتفظ بنسبة الخمسين في المائة على الأقل للعمال والفلاحين في أى تنظيم سياسى *

ونرى أن العمال والفلاحين يمثلون عنصرا مهما في حياة مصر ، ولكن عزلهم عن باقى الشعب أمر مرفوض تماما ، فأغلب المثقفين والتجار ينتهون إلى أسر العمال والفلاحين ، وعزل الطبيب عن أبيه العامل أو الفلاح شئ يرفضه الطبيب والعامل والفلاح جميعا •

ومن الواضح أن هذا التقسيم لم يأت بأية ثمرة للعمال والفلاح ، والثمرة الوحيدة التى جاء بها هى أن يوضع في قوائم المرشحين ، وفي المجالس النيابية جماعة يصفقون للحاكم ، فهو أئى بهم الى هذه اللجان ، وهم يأتون به لمنصب الرياسة بكل اليسر ، وبشكل يبدو في الظاهر ديمقراطيا •

والمادة رقم ١٩ تقرر أن التربية الدينية أساسية في مناهج التعليم العام •

ومن الملاحظ أن التربية الدينية تفتقد نصيبها في هذا التعليم ، ولا توجه لها عناية تذكر في المدرسة أو في الجامعة أو في وسائل الإعلام •

والمادة العشرون تقرر مجانية التعليم في جميع مراحله •

وقد تحدثنا من قبل عن أن هذه المادة خلقت جيوشا من العاطلين ، فقد فُتِحَت المجانية بلا حدود لغير الموهوبين ، ثم إلى الذين استطاعوا أن يتسربوا إلى التعليم من غير كفاءة ، ومع الرسوب والنجاح والرسوب والنجاح حصلوا على شهادة بدون علم ، ووقفوا في صفوف العاطلين ، هذا بالإضافة إلى المصروفات التى تدفع في المدارس الخاصة والتي وصلت إلى أرقام الآلاف ، وكذلك بالإضافة إلى الدروس الخصوصية التى تثقل كاهل كل الآباء •

والمادة رقم ٣٠ تتحدث عن القطاع العام وتصفه بأنه يقود التقدم في جميع المجالات •

وقد أثبتت التجارب أنه حافل بالخسائر والسرقات ، ولكن هذا الدستور يحميه كما حمته القوانين الثورية منذ مطلع الثورة ، ومع أن أشهر الدول الرأسمالية والاشتراكية أخذت تتخلص من القطاع العام ، فإن مصر تستبقه ليكون وسيلة لإسعاد المحاسيب والأصهار ، ومنحهم أرقى المناصب فيه •

وتتحدث المادة رقم ٧٤ عن الاستفتاءات والانتخابات •

ومن الواضح أن هذه وتلك تتم حسب إرادة الحاكم ، وتستعمل فيها نظام « التسعات » مبالغة في الأمر ، أما الشعب فإنه في الحقيقة بمعزل عن هذه الاستفتاءات وتلك الانتخابات •

وينتقد علماء الفقه الدستوري هذه المادة لأنها تطلق لرئيس الجمهورية السلطات الاستثنائية وفي قممها إعلان حالة الطوارئ عندما يرى الرئيس أن هناك تهديدات للأمن الدولة أو السلام الاجتماعي ، وبذلك تقيم هذه المادة نوعاً من الديكتاتورية يعلنها الرئيس وقتما يشاء ، وليس عليه إلا أن يجرى استفتاء على ما اتخذته من إجراءات خلال ستين يوماً من اتخاذها •

ومن الواضح أن نتائج الاستفتاءات مضمونة لديه ليحقق ما يشاء •

وتقرر المادة رقم ٧٧ أن مدة الرئاسة ست سنوات ثم يجوز إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدة تالية ومتصلة ليكون مجموع سني حكمه اثني عشر عاماً •

ولكن إيعازات عالية المستوى دفعت إحدى عضوات مجلس الشعب

لتقترح أن تكون مدة الرئاسة مفتوحة وألا تنقيد بنص هذه المادة ، واستجاب المجلس بالإجماع لهذا الاقتراح بسرعة ، وأصبح رئيس الجمهورية يبقى في مكانه إلى أن يموت بعد عمر طويل ، وقد أُجرى استفتاء لذلك التعديل في ٢١ مارس سنة ١٩٨٠ .

وعندما جاء حسنى مبارك إلى الرئاسة أعلن وجوب العودة للنص الأصلي بالدستور والاكتفاء بهدّتين .

ولكن سرعان ما تنوى هذا الإعلان ، ولم تتخذ أية إجراءات لتنفيذه ، والعودة للنظام الذى كان قد قرره دستور ١٩٧١ قبل تعديله سنة ١٩٨٠ .

وطريقة اختيار رئيس الجمهورية بواسطة الاستفتاء طريقة صورية تسيّر على وفق هوى الرئيس ، فالشعب لا يشترك في اختياره ، ولا يجد أمامه إلا هو في بطاقة الاستفتاء .

والوضع الطبيعي أن يكون اختيار الرئيس بالانتخاب ، وأن يكون لدى الجماهير عدة أشخاص مرشحين ويختار الشعب أحدهم ، وذلك هو النهج المتبع في الدول الديمقراطية وحتى الصغيرة منها مثل قبرص وإسرائيل .

ومع أن الرئيس في مصر يختار بهذا الطريق الاعرج وهو الاستفتاء ، فإن الدستور يخوله سلطات هائلة كحل مجلس الشعب ، ويعطيه سلطات تنفيذية وتشريعية بل وقضائية ، مما يركز على السلطات في يده ، وليس هناك ما يقابل ذلك من إهمال مسأله ، وذلك شيء عجيب ولا يوجد في النظم الديمقراطية على الإطلاق .

ومن السلطات الممنوحة لرئيس الجمهورية طبقا لهذا الدستور اختيار رئيس الوزراء .

والمادة رقم ٧٩ تشمل قسماً يبدأ به رئيس الجمهورية عمله ، كما يؤديه كذلك الوزراء وأعضاء مجلس الشعب ، وخلاصته أن يحترم الدستور والقوانين ، وأن يرمى مصالح الشعب رعاية كاملة ، ونحن نتمنى أن يتذكر هؤلاء هذا القسم طيلة حياتهم ، وألا يكون كلمات في ورقة يقرؤونها ثم يهملونها كما يهملون الورقة نفسها •

وتتحدث المادة رقم ٩١ عن المكافأة التي تصرف لأعضاء مجلس الشعب •

والحق أنه للأسف أصبحت عضوية مجلس الشعب وظيفة سخيفة الربح لها مكافأة شهرية ، ومكافأة أخرى لحضور الجلسات ، ومكافأة ثلاثة لحضور اللجان بالإضافة إلى ما نشاهده بأعيننا في التليفزيون وما نسمع عنه من ملاحقة الأعضاء للوزراء للحصول على توقيعاتهم لينعموا بكثير من المكاسب المادية والأدبية •

والمادة ٩٣ تنص على اختصاص مجلس الشعب وحده بالفصل في صحة عضوية أعضائه ، وذلك انتقاص من حقوق القضاء •

والمادة ١١٥ لا تجيز لمجلس الشعب أن يعدل مشروع الموازنة العامة للدولة إلا بموافقة الحكومة •

وتقرر المادة ١٣٩ أن لرئيس الجمهورية أن يعين نائباً له أو أكثر ويحدد اختصاصاتهم ويعفيهم من مناصبهم ، وقد أثبتت التجارب أن نائب الرئيس هو الذي يكون رئيساً بعده ، وهي عملية تسلسل تزيد عما كان معروفاً في نظام الملكية •

المطالبة بتعديل هذا الدستور :

وفي ختام هذه الدراسة السريعة انتفق مع رجال القانون بضرورة تعديل سريع لهذا الدستور بحيث يصبح ما أشرنا إليه من أخطاء ، ثم

يشمل التصحيح النقاط التالية التي أدخلت وأقترنت على هذا الدستور فجعلته غير صالح للبقاء ، ولذلك نطالب بما يلي :

— إلغاء النظم الشاذة التي احتواها هذا الدستور وفي مقدمتها نظام المدعى الاشتراكي وما يتبع ذلك من إقامة محكمة القيم .

— عدم السماح بإنشاء محاكم غير قضائية لوجود أعضاء بها ليسوا من رجال القضاء المتخصصين وبالتالي عدم السماح بإنشاء محاكم أمن الدولة والمحاكم العسكرية للمدنيين .

— يجب أن يشمل الدستور الحرية المطلقة لتكوين الأحزاب وإصدار الصحف ، وبالتالي إلغاء المجلس الأعلى للصحافة والاكتفاء بنقابة الصحفيين .

— وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تكون قومية حقيقية ولا تتبع في نهجها وأدائها أي حزب من الأحزاب .

— ينبغي أن تحدد طريقة مساءلة الوزير ، فهو في هذا الدستور بمنأى عن المساءلة الجنائية طالما بقى في دست الوزارة .

— إلغاء بدعة الخمسين في المائة المخصصة للعمال والفلاحين ، تلك التي لا ينتفع بها العمال والفلاحون ، وإنما هي وسيلة لوضع جماعة من الناس في المجالس لا عمل لهم إلا التصفيق للرئيس وللقرارات التي يريدونها .

— يكون هناك نص صريح بأن تجرى الانتخابات هيئة محايدة تماما من القضاة أو من أساتذة الجامعات ، وأن من يزيّف الانتخابات يواجه محاكمة قاسية .

— يكون هناك انتخاب للرئيس وليس استفتاء فيرشح لهذا المنصب عدد من ذوى الكفاءات ، ويختار الشعب واحدا منهم •

— وفي القمة من الإصلاحات وجوب العودة للنص الذى كان موجودا بالدستور حول إعادة انتخاب رئيس الجمهورية بحيث لا يعاد انتخابه أكثر من مرة ، وعلى أن تكون مدة كل مرة أربع سنوات كما هو متبع فى أمريكا التى نتغنى باتجاهاتها إلا فى هذه النقطة •

تلك ملاحظات سريعة على دستور سنة ١٩٧١ وهو فى جملة ما يحتاج لتغيير سريع ، فهو فى الحق كان معبراً عن رأى أنور السادات أكثر من تعبيره عن رأى جماهير الشعب •

أحداث سنة ١٩٧٢

إن الدارس لأحداث عصر أنور السادات يجد أن أحداث سنة ١٩٧٣ تمثل فترة انتقال بين أحداث سنة ١٩٧١ التي تخلص فيها أنور السادات من منافسيه وأعدائه ، وبين الحدث الأكبر سنة ١٩٧٣ وهو الحرب ضد إسرائيل ، ومن هنا فإننا لا نتوقع في هذا العام كثيراً من الأحداث بعد أن استقر الزعيم في كرسيه ، وأخذ يرسى قواعده ويعد العدة للجولة العسكرية ، وفيما يلي نذكر أهم أحداث هذا العام •

طرد الخبراء السوفييت :

أشرنا من قبل إلى أن وزير الحربية الفريق أول محمد صادق كان بعيداً عن الشيوعية بسبب تدينه ونشأته وثرائه ، وقد كتب في أوائل يناير سنة ١٩٧٢ تقريراً خطيراً عن القوات المسلحة أبرز فيه الجفوة بين القيادة العسكرية والخبراء السوفييت ، وأنهم المسئولون عن عدم إعداد القوات المسلحة المصرية لمعركة هجومية •

وتزايد الإحساس بأن الخبراء السوفييت كانوا ينفذون رغبة زعماء الاتحاد السوفيتي بتجميد الأوضاع بين مصر وإسرائيل ، وأن تستمر حالة اللاسلم والملاحرب أو بلغة أخرى أن يظل الاسترخاء بالمنطقة • وكانت أحداث السودان مؤثرة على العلاقة بين مصر والسوفييت مما قلل الثقة في هؤلاء الخبراء الروس •

وكان هؤلاء الخبراء يمثلون قوة هائلة في مصر فكانت لهم مناطق لا يسمحون للمصريين بالدخول فيها مما خلق جانباً من الرعب منهم •

ثم إن مصر كانت تصر على الدخول في معركة مع إسرائيل وكان أنور السادات يحس بأن النجاح في هذه المعركة سيئسب لا لمصر ، وإنما لهؤلاء الخبراء ، وهذا سيكون شيئاً يقلل من مكانة مصر ، فمصر تريد أن تزاوّل معركتها بنفسها ، وهي تحس بالقدرة على ذلك ، ولا تحتاج لأشخاص ، وإنما للأسلحة كتلك التي تتدفق على إسرائيل من أمريكا •

ثم ما العمل إذا قامت المعركة مع وجود هؤلاء الخبراء ، ثم صدرت لهم أوامر من الاتحاد السوفيتي بالتوقف عن المشاركة في المعركة ؟ إن ذلك يضع زمام المعركة في أيدي السوفييت وهو أمر محفوف بالمخاطر .

وتنفيذا لسياسة الوفاق التي كان الاتحاد السوفيتي قد اتفق عليها مع أمريكا وتقضى بإبقاء الأمر على ما هو عليه في الشرق الأوسط ، تسلم أنور السادات رسالة من الاتحاد السوفيتي بعبدة عن اللياقة تذكر أنه ليس من الضروري المطالبة بمزيد من الأسلحة لمصر لأن فرص التغلب على إسرائيل عسكريا غير محتملة ، وهذا أثار أنور السادات وأحس بتخلي الجانب السوفيتي عنه .

وساءت العلاقات بين ضباط الجيش المصري وبين هؤلاء الخبراء حتى وصلت إلى درجة الكراهية ، بل إلى درجة الإحساس بأن هؤلاء الخبراء ينقلون أخبار الجيش المصري وتحركاته إلى إسرائيل ، مما سبب بعض الخسائر في حرب الاستنزاف ، ومما دعا إلى عدم الاطمئنان إلى نهاية طيبة لو قامت حرب بين مصر وإسرائيل .

والحق أن هذا العدد الهائل من الخبراء السوفييت كان يدعو للذعر ، فالمفروض أن الخبراء يأتون للاستفادة منهم فيما لا يعرفه الخبراء المصريون ، وأن يكون عددهم لذلك في حدود العشرات أو المئات أما أن يصل عددهم إلى ١٧ ألفا ، فذلك شيء يدعو إلى الذعر .

ولكل هذه الأسباب أعلن أنور السادات في يوليو سنة ١٩٧٢ أنه مع شكره للاتحاد السوفيتي على ما قدم من مساعدات عسكرية يريد إنهاء خدمات الخبراء اعتبارا من ١٧ يوليو سنة ١٩٧٢ ، ولا يبقى إلا الفنيون ، على أن يوضع هؤلاء تحت القيادة المصرية إلى أن يتم تدريب المصريين على المعدات أو أن تسحب هذه المعدات نفسها .

واستجاب الاتحاد السوفيتي لهذا الطلب ، وقرر سحب الخبراء

استجابة لطلب مصر ، أما بالنسبة للأسلحة والمعدات المهلوكة لهم بمصر فقد « أصروا » للأسف على سحبها مع الوحدات السوفيتية .

وانتهت بذلك أزمة من الأزمات الحادة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتي .

عزل بعض الصحفيين والكتّاب أو نقلهم :

كان المثقفون في مصر يتعجلون المعركة مع إسرائيل ، وكان كل يوم يمرّ عليهم ، وإسرائيل رابضة في سيناء يمثل حملا ثقيلًا ، ولهذا كتب هؤلاء خطابا للرئيس السادات فيه نوع من الشدة جاء فيه :

لقد كثّر الكلام عن المعركة دون معركة ، حتى صارت المعركة مضغة في حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها ، ولا نستطيع أن نلفظها .

ووقع على هذه الرسالة أكثر من مائة كاتب وصحفي ، وثار السادات لذلك ، وتناول توفيق الحكيم الذي كان قد كتب هذا الخطاب بكلمات جارحة ، وامتدت يد السلطة بالبطش والعدوان على هؤلاء الكتّاب والصحفيين ، ونقلتهم إلى مواقع بعيدة عن عملهم ، وكانت هذه صورة من صور الثورة عندما تغضب على المفكرين والباحثين .

إقالة الفريق محمد صادق :

ذكرنا من قبل أن أنور السادات كان حريصا على ألا تقوم مراكز قوى في عهده ، وكان معروفا أن الفريق محمد صادق هو الذي أجهض محاولة الزج بالجيش في السياسة من جديد ، ولم ينفذ تعليمات محمد فوزي وزير الحربية التي أشرنا لها من قبل ، وكان السادات يخاف مثل هذا الرجل .

هذا جانب ، وجانب آخر أن الفريق محمد صادق كان معروفا

بعدها للشيوعية ، وأنه المسئول عن طرد الخبراء السوفييت ، ولذلك توقف السوفييت عن توريد السلاح بعد طرد خبراءهم ، ويقال إنهم طالبوا بإعفاء محمد صادق من منصبه إذا أراد السادات أن يستأنف الروس توريد الأسلحة ، ويقال كذلك إن الفريق صادق كان يعارض خطة المغامرة بحرب محدودة أى بعملية تشبه عملية العبور ، ويؤيد حرباً شاملة ، وقد تجمعت هذه الأسباب فصدرت تعليمات بإقالة الفريق محمد صادق في أكتوبر سنة ١٩٧٢ وتولى أحمد إسماعيل وزارة الحربية .

أحداث سنة ١٩٧٣

نبدأ حديثنا عن أحداث سنة ١٩٧٣ بأن نسأل : هل كانت هناك أحداث ذات بال في هذه السنة غير حرب التحرير ؟

وأكد أننا نؤكد أن أحداثا مهمة وقعت في هذا العام ، ولكن حديث الحرب طغى على كل الأحداث ، وربما واجهتني وثيقة عن عمل من الأعمال خلال هذا العام ، ولكن أحداث المعارك لم تدع فرصة ليظهر أى حدث آخر ، وتضاءلت أو اختفت جميع الأحداث الأخرى ، فلنقتنع بأن هذا العام هو عام حرب التحرير •

ولا شك أن العام كله شغل بالإعداد لهذه الحرب ، ثم بمباشرتها ، ثم بالانشغال بنتائجها ، فحرب كهذه لا تدع نصيبا لأى حدث آخر •

وننتقل إلى نقطة أخرى هي أننا عرضنا فيما سبق صورة حياة السادات قبل الثورة ، وصورة لحياته من مطلع الثورة حتى صار رئيسا للجمهورية ، ثم بدأنا نتكلم عن أنور السادات رئيسا للجمهورية ، وفي هذا النطاق ذكرنا أن أنور السادات لم يأت من فراغ ، وإنما هو امتداد لعصر مؤسس هذه الثورة ، الذى خلف أكادسا وأحمالا من المتاعب ، فألمنا بها ، ثم جئنا إلى أنور السادات نقتبع تاريخه عاما إثر عام •

والمهم أن الدراسات الماضية كشفت الكثير من أوزار الثورة وأوزان أنور السادات نفسه ، وانتقدنا أنور السادات في ذلك وفي غيره انتقادا مباشرا وشديدا أحيانا •

ولكن الآن أمام صفحة رائعة خلفها السادات ، أمام حرب أعد لها بإتقان ، وباشرها بكفاءة عالية ، وعلى الرغم من أن مصر لم تكن — كما سنرى — في حال تحتل قسوة الحروب وتكاليفها •

ثم باشر أنور السادات المفاوضة مع اليهود والصهاينة ، والمفاوضة

مع هؤلاء عدل عسير أشار له القرآن الكريم في سورة البقرة ، قال تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » (١) .

إنها في الحق مفخرة تنسب لأنور السادات ، رفع رؤوسنا بعد أن كانت الهزائم قد نكست هذه الرؤوس ، وأعاد لنا كياننا بعد أن اهتز هذا الكيان ، وحقق لنا أملاً كان عزيز المال ، وضع العزة بدل الذلّة ، والنصر بعد الهزائم المتلاحقة ، والابتسامة العريضة بعد طول عبوس .

ان كل مصرى ، وكل عربى ، وكل مسلم ، ينبغى ألا ينسى هذه المفخرة ، وأن يذكر بخير الرجل الذى دبّر ونفذ .

وفى سيرة عثمان بن عفان رضى الله عنه مواقف كثيرة رائعة ، ولكنه كان بالغ الكرم فى جيش العسرة الذى كان على وشك أن يزحف إلى غزوة تبوك ، ورأى الرسول صلوات الله عليه كرمه البالغ فقال عنه : ما ضرر عثمان ما فعله بعد اليوم . وأنا لا أستطيع أن أقول عن السادات ما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولكنى أقول بملء الفم : إن جهود السادات فى حرب ١٩٧٣ تمثل ثقلاً عظيماً فى كفة حسناته .

تلك هى طبيعة المؤرخ ، أن يكون محايداً يمدح ويثنى عند دواعى المدح والثناء ، وينقد ويهاجم عند الانحراف والإهمال .

وقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى لأنور السادات أن قسام بالحرب ضد إسرائيل هذا العام ، ولو تأخر الهجوم على إسرائيل عاماً إثر عام لما كان فى استطاعة العرب مواجهة إسرائيل وإيران معا ، فمن مفاخر السادات أنه عجل بحرب إسرائيل لينتهى من هذه الحرب قبل أن

تشتعل حرب ايران مع العراق بوجه خاص ومع العرب بوجه عام ،
ومما كان في استطاعة العرب أن يحققوا النصر في ميدانين •

والآن نسير مع أحداث حرب ١٩٧٣ :

وول ما نسجله أن السادات استنفد كل الحيل للحلول السلمية ،
فقد عرض عدة مبادرات ووسط كثيرا من زعماء العالم ، ولكن كل ذلك
لم يأت بفائدة ، إذ أن العدو لا يعرف السلام ، وإنما يهوى الغضب
والاستيلاء على حقوق الآخرين ، فأصبح لابد من حركة عسكرية إن لم
تكن حاسمة لاستعادة الحقوق كاملة فلنكن لبعث الحياة في القضية ، حتى
يهتم بها أولئك الذين ظنوا أن العرب انتهت شوكتهم ، وأن لا بأس من
إهمال قضية العرب ، وبدأ السادات يعدّ العدة لهذه المعركة ، وكان
من أهم ما اتجه له أن يقوم بعمليات مصالحة مع المواطنين بالداخل ،
ومع العرب ، ثم مع دول العالم ، فقد كان عبد الناصر قد قطع خيوط
الصلح في هذه الجهات جميعا •

ففى الداخل أوقف أنور السادات الاعتقالات (١) والتعذيب
والمحاكم الجائرة ، والمصادرات •

ومع العرب حل الود والتقدير محل تنف الذقون والبذاة التي
تمس الآباء والأمهات ، وركز أنور السادات على نقاط الالتقاء والتقارب
بين الدول العربية ، واهتم بدعم هذه النقاط إلى أقصى حد ، ولم تنف
جهود السادات عند المصالحة بين مصر من جانب والدول العربية من
جانب آخر ، بل اهتم كذلك بإجراء مصالحات وتقريب بين الدول
العربية بعضها البعض ، وفي خلال شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ قام
السادات بجولة في سوريا والسعودية وقطر وأجرى في هذه اللقاءات
اجتماعات كثيرة بين زعماء العرب •

(١) نترك الآن اعتقالات ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١ فلنا عنها حديث فيما

ومن جهود السادات في هذا المجال أنه أشعر العالم العربي بجديّة الجهد الذي يبذله لمواجهة إسرائيل ، وأنّ المواجهة في هذه المرة ليست لحماس عاطفي ، وبلغة أخرى ليست للتهويل ، والدعاية ، وإنما هي عمل جاد يتّصّد به استعادة الكرامة للإنسان العربي .

ويقول أنور السادات في ذلك : عندما توليت الرئاسة في مصر رحّب بي زعماء العالم العربي وأبدوا استعدادهم لمعاونتي ، فأعلنت سياستي الواضحة ، وهي أنه بالنسبة للعرب فمصر لا تفرق بين دولة وأخرى ، على أساس ما يسمّى بالرجعية والتقدّسية ، أو الملكية والجمهورية ، الأمر الوحيد الذي يجب أن نلتزم به جميعا هو أننا عرب فحسب (١) .

وفيما يتعلق بعمليات الصلح مع العالم اهتم أنور السادات بمؤتمر الوحدة الإفريقية ، وبمؤتمر عدم الانحياز ، وبدول أخرى غير التي تنتمي لهذين المؤتمرين ، ومنها كثير من دول المغرب ، فنما الود والتعاون بين مصر وبين هذه الدول .

وبدأت بذلك الاستعدادات للمعركة ، وينبغي أن نذكر أن الاستعدادات لهذه المعركة جاءت وهناك أزمة اقتصادية وصفها أنور السادات بأنها طاحنة ، وبهذا كان الاعتماد على الذات والاستعداد للتضحية أكثر من الاعتماد على السلاح والمال ، ويمكن القول بوضوح إن مصر كانت تدخل معركة استماتة بقدرات ذاتية ، وبدون أسلحة كافية .

جيش مصر سنة ١٩٦٧ وجيشها سنة ١٩٧٣ :

إن أي تقدير يقارن بين وضع مصر سنة ١٩٦٧ ووضعها سنة ١٩٧٣ يقطع بمدى الصعوبة التي كان يواجهها الجيش قبل حرب أكتوبر وفي اثنتائها .

— في سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يملك ترسانة ضخمة من الأسلحة ، ولم يكن الحال كذلك سنة ١٩٧٣ فان الاتحاد السوفييتى لم يعرض مصر ما فقدته سنة ١٩٦٧ وكان يخشى أن تتكرر الهزيمة فتستولى إسرائيل على القنات السوفييتى •

— وفى سنة ١٩٦٧ كان الجيش المصرى يربط على حدود العدو ، ولو تمّ تقدّمه لكانت أقدام الجيش المصرى داخل أرض إسرائيل ، أما سنة ١٩٧٣ فالجيش الاسرائيلى هو الذى يحتل الأرض المصرية وأرض إسرائيل بعيدة جدا عن أقدام المصريين •

— وفى سنة ١٩٦٧ كانت علاقة مصر بالسوفييت قوية ، أما سنة ١٩٧٣ فلم تكن العلاقة سليمة بعد طرد الخبراء الروس وإلغاء المعاهدة ومعارضة الاتحاد السوفييتى فى السودان •

— وفى سنة ١٩٦٧ كانت الروح المصرية عالية والامل كبير فى نجاح الزحف ، وفى سنة ١٩٧٣ كانت الرجفة موجودة مخافة أن تتكرر الهزيمة •

وهذه المقارنة تصور بطولة الجيش المصرى وعظمة السادات الذى خطط ونفذ على الرغم من كل هذه المعوقات •

وكان الذى يساعد الجيش المصرى هو الإحساس بأن أرض سيناء تنادى الإنسان المصرى ، ليعود لها ولينقذها من الاستعمار ومن الاحتلال الإسرائيلى ، وكأنّ سيناء تتعبد بأن تتقدم العون وتتمسك بأقدام الزاحفين •

وكان الذى دعا إلى هذه المغامرة أن انتظار الاستعداد الاقتصادى والعسكرى الكامل سيطول ، وأن الجيش والشعب كانا يتمزقان من هول الهزيمة السابقة ، ومن السنوات التى تلتها ، فلنكن المغامرة التى كان الأمل كبيرا فيها أن تكون طيّجة النتائج •

وقد وصل القلق بالشعب إلى درجة أن ضابطا مصريا قاد كتيبة إلى منطقة آهلة بالحركة هي منطقة الإمام الحسين، وهناك صرخ يستعجل الحرب ، ويعلم عدم موافقته هو وجمع "كبير من زملائه على تأخير اقتحام القناة لإنقاذ سيناء من الأسر الإسرائيلي •

نظرية الأمن الإسرائيلي ومناقشتها :

ومن المعروف أن نظرية الأمن الإسرائيلي تقوم على فكرة الحدود الآمنة ، ثم على الاحتفاظ بالمبادأة ، وتجنب القتال في أكثر من جبهة ، والحرب الخاطفة قصيرة المدى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى في كل وقت (١)

وقد درست القيادة المصرية هذه النظرية ، ووضعت خطة مضادة لها تضمن عناصر النصر •

فعن الحدود الآمنة فرضت القوى العربية حصارا حول باب المندب والبحر الأحمر لتضرب إسرائيل من بعيد •

وعن المبادأة قررت القيادة المصرية أن تكون المبادأة بالضربة الأولى • وعن تجنب القتال في أكثر من جبهة تم الاتفاق على أن يكون الصراع على جبهتي سيناء والجولان بأن تبدأ سوريا ومصر ضرب إسرائيل في وقت واحد •

أما عن الحرب الخاطفة قصيرة المدى ، فقد اتجه العزم إلى الاستعداد لحرب طويلة ليست كهروب عبد الناصر التي كان يقبل وقف إطلاق النيران بعد ساعات أو أيام من بدئها •

أما مؤازرة القوى العظمى (أمريكا) لإسرائيل فكان يقضى أن تتجه الدول العربية لقوة عظمى أخرى وهي الاتحاد السوفييتي ، ولكن هذه القوة لم يكن من الممكن الاعتماد عليها اعتمادا كاملا على نحو ما تعتمد إسرائيل على أمريكا بسبب الخلافات الدينية والاقتصادية بين العالم

(١) عاطف السيد : من سيناء الى كامب ديفيد ص ٧٦ •

العربي والاتحاد السوفييتي ، ولكن النقص في هذا الجانب لم يكن عائقا دون البدء في المعركة .

هدف المعركة :

هل كان الهدف من المعركة استعادة سيناء والجولان والضفة وقطاع غزة ؟

إن الاتجاهات اختلفت حول الهدف من هذه المعارك ، فكان اتجاه الفريق محمد صادق أن تكون الحرب شاملة لتحقيق هذه الأهداف ، أما الرأي الآخر فهو أن تكون الحرب هزئة لإسرائيل من جانب والمجتمع العالمي من جانب آخر ، وأن تحقق العبور والاستيلاء على جزء من الجانب الشرقي ، وبعد ذلك يترك أمر استكمال النصر للمفاوضة بسبب قلة الأسلحة التي تحقق الهدف الذي كان يتطلع له الفريق محمد صادق ، وتبعاً لهذا الاتجاه استقال الفريق محمد صادق ، وأسندت وزارة الحربية للفريق أحمد اسماعيل على الذي أصبح وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٧٢ كما ذكرنا من قبل ، ومن الواضح أن مصر لم يكن في مقدورها أن تدخل حرباً شاملة تعيد لها كل أرضها ، فلم يكن السلاح ولا الاقتصاد يحمثل مثل هذه الحرب كما قلنا ، والأهم من ذلك أن القوات المصرية الزاحفة عبر قناة السويس كانت تقوم بهذا العمل تحت حماية حائط الصواريخ المصري ، وهذه الحماية يمكن أن تمتد إلى مسافة لا تزيد عن عشرة أميال ، ولو أن الجيش المصري تجاوز هذه المسافة لسقط تحت رحمة الطيران الإسرائيلي وخسر الجيش المصري خسارة كبيرة .

ونثبت فيما يلي الأمر الصادر من رئيس الجمهورية عن الحرب وهو يتبع الاتجاه الذي استقر الرأي عليه وفيما يلي نصه :

توجيه استراتيجى من رئيس الجمهورية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

الى : الفريق أول أحمد إسماعيل على
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة :

- ١ — بناء على التوجيه السياسى الصادر لكم منى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى :
- فرت تكليف القوات المسلحة تنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :
- (أ) إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ •
- (ب) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات •
- (ج) العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نهو وتطوير إمكانيات وقدرات القوات المسلحة •
- ٢ — تنفيذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية •

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ •

٥ أكتوبر ١٩٧٣ م •

توقيع

أنور السادات

رئيس الجمهورية

التمويه والخداع :

وقد وضعت القيادة المصرية خطة هائلة للتمويه والخداع ، بحيث لا يتطرق الشك للمخابرات الإسرائيلية والأمريكية بأن مصر تريد الهجوم ، ولما كان الاتفاق قد تم على تحديد السادس من أكتوبر بدءاً للهجوم ، فقد اتبعت القيادة المصرية لتحقيق ذلك خطوات دقيقة للتمويه ، نوجزها فيما يلي :

(أ) أذاعت القاهرة نبأً عن زيارة سيقوم بها وزير دفاع رومانيا لمصر يوم ٨ أكتوبر بناء على دعوة من وزير الدفاع المصرى •

(ب) نشرت الصحف المصرية خبراً يشير إلى أن القوات المسلحة وافقت على قيام من يرغب من الضباط والجنود في أداء العمرة خلال رمضان وحدهدت مواعيد تلقى طلبات الراغبين تمهيدا لإجراء القرعة بينهم •

(ج) أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليمات بتسريح دفعة من الجنود الذين أتموا الخدمة العسكرية في اليوم الأخير من شهر سبتمبر على أن يعودوا إلى حياتهم المدنية في اليوم الأول من أكتوبر •

(د) صدر إعلان عن إجراء عمرة للقطع البحرية المصرية في موانئ باكستان في شهر سبتمبر •

(هـ) سريت وزارة الدفاع للخارج تقريراً سرئياً يذكر أن ٤٠٪ من السلاح الجوى المصرى فقط صالحة للاستعمال ، وأن ٦٠٪ من الطائرات المقاتلة تشهد في حالة غير صالحة ، وقد أذاعت وكالة أنباء يونايتيدبرس هذا الخبر من بروكسل على أنه سبق إعلامي لها •

(و) أمرت القيادة العامة بإجراء مناورات كبرى لجميع القوات المسلحة كنهاية لموسم التدريب السنوى ، وتحت شعار المناورة تمكنت

القيادة من اتخاذ إجراءات أخرى مثل إلغاء إجازات الضباط والجنود ابتداء من أواخر سبتمبر •

(ز) وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف إلى الجبهة مع عدم نقل هذه المعدات إلى ساحل القناة إلا في آخر وقت ممكن وعلى أن تكون هذه المعدات في صناديق ضخمة تخفى محتوياتها •

(ح) صدرت الأوامر لبعض القواد في الجبهة أن يعيش الجنود في حالة عادية كاستحمام الجنود في القناة قبل الهجوم ببضع ساعات وكاسترخائهم على الشاطئ وهم يمشون القصب •

(ط) ووصلت الخديعة بمخابرات إسرائيل أن أعلنت أن مصر تشبه « كيسا فارغا » فأجهزة الرادار بها شبه عمياء ، وردود فعلها بطيئة جدا •

وهذه الصورة التي كانت لدى الإسرائيليين عن الجيش المصري دفعت الجيش الإسرائيلي إلى الترهل والاسترخاء ، بل دفعت الشعب الإسرائيلي كله إلى الخلود للمتعة والنعيم بعد أن ضمنت لهم السلامة ، ويروى أنه بعد حرب ١٩٦٧ والإحساس بضعف مصر وضعف العرب تضاعفت في إسرائيل نوادي الليل ، وكثرت المومسات الباريسيات ، والخدمات الإيرانيات ، وظهرت المطاعم الفاخرة التي جذبت الكثير من موظفي الحكومة وجنرالات الجيش (١) •

اختيار أنسب وقت للهجوم :

أُجريت دراسات مستفيضة لاختيار أنسب شهور السنة وأنسب

(١) كلمات مقاتل إسرائيلي يدونها الأستاذ وجيه أبو ذكرى في كتابه « حرب أكتوبر : شهادة إسرائيلية » •

أيام الشهر ، وأنسب وقت لبدء الهجوم الذى يناسب كلتا الجبهتين المصرية والسورية ، وقد وقع الاختيار على شهر أكتوبر حيث تستعد إسرائيل لإجراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين منه ، وحيث تقع فيه أعياد الغفران ، ويأتى فيه شهر رمضان وهو شهر صيام ، ولهذا لا يتوقع الصهاينة أن يقاتل فيه المسلمون ، واختير يوم سبت ، وهو عطلة نهاية الأسبوع عند اليهود ، ولكونه فى العاشر من رمضان يضىء فيه القمر من غروب الشمس حتى منتصف الليل ، فيساعد ذلك على إقامة المعدات والكبارى ليلا^(١) ، وكان ممر النصارى بالقناة مناسباً بالنسبة للمصريين .

وقد نجحت خطة الخداع نجاحاً عظيماً ويعبر عن ذلك موسى ديان بقوله : وحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصياً فى أن الحرب ستتشب فعلاً ، ولم أكن أنا الوحيد الذى أعتقد ذلك .

استعدادات إسرائيل قبل أكتوبر :

وكانت إسرائيل قد دبرّت أمرها فى المدة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ فأعدت عدة شيطانية لحماية نفسها ضد أية محاولة تقوم بها مصر ، إذ كانت تدرك بسالة الجندي المصرى ، وأن هزائمه فى الحروب السابقة لم تكن عن ضعف ، ولكن عن سوء إدارة ، وأن أحفاد الأبطال الذين هزموا المغول والصليبيين لابد أن تعمل إسرائيل لهم ألف حساب ، ومن هنا بدأت إسرائيل تضع خططها ضد أية محاولة تقوم بها مصر ، وكانت قناة السويس حاجزاً مهماً بين إسرائيل ومصر ، اعتمدت عليه إسرائيل فأجرت فيه وحوله خططا تجعل منه مانعاً حصيناً أمام أية محاولة مصرية للمعبر إلى سيناء .

(١) عاطف السيد : من سيناء الى كامب ديفيد لقطات من الصفحات من ٧١ - ٨٣ .

وهنا نقف وقفة نذكر فيها الأجيال المصرية أن إسرائيل بعد احتلال سيناء في عهد عبد الناصر أخذت تتصرف على أن سيناء أرضها فأقامت المستعمرات والمطارات ، ثم اتخذت من قناة السويس وسيلة لتكثون منها حاجزا بينها وبين مصر ، على أن تكون القناة نفسها مناصفة بين مصر وإسرائيل ، وهذا الوضع يجسّم جرّم الإهمال في عهد عبد الناصر ويبرر عظمة السادات الذي استعاد الأرض بالحرب والمفاوضة •

وقناة السويس في ذاتها تعتبر مانعا حصينا ، ثم أضاف العدو ذلك إضافات مهمة للمزيد من التحصين ضد المصريين إذا حاولوا العبور إلى سيناء ، وطبيعة القناة والإضافات الشيطانية التي أضافها العدو تتضح فيها يلي :

١ — انحدار الشاطئ من الناحيتين وتدبيشه ، مما يعوق المركبات البرمائية من النزول إلى المانع المائي أو الصعود منه إلا بعد تجهيزات هندسية صعبة ، ولا يشترك مع قناة السويس في هذه الصفة سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية •

٢ — قيام العدو بإنشاء ساتر ترابي على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ الى ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أن مركبة برمائية العبور إلا بعد إزالة هذا الساتر ، ثم إن هذا الساتر كان يخفى ما خلفه من معدات عسكرية •

٣ — إنشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى لضرب أى قوات تحاول العبور ، وقد اختيرت مواقع هذا الخط بعناية فائقة ، بحيث تتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة في أى جزء منها •

٤ — وجود خزانات لمواد ملتهبة يسهل كل واحد منها مائتي طن من هذه المواد ، على مسافات متقاربة ، بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق

سطح المياه ثم يشعلها ، فيتحول سطح القناة إلى حمم ملتهبة تحرق كل شيء فوق الماء ، بل تشوى الأسماك في عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذي يبعد عنها بمسافة ٣٠٠ متر ، ويستطيع العدو أن يتحكم في استمرار هذه النيران بالاستمرار في دفع المواد الملتهبة إلى سطح الماء •

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائي ، بل أنه مانع فريد ليس له شبيه في العالم ، وليست هناك خبرة سابقة في التاريخ لعبور مثل هذا المانع ، وكان لابد من حل هذه المشاكل حتى يتحقق العبور •

وسنرى أن أبطالنا استطاعوا التغلب على هذه المشاكل في أقصر وقت ممكن ، وتخطوا كل هذه العقبات •

الإعداد لإذاعة بيان العبور :

في الساعة الثانية بعد ظهر السادس من أكتوبر وقبل انطلاق الأمر بالضرب ، صدرت الأوامر لجهازى الإذاعة والتليفزيون للاستعداد لإذاعة بيان مهم ، وفي الحال طلب محمد محمود شعبان رئيس الإذاعة أن يتجه الأستاذ صبرى سلامة إلى استوديو الهواء استعدادا لإذاعة هذا البيان ، كما طلبت الأستاذة همت مصطفى رئيسة التليفزيون من الأستاذ أحمد سمير أن يتجه إلى الاستوديو انتظارا لإذاعة البيان نفسه •

وبعد دقائق قليلة انطلق الأبطال وأذيع البيان في الإذاعة والتليفزيون •

مع حرب أكتوبر يوما بيوم

في قفزة أقرب إلى الخيال ، وفي الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السادس من أكتوبر تغير كل شيء في المنطقة ، فالطائرات المصرية لم تعد تلك التي تهاجم وهى رابطة ، بل وراحت تترأر حتى شلكت حركة

الفانتوم التي كانت تعتمد عليها إسرائيل ، وقصّرت خطواتها وفي الوقت نفسه بدأ الضرب بمنطقة الجولان •

ولنرفع أيدينا عن الكلام لنعطى الزمام للقادة المعركة الظافرة ، وقد تحدثوا بعض الشيء وكشفوا ما يمكن كشفه من أسرار المعركة ومن أحاديثهم نقتبس بعض لقطات •

يقول الرئيس أنور السادات :

بعد ثلث ساعة بالضبط ظهرت نتائج ضربة الطيران • كانت ضربة رائعة أعادت لقواتنا المسلحة كرامتها التي انتهكت عام ١٩٦٧ وقبلها في عام ١٩٥٦ •

كان الهجوم بأكثر من ٣٣٠ طائرة ، ولأنه طيران نفاث وسرعته تفوق سرعة الصوت فإن الضربة لم تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة ، وقد قام أبنائى بأروع واجب يمكن أن يقوم به أى سلاح طيران في العالم من حيث الكفاءة والدقة والمفاجأة في تحقيق كل مهمة أسندت إلى طيار من الطيارين ، وكان تقدير الخبراء الروس أننا سنفقد في الضربة الأولى من ٣٠٪ إلى ٤٠٪ وأنا سنحقق ٣٠٪ من الهدف ، ولكننا لم نفقد سوى خمس طائرات أى حوالى ٢٪ وحقت الضربة ٩٩٪ من الهدف • وقد فقدت إسرائيل ثلث سلاح طيرانها في الأيام الثلاثة الأولى للمعركة •

ويقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل :

عندما انطلقت « الشرارة » كما أسماها الرئيس أنور السادات وبدأت خطة « بدر » كما أطلق عليها العسكريون بدأ كل شيء يتحرك وفقا لهذه الخطة •

ضربة الطيران الرئيسية : أكثر من مائتى طائرة تقوم من الجبهة المصرية بالضربة الأولى على مواقع العدو الحساسة ، ومائة طائرة تقوم بالضربة الأولى من الجبهة السورية •



رفع العلم المصرى على سيناء

(م ١٨ - التاريخ الاسلامى)

تمهيد هائل بالمدفعية : ألفا مدفع تهر في قصفات متلاحقة .
موجات الهجوم الأول : فجأة وجد العدو أمامه ثمانية آلاف رجل
ينزلون إلى قوارب المطاط وغيرها من الوسائل ويبدأون العبور تحت
النار .

قاوم العدو من النقط الحصينة الخط بأرليف على طول القنفة ،
وبواسطة الدبابات الرابضة في مكانها بجانب النقط الحصينة ، واشتركت
المدفعية التي تعزّزها في محاولة صدّ موجات الهجوم الأولى .

جنودنا يصلون إلى النقط الحصينة ، برغم كل مقاومة ، وينضى
النقط الحصينة كانت عنيدة في دفاعها ، ولكن جنودنا يقتحمون بالدافع
الرشاشة والقنابل اليدوية هذه الحصون .

كان السائر الترابي في بعض المواقع عرّضه مائتاً متر ، ولم تكن
الأرض صالحةً لنصب كباري العبور ، لكن المهندسين كانوا في أعظم احظات
حياتهم ، وكان مدير سلاح المهندسين يشرف بنفسه على مواقع الجسور ،
واساتشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور العبور .

قواتنا البحرية تتحرك لتضرب أهدافاً حيوية العدو على شاطئ
البحر الأبيض وعلى شاطئ البحر الأحمر ، واستطاعت تدمير مجموعة
من سفن العدو ، وقطع خطوط مواصلاته ، ونجحت في عدة معارك بحرية
ضد زوارق العدو وضفادعه البشرية ، وسيطرت سيطرة تامة على البحر
الأحمر (١) .

قواتنا الخاصة تنزل وراء خطوط العدو في عهق سيئاء لتضرب
خطوط إمداده ولتعطل هجماته المضادة وتعزّقلها ، وبعد ساعات قليلة
من بدء الحرب كان رجال الصاعقة ينقضّون على أهدافهم في عهق العدو

(١) اقرأ بعض التفاصيل في كتاب « حرب رمضان » تأليف اللواء
حسن البدرى وآخرين ص ١٢٨ و ١٥٢ و ٢٠٦ .

وينجزون مهامهم بكفاءة عظيمة ، غير هيايين أية تضحية من أجل نجاح أهدافهم (١)

التدفق من الغرب إلى الشرق مستمر في نفس الوقت ، لا يتوقف ولا ينقطع .

في أربع وعشرين ساعة كانت لدينا في الشرق خمس فرق كاملة ، وذلك شيء لم يحدث مثله من قبل في تاريخ الحروب .

نهاية خط بارليف :

أخذنا ننسف مواقع خط بارليف ونزيلها من مكانها إلى الأبد ، محتفظين بواحدة منها المعبرة والذكرى ، في أول يوم دهرنا ١٤ موقعا ، وفي اليوم التالي تسعة ، وهكذا حتى تحولت المواقع ، حلم إسرائيل في الأهن المطلق إلى أنقاص وركام ، وسرعان ما اعترفوا بذلك .

قلة الجرحى :

ومن عجب أن الله سبحانه وتعالى حمى الجندي المصري في هذا الزحف ، فالشهداء كانوا قليلين جدا ، والجرحى كانوا قليلين كذلك ، لدرجة أن كتائب الأطباء تأخر عبورها لقلة الخسائر ، واكتفت القيادة في الأيام الأولى بنقط الإسعاف ، ولم تعبر كتائب الأطباء إلا بعد ثلاثة أيام ، مع أنه كان مقررا أن تعبر بعد ساعات من بدء الهجوم .

مشكلات العبور والتغلب عليها

أما عن مشكلات العبور وكيفية التغلب عليها فنتجه إلى الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب الجيش المصري آنذاك وهو يصف لنا هذه المشكلات ، ويذكر أن القيادة قامت بتجزئتها إلى عدة مشاكل ، وحاولت وجربت حتى استطاعت التغلب عليها ، وفيما يلي كلماته :

(١) المرجع السابق ص ١١٨ و ١١٩ .

كانت المشكلة الأولى التي يجب علينا أن ننظف عليها هي كيف
ننظف على النيران الملتهبة التي سوف تغطي سطح القناة عند بدء العبور ،
وقد اتجه تفكيرنا أول الأمر إلى إطفائها وقمنا بعمل تجارب على ذلك
في أماكن شبيهة بالقناة ، فاتضح لنا أن عملية الإطفاء تحتاج إلى
مجهودات ضخمة ، وأن النيران تبقى مشتعلة حوالى نصف ساعة إذا
لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهبة وذلك لإنقاص فترة
تعرّض قواتنا للحريق إلى أقل وقت ممكن ، ومن هنا بدأنا العمل ،
وتم استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع ، فاتضح أنه
يضع هذه المواد في خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى
يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير
تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهبة إلى سطح المياه ، وكان
من الواضح أنه لو أمكن إغلاق هذه المواسير بأى وسيلة قبل بدء عملية
العبور ، فإن السوائل الملتهبة لن تصل إلى سطح الماء ولن تحدث اشتعالا
وكان هذا هو الاتجاه الذى أخذنا به وبدأنا نتدرب عليه . وهكذا
اتجهنا إلى أن نبعث ببعض الغواصين المتسللين لإغلاق هذه المواسير
بالأسمنت مع تكليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه
المستودعات ومنع استخدامها في حالة الفشل في إغلاق المواسير الموصلة
للمياه ، وزيادة في الحيلة درسنا اتجاه التيار في القناة على طول ساعات
اليوم وانتخبنا قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار ، وبذلك
نتفادى النيران فوق سطح المياه ، وقد تمت العملية بنجاح تام ، ولم
ينجح العدو في إشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، وتم الاستيلاء
على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، بل وتم أسر المضابط
المهندس الإسرائيلى الذى قام بتصميمها ، وقد أدلى في أقواله أنه
حضر إلى القناة في اليوم السابق للقتال لكى يختبر هذه المستودعات (١) .

(١) هناك رواية اسرائيلية خداعة تذكر أن اسرائيل هي التي ألغت
مفعول هذه المنشآت قبل المعركة ، ولست أصدق ذلك ، فهذه المنشآت لم
تشيد الا بعد دراسة واسعة ، فلا يمكن لاسرائيل أن تلغى مفعولها .

وكانت المشكلة الثانية هي كيف يمكن إزالة الساتر الترابي الذي أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن نقيم المعدات والكبارى على القناة ، ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية إذا علمنا أن ثغرة واحدة في الساتر الترابي عرضها حوالى سبعة أمتار تعنى إزالة ألف وخمسمائة متر مكعب من الأتربة ، وكانت احتياجات العبور تتطلب فتح ٦٠ ثغرة على طول القناة في كل جانب أى إزالة ٩٠٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من الساتر الترابي شرق القناة ، فإذا علمنا أننا في خلال السنوات الستة الماضية كنا قد أقمنا أيضا ساترا ترابيا في غرب القناة خشية أن يقوم العدو بهجوم مفاجئ علينا ، اتضح أن المشكلة أصبحت مضاعفة ، وأنه يتحتم علينا أن نفتتح ثغرات مماثلة في الساتر الترابي الغربى ، فاتجه تفكيرنا أول الأمر إلى أن نفتتح هذه الثغرات بواسطة التفجير واستمرت نظرية التفجير هي السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ إلى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف ، وهي استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في إزالة هذه الرمال ، وقمنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات إلى أن أصبح في مقدور رجال سلاح المهندسين أن يفتحوا الثغرات المطلوبة في مدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات •

لم يكن فتح الثغرة في الساتر الترابي هو نهاية المشكلة بل كان من الضروري تهذيب جوانب القناة ، بالنسف والتسوية حتى يمكن تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية •

وإذا جاز لنا أن نقدر كسب حساب عما قام به المهندسون العسكريون ، فإننا نقول إنهم قاموا بشق ٦٠ ثغرة في الساتر الترابي ، وأقاموا عشرة كبارى ، وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ٦ و ٩ ساعات ، وقد تم التنفيذ طبقا لما كان مخططا

تماما فيما عدا القطاع الجنوبي من القناة ، حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ، ونتج عن ذلك بعض التأخير في إقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططا ، وإن هذه الأعمال الهندسية الماهرة سوف تكون دائما ماثرا فخر للمهندسين المصريين في جميع أنحاء العالم .

وكانت المشكلة الثالثة هي كيف يستطيع المهندسون أن يقوهوا بهذه الأعمال الهندسية الضخمة وهم تحت نيران العدو المسيطر في الضفة الشرقية ، وكانت الإجابة الفورية هي ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين ، وهو ما يطلق عليه في التعبير العسكري ، « تأمين رؤوس الكبارى » .

وكانت المشكلة الرابعة هي كيف يستطيع المشاة أن يعبروا القناة ويؤمنوا رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة الثقيلة عبر المعديات والكبارى التي أقامها المهندسون وكيف يصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ و ٢٤ ساعة إلى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ؟ وبعد دراسة مطولة أمكننا حل هذه المشكلة بناء على الأسس التالية :

١ — قوة المشاة التي تشكل عبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعين ، والمياه ، وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة ، وكان إجمالي ما يحمله كل جندي حوالى ٢٥ كيلو جراما ، وكان يصل أحيانا مع بعض الجنود إلى ٣٥ كيلو جراما .

٢ — ابتكار عربات صغيرة يضع فيها المشاة ما لا يستطيعون حمله ، ويجرؤونها بأيديهم عبر السائر الترابى وعند تحركهم شرق القناة .

٣ — تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ، ولا سيما الصواريخ الخفيفة التي يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو بواسطة الدبابات .

٤ — تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات كذلك ، وبخاصة الصواريخ الخفيفة ، وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا في أثناء العبور وبعده •

٥ — تجهيز المشاة بسلاحهم لمساعدتهم في تسليح الساتر الترابي وجرد أسلحتهم وذخائرهم المحملة في عربات الجر •

٦ — تنظيم عبور المشاة في قوارب تنظيمًا تفصيليًا بحيث يعلم كل جندي مكانه في القارب ومكان العبور ووقته وواجبه في أثناء العبور... الخ •

٧ — التسلل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط إلا بعد استكمال عملية العبور وإكمال حصارها لهذه النقط •

وخلاصة القول لقد استخدمنا المشاة بنفس الأسلوب الذي كان يستخدم به المشاة منذ العصور القديمة ، وإن اختلفت الأسلحة التي كانت في أيدينا عن تلك التي كانت في أيديهم •

وكانت المشكلة الخامسة هي كيف يمكن لقوة المشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح مالم نقوم بتدمير وإسكات الرشاشات والمدافع التي تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها ، وقد قامت مدفعيتنا بحل هذه المشكلة على أحسن وجه ، وكانت نتيجة ذلك أن تمكن مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جدا •

وكانت المشكلة السادسة هي كيف نعيد تنظيم قواتنا على الشاطئ الشرقي ؟ وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة إلى وحدات المشاة التي سبق عبورها ؟ وكيف يتم ذلك ليلا وتحت ضغط العدو وكيف تُمَيِّز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها ؟ ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة إذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان

يتحتم عبورها لتتضم إلى وحدات المشاة التي عبرت اترديد من قدرتها على التمسك بالأرض ، وضد هجمات العدو المتكررة ٠٠٠ وقد أدى سلاح الإشارة وإدارة الشرطة العسكرية واجبهما على الوجه الأكمل ، فقد أمكن مد كوابل الإشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور ، وتم تحديد الطرق والمذقات بحيث كان يعلم السائق أنه إذا تبع اللون الأحمر مثلاً فإنه سيصل إلى وحدته في رأس الكوبري بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر ، وهكذا . وقد درّبت القوات قبل المعركة على ذلك وقامت بتنفيذها بكفاءة تامة .

وامتلاً ميدان المعركة برائحة الدخان والدم والموت ، كما امتلاً بالاضجيج والتراب والرمال ٠٠٠٠٠ وأصوات انفجارات ، وأزيز هالقات الرصاص ، وصفي القنابل الساقطة من جوف الطائرات ، وصيحات العدو الذي لا يعرف كيف يصد الهجوم .

وكان هذا بالضبط ما أرادته القيادة ؛ أن تبرز مواقع خط بارليف المنيع بموجات متتالية من البشر ، وعلى امتداد خط المواجهة كله ، في وقت واحد ، حتى لا تتاح فرصة لموقع لمساندة موقع آخر ، وحتى تهجز القيادة الإسرائيلية عن نجدة هذه المواقع كلها .

كانت القيادة المصرية تعرف أن هناك احتياطات معدة لنجدة المواقع المختلفة لخط بارليف ، وأن هذه المواقع قادرة على التدخل لنجدة بعضها البعض . . . ولكن تخطيطنا جعل كل موقع جزيرة منعزلة محاطة بأعواج بشرية مصرية .

وعندما اندفعت هذه الاحتياطات لصد الهجوم المصري ، كانت الصواريخ المضادة للدبابات في انتظارها ٠٠٠٠ وانفجرت عشرات الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية ، واصطدمت الدوريات الإسرائيلية بالكمائن المصرية المعدة للتعامل معها .

ومع الموجات الثانية عبرت مجموعات من المشاة تحمل صواريخ

« ستوريلا » (سام ٧) لحماية القوات التي ستنشئ رؤوس الجسور من التدخل الجوى •

وظهرت بطولات وتضحيات أسطورية لا يتسع لها المجال •

لقد فشل العدو في مقاومة العبور ، وخاب أمل موثى ديان الذى صرح بأن العملية سوف يقضى عليها في يوم واحد ، فقد بنى رأيه على التقديرات التالية :

(أ) ضرورة فشل المصريين في العبور نتيجة النيران الكاسحة التي يمكن أن تطلق عليهم من حصون خط بارليف ، وكذلك السوائل الملتهبة التي كان يأمل أن تغطى القناة •• وبذلك فليس هناك أى أمل في وصولنا إلى الشاطئ الشرقى •

(ب) عدم قدرة المهندسين في إزالة الساتر الترابى وإنشاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى ، وأنه بفرض نجاح المصريين في اقتحام جزء من القناة فإن المهندسين سوف يحتاجون إلى حوالى ٢٤ ساعة لإنشاء هذه لكبارى ، وبالتالي فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم ، وكان هذا الوقت يكفى لجلب الاحتياطات المدرعة من العمق لتقوم بتصفية القوات التي نجحت في إنشاء رؤوس الكبارى في الشرق •

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لإمكانياتنا في العبور وبخاصة في النقاط الرئيسية التالية :

١ — قدرة المشاة على صد الدبابات والطائرات المغيرة التي تكون على ارتفاع منخفض ، والتشبث بالأرض ولو بدون أسلحة ثقيلة لمدة طويلة •

٢ — كفاءة مهندسينا وقدرتهم في إقامة الكبارى والمعديات على هذا المانع في مدة تتراوح بين ٦ و ٩ ساعات ، وجاء في كتاب « حرب رمضان » عن جهود المهندسين ما يلى :

« وجدير بالذكر أنه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التي عبرت القناة ، ولتي راحت تعمل فوق سطح الساتر الترابي وفوق صفحة القناة قد تجاوز الخمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات » (١) .

٣ — التنظيم الجديد للعبور والذي وصل إلى أن كل ضابط وجندي في القوات التي تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له ، كان يعلم جيدا دوره بالتفصيل (٢) ، والوقت الذي ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة ، إلى الحد الذي جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر في وقت واحد .

٤ — المفاجأة التي حققتها قواتنا والتي ظهرت نتيجتها بوضوح في الأيام الأولى للمعركة حيث كانت جميع تصرفات العدو تتسم بعدم التنسيق وبالارتجال لمدة يومين على الأقل .

٥ — العقيدة والإصرار اللذين كان يقاتل بهما جنودنا البواسل ، فلقد كان كل ضابط وجندي يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذي لطخته بالتراب أحداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظلما ، وكان يحاول أن يسترد أرضه ، ويستعيد كرامته وعزته ، بينما كان الجندي الإسرائيلي يقاتل دون هدف واضح مقنع .

٦ — وهل وضع ديان في حسابه الأثر المعنوي الذي أحدثته الهتاف العظيم « الله أكبر » الذي رده الجنود وهم يهبطون القناة ؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك في حساباته .

مع جيش إسرائيل وساسة إسرائيل :

إذا كنا سرنا مع الجيش المصري وهو يتقدم ويحقق النصر ، فمن

(١) حرب رمضان ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) قبيل المعركة بحوالى أسبوعين زارنا أحد الأقارب من جنود المؤهلات وذكر أنه لو قامت المعركة فإن كل واحد منا يعرف دوره عن ظهر قلب ويكرره كل يوم - تحية لهذا القريب وزملائه ، وتحية تقدير للفريق الشاذلى ورجاله على هذا الجهد الكبير . أحسن الله جزاءهم .

الحق علينا أن ننتقل للجبهة المعادية في إسرائيل لنعايش الجيش الذي كان يدعى أنه لا يثقهم ، ولنرى ماذا جرى له ؟ وكيف واجه الفسور المصرية وهي تقتحم عليه خنادقه وحصونه ؟

في اليومين الأولين للمعركة كانت بلاغات إسرائيل حافلة بالغرور ، وكانت بلاغاتها في منتهى الدقة ، ولكن العالم صدق بلاغات إسرائيل التي ادعت فيها أنها ستطحن عظام العرب ، وتكسر جماجمهم ، وسيرا مع هذا الغرور اتصلت جولدا مائير بواشنطن تليفونيا وأبلغتهم أن إسرائيل في حاجة إلى يومين فقط لتحطم عظام العرب في مصر وسوريا ؟ وبعد الانتهاء من هذه المهمة البسيطة ستطالب إسرائيل أمريكا بتعويض الأسلحة التي فقدتها في القضاء على العرب ، وطمانت مائير واشنطنون بالآ تقلق أمريكا على إسرائيل التي تعرف جيدا كيف تتعامل مع العرب •

ومضى يومان بعد مكالمة جولدا مائير ، واتصلت إسرائيل تليفونيا بواشنطنون ، لنقول إنها مازالت في حاجة إلى يومين آخرين للقضاء على العرب لأنها استخدمت اليومين الماضيين في التعبئة والحشد بسبب عيد الغفران الذي عطل هذه العملية ، وبخاصة أن إسرائيل لم تعلن حالة التعبئة وأكد ديان في حديثه على حق إسرائيل في تعويض الأسلحة بعد القضاء على العرب في ظرف ٤٨ ساعة •

الزوال ، أنقذونا :

وفي نهاية المهلة الجديدة التي طلبها ديان ، استغاث السفير الإسرائيلي في واشنطن بوزارة الخارجية الأمريكية في رسالة عاجلة تصرخ : أنقذوا إسرائيل ، ، ، ٠٠٠٠ وأعلن السفير أن إسرائيل فقدت أربعمائة دبابة على الجبهة المصرية والحالة في غاية الخطورة لأن الطريق أصبح مفتوحا إلى تل أبيب ، وانتهت الرسالة التاريخية عند هذا الحد •

وتقول جولدا مائير في كتابها « حياتي » لقد طلبت من السفير

الإسرائيلي بالولايات المتحدة عدة مرات أن يتصل بالمسؤولين في واشنطن فوراً لإنقاذنا ، وفي إحدى المرات قال لها : إننا في الساعة الثالثة صباحاً ولا أستطيع أن أوقظ أحداً الآن .

وكان ردّها : لا يهمنى كم تكون الساعة الآن ٠٠٠٠ إن الموت يأكل جنودنا ، إن كل ساعة تأخير تكلفنا الكثير جداً ، أيقظهم جميعاً : اتصل بالدكتور كسينجر فوراً .

وعندئذ طلب كسينجر جولدا مائير مباشرة بالتليفون وقال لها : إن السفير الإسرائيلي في واشنطن قد أبلغه باستغاثة إسرائيل العاجلة وطلبها أربعمائة دبابة فوراً بدلاً من الدبابات التي فقدتها على الجبهة المصرية ، وأبلغها كسينجر أيضاً أنه طلب تقريراً عاجلاً من البنتاجون الذى استعان بالقدر الصناعى فى كتابة التقرير ، وتشير كل الدلائل إلى أن المعركة على الجبهة المصرية تسير فى غير صالح إسرائيل نهائياً ، وأن خسائر إسرائيل بلغت حداً لا يصدق فهل هذا صحيح وهل صحيح أن إسرائيل طلبت المنجدة السريعة ؟ ٠٠٠٠

أجابت جولدا مائير على كسينجر بالإيجاب وأبلغته أن ديان طلب ذلك بناء على موافقة مجلس الوزراء الإسرائيلى ، واعترفت بأن إسرائيل فى انتظار الوصول الفورى للدبابات الجديدة حتى تنقذ إسرائيل نفسها من الأهوة الرهيبة التى وقعت على حافتها وأوشكت على السقوط فيها بالفعل ، بل إنها استخدمت تعبيراً ذكره اليسار رئيس الأركان الإسرائيلى فى مذكراته وهو : « إن إسرائيل فى القاع » (in the Bottom)

عندئذ صارحها كسينجر برأيه وقال لها إن على إسرائيل أيضاً كانت النتيجة النهائية أن تجهّز نفسها للأوضاع الجديدة المترتبة على هذه الهزيمة . ومع ذلك فستبذل أمريكا أقصى ما فى وسعها لإنقاذ إسرائيل ومساعدتها بكل الوسائل الممكنة (١) .

(١) جولدا مائير : حياتى فى عدة أمكنة .

وكان موسى ديان قد اعترف فى نهاية الأيام الأربعة الأولى أن لا مجال إطلاقاً لرد المصريين إلى منطقة القناة بعد أن استولت على خط بارليف ، وأن هذه الحرب ليست إلا زلزالاً هزَّ إسرائيل وكان من رأيه أن يصارح الشعب الإسرائيلى بذلك ولكن الساسة منعوه .

وتقول صحيفة « هاعولام هازيه » الإسرائيلىة « إن الجنرال موسى ديان قد انهار فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عندما حطمت القوات المصرية جميع الهجمات الإسرائيلىة فى سيناء ، ووصلت القوات السورية إلى مسافة قصيرة من وادى الأردن وأوقعت خسائر جسيمة فى الدبابات والطائرات الإسرائيلىة ، كل هذه الأحداث حولت ديان إلى رجل محطَّم » (١) .

ثم تدخلت الولايات المتحدة لإنقاذ إسرائيل وبدأ الجسر الجوى الأمريكى يحمل إلى إسرائيل فيضاً من الأسلحة والمعدات ، وبعضها كان يستعمل لأول مرة ، وسنرى تفصيل ذلك ص ٢٩١ وما بعدها .

نهاية تفوق الطيران الإسرائيلى :

وإذا تحدثنا عن نموذج من خسارة إسرائيل فى معارك السادس من أكتوبر فإننا نذكر أن أعظم الخسائر التى نزلت بهم كانت فى الطيران ، ومن المشرّف أن نقرر أن طائرتنا من طراز ميج ١٧ ذات السرعة الهائلة كانت قادرة على إسقاط طائرات الفانتوم الأمريكية ، فضاع ثلث سلاح الطيران الإسرائيلى فى ثلاثة أيام ، وضاعت بذلك سمعة الطيران الإسرائيلى الذى كان يتمتع بالسيادة المطلقة على أجواء المنطقة كلها .

المدرعات الإسرائيلىة :

ولم يقتصر الأمر على ضياع خرافة السلاح الجوى الإسرائيلى ،

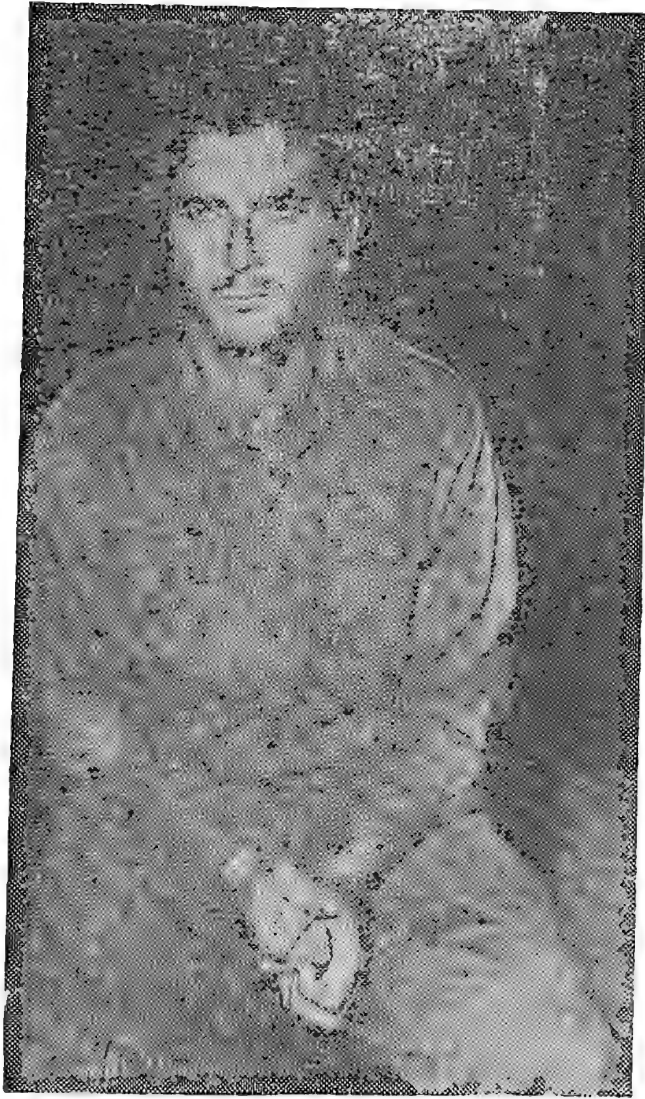
(١) نقلاً عن « حرب رمضان » للواء المجذوب وآخرين ص ١١١ .

وتحطيم سمعة الجندي الإسرائيلي ، بل إن شهرة المدرعات الإسرائيلية دفنت في الأوجال وهى تفرّ مذعورة أمام المدرعات المصرية لدرجة أن قائد المدرعات الإسرائيلية الشهير إبراهيم مندler لقى حتفه على الجبهة المصرية بعد أن ظل يستغيث بالإشارات العاجلة ، ولكن لم يكن هناك في إسرائيل من ينجده أو حتى يسمع صرخاته المذعورة التى طغى عليها هدير المدرعات المصرية •

ومن أروع الانتصارات المصرية فى معركة المدرعات القضاء على اللواء ١٩٠ الذى كان من أقوى لواءات إسرائيل المدرعة ، وكان يقوده عساف ياجورى الذى أصيب بانفيار عصبى عندما نظر حوله فوجد أنه فقد اللواء بأكمله فى ثلث ساعة وكان هذا اللواء يتكون من ١٢٠ دبابة ، وقد خطط على أنه يستطيع الصمود عدة أيام وأسابيع ولكن أمره انتهى فى دقائق ، ووقع قائده فى الأسر ، كما استسلمت مئات الجنود الإسرائيليين واقتيدوا أسرى إلى الأراضي المصرية •

تلك لحظة سريعة من لمحات الهزائم التى نزلت بالجيش الإسرائيلى فأزالتم كبرياءه إلى الأبد ، وقد نشرتها صحف العالم ودونها الرئيس أنور السادات فى مذكراته التى نشرها فى الذكرى الثانية لهذه الحرب •

بقيت كلمة تتعلق بالشعب الإسرائيلى الذى خدعته الطبقة العسكرية وأوهمته أنه يعيش فى أمان وتفوق ، فهزته انتصارات العرب وزلزلت كيانه ، فعاد بعضه من حيث أتى ، وبقي آخرون فى إسرائيل يترنحون من هول المأساة ، وقد أدعت هذه الهزيمة إلى التمزق والانفيار الحزبى فى إسرائيل ، كما أدت إلى عزل إسرائيل دوليا أو إلى الغلاء الفاحش والمجوء إلى الضرائب التصاعدية التى وصلت إلى ٨٢٪ بالإضافة إلى الهجرة العكسية فزاد عدد من يغادرون إسرائيل بنسبة ٤٠٪ •



نهاية الخديعة

ظن أن إسرائيل لا تهزم ، ثم رأى الهزيمة المدورة

يوم ميهون طويل :

ويسجل اللواء محمد حافظ إسماعيل أحداث اليوم الأول للهجوم ،
وهن هذا السجل الدقيق يبدو لنا أنه كان يوماً ميهونا كثير البركة ، وأنه
قد حدثت به أحداث يضيق يوم واحد عن احتوائها يقول سيادته :

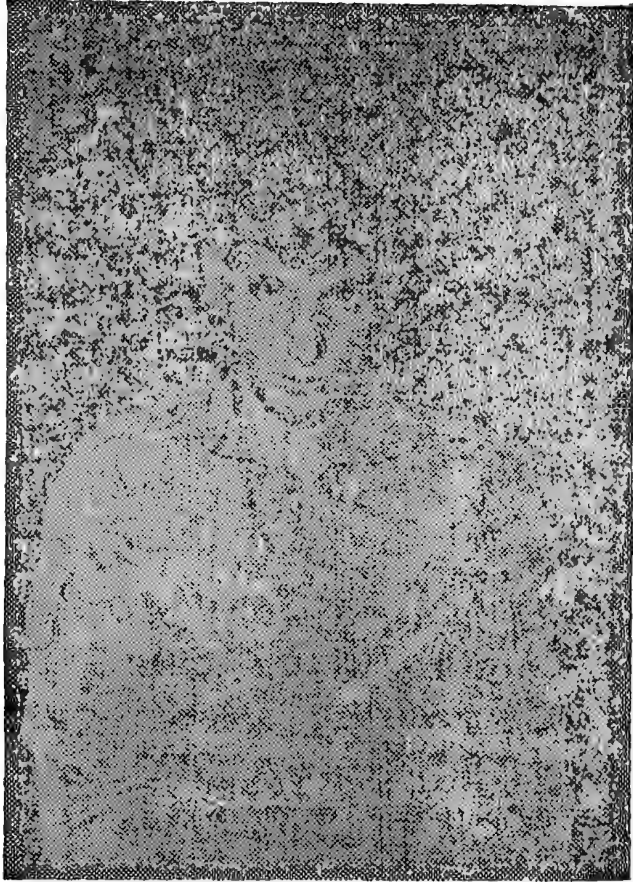
وعلى جبهة القتال ، ونحت سائر النيران عبرت القناة مغارز اقتحام
الدبابات وجماعات الصاعقة ، وفي الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت
الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد في اقتحام
قناة السويس ، وخلال دقائق كان ٨٠٠ جندي يقفون على الشاطئ الشرقى
للقناة ، ونلا ذلك بإحكام ودقة فتح ثغرات في السائر القرائى وإنشاء
الكبارى عبر القناة .

واستمر تدفق الموجات المتتالية من الفرق المشاة الخمس حتى
السادسة والنصف عندما أصبحت جميع النقاط الحصينة لخط بارليف وقد
حاصرها ٣٠ ألف جندي ، ينتشرون على جبهة تمتد ١٧٠ كيلو مترا من
بورسعيد حتى السويس بعمق ٣ - ٥ كيلو مترات ، وقبل منتصف الليل
بدأ تدفق الدبابات والمدفعية والمعدات الثقيلة لتدعيم المراكز الدفاعية
الجديدة شرق قناة السويس ، بينما كانت عشرات من طائرات الهليكوبتر
تعبر القناة وخليج السويس حاملة مجموعات من قوات الصاعقة صوب
أهدافها على عمق ٣٠ ، ٤٠ كيلو مترا وراء الخطوط الإسرائيلية (١) .

ويقول الباحث العسكري عاطف السيد : وحتى الساعة الحادية
عشرة صباح ٧ أكتوبر كان قد تم تدمير ٣٣ طائرة إسرائيلية و ٢٠٠ دبابة
وسقوط نحو ٦٠٠ قتيل وجريح ، على حين نجحت تشكيلات المشاة المصرية
في إنشاء رؤوس كبرى شرق القناة بعمق ٤ - ٥ كيلو متر ومها حوالى
١٠٠٠ دبابة ، واستولت على معظم نقاط العدو القوية وحاصرت النقاط
الباقية بخسائر لا تتجاوز ثلاثمائة شهيد وعشرين دبابة (٢) .

(١) أمن مصر القومى : ص ٣١٣ .

(٢) من سيناء الى كامب ديفيد ص ٩٦ .



هموم الأسير

تلك كانت حصيلة الاندفاع الأول ، وهي حصيلة مشرّفة وباعثة على الرضا والسعادة ، ونسير بعد ذلك مع المعركة لنرى مسيرتها فيما تلا من أيام .

معركة الدبابات :

قامت الدبابات المصرية بدور هائل في المعارك بين مصر وإسرائيل ، ولعل أدق تصوير لنجاح مصر في هذه المعارك هو ما قاله موسى ديان (١) نفسه وهاك كلماته :

منيت القوات الإسرائيلية بخسائر هائلة في الرجال والمدرعات ، وخرجت من المعركة ولم يبق لديها شيء سوى قلة من الدبابات القادرة على القتال .

وعن الدبابات أيضا نقفز قفزة زمنية لنتذكر أنه حينما اشتد الضغط على سوريا خرجت القيادة المصرية عن الخطة المرسومة وخاضت معركة مدرعات هائلة من ١٣ — ١٦ أكتوبر ووصفها المؤرخ الصهيوني والتر لاكير بأنها تفوق في شدتها وحجمها معارك الحرب العالمية الثانية باستثناء معارك الجبهة السوفيتية الألمانية (٢) .

وهناك ضباط وجنود مصريون سقطوا جرحى في هذه المعارك ، ونقلوا لساحات العلاج والإنقاذ ، وتقول السيدة جيهان السادات (٣) أنهم كانوا يريدون العودة للميدان قبل أن يتم علاجهم ، وكان الأطباء المصريون يبذلون أقصى الجهد لإبقائهم في ساحات العلاج حتى يتم شفاؤهم .

(١) قصة حياتي : ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات القسم الثاني ص ٥٢٣ .

(٢) دكتور صلاح العقاد : السادات وكامب ديفيد ص ١١٤ .

(٣) سيدة من مصر ص ٣٤٢ .

أمريكا ثم الثغرة :

من المحتم على المؤرخ المتعمق أن يربط بين أمريكا وثغرة الدفرسوار ، فلقد خلقت أمريكا هذه الثغرة وطوّرتها ، ودفعت إسرائيل بها إلى الجانب الغربى من القناة ، وعندما صدر قرار وقف إطلاق النار وارتضته مصر وإسرائيل اتضح أن أمريكا حثّت إسرائيل على مزيد من الاندفاع للوصول إلى السويس ومحاولة احتلالها ، ومن الواجب على كل مصرى وكل عربى وكل مسلم ، أن يتدارس بعمق هذه القضية ، وأن يدرك أن عدونا الحقيقى هو أمريكا على الرغم مما يقوم بيننا وبينها من علاقات ، وهذا الإجمال نعطى له بعض التفاصيل •

كانت الضربات الأولى على إسرائيل شديدة وقاسية وغير متوقّعة ، فدمرت غرور هذه الدولة ، وحطمت كبرياءها ، وعندما استسلم عساف ياجورى ودمر اللواء المسلح الذى كان يقوده وعندما انتهت سطوة خط بارليف لم يستطع اليهود احتمال الكارثة غراحوا يولولون كالمرأة الثكلى ، فموسى ديان الجبار المتغطرس وزير الدفاع الإسرائيلى انهار ، وبكى أمام رجال الإعلام الأجانب ، وجولدا مائير رئيسة الوزراء صرخت : الزلزال أنقذونا •

ومن المعروف أن أمريكا غرست إسرائيل فى هذا المكان لتكون رأس حربة فى قباب العالم العربى والإسلامى ، وأنها كما صرّحت كثيرا « ولدت لتعيش » ومن هنا سرعان ما قام « البنتاجون » وزارة الدفاع الأمريكية بإصدار تقرير يؤكد أن إسرائيل على وشك أن تخسر الحرب أو خسرتها فعلا وتبعا لهذا التقرير تغير كل شيء ، فقد تدفقت الأسلحة والمتطوعون عن طريق الطائرات والسفن من أمريكا أو من قواعدها بأوروبا ، وكانت المساعدات العسكرية تصل مباشرة إلى مدينة العريش لتيسر اشتراكها فى المعركة ، ولم تنزع أمريكا بإمداد إسرائيل بالأسلحة المتفوقة كالدبابات والصواريخ ، بل أرسلت أحدث ما عرفته

التكنولوجيا الأمريكية من الأسلحة التي كانت لا تزال تحت الاختبار ،
وقنابل المافريك المدمرة وقنابل « أكاستر » ذات الخطورة البالغة .

وفي مدى وجيز قدّم الجسر الجوى الذى أدت به أمريكا إسرائيل
أسلحة تزيد قيمتها عن ٢١/٢ مليار من الدولارات الأمريكية ، وقد وقع
في أسر القوات المصرية بعض الدبابات الأمريكية حديثة التصدير ، وكانت
قراءة عدادها لا تزيد عن ٢٠ كم وهى المسافة من العريش إلى مكان
المعركة .

وتقول السيدة جيهان السادات — وكانت تشرف على الإسعافات
الطبية لرضى المعركة — : لقد لاحظنا أن طبيعة الإصابات قد تغيرت بطريقة
لم نر لها مثيلا من قبل ، مما جعل الأطباء يحسبون أن سلاحا جديدا لم
يكن معروفا من قبل بدأ يظهر في المعركة .

ولعل هذا هو ما أشار له أنور السادات بقوله (١) :

إن هناك أمورا لم تعلن وأسرارا لم تكشف بعد عن حرب
أكتوبر ، وهى مذهلة يشيب لهاولها الولدان ، وستعلن فى الوقت
المناسب ، فلقد كان هدف أمريكا القضاء على قوات مصر ، وذلك بإبادة
جماعية مدروسة .

وقبيل ذلك قال فى حديث آخر :

إنه أصبح واضحا أن أمريكا طرف أساسى^٢ فى المعركة ، إذ تدخلت
تدخلًا كاملا ، وأقامت جسرا جويا هائلا إلى سيناء ، فأصبح مطار العريش
يستقبل الطائرات المضخمة ، التى تبلغ سعة كل منها ١٢٠ طنا ، وكانت
الدبابات تنزل فى المطار وهى جاهزة ببنزينا وطقمها كله ، وتتجه مباشرة
إلى المعركة (٢) .

(١) الاهرام فى ١٠/١/١٩٧٥ .

(٢) الاهرام فى ٣/١/١٩٧٥ .



كانت جيهان السادات تشترك في تهريض جرحى الحرب

ولم تقنع الولايات المتحدة بهذا العون الكبير لإسرائيل بل أعلنت أنها ستقف ضدنا ، وذكرت أنها ستقاوم أى عمل مصرى يخالف تعليماتها •
واتصلت أمريكا بالمرحوم الملك فيصل لمساعدتها فى إيقاف المعركة ، ولكن الملك فيصل رفض هذا الاتجاه ما لم يتقرر الانسحاب الإسرائيلى والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى وبعث للرئيس السادات برقية يؤكد فيها : إننا بجانبكم بكل إمكانياتنا داعين للجيش المصرى بالنصر •

عون الأصدقاء عند الشدة :

وبينما كانت الأسلحة الأمريكية تتدفق على إسرائيل كان السوفييت يتقاعسون عن إمدادنا بالأسلحة اللازمة ومن هنا اهتز أصدقاء مصر لهذا الوضع ، فسافر الرئيس الجزائرى هوارى بومدين للكرملين وقدم مائتى مليون دولار ثمنا لمائة وخمسين دبابة ترسل فوراً لمصر وسوريا كما أرسل الرئيس اليوغسلافى تيتو إلى مصر مائة وأربعين دبابة ، وقدم جلالة الملك فيصل صورا من المساهمة المادية والأدبية واشتركت الدول العربية الأخرى اشتراكا فعليا ، وقدمت السعودية صفقة أسلحة أهمها سرب طائرات « ميراج ه » الفرنسية وقدم المغرب فوج مشاة وقدم السودان لواء مشاة ، وقدم العراق سرب طائرات هوكر هنتر وقدمت الكويت كتيبة مشاة ، وقدمت العراق إلى سوريا فرقتين مدرعتين وثلاثة ألوية مشاة كما تلقت سوريا مساعدات عسكرية من الأردن والمغرب والسعودية والكويت •

تحية إجلال لهذا العون العربى الذى لو انتظم لحقق للعرب أسمى الأمنى •

عون أدبى أفريقى :

ومع العون العربى قدمت الدول الافريقية عونا أدبيا عظيما ، فقد بلغ عدد الدول الإفريقية التى قطعت علاقاتها مع إسرائيل خلال الحرب

٢٢ دولة بالإضافة إلى ثمانى دول كانت قد قطعت علاقاتها مع إسرائيل منذ سنة ١٩٦٧ ولم يبق إلا أربع دول افريقية لها علاقات مع إسرائيل بالإضافة إلى دولة غربية عن المجتمع الافريقى وهى « جنوب افريقيا » (١) .

سوريا بين النصر والهزيمة :

وكانت سوريا فى الأيام الأولى للحرب قد حققت انتصارا هائلا ضد إسرائيل ، واستعادت الجولان كله أو أكثره ، وفى صباح اليوم العاشر من أكتوبر اتجهت القوات الإسرائيلية إلى الضغط على الجبهة السورية ، والاكتفاء فيما يتعلق بالجبهة المصرية إلى إيقافها وكانت تقصد بذلك أن تتغلب على سوريا وأن تخرجها من المعركة ، وتنفيذاً لهذه الخطة اتجهت إسرائيل لقتل أهداف استراتيجية فى عمق سوريا وبخاصة الأهداف الاقتصادية لإجبار سوريا على الاستسلام .

إنقاذ سوريا عرض مصر للخطر :

واتصلت سوريا بالقاهرة ترحو أن تضغط على إسرائيل حتى تخفف إسرائيل ضغطها على الجبهة السورية ، وكانت سياسة مصر آنذاك ترمى إلى ما يسمى « وقفه تعبوية » بعد الجهد الكبير الذى بذلته فى الأيام الأولى ، ولأن مصر حققت ما كانت تصبو إليه مما ذكرناه من قبل وهو أن الحرب ليست لاسترداد سيناء ، وإنما لإحداث هزّة لإسرائيل من جانب وللمجتمع العالمى من جانب آخر لخلق صحوة تعيد الحياة للقضية ، ولكن نداءات سوريا دفعت مصر للاستجابة فأصدرت القاهرة تعليماتها لاستئناف الزحف ، واتجهت القوات المصرية لزيد من التقدم تجاه المضائق ، وانشغلت بهذا الجهد ابتداء من صباح يوم ١٣ أكتوبر وقد سبق أن ذكرنا أن الجيش المصرى زحف إلى الشرق فى حماية

(١) لواء حسن البدرى ولواء طه المجدوب والعميد ضياء زهدى :
حرب رمضان ص ٢١٥ .

حائط الصواريخ الذى كان نفوذه يمتد إلى مسافة لا تتعدى عشرة أميال ،
ولذلك كان تقدم الجيش المصرى تجاه المضائق مغامرة ، لكنها أصبحت
مغامرة مقبولة الآن الطيران الإسرائيلى خسر خسارة كبيرة خلال زحف
الجيش المصرى فى أيامه الأولى ، ولأن هذا التقدم أصبح ضروريا لمساعدة
سوريا •

أمريكا تكتشف الثغرة :

فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٣ من أكتوبر حدث
أمر خطير ، إذ قامت طائرة استطلاع أمريكية من طراز لوكهيد
SR-71-A برحلة استطلاع فوق الجبهة المصرية ، وشوهدت حركاتها
على شاشة الدفاع الجوى فى غرفة العمليات بالمركز الرئيسى ، وقدمت
هذه الطائرة نتيجة جولتها الاستطلاعية ، وكانت هذه النتيجة خطيرة للغاية
فقد اكتشفت هذه الطائرة هى والأقمار الصناعية الأمريكية وجود ثغرة
بين الجيش الثانى والثالث عرضها ٢٥ كيلو مترا ، وأبلغت الولايات
المتحدة إسرائيل بهذا الوضع وحثتها على استغلال هذه الفرصة للعبور
إلى غرب قناة السويس •

ويقول الفريق أول محمد على فهمى وهو يتحدث سنة ١٩٨٢ إلى
أخبار اليوم فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر ما يلى عن الثغرة وموقف
أمريكا منها :

«خَطَرْنَا الرئيس السادات فى اجتماع القناطر الخيرية يوم الاثنين
٢٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ مع بعض القادة العسكريين أن « كيسنجر » قد
أبلغه بأن الأمريكين عندما استطلعوا عدم وجود احتياطى مدرع فى
الغرب نتيجة دفعه إلى الشرق أعطوا النور الأخضر لإسرائيل للاندفاع
نحو المغرب ، ولذا فإن أمريكا تقرر أن الوضع الخاص بالثغرة من صنعهم •

ويقول شارون : كانت المبادرة بأيدي المصريين الذين استطاعوا أن

يَلْحَقُوا أَفْدَحِ الْخُسَائِرَ بِالْجَيْشِ الْإِسْرَائِيلِي ، وَكَانَ الْقِتَالُ يُمْكِنُ أَنْ
يَتَوَقَّفَ فِي آيَةٍ لَحْظَةً وَمَوْقِفْنَا فِي غَايَةِ السُّوءِ ، وَهَذَا سَيَكُونُ كَارِثَةً كَامِلَةً
بِالنَّسْبَةِ لِإِسْرَائِيلَ وَسَمِعْتَهَا ، وَمَنْ أَجَلُ ذَلِكَ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ عَمَلِ شَيْءٍ ،
فَالْحِجَّتْ يَوْمَ ١٦/١٠/٧٣ عَلَى الْقِيَادَةِ لِتَوَافُقِ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْفَرَاغِ بَيْنَ
الْجَيْشِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ لِلْعُبُورِ إِلَى الْغَرْبِ عِنْدَ الدَّفْرَسَوَارِ •

وَيُضِيفُ شَارُونُ قَوْلَهُ إِنَّنِي شَعَرْتُ فِي الْإَيَّامِ الْأُولَى لِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ
أَنْ إِقَامَةَ الْجُسُورِ إِلَى الْغَرْبِ كَانَ خَطَأً عَسْكَرِيًّا فَقَدْ كَانَ الْقَذْفُ الْمَصْرِي
بِالْعَمَلِ الْعَنْفِ •

أَمْرِيكَاءُ تُؤَيِّدُ الثَّغْرَةَ :

كَانَتْ صِيحَةً وَقَفَ إِطْلَاقُ النَّارِ مِنْ مَجْلِسِ الْأَمْنِ عَلَى أَشْدِّهَا حِينَ
ذَلِكَ ، وَرَأَتْ مِصْرُ أَنَّ أَمْرِيكَاءَ دَخَلَتْ الْمَعْرَكَةَ فَعَلَا بِأَسْلِحَتِهَا وَبِالْمَتَطَوِّعِينَ الَّذِينَ
وَقَدُوا مِنْهَا ، وَبِطَائِرَاتِهَا الْاسْتِطْلَاعِيَّةِ ، وَأَقْمَارِهَا الْمَصْنَاعِيَّةِ ، فَتَقَبَّلَتْ وَقَفَ
إِطْلَاقُ النَّارِ كَمَا قَبِلَتْهُ إِسْرَائِيلُ وَأَعْلَنَ أَنْوَرُ السَّادَاتُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : فِي خُطَابِ
حَزِينٍ إِلَى الرَّئِيسِ حَافِظِ الْأَسَدِ نَصَهُ :

أخى الرئيس حافظ الأسد :

لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر ، وفي الأيام الأربعة الأولى كانت إسرائيل وحدها ، فكشفنا موقفها في الجبهتين المصرية والسورية ، وسقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتى طائرة ، أما في الأيام العشرة الأخيرة ، فإننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما فيها من أسلحة .

إننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا أو أن أتحمل المسؤولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى ، لذلك فإننى قد أخطرت الاتحاد السوفيتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

١ — ضمان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتى .

٢ — بدء مؤتمر السلام فى الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتى (١) .

وإن قلبى ليقطر دما ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحس أن مسئوليتى تحتم علىّ اتخاذ هذا القرار ، ولسوف أواجه شعبنا وأمتنا فى الوقت المناسب لكى يحاسبنى الشعب ، مع تمنيات .

أنور السادات

(١) كوسيجين كان قد زار مصر فى أثناء المعركة والح على أنور السادات أن يوقف المعركة فرفض .

وقفات مع الثغرة :

الوقفلة الأولى هي أن عملية الثغرة أطلق عليها الإسرائيليون (وادى الموت) لأنها وضعت جنود إسرائيل بين شقى الرحا .

ويقول أنور السادات عن الثغرة وعن سهولة القضاء عليها ما يلى :

كنت واثقا كل الثقة من أن عملية الثغرة مضامرة طائشة ساذجة ومكتوب لها الفشل المحقق ، فلو أنى صفيت الثغرة حسب الخطأ الموضوعة والتي وقعقتها بنفسى كانت إسرائيل ستفقد ٤٠٠ دبابة وعشرة آلاف عسكرى ما بين قتيل وجريح ، ولم يكن هذا بالأمر الصعب أو المحتمل بل الأكيد ، ففى هذه المعركة لم يكن أمامى قناة أعبرها أو خط باراييف أقتحمه ٠٠ العدو أمامى وعلى مساحة ضيقة من الأرض ، ظهره للبحيرة ووراءه على الضفة الشرقية خمس فرق كاملة لى ، ومدخل الثغرة من الضفة الشرقية فتحة هى ست كيلو مترات فقط عند نقطة الارتكاز بين الجيشين الثانى والثالث ، كل الحسابات العسكرية كانت تشير إلى أن هذه المعركة لو تمت فستكون مذبحة التاريخ .

ويقول أنور السادات كذلك عن الثغرة : لقد وجهنا الضربات الموجعة والممينة للثغرة الإسرائيلية ، وأنا فى هذا أستشهد بكلام اليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى المعزول عن خسائهم فى الثغرة الرهيبة التى دفعوا ثمنها باهظا من أجل استعراض تليفزيونى سقيف .

وبالإضافة إلى شهادة اليعازر هناك شهادة أحد الطيارين الأسرى الذين كانوا يهملون فى نقل الجرحى الإسرائيلين ، وهذه الشهادة مسجلة عندنا وتوضح الخسائر الرهيبة التى أصابت إسرائيل فى الثغرة التى كانت مقبرة لهم بكل ما تصوّره المقابر من صور الموت ، وقد أعلنت وأنا فى عمّان أخيرا أننى أتحدى أن تعلن إسرائيل عن خسائرها فى الثغرة وعن تفاصيل هذه العملية المسرحية .

وفي هذا المجال كذلك يَرَوِي اللواء محمد حافظ إسماعيل أن موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أوشك يوم ١٧ أكتوبر على اتخاذ قرار باستدعاء القوات التي كانت قد عبرت القناة إلى الشرق مقدراً فشلها في تحقيق مهمتها (١) .

والوقف الثانية مع الثغرة تقرر أن هذا الاختراق ليس عملية عسكرية فريدة في نوعها فتاريخ الحروب ملئ بالأمثلة العديدة لعمليات الاختراق . وعمليات التصدي لها وتصفيتها (٢) .

والوقف الثالثة حول الثغرة هي أن الولايات المتحدة التي أصرت على وقف إطلاق النار حمت إسرائيل بعد الاتفاق على الموعد المحدد لذلك ، وسمحت لها بالاستمرار في الزحف وتوسيع الثغرة والسير لحصار السويس ، فحققت إسرائيل في المدة بين ٢٢ و ٢٤ أكتوبر أى بعد قبول الأطراف المتحاربة لقرار وقف إطلاق النار زحفاً وسّع من نطاق هذه الثغرة وجعلها أشد خطورة .

والوقف الرابعة مع الثغرة تصف أثرها على صحة الرئيس السادات وهو يذكر ذلك بقوله : كان الألم قد استولى على سبب هذه الثغرة ، فأضيت بنزيف لمدة ٤ أيام واستدعيت الأطباء ليفحصوا البول الذي كان قد صار كتلا من الدم ، فقال الأطباء إن هذا النزيف بسبب التوتر النفسي ، ولكن لا خطورة منه ووصفوا لى بعض الأدوية التي كانت مفيدة في هذا الشأن (٣) .

والوقف الخامسة مع الثغرة تتمثل في الجهود المصرية لتصفيتها بعد وقف إطلاق النار وبعد أن امتدت الأيام لوجودها غرب القناة ،

(١) أمن مصر القومي ص ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤١ .

(٣) البحث عن الذات ص ٣٥٧ وضاع جيشنا كله في ١٩٦٧ ولكن عبد الناصر وعامرا لم يصابا بأى نزيف .

ويوضح أنور السادات هذه النقطة وتهديد الولايات المتحدة لو أقبلت مصر على تصفيتها بقوله :

في ديسمبر ١٩٧٣ كنت مستعدا لتصفية جيب الثغرة ، فقد بدأت قواتنا حرب الاستنزاف معها ، ولم يتوقف ضغطها على الثغرة لحظة واحدة ، مما جعلنا نكسب أرضا جديدة كل يوم تارة بالأمتار وتسارة بالكيلومترات ، ولكننا كنا نكسب دائما ، وأنا فعلا كنت على أتم الاستعداد لتصفية الثغرة ، وخاصة أنه ليست أمامي قناة لعبورها ، ولا خط بارليف للمقاتل يصدني ، ولكن الخطر الذي كان أمامي كان تدخل أمريكا ، ففي ١١/١٢/١٩٧٣ جاء كيسنجر وقلت له : أنا غير مستعد أن أقبل أسلوب اليهود حول موضوع الثغرة وأنا سأصفي الثغرة .

فقال لي : أنا قبل أن أحضر إليك عارف أنك جاهز ، أنا طلبت صورة الموقف من البنتاجون ، فأعطوني تقريراً كاملاً ، حائط صواريخك يتكون من كذا بطارية ، دبابتك حول الثغرة ٨٠٠ دبابة مدافعك عددها كذا ، وتستطيع فعلا أن تصفي الثغرة ، ولكن أعلم أنك إذا فعلت هذا سيضر بك البنتاجون .

قلت له : هذا هو السؤال : ما هو موقف أمريكا ؟

قال لي : سيضر بك البنتاجون ، سيضر بك البنتاجون ، بسبب واحد وهو أن السلاح الروسي قد انتصر على السلاح الأمريكي مرة ، ولن نسمح له في الاستراتيجية العالمية أن ينتصر للمرة الثانية .

واستأنف كيسنجر حديثه قائلاً : هل تعرف أنه عندما أزممت أنت الموقف عالمياً وقلت للقوتين تعالوا هاتوا لي خط ٢٢ أكتوبر أو أن تستعيده على شرط ألا يقف البنتاجون ضدك تعرف الخطة اللي وضعها البنتاجون في ذلك الوقت ماذا كان شكلها ؟

كنا سننزل عندك في سينا ونخلص عليك إذا الروس نزلوا
عندك في الغرب لأننا كنا نريدك أن تعلم أن الروس لا يعتمد عليهم ،
فنضربك ضربة نضرب بها الروس ، نفس الوضع الآن ، لو أنت حاولت
أن تصفى الثغرة • سيدخل البنتاجون ويضربك ، لأن هذه هي سياسة
أمريكا المقررة (١) •

والوقفه السادسة مع الثغرة توضح الخلاف في وجهات النظر بين
القائد العام للقوات المسلحة المشير أحمد إسماعيل ورئيس الأركان
الفريق سعد الدين الشاذلى ، فقد اتجه رأى رئيس الأركان إلى سحب
بعض القوات من شرق القناة إلى الغرب للقضاء على الثغرة ، أما القائد
العام فلم يكن يرى سحب جندى واحد من الشرق ، وكان يرى أن التعامل
مع الثغرة ينبغى أن يكون عن طريق القوة الموجودة غرب القناة ،
واستدعى الرئيس السادات لحسم الخلاف وأقر الرئيس وجهة
نظر القائد العام بالألا يجرى انسحاب من الشرق إلى الغرب (٢) •

ويقول أنور السادات إننى في هذه الليلة أعطيت تعليمات لأحمد
إسماعيل بعزل الشاذلى من رئاسة الأركان على ألا يعلن هذا القرار
على القوات حتى لا يحدث رد فعل عندنا أو عند الإسرائيليين وفي نفس
الليلة استدعيت الجصى وعينته رئيساً للأركان •

والوقفه السابعة مع الثغرة عن منافسات أضرت بمصر في الثغرة ،
فقد أرسل الرئيس السادات إلى رئيس الأركان الفريق سعد الدين الشاذلى
للتعامل مع الثغرة ، وكان من السهل جدا التعامل معها في ذلك اليوم ،
فقد كان السباق فيها للزمن • ولو أنه نفذ ما طلب منه الأحاط شاطئ
البحيرة بسد يسجنهم داخلها ويوقفهم في مكانهم ولأصبح من السهل
القضاء عليهم ، وكان في إمكانه أن ينتهى من العملية كلها بعد وصوله

(١) البحث عن الذات ص ٣٥٥ - ٣٥٦ •

(٢) محمد حافظ اسماعيل - أمن مصر القومى - ص ٣٤١ •

بساعات ، ولكنه أضاع الليلة بأكملها في جمع المعلومات وإنشاء قيادة له ينافس بها قيادة غريمه الفريق أحمد إسماعيل ، وكانت قوات الصاعقة قد تقدمت إلى الدفرسوار ووصلت فعلا إلى نقطة النزول ، واعترف الإسرائيليون بشراسة قتال قوات الصاعقة والقوات الخاصة ... ولكن الشاذلى أعطاهم الأمر بالانسحاب إلى أن يجمع المعلومات وكانت النتيجة أن توسع اليهود في الثغرة (١) .

والباحث يقرر أنه كان من أخطاء السادات أن وضع قائدين كبيرين متنافسين في مكانيهما من الجيش ، ومهما كانت الرغبة في نكران الذات ، فإنه لا يؤمن أن تتحرك الأهواء في وقت من الأوقات وهو ما حدث في هذه الأزمة الخطيرة .

ويقول المطلعون إن الخلاف بين المشير أحمد إسماعيل والفريق سعد الشاذلى يرجع إلى أيام خدمتهما في الكونغو (زائير) في أوائل الستينات ، وكان سعد الشاذلى قائداً للكتيبة المصرية التى كانت تعمل تحت علم هيئة الأمم المتحدة ضمن قوات الطوارئ الدولية التى تم إرسالها إلى هناك .

أما أحمد إسماعيل فكان على رأس البعثة العسكرية المصرية التى أرسلها عبد الناصر بناء على طلب لومومبا إلى الكونغو ، وكان سعد الشاذلى برتبة مقدم وأحمد إسماعيل برتبة العقيد ، وأراد أحمد إسماعيل أن يكون الشاذلى تحت أمره بسبب أنه يحمل رتبة عسكرية مصرية أعلى من رتبة سعد الشاذلى في تلك المنطقة ، ولأن المجموعتين كانتا تنفيذاً لاتجاهات عبد الناصر في التدخل في شئون افريقية ولكن سعد الشاذلى رفض ذلك لأنه يعمل تحت علم هيئة الأمم المتحدة ، وليس تحت علم مصر ، وهو بهذا يتلقى أوامره من قائد القوة الدولية ، ومنذ ذلك الحين نجم الخلاف بينهما وتفاقم .

(١) البحث عن الذات ص ٣٤٨ .

ثم حدث أن أنور السادات أصدر قراراً بعبور الفرقة الاحتياطية الموجودة غرب القناة لمساعدة الحالة المتدهورة في الجبهة السورية ، وقد تسبب هذا في إحداث الفراغ الذي التقطته الاقمار الصناعية الأمريكية وكانت الثغرة (١) .

وهكذا لاحقتنا لعنة عبد الناصر ، فكانت في حربنا الناجحة سنة ١٩٧٣ نقطة سوداء ، أحدثت بعض الاضطرابات في الجبهة ، ولكن الله سلّم .

والوقفه الثامنة مع الثغرة ترتبط بأحاديث ودراسات مهمة سجلها الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه (عند مفترق الطرق) عن حرب أكتوبر بوجه عام والثغرة بوجه خاص ، ومنه نقتبس سطورا قليلة :

— بعد أسبوع من حرب أكتوبر قال رئيس إسرائيل :
لقد عشنا سنوات طويلة على وهم أننا أكبر قوة في المنطقة ، وقد جاء الوقت لكي نرفع عن عيوننا هذه الفشاوة وننظر على الأمور بمنظار الحقيقة .

— كانت إسرائيل تقف في موقف الشريك للولايات المتحدة بعد حرب ٦٧ وكانت تزدهو بذلك ، ولكنها ابتداء من حرب ٧٣ عادت إلى دور التابع وهو حجمها الحقيقي .

— اعترف الجنرال شارون : إن المصريين استطاعوا أخذ المبادرة والمفاجأة والحقوا بنا خسائر فادحة وكنت أخشى أن يصدر قرار اطلاق النار ونحن في وضعنا السيئ وبذلك تكون الكارثة ، ونفقد مساهمتنا وعن هنا بدأت قضية الثغرة .

(١) من حديث للدكتور عبد الحميد سلطان نشر بصحيفة الوفد في ١٩٨٨/١١/٨ .

— يقول الجنرال بارليف في حديث صحفي وافق عليه رسمياً للنشر ما يلي :

١ — إن الجنرال شارون خالف عقيدة هامة من عقائد الحرب الإسرائيلية ، وهي أن تكون الخسائر البشرية في أقل نطاق ممكن ، وقد دفعنا خسائر كثيرة في عملية شارون .

٢ — إن الجنرال شارون لا ينكر أن احتمال صدور قرار بوقف إطلاق النار كان على الأبواب ، وأنه أقدم على مغامرته متاكداً أن وقف إطلاق النار سوف يحميها ويغطي مخاطرها .

٣ — أن الجنرال شارون يعترف أن مغامرته كانت لتخفيف الصدمة التي تلقاها الجيش الإسرائيلي عندما اقتحم الجيش المصري قناة السويس واجتاح خط بارليف .

٤ — إن الجنرال شارون استعمل الغش في الثغرة فهو لم يستطع تعزيز مواقعه على الضفة الغربية إلا بعد سريان وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ، وفي ظل هذا القرار الذي ضمنته الولايات المتحدة مدته سيطرته على رقعة من الأرض تريد مرتين على الرقعة التي كان قد استولى عليها قبل قرار وقف إطلاق النار ، وعلى كل حال فإن الغش على هذا النحو ليس بعيداً عن عقائد الحرب الإسرائيلية .

وعلى العموم فقد كانت القوات الإسرائيلية في الغرب يمكن أن تكون رهينة إسرائيلية في متناول مصر أكثر منها خنجراً في كتفها وذلك لأنها محشورة حشراً ، وخطوط مواصلاتها بعيدة ، ومدخلها إلى الغرب محصور بين الجيش الثاني والثالث ، وقوات مصر تحيط بها كأنها حائط من الفولاذ ، ولهذا كانت الثغرة ليست موضوعاً تضغط علينا به إسرائيل

وإنما كانت أقرب إلى أن تكون موضوعا نضغط به نحن على إسرائيل ^(١) .

والوقوفة التاسعة في أحاديثنا عن الثغرة هي اقتباس من أقوال
المعلقين السياسيين الأجانب ، فقد قالوا إن الغرض من قتال الإسرائيليين
في غرب القناة كان استعادة هيئة جيش الدفاع الإسرائيلي التي فقدوها
في معارك شرقي القناة ، ولم يكن بغرض تحقيق أهداف عسكرية وفيما يلي
كلماتهم اقتباسا من صحيفة الأوبزرفر البريطانية :

«On the west bank of the Canal, fighting went on for press oppression
and not real achievements.»

والوقوفة العاشرة والأخيرة عن الثغرة أن مصر أعدت خطة عاجلة
لتدمير الثغرة ، فقد تم تشكيل فرق كاملة بقيادة اللواء سعد مأمون ،
وسميت « قوات تدمير الجيب الإسرائيلي المحاصر » ووضعت خطة
لنفتيت الجيب ، ومحاصرة كل جزء منه ، ثم ضرب عنق الثغرة لعزل
الإسرائيليين تماما عن سيناء ، وتعهد سعد مأمون لقيادة الجيش بالانتهاء
تماما من القضاء على الإسرائيليين بالغرب خلال ثمانى وأربعين ساعة
على الأكثر .

وأدركت أمريكا ذلك فهددت بالتدخل المباشر ، ووعدت بسحب
الثغرة في أسرع وقت ممكن .

ماذا قالوا عن الثغرة ؟

يقول حاييم بارليف : حشدت إسرائيل في الثغرة ٧ ألوية كاملة ،
بالإضافة إلى خمسة ألوية لحماية مداخل الثغرة ، فقد كانت قوات الثغرة
مجرد رهينة يسهل أسرها .

ويقول أرييل شارون قائد الثغرة : إننى كنت أدرك تماما أن كل

(١) عند مفترق الطرق - ص ٣٠٢ وما بعدها .

الإسرائيليين الموجودين في الضفة الغربية لقناة السويس أصبحوا رهينة في أيدي المصريين ، ولذلك وقعت اتفاقية الفصل بين القوات تحت ضغط هذه النقطة (١) .

معركة السويس :

أشهد الله أنني أكتب معركة السويس ولا أستطيع أن أحبس دموعي ، إنها معركة البسالة والقوة والإيمان ، وإن بلدا به مدينة كالسويس ، وشعب " مثل شعب السويس لن يعرف الضيم ولا الهزيمة أبدا إن شاء الله ، لقد كان الصراع يدور بين قوة عاتية من السلاح الأمريكي والجفاة الإسرائيليين من جانب ، وبين حائط من البشر العزل تقريبا من جانب آخر ، جماعة من أبناء السويس وأعوانهم ، حاربوا بأبسط الأسلحة دون أن تلين قناتهم أو أن يعرفوا الفرار أو الهزيمة ، وكان لهم النصر .

وهناك بطل لا ينسى دوره في الصراع الذي قامت به مدينة السويس عقب هزيمة ١٩٦٧ وكذلك في قيادة شعب السويس في معارك سنة ١٩٧٣ التي نتكلم عنها الآن ، ذلك هو الشيخ حافظ سلامة ، لقد عاش هذا الرجل في السويس فترة المحنة ، وثابر على دعوة العلماء والمفكرين ليحاضروا المدنيين والجنود بالمدينة الباسلة ، وقد شرفني أن كنت من الذين استجابوا له ، ورأيت جهده العجيب وإيمانه العميق ، وكان هذا البطل على خط النار في مقاومة جيوش إسرائيل المزودة بأخطر وأحظ ما أنتجته التكنولوجيا الأمريكية ، تحية لهذا الرجل ، ودعاء أن يثيبه الله على ما قدمه للسويس وللمثل العليا .

والآن نلجأ لباحث عسكري دقيق هو اللواء محمد حافظ إسماعيل

(١) وجيه أبو ذكري : حرب أكتوبر : شهادة إسرائيلية ص ١٠٨ و ١١٠ .

الذى يقدم وصفا حيا لمعركة السويس وبطولة أبناء السويس ، وفيما يلي كلماته :

كان يوم ٢٤ أكتوبر طويلا وثقيلا فمئذ الفجر قررت القيادة الإسرائيلية — قبل وصول مراقبى الأمم المتحدة — أن تسارع بالهجوم لاحتلال مدينة السويس التى حوّلت عنها ترعة المياه الحلوة إمعانا فى الضغط عليها ، ولهذا كُثِفَ لواءان مدرعان تعززهما كتيبتان أحضرتا ضمن وحدات أخرى سحبت على عجل من جبهة الجولان باقتحام مدينة السويس من الشمال والغرب على أن يسبق الهجوم قصف للطيران والمدفعية لعدة ساعات لتعطيم الروح المعنوية للمدافعين .

وفى قلب النار والدخان بدأ اقتحام المدرعات والمشاة للمدينة فى وجه مقاومة وحدات من الفرقة ١٩ تؤيدها فئات شعبية استطاعت لساعات تعطيل الهجوم المدرع ، وتشتيت وحدات المشاة المصاحبة له ، وانزالاً لخسائر فادحة بها ، إلا أن العناصر الأممية للواعتين بلغت فى النهاية وسط المدينة ، وتعجز الكلمات عن وصف القتال الذى دار بين المدرعات والعربات المدرعة من ناحية والرجال والأطفال المسلحين بالإيمان والحماس وبأسلحة خفيفة بدائية من جانب آخر ، وامتد القتال للشوارع وبين المباني وفى داخلها حيث يتشبث الإسرائيليون بمواقعهم .

وأمام حجم الخسائر فى الأفراد والمعدات قرر الجنرال آدن أن يفض الاشتباك داخل السويس قبل غروب شمس ٢٤ أكتوبر ، وعندما جلسنا إلى مائدة الإفطار كانت المعركة توشك أن تنتهى ويسود السكون جبهة القتال ، وقد أعيا الجهد القتالين وتراجعت القوات الإسرائيلية الأساسية من أطراف المدينة ، ولحقت بها بعد منتصف الليل الوحدات المحاصرة فى قلب المدينة بعد أن نجحت فى التسلل عبر جماعات القتال المصرية .

كانت القوات الإسرائيلية قد استنفدت كل طاقتها ولم يعد متوقعا أن تبذل جهدا آخر ، كانت قد تجاوزت حدود قدراتها ولم تعد على استعداد لمواصلة اقتحام المدينة وقبول المزيد من الخسائر بينما قُتِلَ هجمات على حائط البشر المدافع عن مدينة السويس .

شاهد عيان إسرائيلي يصف بطولات السويس :

يعتبر مؤلفو كتاب « التقصير » الإسرائيليون أن مهركة السويس كانت أكبر كمين سقطت فيه القوات الإسرائيلية ، فقد دخلت هذه القوات المدينة وتوغلت فيها ، وتصورت أنها خالية ، ولكن سرعان ما دوى كل شيء حولنا ، صواريخ لا نعرف مصدرها ، وقذائف من كل جانب ، ويقول أحد القادة الإسرائيليين (نيف) إننا بعد أن توغلنا في المدينة حوالى كيلو متر انهالت علينا طلقات النار من جميع المنازل ، ومن جميع الشبائيك والمنافذ ، وتساقطت علينا قنابل البازوكا والقنابل اليدوية ، وقد خرج علينا جنود مصريون من المنازل رافعى الأيدي متظاهرين بالاستسلام ، فلما اقتربنا منهم لناقى القبض عليهم القوا علينا قنابل يدوية ، وكانت القنابل تلقى علينا ولا نعرف مصدرها ، وأصبحنا شبه أسارى فى شوارع المدينة ، ودخلنا بعض المنازل فاتضح لنا أنها أسوأ مصيدة ، إذ ألقيت علينا القنابل من الطابق الثانى والثالث ، ومن المنازل المجاورة ، مما جعلنا فى حصار نتمنى الإفلات منه ، فقد اتضح لنا أن قوى شعبية وبعض كتائب كوماندوز مصرية ، وبعض قوات من الجيش الثالث اتخذت من المدينة الباسلة مراكز لها ، فوضعنا خططنا للهروب من المدينة (١) .

وخلال الليل وتوقعاً للانتصار بعث المراسلون المرافقون للقوات المهاجمة أن مدينة السويس قد أصبحت تقريبا تحت سيطرة الإسرائيليين ، ولكن القيادة الإسرائيلية اضطرت يوم ٢٥ إلى نفي النبأ ، والاعتراف

(١) حرب أكتوبر : شهادة إسرائيلية ص ٦٣ - ٦٤ .

بأن قواتنا في ضواحي مدينة السويس ، وأنها لا تسيطر على المدينة
وقالت : إننا نحاصرها ولكننا لسنا بداخلها • لقد عجزت هذه القوات
أن تبقى بداخل المدينة ، ويقول كتاب التقتير : إن الجيش الإسرائيلي لم
يفاجأ باندلاع الحرب فحسب ، وإنما بأسلوب لقتال المصري أيضا (١) •

مهركة بورسعيد :

لم تكن السويس وحدها هي التي عانت هجوما قاسيا من العدو
واستبسلت في الدفاع عن نفسها ؛ بل إن بورسعيد تشاركها هذا الفخر ،
ولكن الفرق هو أن الهجوم على بورسعيد كان بالطائرات ، وكان الدفاع
عنها بواسطة الكمائن المضادة للطائرات بما بها من صواريخ فتاكة ، ولكن
عدد الطائرات الإسرائيلية كان أكثر جدا من عدد البطاريات الدفاعية
مما مكن لهذه الطائرات أن تقصف مواقع الصواريخ بعد أن قدمت ثمنا
غاليا لهذا القصف ، وأخذت بورسعيد بذلك تتعرض ليران العدو الذي
تملؤه الخسفة والحرص على إقناء الإنسان والاستمتاع بدم البشر ، ولو
لم يكن هناك هدف آخر •

وتقول الرواية أن الطيارين الإسرائيليين أبلغوا قيادتهم أنهم نفذوا
مهامهم ضد القواعد الاستراتيجية بالمدينة ، ولم تعد هناك أهداف
تقصف ، ولكن القيادة الإسرائيلية ألزمتهم بضرب سكان المدينة لإشاعة
الرعب فيهم ، لعلهم يغادرونها بعد أن ثبت تمسكهم بالمدينة والدفاع عنها ،
وفي اليوم الحادي عشر من أكتوبر جاءت ست عشرة طائرة لهذا الهدف ،
وكانت آمنة على نفسها بعد تدمير مواقع الصواريخ ، ولكن القوات
المصرية كانت قد أعدت صواريخ جديدة استطاعت أن تسقط اثنتي عشرة
طائرة في مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الأربع الباقية ولم تعد
الطائرات الإسرائيلية تهاجم بورسعيد بعد ذلك •

(١) حرب أكتوبر : شهادة إسرائيلية ص ٥٦ •

تحية لبورسعيد الباسلة على جهودها المشرفة (١) .

بعد توقف القتال

وأخيرا توقف القتال يوم ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ومنذ هذا التاريخ برزت أمور خطيرة نتدارسها فيما يلي :

الاشتباك بين الجيش المصرى والإسرائيلى :

لقد كان من أخطر الأمور التى واجهت السياسيين والعسكريين موضوع التداخل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، فالقوات الإسرائيلية تحيط بالسويس ، والجيش الثالث معزول فى سيناء لا يمكن الاتصال به إلا عن طريق الجو وبصعوبة ، والقوات المصرية تقف حائطا من الفولاذ خلف القوات الإسرائيلية تحرمها من الحركة وتتخطف أفرادها ، وطريق التهمين الغذائى لمدينة السويس مقطوع ، بل والماء أيضا ، إذ حولت إسرائيل مجرى الماء الواصل للسويس كما ذكرنا من قبل .

لقد كان الجانب الإنسانى مفقودا تماما عند هؤلاء القساة ، ولم يكن يهمهم طفك أو امرأة ، وعاش أهل السويس فترة من الزمن يتقاسمون القليل من الطعام والشراب .

وهكذا كان فك الاشتباك ضروريا للجانبين حتى يتم القضاء على الثغرة التى أريد بها أن تكون فخا ، ولكن القوات الإسرائيلية وقعت هى فى الفخ .

وسارت خطوات فك الاشتباك على النحو التالى :

أولا : النقاط الست :

فى ١١ نوفمبر وبواسطة كيسنجر اليهودى تم الاتفاق على ما

(١) لواء حسن البدرى وآخران حرب رمضان ص ١٩٠ .

يسمى النقاط الست ، وهى تؤكد الالتزام بوقف إطلاق النار والمفاوضة للعودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر ، ولكن أهم ما جاء بها هو أن تتلقى مدينة السويس يوميا إمدادات من الغذاء والماء والدواء ، ويتم ترحيل جميع الجرحى المدنيين من مدينة السويس ، ويكتمل تبادل الأسرى •

ثانيا : مباحثات الكيلو ١٠١ :

بعد أن تم التوقيع على اتفاق النقاط الست بدأت المباحثات المعروفة بمباحثات الكيلو ١٠١ على طريق السويس وكان يمثل الجانب المصرى الفريق عبد الغنى الجمسى ، ويمثل الجانب الإسرائيلى الجنرال أهارون بارليف ، وكان اختيار إسرائيل لهذا الموقع مقصودا لإيضاح أن إسرائيل تقف بجيوشها عنده بين القاهرة والسويس ، وبدأت المباحثات حول ما يسمى فك الاشتباك ، وقدمت عدة اقتراحات اتضح منها تعصب الجانب الإسرائيلى ، وكان من هذه الاقتراحات انسحاب إسرائيل إلى شرق المضائق إذا خففت مصر مستوى تسليحها في سيناء إلى الحد الرمزي ، ووافقت مصر على ذلك بشرط أن تخفض إسرائيل تسليحها فيها بعد المضائق ، ومن الاقتراحات التى قدمت أن ينسحب كل طرف من الأرض التى استولى عليها في الحرب ، وكان هذا الاقتراح دافعا لإغضاب الجمسى ، وفشل هذه المحاولة (١) •

ثالثا : اتفاقية الفصل بين القوات على الجبهة المصرية (فك الاشتباك) :

في ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ تم التوقيع على هذه الاتفاقية وبمقتضاها اتفق على أن الوجود المصرى في سيناء ينبغي على ألا يزيد عمقه في سيناء عن ١٥ كم ، وأن تخفض القوات المصرية بهذه المنطقة إلى ثمان كئائب أى نحو ٧٠٠٠ جندي ، وأن تنسحب قوات الثغرة الإسرائيلية من الغرب ، وأن تنسحب كذلك القوات الإسرائيلية بسيناء إلى عمق

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع في كامب ديفيد ص ١٨٣ - ١٨٤
نقلا عن كوانت ص ٢١٩ •



مع الجسمى البطل الذى نذكره بخير دائما

سيناء ، وأن توجد منطقة عازلة بين المقاتلين تعسكر فيها قوات الأمم المتحدة التي يجدد ترخيصها كل ثلاثة أشهر •

فك الاشتباك في الجولان :

حرص الرئيس السادات على أن يتم فك الاشتباك في الجولان على نحو ما حدث في مصر ، وقد قام كيسنجر بالمباحثات لتحقيق هذا الهدف ، وبمقتضاه كان على إسرائيل أن تنسحب من الأراضي الجديدة التي احتلتها في حرب أكتوبر ، وبضغط من أمريكا وافقت على الجلاء من بعض المناطق من الجولان منها مدينة القنيطرة ، واشترطت إسرائيل أن المناطق التي ستجلو عنها من الجولان لا تدخلها القوات السورية ، بل تكون منطقة عازلة وتعود لها فقط الإدارة المدنية السورية ، وقد تم ذلك في مايو سنة ١٩٧٤ وبناء على هذا تم تبادل الأسرى (١) •

وللاسف الشديد مضت إسرائيل في التوسع الاستيطاني في الجولان ، ثم أعلنت ضم هذه المناطق لإسرائيل في نوفمبر سنة ١٩٨١ ، ولا يذاك الصراع النفسى مشتتلا بسبب هذه التصرفات الإسرائيلية الطائشة •

فك اشتباك آخر على الجبهة المصرية :

لم يكن في الحقيقة هناك اشتباك هذه المرة كالاشتباك الذي كان واقعا قبل فك الاشتباك الأول ، فمن الواضح أن الجيش المصرى أصبح الآن بعيدا عن الجيش الإسرائيلى ، وليس هناك تداخل ، بل إن هناك منطقة عازلة تحتلها قوات الأمم المتحدة ، ولكن هذا الاصطلاح (فك الاشتباك) اقترحته الدبلوماسية حتى لا يقال إن صلحا منفردا أو شبه صلح تم بين مصر وإسرائيل •

(١) اسماعيل فهمى : التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط ص ١٣٣ وما بعدها •

وكان من أسباب هذا الاتفاق الجديد أن الرئيس السادات في ظل فك الاشتباك الأول ، بدأ دون توانٍ في تعمير مدن القناة التي كانت قد دُمّرت سنة ١٩٦٧ وبدأ كذلك في إعداد القناة نفسها للملاحة الدولية ، ثم تمّ ذلك الإعداد وأُعيد فتح القناة في ٥ يونيو ١٩٧٥ ، وهذا الاتجاه أوحى إلى أمريكا وإسرائيل أن مصر ليست متجهة لإشعال الحرب مرة أخرى ، فبدأت الجهود تتواصل لتحقيق مزيد من خطوات السلام ، وبذلك تم عقد الاتفاق الثاني لفصل القوات في سبتمبر ١٩٧٥ وفيما يلي خلاصة هذا الاتفاق :

— انسحاب إسرائيل إلى خط جديد يبعد مسافة تصل إلى أربعين ميلا من قناة السويس ، ويكون خلف الممرات •

— تتقدم القوات المصرية إلى الشرق لتتسلم المنطقة التي كانت عازلة بين مصر وإسرائيل •

— تسليم ممرات متلا والجدي إلى الأمم المتحدة لتقيم بها قواتها بدل المنطقة العازلة التي سلمت لمصر •

— إعادة حقول البترول إلى مصر •

وفي داخل الممرات اتفق على أن تكون هناك محطتان للمراقبة لتوفير إنذار استراتيجي مبكر ، محطة يقوم بالعمل فيها أفراد مصريون ، والثانية يقوم بالعمل فيها إسرائيليون •

وإلى جانب هاتين المحطتين نصت الاتفاقية على أن تقوم الولايات المتحدة بإقامة ثلاث محطات للمراقبة في ممرى متلا والجدي تدار بواسطة أفراد مدنيين أمريكيين •

وفي المنطقة التي تشمل حقول بترول أبو رديس سُمح للمدنيين بالمرور في طريق طويك تقوم قوات الطوارئ الدولية بالإشراف عليه ، وتعهدت إسرائيل بأن تترك كافة المنشآت صالحة للعمل ، وقد وافقت

مصر على ضرورة تسوية نزاع الشرق الأوسط بالسبل الدبلوماسية ،
وحظرت* استخدام القوة المسلحة أو اللجوء إلى الحصار العسكى ،
ووافقت على مرور البضائع الإسرائيلية غير العسكرية عبر قناة السويس •

واتفق على تخفيض قوات كل طرف على جانبي المنطقة العازلة
إلى ٨٠٠٠ جندي ، و٧٥ دبابة و ٧٢ قطعة مدفعية ثقيلة (١) •

وكان هذا الاتفاق مطلع الخلاف بين مصر ، وبين بعض الدول
العربية ، وقد اعترفت إسرائيل أن من أهداف هذا الاتفاق إحداث الفرقة
بين الدول العربية •

ويقرر الأستاذ إسماعيل فهمى خطأ اعتبار فك الاشتباك الثانى
عملا مصريا خارجا عن نطاق الاتفاق العربى ، وفيما يلى كلماته :

من المهم هنا أن أوضح بعض النقاط عن فك الاشتباك الثانى ،
لأن كثيرا من الكتاب وبخاصة الإسرائيليون صوّروه على أنه نصر
سياسى لإسرائيل ، أو حتى معاهدة سلام تحت اسم آخر ، وهذا
ببساطة ليس صحيحا ، لقد قدمت الولايات المتحدة تنازلات سياسية
كبيرة لإسرائيل ، ولكن مصر لم تقدم أية تنازلات ، وإنه لتسويه كامل
للحقائق أن يقال إن لغة بعض مواد الاتفاق تعنى ضمنا إنهاء حالة
الحرب ، وسوف يتضح هذا لدى شخص يتجشم عناء قراءة هذا الاتفاق
بعناية ... (٢) •

وأخذ إسماعيل فهمى بعد ذلك يورد نصوص المواد التى تؤكد
أن هذا الاتفاق ليس حلا سياسيا وليس إنهاء للحرب بين مصر وإسرائيل
وبخاصة أن المادة الثالثة تنص على « أن ينظر الطرفان إلى هذا

(١) | دكتور جلال العقاد : السادات وكامب ديفيد ص ١٥٢ •

(٢) | التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط ص ٢٤٩ •

الاتفاق كخطوة هامة نحو سلام عادل ودائم وهو ليس اتفاق سلام نهائى « (١) •

والآن بعد هذا الصراع الطويل هناك نقاط ضرورية ترتبط به نشرها فيما يلى :

١ — هل أضاع السادات أية فرصة عسكرية أو سياسية ؟

يتجه الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى أن السادات بعد الانتصار فى أكتوبر اتجه بسخاء شديد لتسليم ٩٩٪ من أوراق القضية إلى أيدي واشنطن ، وأنه بعد حرب أكتوبر عاد إلى مطالبه القديمة ، التى كان ينادى بها سنة ١٩٧١ دون ملاحظة المسافة بين التاريخين (٢) •

واعتقادى أن ذلك مبالغ فيه جدا ، فقد طالب أنور السادات بأقصى ما يستطيع أن يطالب به مفاوض ، ولكنه واجه الجشع الصهيونى والتأييد الأمريكى الواسع ، وصبر وصابر حتى حقق أقصى ما يمكن تحقيقه ، وما كان له أبدا أن يحقق زحزحة إسرائيل عن سيناء لو لم يحقق انتصار أكتوبر وهذا يدل على استغلال السادات لهذه الانتصارات •

٢ — لماذا أقبل السادات على الولايات المتحدة ؟

الحق أن مكانة الاتحاد السوفيتى قد اهتزت فى ذهن السادات ، وفى ذهن أكثر المصريين خلال معارك أكتوبر وقبلها فبينما كانت الولايات المتحدة تتلقى بثقلها كله مع إسرائيل كان السوفيت يتقاعسون عن إرسال الأسلحة اللازمة التى انشقق عليها حتى اضطر الرئيس هوارى بومدين أن يسافر إلى موسكو ومعه شيك بمائتى مليون دولار لشراء أسلحة لمصر وسوريا كما قلنا من قبل •

(١) المرجع السابق ص ٢٥٠ •

(٢) خريف الغضب : ص ١٤١ و ١٦١ •

وكانت الولايات المتحدة تضغط عسكريا على مصر ، والسوفيت يضغطون أيضا لإيقاف إطلاق النار حتى أن بومدين عندما عاد إلى الجزائر من موسكو جمع مجلس الثورة وقال لهم : إذا كان الأمريكيان وإسرائيل يريدون أن يهزموا السادات قيراطا فالاتحاد السوفيتي يريد أن يهزمه ٢٤ قيراطا (١) .

ثم إن المعون الضخم الذي قدمه جلالة الملك فيصل وغيره من الرؤساء العرب الذين تربطهم بالولايات المتحدة روابط كثيرة كان له أثره في توجيه السياسة المصرية للغرب حتى لا تنشذ مصر عن الدول العربية .

وكان السادات يعتقد أن الولايات المتحدة هي الدولة العظمى الوحيدة في العالم — وأن الاتحاد السوفيتي ليس الدولة الثانية ، وإنما يجيء بعد الولايات المتحدة بعشر درجات أو بعشرين درجة (٢) ، ثم إن الولايات المتحدة بالنسبة لإسرائيل هي صاحبة اليد والكلمة والسلطة ، فحل مشكلة الشرق الأوسط في يد الولايات المتحدة وحدها ، وقد أكدت حرب رمضان هذه الحقيقة ، فإن الولايات المتحدة أرادت بإصرار أن تحافظ على ربيبتها إسرائيل ، وحرصت كل الحرص على دفع الهزائم عنها ، فقد وضعتها الولايات المتحدة بهذا المكان بهدف السيطرة الاستراتيجية على المنطقة . واستمرار الحصول على الثروات بها وعلى البترول بوجه خاص ، وقد برهنت الظروف على أن إسرائيل شديدة التعمق في الحياة السياسية الأمريكية وأنها بجانب ذلك قد أثبتت نفعا كأداة ردع في يد السياسة الأمريكية بالمنطقة (٣) .

وكان واضحا من هذا أنه مهما بلغت قوة مصر العسكرية فإن أمريكا لن تترك إسرائيل تتهمز .

(١) من تصريحات السادات للصحافة .

(٢) أحمد بهاء الدين : محاوراتي مع السادات ص ٦٩ .

(٣) محمد حسنين هيكل : عند مفترق الطرق ص ٢٤ .

ومن جانب آخر لقد هزمت انتصاراتنا أمريكا ، وبدأت تسدرك مكاننا ، وتحرض على إرضائنا بما لا يصدم الأطماع الصهيونية صداما مباشرا .

وطمع السادات في أن يصل إلى حل عن طريق الولايات المتحدة فألقى بنفسه في رحابها .

٣ — نتائج معارك أكتوبر :

حدد الرئيس أنور السادات نتائج معارك أكتوبر بقوله في المؤتمر القومي يوم ٢٣/٧/١٩٧٥ إن من نتائج هذه المعارك انهيار نظرية الأمن الإسرائيلي ، وتصدير أزمة الشك والتهزق وعدم الثقة من العالم العربي إلى المجتمع الإسرائيلي ، واقتناع العالم بأن إسرائيل لهم تعد سلاح الإرهاب الذي يستخدم ضد العرب ويحمي المصالح الخارجية ... وأن هذه المصالح لا يحميها إلا التفاهم مع العرب ... ثم إن هناك القوة البترولية والمالية للعالم العربي ، وإقبال كل القوى العالمية على الحوار معنا ، وترتيب مستقبلها في التفاهم مع أصحاب الأرض .

وقال الزعيم الحبيب بورقيبة : إن حرب أكتوبر مكنتنا من أن نرفع رؤوسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ المرة ، ولولا معونة أمريكا لإسرائيل في هذه الحرب لنيت إسرائيل بهزيمة ساحقة (١) .

وقال الرئيس جعفر النميري : إن الواقع العربي محكوم وسيظل محكوما لفترة طويلة بالنتائج الباهرة التي حققتها حرب أكتوبر ، وإن حرب أكتوبر طحنت الكيان الإسرائيلي ومزقته ، وأفقدت إسرائيل قوى الدعم الخارجي ، وحولت الرأي العام العالمي لصالح العرب (٢) .

(١) مجلة الفجر القطرية الصادرة في ٢١/٦/١٩٧٥ .

(٢) حديث نشر في الأخبار أول يوليو سنة ١٩٧٥ .

وأجاب المرحوم المشير أحمد إسماعيل على سؤال للإستاذ محمد حسنين هيكل عن نتائج أكتوبر الإيجابية ، فقال : (١)

هناك نتائج محققة ، وهذه النتائج يمكن تقسيمها إلى مجموعات مختلفة :

هناك مجموعة من النتائج العسكرية هي كما يلي :

— لقد زالت خرافة الجندي الإسرائيلي ، بعد أن كادت تثبتت في بعض الأذهان بطريقة خطيرة ، لقد وجدناه جنديا عاديا ، درّب تدريباً حسناً عزّز قدرته القتالية ، وهذا هو كل شيء ، أى أنه في مقدور أى جندي آخر غيره درّب تدريباً حسناً يعزّز قدرته القتالية أن يتصدى له وأن يهزمه •

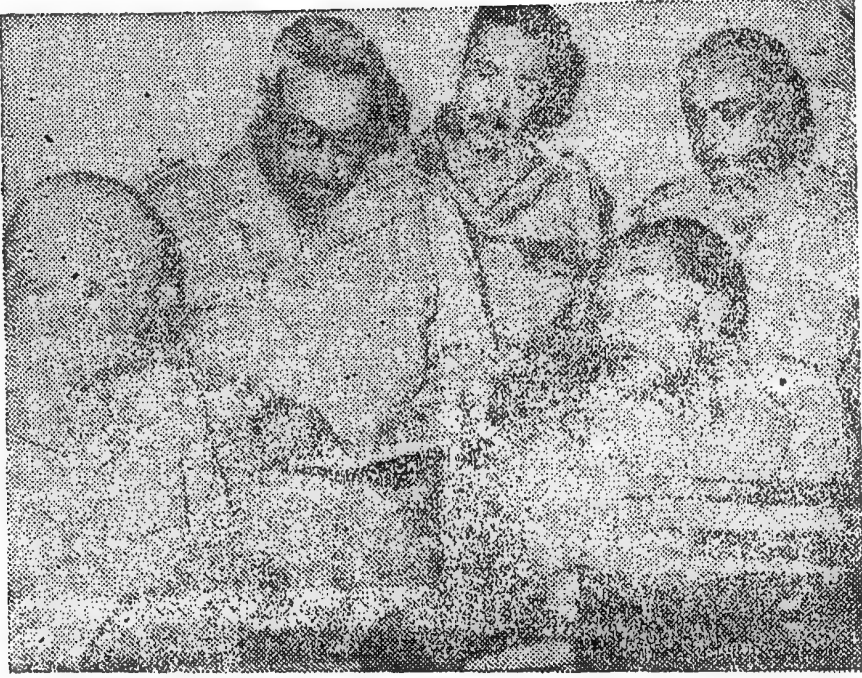
— لقد ثبت لى أن الجندي المصري من أشجع الجنود وأصلبهم في العالم ، ويكفيه صبره وبسالته ، فقد مرت عليه أيام كان لنا فيها جنود يعيشون على نصف المتعين المقرر لغذائهم ، ولكن استعدادهم للقتال لم يتأثر ، وهناك ضمانات يجب أن نعطيها للجندي المصري لتأخذ منه أحسن ما عنده : تدريب جيد ، وسلاح يثق فيه ، وضابط يشعر به ، هذا هو كل شيء •

— إن أى عمل يحسّن التخطيط له علمياً ، ويحسن التدريب عليه عملياً قابل للنجاح بنسبة مائة في المائة •

— هناك دروس أخرى مستفادة ، في نواح فنية ، ولا أظنها مما يهم الناس بصفة عامة ، وإنما هي تهم القوات المسلحة بصفة خاصة •

ويواصل المرحوم المشير أحمد إسماعيل قائلاً

(١) عند مفترق الطرق ص ٢١٦ وما بعدها •



مع البطل أحمد إسماعيل

وانتقل بعد ذلك إلى مجموعة أخرى من النتائج السياسية والاستراتيجية وأعدّها كما يلي :

— لقد كسرنا الجمود الذي كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط •
— لقد غيرنا صورتنا أمام العالم كله ، فبعد أن كان يظننا جثة هامدة ، رأنا قادرين على الحركة ، قادرين على القتال ، قادرين على الانتصار ، ولم تتغير صورة مصر وحدها أمام العالم ، ولكن تغيرت صورة الأمة العربية كلها •

— لقد أثبتنا لإسرائيل أن منطقتها في الحدود الآمنة منطق مضروب : لم تكن قناة السويس مانعا كافيا أمام إرادة مصمّمة ، ولم يكن خط بارليف عائقا كافيا أمام استعدادنا للتضحية ، وإذن فإن على إسرائيل أن تبحث عن منطق آخر في الأمن ، وفوق ذلك ، فإن إسرائيل في أي منطق الآن تحاول العثور عليه ، لا بد لها أن تعرف أن أمامها في مصر عدوا يتحتم عليها أن تحسب حسابيه ، بل أقول وعليها أن ترهبه •

— إن الحرب أثبتت بطريقة قاطعة أن شرم الشيخ ليست لها الأهمية الكبرى التي كانت إسرائيل تظنها وتبنى عليها بقاءها في سيناء ، إن شرم الشيخ لم تعد مفتاح إيلات وإنما نزل هذا المفتاح إلى أقصى الجنوب عندما ظهرت استراتيجية عربية للبحر الأحمر قررنا بمقتضاها قفل باب المندب •

ويخلص اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية ما حققته حرب أكتوبر فيما يلي (١) :

إن القوات المصرية ، كما قال الرئيس أنور السادات ، قامت بمعجزة على كل مقياس عسكري ، وإن التاريخ العسكري سوف يتوقف طويلا

أمام عملية السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ولقد أثبتت هذه الحرب بالدليل القاطع خطأ نظرية الحدود الآمنة المستندة إلى أقوى التجهيزات العسكرية والموانع الطبيعية ، واضطر وزير الجيش الأديكي يوم ١٨ أكتوبر إلى الاعتراف بأن عبور القوات المصرية لقناة السويس هو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية ، والواقع أنه لأول مرة في التاريخ العسكى الحديث تتمكن قوة عسكرية من إنجاز عملية عبور ضخمة كهذه في مواجهة عدو مزوّد بطيران حديث دون أن تنفد القوات التى عبرت أية طائرة من طائراتها •

إن الذى يتبع سير الحياة فى إسرائيل بعد ٦ أكتوبر يدرك أن المجتمع الإسرائيلى لا يزال وسيظل يترنح من هول الضربة التى وجهها له الجندى المصرى ، ولأول مرة يحش المجتمع الإسرائيلى أنه يصارع هؤلاء الذين دوخوا النتار وقضوا على الصليبيين •

على أن هناك نقطة مهمة من آثار حرب أكتوبر جديرة بالذكر ، وهى تتعلق باقتصاد إسرائيل وعنهما يتكلم وزير المالية الإسرائيلى فى الذكرى الثانية لهذه الحرب فيقول :

إن إسرائيل تحتاج إلى عشرة أعوام على أقل تقدير لسداد الديون والأعباء الاقتصادية التى تكلفتها بسبب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقال الوزير الإسرائيلى إن حرب أكتوبر قد ألقت بإسرائيل فى أسوأ أزمة اقتصادية منذ قيامها حتى الآن (١) •

ويقول محمد كامل إبراهيم وزير الخارجية سابقا : لقد أخذ السادات يعمل بكل ما أوتى من قوة ودهاء وصبر وصمت حتى قامت حرب أكتوبر ، وفى أثنائها أعلنت الدول العربية حظر البترول ، وارتجف العالم وتغير ، فقد ردت هذه الحرب إلى الأمة العربية روحها ، واستعادت هذه الدول

ثقتها المفقودة ، وانتهت أسطورة الحدود الآمنة وخط بارليف والجيش الإسرائيلي الذي لا يهزَم ، وسارعت الدول الأوروبية بإصدار البيانات التي تحدّد موقفها من النزاع العربى الإسرائيلى ، وتعترف بحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة ، وتؤكد وجوب الانسحاب الإسرائيلى من الأرض المحتلة •

وفى الولايات المتحدة نفسها حدث زلزال عنيف يدعوها للتأمل فى مواقفها السابقة التى كانت فيها تؤيد إسرائيل تأييدا مطلقا معتقدة أنها قوة رهيبة فى الشرق الأوسط تعتمد عليها الولايات المتحدة اعتمادا تاما ، فلما زلزلت هذه القوة وجحدت الولايات المتحدة أن من الضرورى أن تتحرك للعمل على حل النزاع العربى الإسرائيلى الذى بات يهدد أمن العالم واقتصادياته (١) •

٤ — خسائر إسرائيل فى المعركة :

سئل المشير أحمد إسماعيل عن خسائر إسرائيل فى المعركة فأجاب بأن التقديرات الأمريكية تكفينى ، وهذه التقديرات تعد خسائر إسرائيل كالاتى : ٤٥٠٠ قتيل حسب المصادر الأمريكية ، ويرتفع الرقم حسب المصادر الاخرى إلى الاتى :

٥٦٠٠ قتيل حسب المصادر البريطانية •

٦٨٠٠ قتيل حسب المصادر الفرنسية •

١٠ر٠٠٠ قتيل حسب المصادر السوفيتية •

٢٠ر٠٠٠ جريح كما تقول المصادر الأمريكية وهو رقم قريب من الحقيقة •

٩٧٠ دبابة وهذا العدد أكثر من نصف القوة المدرعة التى بدأت

إسرائيل بها الحرب •

١٥٠ طائرة وشواهدنا ووثائقنا تؤكد أن خسائر العدو فى الطائرات

أكثر من هذا بكثير ، وربما كانت المصادر الأمريكية تعدّ الخسارة في الطائرات الأمريكية وحدها .

والأسرى :

وسئل المشير أحمد إسماعيل عن الأسرى فقال :

لقد أسرنا من العدو عددا كبيرا من الضباط والجنود ، وكانوا يستسلمون عند اليأس دون ضغط أو إكراه ، وقد سجلت وثائق الأمم المتحدة ذلك ، أما أسرانا فكانوا حتى يوم ١٦ أكتوبر لا يزيدون عن ٧٠ أسيرا وكان معظمهم من قوات الصاعقة التي أُسقطت وراء خطوط العدو ، وكان هؤلاء من أشرس المقاتلين وقد ظلوا يطلقون النار حتى نفذت ذخيرتهم ، وقاوموا حتى أحبط بهم إحاطة كاملة (١) .

أما العدد الذي ذكرته إسرائيل عن الأسرى المصريين فقد جاء بعد الثغرة عن طريق أسر بعض الإداريين أو مطاردة جموع من سكان المنطقة من الفلاحين والقبض عليهم ، وهؤلاء المدنيون لا يعتبرون أسرى حرب (٢) .

والخسارة المالية :

فإذا جئنا إلى الخسارة المالية فإننا نذكر سقوط خط بارليف في يوم واحد ، وقد كلف إسرائيل ٤٠ مليونا من الجنيهات الاسترلينية وهو مبلغ هائل في ذلك الزمان ، وكان قد تم إنشاؤه سنة ١٩٦٩ ، ويشتمل على ٢٢ موقعا محصّنا ، و ٣١ نقطة قوية .

ونذكر كذلك أن الملقين العسكريين يقولون إن خسائر الحرب في ١٩ يوما فاقت بكثير خسائر الأمريكيين في حرب فيتنام في مدة ١٠ سنوات ، وقد كان معدل الخسائر في الأفراد والمعدات مرتفعا جدا

(١) محمد حسنين هيكل : عند مفترق الطرق ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٧ .

بالنسبة لأي معدات معروفة أو متوقعة للحرب الحديثة ، نتيجة استخدام الصواريخ المضادة للطائرات ، والدبابات ، والحرب الالكترونية •

وخسائر إسرائيل في حرب أكتوبر بالنسبة لتعداد سكانها تعتبر أكثر من ٣٠ مثلا لخسائر أمريكا في الحرب العالمية الثانية ، وأكبر من خمسة أمثال خسائر المصريين في الحرب •

أما عن بعض جهود المصريين في هذه الحرب فنذكر أن المصريين أزالوا حوالي ٣ ملايين متر مكعب من الأتربة والرمال لفتح ثغرات خلال ٦ أو ٩ ساعات ، وتم تنفيذ ٦٠ ثغرة وتمهيد ١٠ ممرات ، وتشبيد ٥٠ معدية في أماكن مختلفة (١) •

٥ - اعترافات بالبطولات المصرية :

شهادة من المعهد البريطاني للجندى المصرى

أصدر المعهد البريطانى لدراسات الحرب تقريرا ذكر فيه أن عبور الجيش المصرى لقناة السويس الذى تمّ في السادس من أكتوبر كان يصعب تحقيقه بهذا النجاح لو كان الأمر مجرد عملية تدريب بدون عدو مواجه ، وقبل أن نورد فقرة هذا التقرير التى تحمّل هذا المعنى نذكر أن الجندى الذى عبر القناة في سنة ١٩٧٣ هو الجندى نفسه الذى هُزِم سنة ١٩٦٧ أو أخوه أو ابن عمه ، وكل ما تغير في الأمر هو ظروف مصر وقيادة مصر ، ونص الفقرة التى أشرنا إليها هو :

« كل التقارير تشير إلى أن المصريين هاجموا بشجاعة بالغة وإصرار ، ودافعوا عندما كان عليهم أن يفعلوا ذلك بعزيمة ونجاح ، ولقد صمد مشاتهم بكل تأكيد أمام هجوم كبير بالدبابات وهى من أكثر الأشياء إثارة للرعب عند مواجهتها •

(١) من تصريحات رسمية للفريق أول محمد على فهمى •

ولسوف يوافق كل المحترفين على أن عبور القناة قد تم بصورة رائعة غير عادية ٠٠٠٠ ولو افترضنا أن المرء كان مكلفا بأية تدريبات في أى ظرف آخر دون أن يكون هناك أى عدو ، وكان عليه أن يقوم بكل أعمال تجميع القوات الهندسية والقياس بواجبات أركان الحرب ، والانطلاق بها دون أية غلطة ، لكان الأمر من الصعوبة بمكان ، وكان إنجازها بلا خطأ أمرا مرضيا جدا مع عدم وجود عدو . ولم يكن هناك من يصدق أن المصريين كانوا قادرين على ذلك منذ عشر سنوات ولكنهم فعلوه ، لقد دفعوا بقوات هجومهم عبر القناة ، وحققوا النتائج التى تعرفونها ٠٠٠٠ لقد استيقظت روح القتال بكل تأكيد لدى المصريين .

واعتراف من كيسنجر اليهودى الأمريكى

يقول اللواء محمد حافظ إسماعيل : قابلت الدكتور كيسنجر عقب الحرب ، وذكر لى مقابلاته لوزراء الخارجية للدول العربية فى واشنطن واستمر يصر على أن الجيوش العربية المقاتلة قد حققت أداء متميزا على نحو لم يكن متوقعا (١) .

العرب والمركة

وهذا الانتصار الكاسح الذى ظهر منذ اللحظات الأولى للزحف حقق نتائج سريعة كانت بدورها شديدة التأثير فى نجاح المركة ، فالإخوة العرب هزمهم هذا الانتصار وملاهم سرورا ، وأزال عن نفوسهم كابوسا كان ثقيلا ومريرا ، فراحوا يتغنون بالمنتصرين ويشجعونهم ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن الانتصارات قائلا : تخطى جيشنا ، واستطاع رجالنا ، وحقق أبطالنا ٠٠٠٠ وأمثال هذه العبارة ، فقد اعتبر الجميع أن جيش مصر جيشهم وأبطال مصر أبطالهم ، وهذه حقيقة نقررها ونفخر بها ، وأسرعت وحدات من الجيوش العربية إلى أمكنتها

(١) أمن مصر القومى ص ٣٤٣ .

في ساحات القتال ، وكان ذلك شرفا حرص الجميع على أن ينالوا منه نصيبا ، وفي وسط أهازيج النصر فتح بعض العرب خزائنهم ليقدهوا للجيش المصرى والسورى ما يحتاجانه من إمدادات وأسلحة ومساعدات .

ثم خطا العرب خطوة أخرى كانت عظيمة النتائج ، فقد قرروا تخفيض ضخ البترول بنسبة معينة ومنع تصديره تماما إلى الولايات المتحدة وهولندا ، فتوقفت مصانع ، وظهرت أزمة الطاقة كأكبر معلم من معالم سنة ١٩٧٣ وكان السادس من أكتوبر هو صاحب الفضل في هذا التجمع العربى الهائل ، وبدون السادس من أكتوبر كان تحقيق هذا الهدف يحتاج لعدة قرون (١) .

وأسهمت الطبيعة في ضرب المعتدين من الصهاينة وأصدقائهم ، فكان شتاء ذلك العام قاسيا ، ومنع الزمهرير من جانب وانقطاع البترول من جانب آخر أحس الغرب بقدرة البلاد العربية ، وضرورة تسوية القضية .

٦ — من بطولات أكتوبر :

قام جنود الصاعقة بصور من البطولات يعجز القلم عن تفصيلها ، ولا يتاح لنا إثباتها لكثرتها ولغموض نهاية بعضها ، وليس هذا كثيرا على جنود الصاعقة ، فهم جماعة يسهل عليهم تقديم الأرواح فداء للوطن ، يعتبرون ذلك مهمتهم ، فالجنود العادبون يدخلون المعارك ولهم أمل كبير في النجاة فيقتل بعضهم وينجو الكثيرون ، أما جنود الصاعقة فيدخلون أخطر المعارك وهدفهم الأول هو خدمة الوطن في ظروف حرجة ، أما حياتهم فليست في الحسبان ، إن ماتوا في سبيل عملهم فذلك عندهم شيء طبيعى ، وإن قدّرت لهم النجاة بعد نجاح خطتهم فتلك منحة من الله .

(١) حديث للرئيس أنور السادات نشر الأهرام في ١٩٧٥/١/٣ .

وقد أثبتت حرب أكتوبر صورا عجيبة تبرز صدورا قهرت الحديد ، وشبابا من الصاعقة التحموا بأخطر وسائل الحرب الإسرائيلية ، وعندنا من هؤلاء الكثير والكثير ، ونقدم نماذج قليلة مما قام به أفراد الصاعقة بوجه خاص ، وما قام به سواهم بوجه عام •

وهناك صورة من بطولات الصاعقة يقدمها الأستاذ جمال حماد فيذكر أن ١٢٠ من هؤلاء الرجال الأشداء كانوا في السادس من أكتوبر يقفون على استعداد لمزاولة مهمتهم ، وجاءت لهم طائرات هيلوكوبتر فحملتهم إلى ما وراء خطوط العدو في سيناء ، وكانت الحماسة تملأ قلوب هؤلاء الشباب الذين استهانوا بكل شيء ، وركبوا الطائرات وأناسيدهم تتجاوز أزيز الطائرات ، وسرعان ما نزلوا هناك بعيدا في قلب سيناء ، وفي ذلك الوقت كان الجنود المصريون يدمرون خط بارليف ويعدون العدة للكبارى لتحمل الدبابات المصرية إلى أرض سيناء ، وكان متوقعا أن تزحف القوى الإسرائيلية لتعوق تقدم المصريين ، وكان على جنود الصاعقة أن يلتحموا بالقوى الإسرائيلية الهائلة التي تزحف تجاه القناة لتعطل التقدم المصرى ، ولحالة انقاذ خط بارليف ولكن النقيب أحمد شلبى قائد هذه المغامرة الخطيرة عمل مع جنوده لعرقلة تقدم الإسرائيليين •

وقد قامت معارك رهيبة بين جنود الصاعقة وبين أعنى الدبابات الإسرائيلية ، وعرقلت هذه المعارك تقدم هذه الدبابات فترة تقرب من الثمانى ساعات فساعد ذلك على بناء الكبارى ونجاح الزحف المصرى إلى سيناء •

أما المعارك الانتحارية التى أدت إلى هذه النتيجة فيصفها شخص واحد من أفراد الصاعقة كتب له النجاة فيقول : شاهدنا تحرك رتل من الدبابات الإسرائيلية ، وكان هذا الرتل هو مقدمة لواء العقيد « ميتكا » وكان يتكون من كتيبة دبابات وعناصر من المشاة الميكانيكية فى مركبات

مدرعة نصف جنزير ، وبعض المركبات الأخرى ، وترك النقيب أحمد شلبى الدبابات الأمامية التى تتقدم الرتل المدرع دون اشتباك معها ، وعندما دخلت القوة الأساسية منطقة الكمين أصدر أوامره إلى أفراد سريته بالاشتباك ، فانهالت على الرتل المدرع فجأة صواريخ المألونكا وقذائف المرازكات ، وتحولت المنطقة إلى قطعة من الجحيم ، وفى هذه المعركة تم تدمير ١٨ دبابة وعربتين مدرعتين نصف جنزير ، وقد تحدثت القيادة الإسرائيلية عن هذه المعركة بكثير من الدهشة ، وقالت : لقد قاتل الرجال بصورة انتحارية ، ولم يكن فيهم واحد يخاف الموت وسد حطام الدبابات الطريق ، وجاءت المعونات الإسرائيلية ولكنها أيضا وقعت فى الفخ ، وانتهت من أيدي رجال الصاعقة كل أسلحتهم ، وحاول بعضهم فى اللحظات الأخيرة أن يختطف السلاح من الإسرائيليين وأن يقاومهم به واستعمل بعضهم الأظافر والأسنان مع العدو ، وفى النهاية أحاطتهم الأسلحة الإسرائيلية من كل جانب ، وقسمت معركة عجيبة بين حديد الدبابات وأجساد الشهداء ، ولكن بعد أن عرقلت هذه القوة الصغيرة تقدمهم الزحف الإسرائيلى الذى كان يحاول أن يعرقل التقدم المصرى الذى يثب لاسترداد الأرض السليبية ، فسلام على أولئك الذين ضحوا بالنفس والدم من أجل الوطن .

وقصة أخرى ترتبط بجنود الصاعقة أيضا ، فقد قامت بها جماعة بقيادة النقيب فايز إسماعيل ، وكانت هذه المعركة على الضفة الغربية للقناة فى صراع مع المتسللين عبر الثغرة ، وكان النقيب فايز قد شاهد إحدى الدبابات الإسرائيلية ويجوارها عربة مدرعة يجلس فوقها عدد من الجنود اليهود ، فأصدر أوامره إلى كتيبته بالاشتباك مع الدبابة والعربة ، وسرعان ما تم تدميرها ، ولم ينج من أفراد هذه القوة اليهودية أحد ، وقد حدثت هذه الملحمة عند أبو سلطان ، وتسمى ملحمة الوحدة الصحية .

ومن بطولات الصاعقة كذلك ما قام به النقيب رفعت عبد الوهاب وجماعته البواسل فقد استطاعت هذه الجماعة أن تصل إلى مضيق سدر فجر يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وهناك أعدت كمينا مستترا عائش بضع ساعات في هدوء لا يحشش به أحد ، وقامت طائرات الاستطلاع ولكنها لم تر للمكمن أثرا ، فأعطت إشارة الأمان للدبابات الإسرائيلية لتتحرك دون خوف ، وعندما وصلت إلى أسمع رجال الصاعقة أصوات جنائز الدبابات والعربات المدرعة ، اندفع جنودنا البواسل يضربون الدبابات بالصواريخ ويلقون القنابل على العدو ، مما جعل المنطقة جحيما من النيران ، وعندما أحس القائد المصرى بالخطر عليه وعلى رجاله صرخ في رجاله قائلا : لابد أن نأخذ ثمن استشهادنا ، فانهالوا بجسيرة عجيبة حتى أخذوا ثمنا غاليا من أرواح العدو ومعداته قبل أن تصعد أرواحهم إلى بارئها •

وتحكى الوقائع أن جنديا قذف بنفسه في إحدى فوهات النار بخط بارليف ليكون جسده معطلا للنيران التى تنبعث من هذه الفوهة ، واستطاع زملاؤه بذلك أن يندفعوا إلى هدفهم وأن يحققوا أملهم •

وفى بعض الحالات استطاعت قوات العدو أن تغرق بعض قوارب المطاط التى كان الجنود ينتقلون عليها إلى الضفة الشرقية ، ولكن الجنود سبحوا بمهارة وسرعان ما التحموا مع جدران خط بارليف وأنزلوا بجنود هذا الخط خسائر فادحة ساعدت على سقوطه •

وأخيرا فحالات الفداء والاستشهاد كانت كثيرة جدا ، وكانت سلامة الوطن أغلى بكثير عند هؤلاء من سلامة أنفسهم ، فكتب هؤلاء الجنود بدمائهم النجاة للوطن والخلود لأنفسهم ، وصدقت عليهم الآية الكريمة « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » •

٧ — من كلمات الكتاب المصريين عن أكتوبر والسادات :

الأستاذ مصطفى أمين :

من حق هذا الرجل أن يطلق على عصره عصر العبور
عبور الجيش المصرى من الهزيمة إلى النصر
وعبور الشعب العربى من الانقسام إلى الوحدة
وعبور سمعة العرب من الهوان إلى الكرامة
وعبور المظلومين من الظلم إلى العدل
وعبور الخائفين من القلق والرعب إلى الطمأنينة والأمان والاستقرار
وعبور المقيديين من الأغلال إلى حياة الأحرار
وسوف يعبر بعد هؤلاء كثيرون ، فإن أكتوبر أعطانا درساً عظيماً ،
وهو ماذا يستطيع الإنسان المصرى أن يفعل وهو حر دون أن يُعتقل فرد
واحد فى أثناء المعركة سوى أسرى الأعداء
.....

الأستاذ توفيق الحكيم :

عبرنا الهزيمة بعبورنا إلى سيناء .. ومهما تكن نتيجة المعارك فإن
الأهم الوثبة ... فيها المعنى أن مصر دائماً مصر ... تحسبها الدنيا قد
نامت ، ولكن روحها لا تنام ، إذا هجعت قليلاً فإن لها هبةً ، ولها زمجرة
ثم قيام ، وقد نهبت مصر وزمجرت ، ليدرك العالم ما تستطيع أن
تفعل فى لحظة من اللحظات ، فلا ينخدع أحد فى هدوئها وسكونها ،
وكانت يدها التى بدرت منها اليقظة هى جيشها المقدام بصيحة رئيسها
العظيم ، سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر .
٩ أكتوبر سنة ١٩٧٣ — الأهرام

الأستاذ يوسف ادريس :

بضربة إرادة واحدة تمت المعجزة ، تحولنا من كائنات لا كرامة لها ،
كائنات كالسائمة أو الحيوان إلى بشر ذوى كرامة .

بضربة إرادة واحدة رُدَّت إلينا كرامتنا وعادت إنسانيتنا ، لم أكن قبلا أؤمن كثيرا بدور الفرد في التاريخ ، ولم أكن أعلم أن الفرد باستطاعته حين يجمع إرادته أن يحتوى فيها إرادة أمة وتاريخ شعب وقدره حضارية ، ولكن البطل أنور السادات غيَّر من مفهومى ، سحق الهزيمة الكامنة فى كل منا حين قرر العبور ، فبقاره لم يعبر جيشنا القناة فقط ، ولكن شعبنا عبر معه فيافى الذل والمسكنة ، وعبر الصغائر والحقارات ، وعبر الآلام التى لا يطيقها بشر ، آلام العجز كيئما اتفق ، إلى الحياة كما يجب أن تكون ، كان العبور هو الخلاص ، بالسعدتى ، وأنا أسمع إسرائيل تتحدث عن « العدوان » المصرى ، يواقع الكلمة الحبيبة فى أذنى ، إننا أخيرا أصبحنا معتدين ، نحن أصحاب حق ولا يستعيد الحق إلا أصحاب معتدون ، أكاد لا أصدق كل ما يحدث ، أحقا أصبحنا نقاتل لاستخلاص أرضنا وكرامتنا ؟ أحقا ثبت لنا أننا لا عيب فينا وإنما العيب دائما فى الظروف ؟ أحقا عبرنا القناة ونحرر سيناء ونحطم المدرعات ونسقط الطائرات ؟ .. ونأسر منهم مئات ؟ أحقا يحدث هذا كله بأيدي المصريين مثلى ومثلك ... ألم أقل إنها معجزة ... معجزة إرادة الأمة حين تحتويها إرادة بطل ، فهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات •

الاهرام — ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى :

خلال الظلام كنت تدعو يا سيادة الرئيس إلى العمل والصبر والصمت ، وتحكّم الموازين والحساب ... لا يستفزك اتهام ولا يحولك عن طريقك استفزات أيما كان مبعثها •

وظللت تخطط وتعمل فى حكمة مطمئنة ، وفى ثقة وإيمان بالله ، وبهذا الشعب ... وبأن جندنا هم الغالبون •

لا يلويك عن طريقك شيء حتى الألم نفسه ، ولا الكيد ولا الطغيان اللئيم إذا اغتنى . . . ولا صلف الجنون إذا انتصر ،

وعندما اتخذت القرار بردع المعتدين وسحق العدوان في الوقت المناسب ، كنت تعبر عن أحلام المعذبين في الليالي السود بفجر الحرية والكرامة •

وكنت تخلص إرادة سلالات من شهدائنا العظام الذين سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض المغالية عبر الأجيال ، وتحققت معجزة حربية فاقتحم المقاتلون المصريون البواسل أكبر مانع طبيعى وصناعى عرفه التاريخ •
تحققت معجزة حربية سيظل العالم يدرسها ويتخذ منها العبرة واضعا بها العقل المصرى ، والحكمة المصرية والعزائم المصرية فى مكانها الصحيح •

وهى معجزة حربية تملا قلوبنا وتممر نفوسنا بالثقة ، وتردئ إلى المصرى كرامته التى حاول السفهاء أن يلطخوها بالأووال على مدى أكثر من ست سنوات •

وما من ريب أن كل مصرى يشعر اليوم بالزهو لأنه ينتمى إلى هذا الوطن ولأنك تقود هذه الأمة على طريق الحقيقة والحرية •

إن هذه أول مرة يلتحم فيها الجيش المصرى مع جيش إسرائيل فى معركة حقيقية وقد أثبت هذا الجيش المفترى عليه أنه كما قال عنه الرسول الكريم (خير أجناد الأرض) ما كان ينقصه غير حسن السياسة وحكمة القرار ودقة التوقيت •

وعندما توافرت له القيادة التى حلم بها شعبنا أظهر المقاتلون بطولة رائعة روعة أبطال الأساطير ، إننى إذ أحبيكم أيها الزعيم والقائد من فراش مرضى لأشعر بريح العافية تهب على هذا الوطن تحت قيادتكم

فتمنحه العنفوان والشباب والحيوية والثقة بأنه فوق اليأس وفوق كل ما عسى أن يواجهه به الزمن من تحديات •

عشت زعيما فذاً لشعبنا وقائداً حكيماً لحركة التحرير الوطنى
ورائداً للعرب على طريق الحقيقة ومناضلاً إنسانياً يحمى نضارة الحياة
وبسمات الأطفال وروعة المستقبل •

روز اليوسف ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ •

الاستاذ أنيس منصور :

لقد صبر المصريون على الغطرسة وعلى الهوان فى كل مكان ...
بل أن رئيسنا أنور السادات كان إذا تحدث عن الاستعداد للقتال بلغ
به التأثير درجة عالية وهو يقول لشعبه المحب له الواثق فيه :

لن أتحدث عن المعركة ، إننى أقول كلمة واحدة ... عبارة واحدة
هى : لا حل إلا بالقتال ، ونحن نستعد وفى هذا الكفاية ، ولا أريد أن أطيل
عليكم فقد تعبنا من الكلام ، وتعبتم أنتم أيضا •

وليس سرا أن أقول اليوم : إن الرئيس السادات وعد شعبه وقواده
أنه لن يقرر الدخول فى معركة إلا إذا قرر العسكريون المصريون ذلك ...
وإلا إذا قرروا أنهم على استعداد لمعارك طويلة ، ولكل الاحتهالات •

فليس المهم أن ندخل الحرب ولكن المهم جدا أن ندخلها وأن نصمد
وأن نضحى ، فالعدو شرس لا أخلاق له ، وموارده لا تنتهى من المال
والسلاح •

وليس الآن وقت للحديث عن الذى فعله جنودنا الأبطال ، ليس الآن ،
إننا الآن مشغولون بالزحف إلى الأمام وإلى التثبيت من مواضع الأقدام ،
وإلى سلامة الطريق • ونظافة السماء فلا بديل لنا من القتال ولا بديل
لنا من استرداد أرضنا كلها •

إننا نتعلمنا واستفدنا ..

ويكفى أن نستمع إلى الإذاعات المصرية ... ويكفى أن تقرأ
البيانات الرسمية ، بل يكفى أن نستمع إلى الطريقة التى يتلو بها
الذيعون بياناتهم الرسمية : العقل والهدوء والدقة ... لأننا نريد أن
نسترد ثقة المصرى والعربى والأجنبى ... لقد دُهِشَ المراسلون
الأجانب ، كيف أننا تغيرنا إلى هذه الدرجة الجذرية فى كل شيء ...
فبعنا تغيرنا إلى الأحسن ... إننا كنا نشعر بذلك ... ولكن نريد
العالم كله أن يدركه • آخر ساعة — ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ •

دكتور مصطفى محمود :

فى هذه الملاحظة ... ومع هذا المداد الذى تسيل به الحروف ،
هناك صدور تتلقى النيران دفاعا عنك ... وأخذًا بئارك ... هناك
أخ يستشهد وهو يكسب لك قطعة أرض ترفع عليها أعلامك ، وتسترد
كرامتك هناك أبطال شرفاء يموتون لتولد أمة .. ويبعث جيل
وتحيا نفوس من عدم .. هناك أقدام تخطو على الألغام وتفتح الممالك
لتأخذ بيدك من موقع المهانة إلى موقع الشرف ... أقدام قد تنسفها
القنابل لترفع رأسك ... ونقول ... لقد انتصرت لقد تحررت لقد
محوت العار • روز اليوسف ١١ أكتوبر ١٩٧٣ •

الأستاذ نجيب محفوظ :

رَدَّت الروح بعد معاناة طعم الموت ست سنوات ، رأيت المصرى
خلالها يسير فى الأسواق مرتديا قناع الذل ، يثرثر ولا يتكلم ، يقطب
بلا كبرياء ، يضحك بلا سرور ، يتعامل مع المكان وهو غريب ، ويساير
الزمان بلا مستقبل ، من حوله عرب متقاربون وقلوبهم شتى ، وأصدقاء
من العالم يعطفون عليه بإشفاق لا يخلو من زراية ، وعدونا يعربد يصارعنا
فى السماء ويتحدانا فى الأرض •

ووقعت المعجزة وانتقل الجيش من الغرب إلى الشرق ، وبسادر العرب إلى العروة الوثقى ، وذهل الأصدقاء والأعداء ، وانتقلت مصر من عصر إلى عصر ، ومن عهد إلى عهد ، ومن موت إلى خلود ، .. أيها الزعيم لقد وفّرت السلاح ، ولقد سلحت شعبك قبل ذلك بالقانون والديمقراطية والحوار الحر ... فإلى الأمام ومهما تكن المواقف فقد رمت إلينا الروح والنصر والمستقبل .

الأستاذ محمد حسين هيكّل :

كان يوم ٦ أكتوبر بداية لعملية تراجع الأسطورة أمام التاريخ ، وقد كانت حالة المسلم والملاحب قد طالّت أكثر مما هو لازم لأي شعب يريد أن يحتفظ بحيويته النضالية ، ولكن القرار لم يكن سهلا ، وخصوصا أن الملابسات المحيطة بالعمل الوطنى فى مصر تضع مسئولية القرار على كتفى رجل واحد أى أنه بالنسبة لأنور السادات فإن القرار كان مصيريا ، وفى الوقت نفسه كان عليه أن يتخذه وحده .

وربما كان من حقه وواجبه أن يسمع وأن يناقش ، ولكنه فى النهاية كان مطالباً بأن يكون وحده عقلا وقلبا وضميرا ، ثم يصل إلى القرار ويتحمل تاريخيا مسئوليته .

وفى أربع ساعات من بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ما بين الثانية والسادسة كانت مصر وكانت الأمة العربية كلها قد اجتازت حائط الخوف . الاهرام — ١٥/١٠/١٩٧٣ .

الأستاذ أحمد بهاء الدين :

لقد أنهى الرئيس السادات غرّبتنا الكبيرة بقرار أكتوبر ١٩٧٣ فهو قرار ربما كان كلمة واحدة ، ولكنه خلاص لكل الآلام العظيمة والآمال الكبار المختزنة منذ ست سنوات ... وقد أنهت القوات المسلحة (٢٢ - التاريخ الاسلامى)

غربتنا بالطريقة المفذة التي نفذت بها القرار ، إنهم هناك تحت اللهب والنار وكأنهم حملوا الغبار الثقيل إلى العدو ... السماء تنقشع كلها في لحظة واحدة عن وجه مصر الحقيقي • الاهرام في ١٥/١٠/١٩٧٣ •

الاستاذ إبراهيم راشد :

كل شيء ضاع على يد عبد الناصر : الأرض والهيبة والمال والرجال والسلاح ، وضاع كل هذا في ساعات •

ضاعت سيناء كلها بمن فيها وما عليها •

ضاعت آبار بترول سيناء كلها • • • حقول البلاعيم البحرية والأرضية ومنطقة أبو رديس كلها • • • وحقول عسل وسدر ورأس مطارقة • • • أكثر من ٨٥٪ من حجم الانتاج المصرى كله سقط في يد إسرائيل • • • ثم جاءت حرب أكتوبر المجيدة وعبر المقاتل المصرى إلى سيناء واسترد أرضه • • • وحرر وطنه • • • وترتب على الانتصار المصرى أن عادت إلينا حقول سيناء كلها ، وعاد لنا الشرف والكرامة • أخبار اليوم أكتوبر ١٩٧٥

دكتور عبد العظيم رمضان :

محمد أنور السادات لم يكن إنسانا عاديا ، كان قائدا وطنيا عملاقا ، من أصلب وأشجع من أنجبتهم أرض مصر العريقة ، وهذا ما سوف يسجله التاريخ دائما لمحمد أنور السادات : شجاعة في إصدار القرار في وقت غابت فيه الشجاعة عن الجميع •

وقد أبطل يوم ٦ أكتوبر مفعول الهزيمة التي حلت بنا سنة ١٩٦٧ ، فعاد الشمل العربى إلى الانتقام وبدأت نعمة الاعتزاز بالعروبة تملو بعد أن كانت العروبة شيئا مخجلا قبل ٦ أكتوبر وهذا يجعل ٦ أكتوبر نهاية عهد وبداية عهد جديد (مصر في عهد السادات ١٣١ - ١٣٢) •

وظل هذا النجاح أغنية على مر الزمان ، ففي ذكرى يوم العبور يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨٢ قال الرئيس حسنى مبارك :

إن القوات المسلحة صنعت فى مثل هذا اليوم عام ١٩٧٣ أعظم أمجاد مصر . . . وحقت أروع انتصاراتنا ، . . . وأن العبور الأسطورى فى هذا اليوم المبارك كان عبورا بالأمة العربية كلها إلى فجر جديد تسير فيه مرفوعة الرأس شامخة الجبين .. مرهوبة الجانب . . . مهيبة فى العالمين .

وقال الرئيس مبارك أن هذا الإنجاز التاريخى الهائل للقوات المسلحة المصرية كان الطريق الذى لابد من سلوكه لتحقيق السلام وإن استكمال تحرير سيناء المقدسة فى الخامس والعشرين من أبريل ١٩٨٢ كان إنجازا جديدا للقوات المسلحة .

وفى ذكرى العبور سنة ١٩٨٨ كتب الأستاذ أنيس منصور يقول :

كانت حرب أكتوبر هى الشفاء ، وهى الدواء من الداء الذى فرضه عبد الناصر على مصر والمصريين ، ولم يكن المصريون يتوقعون أن يحارب السادات ولا يصدقون تهديده بالحرب ، ولكن عدم تصديق المصريين للسادات هو الذى أكسبه جانبا كبيرا من خداع الرأى العام العالمى .. وخداع إسرائيل وأمريكا ، وكان موقف السادات هو أبشع عزلة عرفها زعيم فى التاريخ ... وكان لابد أن يحارب وأن ينتصر .. المهم أن ينتصر ، وفى ذلك رد اعتبار الجيش المصرى والجيش العربى ، واعتذار للشعب المصرى الذى استسلم لزعيم الثورة عبد الناصر فأفرقه فى الوحل .

ومصر قد انتزعت نفسها من الحضيض إلى أعلى الدرجات ، شعب تخطى الهزيمة ومضى فوق جثث اليأس ، فانتقل من أرضه فى وادى النيل إلى أرضه فى سيناء ، كل سيناء وطابا ، وكان من آماله أن تفعل الدول

الأخرى ما فعلته مصر ، فأين هم وأين مصر ؟ .. تحررت مصر تماما بالحرب وبالسلام وبالعقل . وبقيت الأرض العربية الأخرى محتلة ، لأن عقولهم قد احتلها الحقد على مصر ، ولأن جيوبهم ملئت بأموال دول الخليج .. فهم لا يريدون حلا ولا خروجا من مستنقعات الإحباط التي جففتها مصر لتعيش شريفة على أرض مقدسة .

أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٨٨

٨ — من أقوال زعماء العالم عن حرب أكتوبر :

هنري كيسنجر في مذكراته :

أبلغت ألكسندر هيج مستشار الأمن القومي عند اشتعال حرب أكتوبر أن الإسرائيليين لا يحتاجون لأكثر من يوم أو يومين لإعادة تصحيح وضعهم العسكري ، ولكن الخطأ الوحيد الذي ارتكبته هو أنني لم أدرك أن الإسرائيليين كانوا على حافة الكارثة .

وعن صاحب القرار قال كيسنجر في الجزء الأول من مذكراته .. لعل من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها في حياتي على الإطلاق هو ما اعتقدته بخصوص أنور السادات الذي توقعته سقوطه بعد أسابيع من توليه الحكم ... ولكن الأيام تمر ويثبت السادات أنه واحد من أعظم زعماء العالم على الإطلاق .

ريتشارد نيكسون في كتابه « زعماء عرفتهم » :

لو لم نمُدّ الجسر الجوي إلى إسرائيل لما كان في مقدورها الصمود أكثر من ٤٨ ساعة أخرى .

٩ — اعترافات إسرائيلية :

المؤرخ الإسرائيلي يعقوب تلمون :

ماذا كان سيحدث لنا لو لم تثلّق الولايات المتحدة بكامل ثقلها في كفة الميزان عندما أرسلت إلينا بالإمدادات والمعدات وأعلنت حالة التأهب في جيوشها ؟

جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في فترة الحرب تقول في مذكراتها :
بعد يومين فقط من بدء العمليات العسكرية كانت قواتنا في موقف
لا تحسد عليه ... وطاق بذهنى شبح نهاية إسرائيل ، فأرسلت برقية
عاجلة لنيكسون قلت فيها : إسرائيل تحترق أنقذونا ... أنقذوا إسرائيل •

موشى ديان وزير دفاع إسرائيل :

ذكرت أخبار اليوم الصادرة في ١٦/٢/١٩٧٤ أن وزارة الدفاع
الإسرائيلية أذاعت أسراراً جديدة عن حرب أكتوبر كشفت الوزارة عن
أن موشى ديان وزير الدفاع أعلن أمام رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية
في اليوم الرابع بعد بدء الحرب أن التفوق العسكى الإسرائيلى قد
انهار •

وفكر ديان في ذلك اليوم في توجيه حديث تلفيزيوى إلى الإسرائيليين
يعلن لهم فيه هذه الحقيقة ولكنه تراجع حتى لا تنهار الروح المعنوية •
وأضاف موشى ديان قوله :

بعد الأداء الرائع للجنود المصريين في الأيام الأولى للحرب ...
وبعد أن أصبح عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين مخيفاً أعددت بيانات
وجمعت القيادة العليا لأقرأ عليهم بياناً ، كان هذا بيان الاستسلام •

١٠ — من كلمات مراسلى الصحافة الغربية عن حرب أكتوبر :

الأوبزقر :

كانت مفاجأة حرب أكتوبر لقادة إسرائيل هى أنهم لم يأخذوا كلام
السادات بجدية ، لقد أعلن السادات عزمه مراراً وتكراراً وبأوضح
عبارة ممكنة أنه سيخوض الحرب إذا أخفق في استرداد الأرض بالطرق
المسلمية ، لقد فهمت إسرائيل هذه اللغة بعد فوات الأوان ، كذلك لم

يدرك الا القليلون أبعاد الثورة الهادئة التي حققها السادات في الجيش
« الأوبزرفر عدد ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ » •

يونيتد برس :

في يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣ قال مراسل وكالة يونيتد برس في تل أبيب إن
إسرائيل أعادت أخيرا أنها انسحبت نهائيا من خط بارليف على الضفة
الشرقية للقناة وأن هذه تمثّل واحدة من أسوأ الانتكاسات العسكرية
في تاريخ إسرائيل •

وفي يوم ١٣ أكتوبر يقول مراسل وكالة يونيتد برس إن معارك
الدبابات التي تدور رحاها في الشرق الأوسط وصلت وتجاوزت في بعض
الحالات أكبر معارك للدبابات على الإطلاق تلك التي وقعت في الصحراء
الغربية أو في ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية ، ويقولون إن
خبراء الدفاع يبدون دهشتهم إزاء أعداد المدرعات التي تمّ حشدها
لهذه المعركة خاصة من الجانب المصري والتي زادت عن ٥٠٠ دبابة ،
ويضيف أن نقل هذه الدبابات إلى الجبهة ومن جانب دولة صغيرة نسبياً
يعتبر حدثاً عسكرياً لم يسبق له مثيل في التاريخ العسكري •

واشنطن ستار نيوز :

وفي يوم ١٦ أكتوبر أيضا يقول جورج شيرمان المحرر العسكري
لصحيفة « واشنطن ستار نيوز » الأمريكية إن إسرائيل خسرت ثلث
سلاح طيراتها ، وما يتراوح بين ٥٠٠ إلى ٦٥٠ دبابة أي ثلث سلاح
مدرعاتها أيضا •

نيويورك تايمز :

بعد أربعة أيام فقط من الملحمة قال درو ميدلتون الخبير والمحرر
العسكري لصحيفة « نيويورك تايمز » إن الصراع أخذ أبعادا مختلفة

بطريقة مذهلة عما كان عليه انتصار إسرائيل الخاطف في حرب عام ١٩٦٧ وقال ميدلتون إن عجز الإسرائيليين أمام المصريين والسوريين هو أول صدمة عنيفة لهم منذ قيام الدولة الإسرائيلية • وقال ميدلتون أيضا إن هناك اختلافا مخجلا بين ما تزعمه إسرائيل من أنها حطمت رؤوس الجسور المصرية على القناة وبين عبور العمليات الحقيقى ، وإن المصريين يحاربون بروح معنوية عالية لا وجه للمقارنة بينها وبين ما حدث عام ١٩٦٧ وقال إنهم يحاربون بصلابة تدعو إلى التقدير ، وقال إن ميزان القوى يتحول إلى صالح العرب •

وفى يوم ١٦ أكتوبر يعلن الخبير العسكرى درو ميدلتون فى صحيفة « نيويورك تايمز » عن مفاجآت حرب أكتوبر وهى عجز الطيران الإسرائيلى ، ويقول ميدلتون إن التفوق الإسرائيلى الذى كانت الولايات المتحدة والدول الغربية تعتبره أمرا مسلما به قد تلقى ضربة خطيرة وإن ذلك يعتبر إحدى النتائج الهامة للحرب •

امريكا والقنبلة الذرية لإنقاذ إسرائيل :

نشرت الصحافة المصرية فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٨٥ خبرا خطيرا نقلته عن نيويورك ووكالات الأنباء ونصه :

اعترف الرئيس الأمريكى الأسبق نيكسون بأخطر أسرار حرب أكتوبر ١٩٧٣ قال إنه بحث استخدام القنبلة الذرية الأمريكية لإنقاذ إسرائيل من الدمار فى أثناء حرب أكتوبر •

وكانت جولدا مائير — كما هو معروف — قد بعثت إليه بالرسالة الشهيرة عقب عبور القوات المصرية قناة السويس وتحطيم خط بارليف وفشل محاولات الهجوم الإسرائيلى الكبير المضاد على القوات المصرية ، كانت الرسالة تقول « إسرائيل تحترق ... أنقذونا .. » وفى

الوقت نفسه أعلن موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي بأن إسرائيل تنتهى ... وكان يريد أن يذهب إلى إذاعة تل أبيب ليعلن نهاية إسرائيل وقد منعت السلطات الإسرائيلية في اللحظة الأخيرة •

وقد جاء اعتراف نيكسون بهذا السر الخطير في تصريح لمجلة تايم الأمريكية •

وبعد ، هذه هي الحرب المشرفة ، وتلك هي أقوال زعماء الفكر وقادة العالم عنها ، وهى تدعونا أن نذكر بالخير والدعاء هذا البطل الذى خطط للمعركة ، وأعدّه المعدة لها ، وباشرها •

وعندما نقارن انتصار السادات بهزائم عبد الناصر المتكررة نجد الفرق شاسعا بين رجل ورجل •

رحم الله السادات وأحسن جزاءه ، أما دماء الآلاف الذين دفع بهم عبد الناصر للموت دون استعداد سنة ١٩٥٦ ، وفي اليمن ، وسنة ١٩٦٧ ، فستظل نذير سخط على الرجل الذى انهار أمام إسرائيل ولكنه كان جبارا عاتيا على الإنسان المصرى •

هيلموت شميت : السادات أعظم شخصية في هذا القرن :

ونجاح السادات في الحرب والمفاوضة والاتصالات الدولية جعل المستشار الألماني الغربى هيلموت شميت يعلن أن الزعيم الراحل أنور السادات هو أعظم شخصية سياسية شهدها القرن الحالى وقال في برنامج (شاهد على العصر) الذى بثته القناة الثانية بالتليفزيون الألماني أمس ان القرن الحالى شهد العديد من الشخصيات السياسية البارزة مثل ماوتسى تونج وجيمى كارتر وفيلى برانت وميخائيل جوربا تشوف واستطرد قائلاً ولكن أعظمهم جميعا كان أنور السادات • (صحيفة الأخبار في ١٩٨٩/١٢/٢٧) •

المفاوضة واستعادة سيناء

لقد هزمت معركة أكتوبر إسرائيل هزماً عنيفاً ، ولو كانت إسرائيل وحدها لحققنا آمالنا ، واستعدنا الأرض العربية كلها ، ولكن سرعان ما تبين أن إسرائيل معها القوة الأولى في العالم ، معها الولايات المتحدة التي دخلت المعارك بأخطر الأسلحة ، بل بأسلحة محرمة لم تستعمل من قبل ، وهددت بأنها ستضرب مباشرة ، وفي بعض اللحظات أعطت إشارة استعداد على أعلى مستوى ، ولهذا وقفت الحرب تحت هذه العوامل •

والتقط اليهود أنفاسهم ، واستعادوا صلفهم اعتماداً على الولايات المتحدة وبدأت المفاوضات ، ولكن الصهاينة واجهوها ومعهم أمريكا فنتشددوا في المفاوضة إلى أقصى حدٍّ حتى فيما يتعلق بفك الاشتباك الذي كان ضرورياً لهم ليفلت جيشهم من فناء كان يمكن أن يكون محققاً لولا تهديد الولايات المتحدة وحمايتها لهذا الجيش •

وسارت المفاوضات على هذا النحو من العسر ، فمصر كسرت الباب وحطمته في السادس من أكتوبر ، وكان يمكن أن تفرض رأيها لولا أنها سرعان ما وجدت خلف الباب أخطر قوة في العالم ، وها هي هذه القوة موجودة كذلك في المفاوضات ، وقد سبق لنا أن أوردنا الآية الكريمة التي توضح صعوبة التفاوض والتفاهم مع اليهود ، وهي قوله تعالى : « أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم » (١) •

وعاش أنور السادات في المفاوضات بين اللين والشدة ، وطال أهداها هنا وهناك حتى عندما تفرغ لها كارتر ما يقرب من أسبوعين ، وتفرغ رئيس الولايات المتحدة لأمير مدة أسبوعين شيء خطير للغاية ، وانتهت المفاوضة إلى تحرير سيناء ببعض القيود •

يقول البعض إن السادات تهاون ، وكان يمكن للنصر الذى أحرزته
جيوش مصر أن يحقق مزيدا من النجاح •

واعتقادى أن ذلك قول الإنسان وهو بعيد عن المعمة ، وبعيد عن
بيجين وديان والولايات المتحدة ، أما القريب من النار فلا يرى أن ما
وصل إليه السادات كان قليلا ، وإذا كان فيه نقص فقد أثبتت الأيام
تلافى الكثير من اتجاهات النقص •

هل كان صلحا منفردا ؟

ويقول البعض إن مصر أقامت صلحا منفردا ، ونحن نرد ذلك ،
وقد كانت المعركة والمفاوضة تسيران بروح الجماعة ، ولكن ما العمل
إذا تخلّف عن الركب بعض السيارة ؟ وماذا إذا كانت أطماع بعض
البعيدين عن المعركة بعيدة على التحقيق للظروف التى أشرنا إليها ، فقد
كان هناك طموح ولكن ماذا نعمل إذا عجزنا عن تحقيق هذا الطموح
كله ؟

بيان دار الإفتاء :

وهذا المعنى ورد فى بيان دار الافتاء الذى أصدره فضيلة المفتى
بمناسبة توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل ، وفيما يلى بعض ما جاء
فى هذا البيان :

يقال إن مصر انفردت بالصلح مع إسرائيل ، وخرجت بذلك عن
تعاهد العرب على حل جماعى ، ولكن هذا القول لا يلتقى مع الواقع ،
واقع الاتفاق الذى تمّ والخطوات المترتبة عليه ، فإن العرب متفقون
على حلّ سلمى بعد أن استحالت الحرب للظروف الدولية التى لا يمكن
الإغضاء عنها ، فإذا تقاعس بعض العرب عن السعى الى حل سلمى
دون سبب ولا سند كان على من يستطيع كسب الموقف السباق اليه وصولا
للمغاية المرجوة ، والأمر موكول إلى القدرة على الحركة ، فمن استطاع

ذلك كان له بل كان عليه أن يسعى إليه لأن هذه مسئولية ولى أمر المسلمين (١) .

الإسلام لا يمانع من عقد معاهدة مع إسرائيل :

وفي البيان دراسة دينية توضح أن الإسلام يحث على إجراء معاهدات مع غير المسلمين مادام في ذلك حقن دماء المسلمين بشرط ألا يوجد في هذه المعاهدة ما يتعارض مع الإسلام ، وفي ذلك يقول تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (سورة الأنفال الآية رقم ٦٢) وقد عقد الرسول صلحا مع قريش في الحديبية وأجرى الرسول معاهدة مع يهود المدينة عقب الهجرة ، وصالح أهل خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء (٢) .

لقد استعدنا سيناء ، وتعثر التطبيع الذي ورد بالمعاهدة ، وكذلك لم يثمر التمثيل الدبلوماسي وعلى هذا فقد استعدنا سيناء دون أن نخسر شيئا ذا بال ، وهذا المعنى هو ما ورد في تحليل استراتيجي عن اتفاقيات كامب ديفيد بعد مرور عشر سنوات على توقيعها ، فقد قال وليم كوانت وكيل الخارجية الأمريكية السابق ، ومساعد مستشار الأمن القومي لشئون الشرق الأوسط خلال رئاسة كارتر ما يلي بالحرف الواحد : إن هذه الاتفاقيات أصبحت مجرد أصدقاء من الماضي وإن السلام بين مصر وإسرائيل وتطبيع العلاقات بينهما لا يتعدى ما يمكن أن يسمى بحالة « عدم اعتداء » (٣) .

وليتنا استعدنا الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة على هذا النطاق بدل ترك هذه المناطق وسط ما تعانيه الآن من أحداث .

(١) بيان دار الافتاء منشور في كتاب « المصحف والسيف » للأستاذ نبيل عبد الفتاح ص ٢٠٣ وما بعدها .

(٢) انظر الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامي للمؤلف وانظر كذلك « العلاقات الدولية في الفكر الاسلامي للمؤلف » .

(٣) الاهرام في ١٦/٩/١٩٨٨ .

الولايات المتحدة هي عدونا الأول

وبعد ، أيها القارئ الكريم أذكرك بالحقائق التالية قبل أن تطوى صفحات الحرب والمفاوضة :

- الولايات المتحدة هي التي أمدت إسرائيل بالأسلحة والتأييد •
- وهي التي اكتشفت الثغرة ودفعت إسرائيل للسير فيها •
- وهي التي حمت تقدم إسرائيل بالثغرة بعد إعلان وقف إطلاق النار •
- وهي التي استعملت في حربنا أعنف وأحقر الأسلحة التي لا يقرها شرع ولا قانون •
- وهي التي هددت بأن يضربنا البنتاجون مباشرة •
- وهي التي أيّدت عدوّننا في المفاوضة •
- وهي البلاء لكل مصرى ولكل عربى ولكل مسلم •
- وهي أولا وأخيرا التي غرست إسرائيل وبالتالي هي التي تحميها •

ولا تظن أن هذه الصورة التي صورنا بها الولايات المتحدة تدفعنا لنصادق الاتحاد السوفيتي ، فكلاهما في الشر سواء ، بل لابد من الاعتماد على النفس وعلى الله لنصل إن شاء الله إلى ما نتمناه •



كلمة أخيرة عن أنور السادات :

عند افتتاح الحديث عن معركة أكتوبر ذكرنا ثناء طيّبا على السادات الذي أعدّ للمعركة وخاضها بكفاءة هائلة ، ونحن نكرر هذا الثناء في ختام هذا الحديث ، لقد كان السادات بطلا ، وكان في مستوى الحدث الكبير الذي واجهه ، وقد استطاع أن يفعل الاعاجيب في الداخل ومع العرب ومع المجتمع كله لتحقيق النصر ، ولو لم تكن هناك أمريكا لحقق السادات مزيدا مما نصبو إليه ، وعلى كل حال فقد حقق في الحرب وفي المفاوضة تقدما يقل جدا أن يحققه الآخرون •

إن البعيدين عن النار يتصورون الطريق مفروشا بالورود ، ولكن
الذين يعرفون بواطن الأمور يدركون ما بذل السادات من جهد وما
واجهه من عناء ، ولو كان في العالم العربي عدة أشخاص مثل السادات
لحقتنا زيدا من الانتصارات ، وإنى اعترف أنه كانت هناك عوامل
تشد السادات للوراء ، كالدكتاتورية والميل للترف وغير ذلك مما ذكرناه
وما سنذكره ، ولكن أين الذى يخاف من هذه العوامل ؟

رحم الله السادات وأحسن له ، جزاء ما رفع رءوسنا بعد أن
نكستها هزائم عبد الناصر التى لم تتخلف طيلة عهده .

أعمال سنة ١٩٧٤

في دراستنا السابقة وضحنا أن الرئيس أنور السادات أدرك ضرورة الالتجاء إلى الولايات المتحدة ، وأنها وحدها التي تستطيع أن تساعد لإيجاد حلٍّ للمشكلة العسكرية والسياسية بالشرق الأوسط ، وقد زاد من شعوره ذلك عدم ثقته بالاتحاد السوفيتي كما ذكرنا ذلك من قبل .

والاتجاه للولايات المتحدة استلزم أمورا خطيرة مثل :

— الانفتاح ونتائجه .

— التطوير السياسي لتأخذ الحياة مظاهر الديمقراطية ، وإن أخفت خلفها أظافر الديكتاتورية .

— إلغاء المعاهدة مع السوفييت .

— رحلة القدس ومزيد من التقرب للمعسكر الغربي .

— كامب ديفيد ومعاهدة السلام .

وهن الملاحظ أن هذه الأشياء وغيرها لم تحدث كلها سنة ١٩٧٤ ولكنها كانت رد فعل لاتجاه السادات نحو أمريكا ، وقد حدثت في سنوات متتالية ، وسيأتى ذكرها مع الحديث عن هذه السنوات .

الارتباط بأمريكا وإعادة العلاقات معها :

مرة أخرى نقرر أن السادات خرج من حرب أكتوبر بأن الوسيلة الوحيدة لنيل حقوقنا من إسرائيل هي الارتباط بأمريكا ، إذ أن الحرب لا يمكن أن تحقق الأمل ما دامت الولايات المتحدة تتدخل الحرب بجانب إسرائيل ، ومادام الاتحاد السوفيتي لا يحسن بولاء مصر له ، وبالتالي لا يبذل جهدا كبيرا في مساعدة مصر ، وقد تخلى عن إمداد مصر بالسلاح في أخرج الأوقات وطالب بالثمن فورا ، وقبل ذلك عندما سحب خبراءه وسحب معهم المعدات التي جاءوا بها لمصر لتدريب المصريين عليها .

(م ٢٣ - التاريخ الاسلامي)

بل إن السادات ربما طمع في أكثر من هذا ، طمع في إيهام أمريكا أن
في مقدور مصر أن تقوم بالدور الذى تقوم به إسرائيل في الشرق الأوسط
لصالح أمريكا ، ولكن هل يصدق الأمريكان ذلك ؟ وهل تستطيع مصر
فعلا ؟

إن ظروفنا تاريخية وأخلاقية تحول دون أن تصبح مصر أداة في
يد أمريكا في هذه المنطقة من العالم ، ولكن خيال السادات دفعه إلى
مدى بعيد •

وعلى كل حال فاتجاه السادات للارتباط بأمريكا ألزمه أن يقوم
ببعض التصرفات ليبرهن بها على هذا الاتجاه ، ولم يكن في الحق يقوم
بهذه التصرفات عن عقيدة ، فالديمقراطية والانفتاح وحرية الصحافة ...
أشياء ضرورية لمن يريد أن يسير في فلك الولايات المتحدة ، ولكنها أشياء
تتناهى مع طبيعة السادات ومع الحكم العسكرى ، وعلى كل حال فقد
حاول أن يوفق بين هذه الالتزامات وبين طبيعته ، وسفرى في الدراسات
التالية إلى أى مدى ومقَى في ذلك •

وقد سارت الرغبة في الارتباط بأمريكا خطوات كان من أبرزها
إعادة العلاقات الدبلوماسية معها ، تلك التى كانت قد قطعت عقب
حرب الأيام السود في يونيو ١٩٦٧ وأعيدت العلاقات كاملة في ٢٨ فبراير
سنة ١٩٧٤ •

إطلاق سراح الأستاذ مصطفى أمين :

ذكرنا في الجزء التاسع من هذه الموسوعة أن الأستاذ مصطفى أمين
اتهم في عهد عبد الناصر بأنه أمدّ السفارة الأمريكية سنة ١٩٦٥
بمعلومات فيها إضرار بمركز البلاد الاقتصادى والسياسى ،
وقُبض على مصطفى أمين في الاسكندرية لهذا السبب ، وقدم لحكمة
الدجوى التى كانت تعالج القضايا التى لم يثبت فيها الاتهام على المدعى

عليهم ، وكانت هذه المحكمة لا تحكم بما يناسب الجرم ، ولا يتوقف حكمها على التثبت من حدوث جريمة ، وإنما كانت عسكرية تقضى بما يريده عبد الناصر دون أى اعتبار آخر •

وبناء على ذلك حكمت هذه المحكمة على مصطفى أمين بالأشغال الشاقة المؤبدة •

ولم يقنع عبد الناصر بسجن مصطفى أمين وإنما أسلمه إلى الزبانية الذين عذبوه عذابا يجلّ عن الوصف ، وقد أثبتته مصطفى أمين في كتبه عن سنوات السجن (١) •

ومات عبد الناصر ومصطفى أمين في السجن ، وجاء أنور السادات فترك مصطفى أمين على حاله ، ولكن السادات عندما بدأ يوثق علاقاته بالولايات المتحدة ، كان لابد أن يفرج عن مصطفى أمين الذى نكّل به بزعم أنه عميل أمريكى كما جاء في اتهمه •

فصدر قرار بإطلاق سراحه في ١٨/٥/١٩٧٤ ، واعتقادي أن إطلاق سراحه كان تابعا للاتجاه الجديد الذى سلكه السادات نحو الولايات المتحدة ، وليس لما أورده موسى صبرى أن تأجيل إطلاق سراح مصطفى أمين كان بناء على اتهام جديد بأنه كان على علاقة في السجن بزعماء مراكز القوى (٢) ، وليس كذلك لانشغال السادات للإعداد لمعركة أكتوبر كما ذكر على أمين ، وللأسف صدر قرار بإطلاق سراحه والعفو عنه ، ولم يصدر قرار بتبرئته من التهمة التى لفتت له ، وقد أعلن المدعى الاشتراكى فيما بعد براءة الأستاذ مصطفى أمين ، وسنذكر ذلك بعد قليل •

(١) انظر الجزء التاسع ص ٦٨ وما بعدها ، وكتاب سنوات عصيبة للممّ، تشار محمد عبد السلام و « سنة أولى سجن » لمصطفى أمين •
(٢) انظر وثائق ١٥ مايو ص ٣٨٨ لموسى صبرى •

وبإطلاق سراح مصطفى أمين بعد تسع سنوات في السجن عاد أخوه الأستاذ على أمين الذى أمضى السنوات التسع في المنفى بعيدا عن مصر .

اتهام ظالم أثر على بعض الذين صدّقوه :

في صحيفة أكتوبر الصادرة في شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨ حديث للدكتور مصطفى أبو زيد الذى شغل وظيفة « المدعى الاشتراكى » لأول مرة في عهد السادات أعلن فيه اقتناعه التام ببراءة مصطفى أمين من التهمة التى وجهت إليه ، وأنه لذلك استصدر قرارا من الرئيس السادات بالعفو عنه .

وقد قضى الأستاذ مصطفى أمين تسع سنوات في السجن ، ثم صدر قرار العفو دون أن يوضح أنه برىء من التهمة التى وجهت إليه وهى تقديم معلومات تضر بالبلاد نظير مال دفع له ، ولم يثبت بطلان هذه التهمة إلا بحديث الأستاذ مصطفى أبو زيد سنة ١٩٨٨ ومعنى هذا أن الأستاذ مصطفى أمين ظل في نظر من صدقوا الاتهام الذى لفتقه عبد الناصر ، ظل متهما ، وأن إطلاق سراحه كان نوعا من العفو عنه دون ذكر براءته ، وقد كتب المرحوم الأستاذ حسن صبحى صاحب مجلة « أنباء المعادى » مقالا بهذه المجلة في عددها الصادر في ٢٩/٩/١٩٨٨ ذكر فيه أنه هو وكثير من الناس صدقوا الاتهام الباطل الذى لُفّق للصحفى الكبير بأمر عبد الناصر ، وظل هذا الصحفى العظيم موضع اتهام في نظرهم طيلة ٢٣ سنة حتى كتب الأستاذ مصطفى أبو زيد يقرر أن هذا الاتهام باطل ، وختم الأستاذ حسن صبحى مقالته بقوله :
ألا لعنة الله على السياسة التى جرّت جمال عبد الناصر من ضميره في قضية مصطفى أمين ، وليساهمنا الله سبحانه وتعالى لكرهيتنا لمصطفى أمين هذه المدة الطويلة وهو مواطن شريف مخلص في خدمة بلاده ، له كل يوم عمل مجيد في خدمة بلاده ومواطنيه .

اضطرابات صحفية :

شهدت سنة ١٩٧٤ حركة واسعة في مجال الصحافة ، فعاد إلى العمل الصحفيون الذين كانوا في السجون أو كانوا قد أبعادوا عن الصحافة وأُسندت لهم أعمال أخرى ، وكذلك الصحفيون الذين كانوا قد هاجروا من البلاد ، وفي الوقت نفسه عاد إلى مصر الأستاذ على أمين ، وتحرر من السجن الأستاذ مصطفى أمين كما ذكرنا آنفا .

وفي نفس الوقت كان السادات قد بدأ يغضب على الأستاذ محمد حسنين هيكل ويثبده عن الأهرام ، وقد شهدت هذه الفترة صورا من الاضطرابات ، فعلى أمين عاد من المنفى ليعين مديرا لتحرير الأهرام ، ووضع الدكتور عبد القادر حاتم رئيسا لمجلس الإدارة ، ومن الطبيعي أن على أمين لم يحس بالاستقرار في جريدة الأهرام ، فقد كان يرى في كل محرر أو عامل أو فراش مندوبا لهيكل وخصما غيره ، كذلك تبين أن « على أمين » يريد تغيير شخصية جريدة الأهرام إلى جريدة أشبه بشخصية الجريدة التي أسسها مع مصطفى أمين وهي أخبار اليوم ، وكان هذا وذاك سببا في أن وجود على أمين في الأهرام كان مدعاة للقلق وعدم الاستقرار ، أما مصطفى أمين فقد عاد إلى أخبار اليوم رئيسا لتحريرها ، وفي نفس الوقت كان الأستاذ إحسان عبد القدوس رئيسا لمجلس الإدارة فيها ، وبعد فترة عاد السادات فقرر أن يكون مصطفى أمين رئيسا لمجلس الإدارة في أخبار اليوم وأن يعود على أمين بجوار أخيه في مؤسستهما أما رئاسة تحرير الأهرام فقد أسندت للأستاذ أحمد بهاء الدين .

وننتقل إلى علاقة السادات بالأستاذ المرحوم على حمدي الجمال ويذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين (١) أن السادات كان يكره المرحوم على حمدي الجمال كراهية شديدة ولا يطيق سماع اسمه لأنه رأس مرة جمعية عمومية وهو نقيب الصحفيين ، وهوجم فيها السادات هجوما شديدا ،

(١) محاوراتي مع السادات ص ٥٢

واعتبره السادات مسئولا أو عاجزا عن السيطرة على الجمعية العمومية ، ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين إن السيطرة على الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين دائما أمر مستحيل •

ويقول مصطفى أمين إنه عندما عاد الأخبار اليوم ضايق به إحسان عبد القدوس لأن المحررين والعمال بالمؤسسة الصحفية استقبلوا أستاذهم مصطفى أمين في مظاهرة رائعة وأحس إحسان عبد القدوس أنه غريب في هذا الجو •

بقيت كلمة ترتبط بعلاقة هيكل بالسادات ، فإن هيكل تعود أن يكون شريكا في الحكم أيام عبد الناصر ، فكان له رأى مسموع في تشكيل الوزارات وصنع القرارات ، ولكن السادات لم يكن يعطى هيكل هذه المكانة ، وقد ذكرنا من قبل أن السادات كان حريصا على ألا تنشأ مراكز قوة بجواره ، أو كان يريد دائما أن يكون الزمام في يده هو لا في يد أى شخص آخر ، ومن هنا استبعد هيكل عن الأهرام التى كانت بمثابة دولة داخل الدولة •

ويذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين أن السادات كانت له عيون في الصحافة تنقل له النكتة التى تقال فيضحك عليها المحررون ، كما تنقل أية كلمة يمكن أن يكون فيها مساس ظاهر أو باطن بالسلطات العليا ، وكان هؤلاء العيون ينالون من حين إلى آخر مكافآت ومراكز بناء على طلب السادات (١) •

وهكذا استلزم اتجاه السادات للغرب أن يمنح نوعا من الحرية للصحافة ، ولكن شخصية السادات لم تسمح بأن تكون الحرية مطلقة فتدخل بنفسه أو بعيونه في الحياة الصحفية •

ورقة أكتوبر ومحاولات الديمقراطية :

إن اتجاه أنور السادات إلى أمريكا استلزم أيضا أن يخلق في مصر نوعا من الديمقراطية وتعدد الأحزاب ، وكان ذلك على نمط ما فعلته تركيا حتى يمكن بقاؤها في الجسم الأوربي الذي تنتمي إليه ، وحدث ذلك أيضا في أسبانيا والبرتغال ، فلم تتقبلا في السوق الأوروبية المشتركة إلا بعد أن حققنا صيغة ديمقراطية ، ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين :

إن السادات حين بدأ يفكر في التعدد السياسي كان ذلك أهم دافع لديه لتسهيل الاندماج في عالم الغرب ، والحصول على حمايته وتحالفه (١) .

وعلى هذا اقترح السادات ما سمي « ورقة أكتوبر » على نسق ما فعله عبد الناصر من قبل فيما سُمّي (بيان ٣٠ مارس) وهو بهذا يوهم بارتباطه بعبد الناصر ، ولكنه ينطلق تبعا لفكره ، أو تبعا للضرورات التي يراها لازمة لنجاح سياسته .

وقد طرحت ورقة أكتوبر في استفتاء عام في ١٥ مايو ١٩٧٤ وقد حاول فيها أنور السادات كما سنرى بعد قليل أن يحوّل الاتحاد الاشتراكي إلى (منابر) ثم أعلن أن تصبح المنابر أحزابا ، وأن تأخذ الأحزاب وجهها ديمقراطيا ، وقبل أن نسبر خطوات في الحديث عن مراحل الديمقراطية كما أرادها السادات نذكر عبارة كررها مرارا وهي تفيد اتجاهاته الديكتاتورية ، وإن المظاهر الديمقراطية لم تكن ممبرة عن طبيعته وأعماق نفسه ، وهذه العبارة هي كما يرويها الأستاذ أحمد بهاء الدين : « يا أحمد ، عبد الناصر وأنا آخر الفراعنة ، فعبد الناصر وأنا لا نحتاج لنصوص ، والنصوص التي نضمها هي لمن يجيء بعدنا ، فهؤلاء سيكونون رؤساء عاديون يحتاجون لنصوص ليتبعوها وليلتزموا بها » .

ويعلق الأستاذ أحمد بهاء الدين على هذه العبارة بقوله :

وجدت في حديث السادات تناقضا بين ما كان يلمّح به في غموض وعدم وضوح لإيجاد صيغة للتغيير السياسى وبين كلامه عن السلطات المطلقة .

ولنعد إلى ورقة أكتوبر لنقتبس بعض ما جاء بها ، ثم نمشى خطوة إثر خطوة لنرى ما حدث من تغير في النطاق السياسى تبعا للمظهر الجديد الذى أراد السادات أن يظهر به ، وهو قالب الديمقراطية التى تتبعها الولايات المتحدة وتتبعها دول الغرب بوجه عام .

جاء في ورقة أكتوبر النص التالى :

« إن معارضة فكرة الحزب الواحد لا تتأكد إلا بالتسليم بتعدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى » .

وهذا النص يوضح الاتجاه نحو تعدد الاتجاهات في حدود الكائن القديم وهو الاتحاد الاشتراكى ، ولذلك جاء في ورقة أكتوبر أيضا أن المطلوب هو « تعدد القوى الاجتماعية التى يتكون منها التحالف » وتكونت لذلك لجنة لتجميع الاتجاهات حول تطوير الاتحاد الاشتراكى ، وبعد الدراسة قررت هذه اللجنة النقاط التالية حسب ما فهمته من هوى السادات :

١ — اتفقت جماهير شعبنا على ورقة التطوير ، وأن الاتجاهات المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكى يمكن أن تكون انعكاسا لتعدد قوى الشعب العاملة المكونة للاتحاد .

٢ — طالبت الأغلبية بأن تقوم منابر داخل الاتحاد الاشتراكى على أساس فكرى ، حيث يقوم منبر لليمين ومنبر للوسط ومنبر لليسار ، على أن تلتزم هذه المنابر بمواثيق الثورة .

٣ — إن اختلاف المنابع الفكرية لهذه المنابر من شأنه أن يدعم الاتحاد الاشتراكى ويثرى فكره ويبعث فيه الحركة والحياة .

وواضح من هذه النقاط الحرص على بقاء الاتحاد الاشتراكي وأن يكون التطوير في داخله ، وذلك ما قرره المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي الذي عقد في أواخر يوليو سنة ١٩٧٥ ، والذي بمقتضاه بدأ تأسيس المنابر •

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد أعلن الرئيس السادات في ١٩٧٦/١/٣٦ باعتباره رئيسا للاتحاد الاشتراكي تشكيل لجنة لدراسة « موضوع المنابر » ثم تطور اسم هذه اللجنة ليكون « لجنة مستقبل العمل السياسي » وهذا الاتجاه من الرئيس كان فيه تلميح بعدم التمسك بالاتحاد الاشتراكي ، ولكن هذا التلميح لم يكن ظاهرا للكثيرين ، ولذلك رأت أغلبية هذه اللجنة أن مستقبل العمل السياسي ينبغي أن يظل في إطار الاتحاد الاشتراكي ، وقدّمت تقريرها للرئيس بذلك ، وخلاصة هذا التقرير بقاء الاتحاد الاشتراكي مع استحداث المنابر الثلاثة التي ذكرناها في إطاره •

وعين الرئيس رؤساء هذه المنابر ، فكان ممدوح سالم رئيسا لمنبر الوسط ، ومصطفى كامل رئيسا لمنبر اليمين ، وخالد محيي الدين رئيسا لمنبر اليسار ، وتعيين رؤساء المنابر بدعة مرفوضة كانت مؤثرا لفساد الاتجاه الديمقراطي الذي يحاوله السادات ، والعجيب ان هذا التعيين استمر بعد أن تحولت المنابر إلى أحزاب وهكذا كانت أحزاب السلطة امتدادا للاتحاد الاشتراكي فيما عدا حزب التجمع الذي سار نحو الاستقلال عن السلطة ، وجرت على ذلك الانتخابات من ٢٨ أكتوبر إلى ٤ نوفمبر سنة ١٩٧٦ ، وسمح للمستقلين بدخول هذه الانتخابات وكانت نتائج الانتخابات كالاتي :

- منبر الوسط حصل على ٢٨٠ مقعدا
- منبر اليمين حصل على ١٢ مقعدا
- منبر اليسار حصل على ٢ مقعدين
- المستقلون حصلوا على ٥٦ مقعدا

ويلاحظ على هذه النتيجة أن منبر الرئيس وهو منبر الوسط فاز فوزا ساحقا ، ويعتبر المطلعون أن هذه الانتخابات هي الانتخابات النزيهة الوحيدة التي حصلت في عهد الثورة الطويل ، ويذكرون ممدوح سالم بالخير لوقفته النزيهة حيال الانتخابات .

ولكن الذي يلاحظ هو أن هذه الانتخابات كانت في حدود المنابر ، أى في حدود الاتحاد الاشتراكي ، ولم يرشح من المستقلين إلا عدد قليل لا يستوجب التدخل وتزييف الانتخابات ، ومن هنا فالحييدة الطبيعية ما دامت قد خلت من أى حزب منافس ، ولهذا فمع تقديري لشخصية ممدوح سالم لا أرى داعيا لدحه لأنه وقف على الحياد في هذه الانتخابات وأو أمتد الأجل لوزارة ممدوح سالم وشاهد الانتخابات التي كان حزب الوفد مشتركاً فيها لكان من حق ممدوح سالم أن نشئ عليه أعطر ثناء لو أدار الانتخابات بالحييدة التي أتبعها في أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

ويلاحظ أن الحرية التي كفلتها هذه الانتخابات سمحت لعدد كبير من المستقلين لينجحوا ويدخلوا مجلس الشعب على حساب مرشحي المنابر ، وكان هؤلاء أساساً لقيام حزب الوفد كما سنرى بعد قليل ، وكان هؤلاء كذلك سببا في العودة إلى ضرورة تزييف الانتخابات ، فحرية الانتخابات جلبت عددا كبيرا من أعداء الثورة الذين كانوا خارج الاتحاد الاشتراكي وهنابره .

وبعد سبعة أيام من ظهور نتائج الانتخابات وفي خطاب الرئيس أمام مجلس الشعب الجديد تغير كل شيء ، فقد أعلن في هذا الخطاب التحول الكبير التالي :

من المنابر إلى الأحزاب :

قال الرئيس : « وبناء على نجاح تجربة الانتخابات ، واستئناف المسيرة

التي عاهدت الله والشعب عليها نحو الديمقراطية فقد اتخذت قراراً بتحويل التنظيمات الثلاثة « المنابر » ابتداء من اليوم إلى أحزاب ، وأصبح منبر الوسط يسمى « حزب مصر » وعُهد إلى ممدوح سالم برياسته ، وكان أنور السادات واسع الأطماع فيما يتعلق بحزب مصر ، فطلب أن تمتد جذور هذا الحزب إلى كل المدن والقرى والنجوع ، وأن يجذب له العصبية ، وأن تكون دور الحزب كالبیوت المفتوحة لكل المواطنين ، وبذلك يلتحم الحزب بالجماهير ، ويعبر عنها ويلبى حاجاتها •

ولكن الشعب كان بعيداً عن مؤسسات الثورة وأحزابها ، فالشعب قاسى كل صور المتاعب من هذه الثورة التي عاش قادتها لأنفسهم وأسرفوا في سوء معاملتهم للجماهير ، فبقى الحزب في واد ، والشعب في وادٍ بعيد •

أما منبر اليمين فقد تحول إلى حزب الأحرار وعهد برياسته إلى مصطفى كامل مراد ، وهو ضابط سابق ، وكان وهو رئيس حزب موظفاً في وزارة الصناعة مما جعل الحزب يسير في كنف الحكومة ، وعندما أراد رئيس الحزب مرة أن يتكلم بشيء من الحرية قال له وزير الصناعة : إنك موظف عندي بالوزارة •

أما منبر اليسار فقد رأسه خالد محيي الدين ، أو الحاج خالد كما يحب أن ينادى ، والفكر الماركسي يتناقض تماماً مع الحج وشعائر الإسلام إلا أن يكون هناك فكر ماركسي جديد •

أنور السادات رئيساً لحزب :

وكان أنور السادات يبدو وكأنه رئيس مصر ، وليس رئيساً لحزب خاص ، ألم يكن رئيساً للاتحاد الاشتراكي الذي انبثقت منه هذه الأحزاب ؟ ولكن سرعان ما أحس بأن هذه الأحزاب بذونه لن تكون شيئاً في المحيط السياسى ، وبخاصة بعد ظهور حزب الوفد الذى سنتحدث

عنه بعد قليل ، فأعلن أنه سينزل للشارع السياسى ، وسيؤلف حزبا جديدا اختار له اسما هو « الحزب الوطنى الديمقراطى » .

وما كاد السادات يعلن ذلك حتى هُرع له كل أعضاء حزب مصر ، أولئك الذين التحقوا بهذا الحزب على أنه حزب السادات وتحت رعايته وعبأته ، ولكن إذ ألف السادات حزبا جديدا فليهرع له النواب الذين لا يهمهم إلا السير فى ركاب الرؤساء ، ولم يبق فى حزب مصر إلا عدد يقل عن أصابع اليد الواحدة ، وفى مقدمتهم الفريق سعد الدين الشريف والأستاذ جمال ربيع والمهندس عبد العظيم أبو العطا الذى كان أحد المقبوض عليهم فى سبتمبر سنة ١٩٨١ ومات وهو فى سجن الاعتقال .

نهاية الاتحاد الاشتراكى :

كانوا يقولون عن الاتحاد الاشتراكى إنه ليس اتحادا لأنه كان حافلا بالهدايات والتكئلات ، وأيس اشتراكيا لأنه كان وسيلة لتكوين ثروات كبيرة لبعض قياداته .

وهكذا كانت نهاية هذا الاتحاد الذى عاش ومات وهو بمنأى عن الشعب ، ولم يكن إلا حصنا لادكتاتورية واقتناص المغانم ، وكان اسمه يثير الرعب فى كل مكان .

فإلى الأبحيم هذا الكائن الذى رأت مصر فى وجوده شبحا للآلام ووسيلة لاستنزاف خزانة الدولة ، ولم يكن فى يوم من الايام إلا أداة فى يد الحاكم ، يضرب به الشعب ، ويباشر عن طريقه أسوأ السلطات ، ولذلك كانت نهايته نهاية عصر حافل بالمرارة .

قانون الأحزاب وقيام حزب الوفد ثم تجهيد نشاطه :

كان طبيعيا بعد أن أصبحت المنابر أحزابا أن يصدر قانون الأحزاب ، ولكن هذا القانون الذى صدر كان يقدّم رجلا ويؤخر أخرى ، فقد أقر

الأحزاب الثلاثة التي كانت موجودة فعلا ، ومنع بروز أحزاب أخرى إلا إذا كان لها في مجلس الشعب الذي كان قائما آنذاك عشرون نائبا على الأقل ، وكان هذا الشرط وُضع لمنع حزب الوفد بوجه عام من الظهور ، فقد اتخذت الطرق حتى لا يتجمع هذا العدد لتأييد قيام حزب الوفد ، ومع ذلك فقد ثابر أتباع هذا الحزب على محاولتهم حتى جمعوا توقعيات عشرين نائبا ، وكان أكثرهم من المستقلين أعضاء المجلس ، وكان بعضهم من حزب الوسط نفسه ، ويقول الأستاذ إبراهيم دسوقي أباطة ^(١) : إن قيام حزب الوفد الجديد سجل دويئاً كبيراً في الأوساط الشعبية ، فقد ظل الوفد بزعامته التاريخية وماضيه النضالي مطبوعاً في ضمير الأجيال القديمة والجديدة ، ولذلك ما إن ظهر الحزب حتى أقبل الآلاف على الانضمام إليه ، فاهتزت الثقة الشعبية في الأحزاب التي أقامت السلطة ، تلك الأحزاب التي عرفت بأنها أحزاب المصالح وطلاب المنافع ، وأصبح الوفد الجديد أول حزب بعد الثورة يُولد ولادة طبيعية ، وكانت زعامته وقياداته من القاعدة الشعبية العريضة ، وكانت عضويته مفتوحة لكافة الفئات الاجتماعية ، حتى أصبح أقرب إلى أن يكون جبهة وطنية منه إلى حزب سياسي متجانس .

ولم يثبُد الحاكم ذعرا بحزب الوفد عندما بدأ ، وهو رجائه عليه ظهور هذا الحزب ، معتقدين أنه لن ينال أى صدى في نفوس الشعب ، ولكن ما إن ظهر هذا الحزب حتى علا صوته ، وارتفع نجمه ، وكأنه كان أملاً للشعب ، فالتف الشعب حوله ، وأصبحت الأحزاب الأخرى أشبه بالاقزام بجوار هذا الحزب العملاق ، ومن هنا بدأ الصراع بين حزب الوفد وحزب الرئيس ، واضطر حزب الرئيس إلى النزول في معركة مع حزب الوفد مجدداً النغمات القديمة والاتهامات الباطلة التي كانت توجه لحزب الوفد قبل الثورة ، كحادثة ٤ فبراير

(١) الخطايا العشر : ص ١٥٣ وما بعدها وانظر أيضاً الصفحات السابقة .

والإغداق على المحاسيب ، ولكن الشعب أعرض عن هذه الاتهامات الباطلة ونظر إلى حزب الرئيس على أنه الحزب الذى وقف عاجزا أمام المشكلات التى يواجهها الشعب فى حياته اليومية كالمراقق والإسكان والغلاء والبطالة ، وكان حزب الوفد هو لسان الشعب فى الدفاع عن اتجاهاته وآماله ، وسرعان ما انتصح أن حزب الوفد خطر على الحاكم وأعوانه ، ولم يجد أنور السادات بدًّا من اللجوء إلى ما أسماه « استفتاء » ليضرب قيادات حزب الوفد ، وكان الاستفتاء يتحدث عن صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى ومعارضة الذين أفسدوا الحياة السياسية وضرورة استبعادهم من الساحة الجديدة وأجرى الاستفتاء فى ١٤/٥/١٩٧٨ وستحدث عنه ضمن أحداث ١٩٧٨ ونال الاستفتاء الأرقام التى تعودت استفتاءات الثورة أن تسجلها ، وهى أرقام التسعات المكررة ، وبناء على هذا الاستفتاء أخرج الأستاذ عبد الفتاح حسن نائب رئيس حزب الوفد من مجلس الشعب لأنه كان من القيادات القديمة التى حرّم الاستفتاء أن تباشر حقوقا سياسية ، كما أصبح الأستاذ فؤاد سراج الدين ممنوعا من قيادة أحزاب سياسية لأنه أيضا كان من القوى السياسية التى أدانها الاستفتاء •

وفى إطار هذه التصرفات وجد حزب الوفد أنه لا يستطيع أن يمارس نشاطه فى حرية ، وبخاصة بعد استبعاد زعماء الحزب ، فقرّر الحزب تجميد نشاطه السياسى فى يونيو ١٩٧٨ واختفى الحزب رسميا ، ولكنه ظل حيا فى ضمير الشعب إلى أن عاد للظهور بعد نهاية عصر السادات ، وكانت مدة قيام حزب الوفد لا تتجاوز عدة شهور •

الانقشاع الاقتصادى

عندما نتذكر مطلع النظام الشيوعى بالاقتصاد السوفيتى نجد أن الثورة الشيوعية عندما حققت النجاح أقفلت الأبواب على البلاد تماما حتى شاع استعمال « الستار الحديدى » دليلا على صعوبة الوصول

لداخل البلاد ، وراحت هذه البلاد تبني نفسها في كل اتجاه ، متمرسة عن العالم حولها بقدر الإمكان ، وكان البناء في مجال الزراعة والصناعة وتكوين الجيش ... بل بالاهتمام بفرق الباليه وكرة القدم ... وظل الحال على ذلك حوالى ربع قرن حتى خرجت روسيا على العالم مع الحرب العالمية الثانية وهى قوة جبارة يعمل لها ألف حساب في كل المجالات .

لو قارنا ذلك الوضع بحال الثورة المصرية لأحسنا بالندم والخجل ، فالثورة المصرية أسرع بفتح الأبواب على مصاريعها في الدوائر التى ذكرناها من قبل وهى الدائرة العربية والإسلامية والأفريقية ، ثم دائرة عدم الانحياز ... واصطدمنا بالقوى الكبرى في ظروف مختلفة ولم يكن عندنا وقت البناء الداخلى كما صرح بذلك اللواء محمد حافظ إسماعيل ، فانهزت مرافق البلاد وعمتها التخلف وأثقلتها الديون .

وبينما فتح عبد الناصر الأبواب على مصاريعها بالنسبة لهذه الدوائر ، فإنه قفل الأبواب على المصريين بحيث لا يخرجون من البلاد إلا لضرورة قاهرة وبإذن من ولئى الأمر ، ومبالغة في حرمان الناس قرر قفل الحدود بحيث لا ترد لمصر صنوف مما يحتاجه الناس للطعام والشراب واللباس وضرورات الحياة ، وأصبح لزاما علينا عندما نذهب للخارج في مؤتمر من المؤتمرات أن نعود محملين بالهدايا للأهل والأقارب لنقل من حرمانهم ، وكنا نجد هذه الحاجات التى حرّمنا منها قانون عبد الناصر موجودة في أسواق بلاد العالم الثالث . فكنا نشترىها من السودان ومن ليبيا ومن باكستان ... فكل الناس عندهم ما يحتاجون إليه إلا المصريين .

وكان واضحا لنا أن الحرمان مفروض على الشعب وحده ، أما الحكام فكانت الأبواب مفتوحة لهم على مصاريعها عن طريق رحلاتهم التى لا تنقطع ، وعن طريق الحقائق الدبلوماسية التى أعطينا لها نموذجاً من قبل .

وكان هذا الانغلاق ينتافى مع طبيعة موقع مصر وتاريخها ، فموقع مصر الجغرافى فى ملتقى ثلاث قارات يجعل الانغلاق سياسة تتنافى مع طبيعتها الجغرافية ، وموقعها الحضارى ، وتراثها التاريخى •

وكانت مصر شديدة الاتصال بالعالم حولها منذ فجر التاريخ ، وعندما دخلت مصر فى نطاق الامبراطورية العثمانية سرعان ما رفضت الانغلاق وتمردت على سياسته وتفتحت على العالم فى عهد محمد على باشا وحفيده إسماعيل •

وعلى هذا كان الانغلاق الذى خضعت له مصر فى عهد عبد الناصر ينافى طبيعة مصر والمصريين ، وكان قييدا على حياة المصريين ، فلم يكن يسمح لهم بالسفر للخارج دون إذن من السلطات الحاكمة ، وكان الحصول على هذا الإذن شبيها عسيرا •

وكان الانغلاق كذلك فرصة للروتين والتعقيدات والبيروقراطية الفاسدة التى نشأت خلال هذا العهد ونمت بحكم الخوف والقلق ، فكان أيسر على الموظف أن يرفض أى شئ ، عن أن يوافق على أى شئ ، فلم يكن فى الرفض مسئولية ، ولكن الموافقة تحتل كثيرا من الاتهامات •

وكانت حجة أولى الأمر فى فرض الانغلاق هو حراسة الصناعات الجديدة بمصر حتى لا تتراحمها الصناعات الخارجية وحتى لا يجد المصرى مفرًا من الإقبال على إنتاج بلاده ، ويمكن أن يكون هذا صحيحا ومقبولا بالنسبة للكُماليات ولكن الواقع كان يشمل كل حوائج الشعب المصرى حتى الدواء الضرورى ، وحتى الأشياء التى لم تنتجها بلادنا مما تستلزمه حياة البيوت والناس ، كما كان يشمل قطع الغيار للسيارات والآلات ، فطالما وقفت سيارة وتعطلت آلة مهمة فى انتظار قطعة غيار ترد من الخارج بوسيلة أو بأخرى •

لقد كان عصرا شمعاره الحرمان ، وظهر الرجل الذى يملك المال ولكنه لا يملك أن يشتري به ضرورات الحياة ، فأصبح المال لا قيمة

له ، وكان هذا من أهدافه عبد الناصر ليرى العناء فى الناس ، كما رأى
هو العناء فى حياته الأولى •

وبينما كان الشعب يعانى من هذه الولايات كان السادة ينعمون بكل
صنوف الترف ، فطائرة على صبرى تصل محملة بكل وسائل المتعة ،
والضباط يتجهون إلى غزة — وكانت سوقا حرة ، وتحت إشراف مصر —
لا لشيء إلا (للتبضيع) وإحضار ما يحتاجه السادة ، وكانت حرب اليمن
وسيلة للجنود والضباط لشراء ما يريدون من أسواق اليمن ، وتأتى
بهم الطائرات إلى مطارات عسكرية ليست بها رقابة جمركية •

لو كان الانغلاق على الجميع لاحتمله الناس ، ولكنه كان فقط انغلاقا
على جماهير الشعب المحروم •

وإذا كان الانغلاق بهذا المعنى ذميمة وجائرا فإن الانفتاح الذى
أعلنه السادات كان خطيرا ، فلقد سمح للأبواب أن تفتح دون قيود ،
وللسلع الترفيحية أن تدخل البلاد ، ويشترت شئون الجمارك ، وفتحت
الأبواب كذلك للاستثمارات العربية ، والأجنبية لإقامة مشروعات بمصر ،
والتحق كثير من المصريين بالعمل بالخارج وأخرج أغنياء المصريين أموالهم من
تحت (البلاط) وكل هذا الثراء الجديد اتجه لسلع الترف التى امتلأت
بها الأسواق ، وتراجعت السلع المصرية التى لم يكن فى مقدورها منافسة
السلع المستوردة •

وهكذا بدل أن يتجه الانفتاح للإنتاج وخدمته وتوفير آلاته ،
وخدمة المصانع الزراعية والصناعية ، وخدمة السياحة ، بدلا من ذلك
اتجه الانفتاح للسلع الاستهلاكية بل للتافه منها ، فأصبح كارثة على
الاقتصاد القومى بدل أن يساعد هذا الاقتصاد ويفك أسرته ، وكانت

السلع في حالات كثيرة تافهة ، وكانت ترد من كل بقاع الأرض وكان الناس يتخطفونها لطول ما عانوا من حرمان ، وأحيانا كانت السلع دجاجا فاسدا أو ألبانا فاسدة ، وتدفع رشاوى باهظة للحصول على إذن بصلاحياتها وهى غير صالحة ، وهكذا أصبح الانفتاح ضارا بالأخلاق وبالصحة وبالاقتصاد جميعا .

الاستيراد بدون تحويل عملة :

ثم ابتكرت عقلية ذلك العصر موضوع الاستيراد بدون تحويل عملة ، وهى قضية تدعو للسخرية فالذى يريد أن يستورد بضاعة كان عليه أن يدبّر العملة الصعبة دون أن يطلب هذه العملة من البنوك المصرية ، وبسهولة جدا اتجه هؤلاء التجار إلى المصريين الذين يعملون بالخارج وهم طبعاً يأخذون مرتباتهم بالعملات الصعبة ، وأجروا معهم عملية استبدال ، فأخذوا مرتباتهم وأودعوا لهم بدلها نقودا مصرية ، ودخلت في ذلك عمليات الإغراء ، فاشتري التجار العملات الصعبة بأكثر من سعرها الرسمى ، فأصبح الموظف بالخارج بدل أن يرسل مدخراته إلى القاهرة يسلمها لهؤلاء التجار الذين يودعون له بمصر ما يتفق عليه من العملة المصرية .

وعلى هذا فنظام « الاستيراد بدون تحويل عملة » كان نظاما بعيدا عن الحكمة لأن التحويل ثم بعملة صعبة كانت سترد إلى الخزائن المصرية .

هل كان السادات يقصد بالانفتاح أن يحقق في مصر نظام الاقتصاد الحر تقرّبا من الولايات المتحدة والدول الغربية الذى اتجه السادات للانضواء تحت لوائها ؟

ربما كان ذلك ، ولكن النظام الذى أعلنه السادات كان قاصرا لأن الانفتاح السياسى لم يساير الانفتاح الاقتصادى ، ثم إن هذا الانفتاح

الاقتصادي فتح الباب لجماعة من المحرومين ، وجماعة من الانتهازيين ، فإذا بالانفتاح يصبح شديد الخطورة ، إذ لم يوضع الانفتاح في أيدي أمينة ، وإنما تلقفه الانتهازيون والمنحرفون •

وشمل الانفتاح نظام تشجيع الاستثمارات الأجنبية والإعفاء من الضرائب مدة عشر سنوات للشركات التي تظهر تبعاً للقانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ ، وأعلنت بور سعيد منطقة حرة ، وكان المقصود تشجيع الشركات الأجنبية على تصنيع منتجاتها فيها بهدف إعادة تصديرها إلى المناطق المحيطة بمصر لكن ما حدث فعلاً هو أن ٨٠٪ من البضائع التي دخلت الميناء وجدت طريقها إلى الأسواق المحلية (١) •

وأكثر من ذلك فإن بور سعيد حظيت بالقليل جداً من النشاط الصناعي ، وأصبح أكثر نشاطها تجارياً •

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل حقائق خطيرة إذ تشير الأرقام إلى أنه في ظل سياسة الانفتاح تم إنشاء ٥١٢ مشروعاً ، ومع ذلك فإن عدد العاملين في هذه المشروعات كلها لم يتجاوز ٢٨٠٠٠ عامل ، ولم تصدّر هذه المشروعات إلا منتجات قيمتها ٢٤ مليون جنيه في العام ، في حين إنها تستورد في العام من الخارج بما قيمته ٥٥٠ مليوناً من الجنيهاً (٢) •

آلاف المليونيرات :

وفي ظل هذا الانفتاح ظهر أغنياء جدد وصل ثراؤهم إلى المليونيات ، وأطلق عليهم آنذاك وصف « القبط السمان » أو « الأبقار السمان » وقد وصل عدد أصحاب الملايين في مصر في أواخر عهد السادات إلى ٢٠٠٠ مليونير ، في حين كانت الغالبية العظمى من المصريين لا تزال

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٢١٢ •

(٢) محمد حسنين هيكل : المرجع السابق ص ٢١٣ •

تعيش على الكفاف أو ما تحت الكفاف ، وفي سياق الحصول على المال ظهرت وسائل غير شريفة للوصول للثراء كالاتجار في المخدرات والتهريب والابتزاز والبطجة بالإضافة الى المتاجرة في العملة (١) .

ولم يستطع القطاع العام أن يواجه هذا الزحف الانفتاحى مما تسبب عنه تراكم السلع التى تنتجها شركات القطاع العام إذ أصبحت هذه السلع لا تنال المرواج أمام السلع المستوردة ومن أمثلة القطاع العام فى هذا المجال مصانع المحلّة الكبرى التى وجدت نفسها أمام طوفان من السلع المستوردة وكانت النتيجة أنه وُجِدَتْ لديها بضائع مخزونة تقدّر قيمتها بحوالى ١٠٠٠ مليون جنيه (٢) .

قوانين الإسكان الجائرة ونتائجها :

وفي ظل المال الوفير الذى ظهر به مصر عقب هجرات المصريين للعمل بالخارج وبخاصة فى الدول العربية ، وبسبب حاجة هؤلاء إلى المساكن لينشئوا بها حياتهم ، بعد أن اختفت العمارات النفايدية بسبب قوانين الإسكان الجائرة والتى لا نظير لها فى أى قطر آخر ، فقد اتجه المستثمرون إلى إقامة العمارات لبيع شققها للمحتاجين للسكنى من الشباب ، وهكذا انتهت هذه العمارات أكثر مدخرات هؤلاء المصريين فأصبح الشاب المصرى يفترب ويعانى هشاق الغربة والجهد عدة سنوات اينال فى النهاية شقة يسكن بها ، ولا يعنى تملكها أنه معنى من دفع المبالغ الشهرية ، بل إن هذه العمارات تحتاج إلى حراسة ورعاية فالتزم كل ساكن أن يدفع كل شهر مبلغا أكثر مما كان يمكن أن يدفعه إيجارا لشقة فى العهود الماضية ، وهذا على فرض أنه يتسلم شقته من المستثمرين ، ولكن الواقع يقرر أنه فى حالات كثيرة باع المستثمرون كل

(١) جمال سليم : ديكتاتورية السادات ص ١٧ .

(٢) هيكىل : المرجع السابق : ص ٢١٤ .

شقة لأكثر من مشترٍ ، وعندما جاء المشتري ليتسلم شقته لم يجد الا عقدا ورقيًا لم يَفْتَحْ له باب شقة ولم يضمن له مسكنًا .

شركات توظيف الالهوال :

ومن جنائيات هذا الانفتاح كذلك أن بعض العمال لعبت بهم الأطماع فأودعوا مدخراتهم في شركات أقيمت في هذا العصر باسم « شركات توظيف الأموال » وتبين فيما بعد أن قلة قليلة من هذه الشركات هي التي قامت على أسس سليمة وضمنت لأصحاب المدخرات أموالهم وأرباحهم ، وللأسف فإن الحكومة أجازت قيام هذه الشركات ، وقامت وسائل الإعلام الحكومية بالدعاية لها بشكل يؤكد سلامة هذه الشركات فسقط الشعب خديعة للشركات ولتأييد الحكومة .

وكانت هذه الشركات تخذع الجمهور بتقديم أرباح خيالية ، ولم تكن هذه أرباحا حقيقية ، بل كانت في الحق أموال المودعين الجدد تعطى للطامعين القدامى ، وكان ذلك يغرى الكثيرين بعدم سحب أموالهم بل بعدم سحب أرباحها طمعا في ربح أكثر بضم الأرباح الى رؤوس الأموال ، وفي خطاب القاه وزير الداخلية اللواء زكى بدر في أول أغسطس سنة ١٩٨٩ ونشرته الصحف المصرية يقول سيادته إن المشرفين على شركات توظيف الأموال نصابون حتى أولئك الذين وفَّقوا أوضاعهم تبعا للقانون الجديد ، فالكل نصابون وعوض أصحاب الأموال على الله .

وإذا صح هذا فإنها كارثة تقع على مئات الآلاف من المصريين الذين وقعوا فريسة للشركات ولتأييد الحكومات المتتابعة لها .

والعجيب أن القطاع العام لم ينل أى اهتمام من السادات وظل مسرحا للخسائر والاضطرابات وكان المفروض أن يكون وسيلة من وسائل التطور ، ومقاومة الاحتكارات ، ويقول المطلعون إن القطاع العام لم ينجح في شيء قدر نجاحه في أن يخلق وظائف للمحاسبين والأقارب والأصهار .

بقى في ميزان الحيدة أن نذكر رأى السيدة جيهان السادات في هذا الانفتاح ، تقول هذه السيدة :

لقد أدرك أنور أن هناك حاجة ماسة لمعالجة الوضع الاقتصادى في مصر ، وكان على أهبة الاستعداد للدخول بقوة في مشاكلنا الاقتصادية كما فعل في مشاكلنا العسكرية ، فقد قام في عام ١٩٧٤ بالابتعاد الجذرى عن سياسات عبد الناصر الانعزالية بأن أعلن سياسة اقتصادية جديدة عرفت بسياسة الانفتاح ، ونتيجة لهذه السياسة بدأت حركة السياحة من الغرب وأوروبا في الازدهار ، ووُجدت للمصريين وظائف شاغرة إذ فتحت مصر ولأول مرة أبوابها للمستثمرين الأجانب الذين ساهموا مع رجال الأعمال المصريين في أعمال مشتركة كبناء المصانع الجديدة والبنوك والفنادق الفخمة وكان المصريون يقومون بإنتاج الغسالات وأجهزة التليفزيون والاستريو ، بل صنعوا سيارات فيات بمصر (١) .

وكلام هذه السيدة فيه القليل من الحق من جانب وفيه الكثير من المبالغات من جانب آخر ، فالثورة لم تفتح للمصريين أن ينتجوا الغسالات أو التليفزيونات أو السيارات ، وكل ما كانوا ولا يزالون يقومون به هو تركيب هذه الأشياء من أجزاء تَـرَدُّ لهم من الخارج ، وإذا عجزت مصر عن استيراد هذه الأجزاء توقفت المصانع تماما فترة من الزمن تطول أو تقصر حتى تَـرَدُّ هذه الأجزاء .

المثالية والواقع :

وإحقاقا للحق نذكر أن سياسة الانفتاح وضعت لها في الأصل ضوابط دقيقة لحماية الاقتصاد المصرى والإنتاج المحلى ، وكان من ذلك أن يضيف المشروع زيادة حقيقية للدخل القومى ، وأن يكون على مستوى عالمى من التكنولوجيا ، وأن تُـمَنَح أولوية للمشروعات التى توفر المواد

الغذائية ، وأن تستخدمَ هذه المشروعات الأيدي العاملة المحلية وأن
تدربها على المهارات الجديدة •

ولكن هذه الضوابط أهملت للأسف الشديد •

نماذج من لصوص الانفتاح :

برز من لصوص الانفتاح أعداد هائلة ، بعضهم من عامة الناس ،
وبعضهم ينتمون إلى طبقة السادة ، ولسنا نستطيع حصرهم لكثرتهم
ولحصانة بعضهم ، ولذلك نكتفى بأن نتكلم كلمة قصيرة عن نموذجين
صدرت أحكام قضائية ضدهما هما رشاد عثمان وفكرى عازر :

رشاد عثمان :

كان السادات يوصيه بالاسكندرية ، فكان هذا الرجل في نظر
السادات راعيا أميناً لجوهر البحر المتوسط •

من هو رشاد عثمان ؟

نازح من قنا في صعيد مصر سنة ١٩٧٠ للبحث عن عمل ، اشتغل
بالميناء بأجر يومي قدره ٣٠ قرشا ، ثم وجد تراحم البواخر على الميناء
حاملة السلع الاستهلاكية ، وشديدة الحرص على تفريغ حمولتها ، فبدأ
يعمل بمساعدة آخرين لحجز مكان على الرصيف للباخرة التي تتصل
به نظير رشوة كبيرة يقتسمها مع أصحاب النفوذ ، وأصبحت البواخر
تتهافت عليه لتيسير وصولها للرصيف ، وكوّن مجموعة من البلطجية
لمساعدته •

ثم خطا خطوة واسعة لاستيراد السجاير والخشب •

وانضم للحزب الوطنى بماله وجاهه فزاد جاهه ، وزاد ماله ، وعمق
اتصاله بالمسؤولين فأتاح ذلك له أن يستولى على أرض واسعة للدولة
دون أن يتعرض له أحد •

إنه نموذج للكثيرين من أمثاله الذين وصلت لهم العدالة أو لم تصل •

فكرى عازر يجمع من الرشاوى ثروة طائلة :

وفي مواجهة الانفتاح ورغبة في تيسير أمور المستثمرين ظهرت الرشاوى ، ثم اتسع نطاق الرشاوى فأصبحت الرشوة وسيلة مهمة لقضاء الحاجات ، ونقدم مثلا واحدا من آلاف الأمثلة على هذا الوباء الذى امتد من زمن الى زمن ، فقد نشرت صحافة القاهرة الصادرة فى ١٩/٥/١٩٨٩ ما يلى :

قضت محكمة جنايات الاسكندرية أمس بمعاقبة رئيس قطاع بدرجة وكيل وزارة بشركة البتروكيماويات المصرية بالسجن ٣ سنوات ومصادرة أمواله التى تبلغ مليوناً و ٦٠٠ ألف جنيه ، و ٢٤ ألف دولار أمريكى وألف جنيه استرلينى والزامه برد مثل هذا المبلغ للدولة وذلك لاثامه بالكسب غير المشروع •

وكان أحد المقاولين المتعاملين مع الشركة التى يعمل بها المتهم فكرى عازر قد أبلغ الرقابة الادارية بحصول المتهم منه على سلسلة ذهبية قيمتها حوالى ٣٠٠ جنيه كرشوة لانهاء بعض مصالحه بشركة البتروكيماويات • وبعد استئذان النيابة تم تفتيش مسكن المتهم وكانت مفاجأة لرجال الرقابة الادارية حيث عثروا على عدة صناديق صابون بحجرة نوم المتهم مملوءة عن آخرها بالنقود وبلغ مقدارها مليون جنيه مصرى و عملات أجنبية أخرى بلغت ٢٤ ألف دولار وألف جنيه استرلينى وستون ساعة يد وحائط مختلفة الأنواع وعدد كبير من الآلات الحاسبة والأقلام الثمينة وكمية من الجنيئات الذهبية وبعض الهدايا الثمينة الأخرى ، وبتفتيش خزائنه بأحد البنوك عثر على السلسلة الذهبية التى حصل عليها كرشوة وبعض المصوغات الذهبية التى قدرت قيمتها بـ ٥٧ ألف جنيه •

وتم اخطار ادارة الكسب غير المشروع فأمر رئيسها بالتحفظ على تلك الأموال وتولت ادارة الكسب غير المشروع التحقيق فظهر أن تضخم ثروة المتهم وزيادتها هذه الزيادة الطارئة حصل بسبب استغلال وظيفته ، وهذه الزيادة لا تتناسب مع موارده وعجزه عن اثبات مصدر مشروع لها وهي تشمل المبالغ المضبوطة بالاضافة إلى امتلاكه ٧ شقق بالاسكندرية وفيلتين بالعجمي وكنج مريوط و٦ سيارات خاصة وكمية من المصوغات الذهبية وعدد من أجهزة الفيديو وبعض الهدايا الأخرى وتم حبس المتهم وأحيل إلى محكمة جنايات الاسكندرية التي أصدرت الحكم السابق وقد صدر الحكم برئاسة المستشار ابراهيم السعدنى وعضوية المستشارين مسعد عبد الله ومحمدى عبد المجيد وأمانة سر عبد الحافظ بكر •

لقد كان الانفتاح نعمة لو اتَّجه للإنتاج الزراعى والصناعى والسياحى ... ، وجلب الآلات اللازمة ووضعها فى أيدي أمينة ، أما الانفتاح الذى شهدناه فقد اتجه لجانب الاستهلاك فسلب أموال المصريين ودفعها إلى ما لا فائدة فيه ، أو ما قلَّت فائدته ، ثم عمل هذا الانفتاح الاستهلاكى على مقاومة المنتجات المحلية التى لم تقو على منافسة المستورد ، أو أن ذهن المصريين كان قد اتجه لإجلال كل شئ مستورد بسبب ما عانوا من انغلاق قانس فى عهد عبد الناصر •

وقد أمسكت العدالة ببعض الذين نعموا بالمال الحرام ، وهناك كثيرون أفلتوا من عين العدالة ، ولكنهم على كل حال لن يفلتوا من عين الله جل وعلا ، وسيظل هؤلاء يعانون القلق فى الدنيا ثم ينقلبون إلى الله فينالون سوء المصير •

التشجيع على الهجرة

ارتبط بعصر الانفتاح سياسة تهجير العمالة إلى الخارج فتدفَّق المصريون على السفر إلى خارج البلاد فرارا من السجن الذى عاشوا

فيه طيلة عصر عبد الناصر من جانب ، ورغبة في الحصول على المرتبات المجزية من جانب آخر •

وكانت الهجرة تنقسم قسمين ، قسم هاجر للعمل مؤقتا بالخارج على نية العودة من حين إلى آخر لقضاء إجازة ، ثم العودة النهائية بعد حين ، والقسم الثانى أولئك الذين هاجروا بنية البقاء خارج البلاد ، وإذا كان القسم الأول قد اتجه غالبا إلى البلاد العربية ، فإن القسم الثانى اتجه إلى استراليا وكندا وأحيانا إلى الولايات المتحدة وأوربا •

ومما يلاحظ أن الذين هاجروا للعمل المؤقت لم توجه لهم رعاية كافية ، وقابلوا في مغتربهم منافسات ومضايقات كثيرة ، ولكنهم احتملوا من أجل لقمة العيش ، ولم تنشأ وزارة الهجرة إلا بعد مدى طويل ، وحتى بعد إنشائها لم تقم بدورها كاملا كما ينبغي أن تقوم •

ويرى بعض الباحثين أن الحكومة أسرفت في السماح للعمالة الفنية بالهجرة من أجل المال ، فالمال — كما يقولون — يمكن الحصول عليه من مصادر كثيرة ، أما العقول والسواعد فلا يمكن الحصول عليها من أى مصدر ، ولقد كان تحت يد الحكومة المصرية في بعض المناسبات مساعدات وقروض بلغت المليارات من الدولارات ومع ذلك لم تستطع استخدامها في المشروعات الاستثمارية ، وكان ذلك لأسباب كثيرة على رأسها اختناقات العملة ، وندرة القدرات الفنية والمهارات اليدوية (١) •

وبالإضافة إلى العمالة الفنية جذبت هذه الهجرة عشرات الآلاف ، أو مئات الآلاف من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات ، وقد انتشر هؤلاء بعلمهم وخبراتهم في ربوع الوطن العربى كله ، فساعدوا مساعدات واضحة في التطور الذى كان ضروريا لهذه البلاد ، بعد ارتفاع أسعار البترول وتطلع الشعوب العربية إلى حياة أفضل •

(١) دكتور ابراهيم دسوقي أباطة : ص ٨٣ •

ومع ما فى هذه الهجرة من فوائد مادية ، فقد نتج عنها فى كثير من الحالات أضرار اجتماعية عميقة ، فإذا سافر الأب للعمل وترك زوجته وأولاده ، وأندق عليهم من المال ليهوئهم حرماتهم من الحياة معه ، فإن المال لم يكن أبدا حاميا لهذه الأسر من الانحراف ، فالوحشة التى بالزوجة والأولاد ، ووجود المال فى يد الأولاد مع انعدام رقابة الأب كان فى كثير من الأحوال سببا فى الانحراف والفجوة ، هذا ولا ننسى أن الأب الذى يعيش بعيدا عن أسرته عدة سنوات تتعدم الصلاة النفسية والاجتماعية بينه وبين أسرته ، وتتمزق نفسه ، وقد يجذبه هذا إلى انحراف من نوع ما . وعلى ذلك فلم يكن المال خيرا كله ، بل كثيرا ما عالج مشكلة وخلق مشكلة أخرى .

أما الهجرة الأخرى « الاستيطانية » فقد اتجهت كما قلنا إلى المحيط الغربى بأمريكا أو أوروبا أو استراليا ، وكان من هؤلاء المهاجرين عدد كبير من الأقباط المصريين ، وللأسف الشديد نسي بعض المصريين بالخارج علاقاتهم الوطنية ، وتشبهوا بعلاقات دينية ، فقام نزاع ومنافسات بين المسلمين والأقباط هناك ، وعيَّنت الكنيسة المصرية بعض الأساقفة للخدمات ، وكان من أبرز هؤلاء الأنبا صموئيل أسقف الخدمات الذى استطاع أن يوجد وظائف كبيرة لكثيرين من الأقباط فى البنوك الأجنبية والشركات الأجنبية فى الخارج أو التى فتحت لها فروعا بمصر ، وكان هذا الرجل واسع النشاط بارز الكفاءة ، وموضع ثقة من كل الأقباط والمسيحيين بوجه عام ، وعندما قتل الانبا صموئيل مع الرئيس السادات فى حادث المنصة يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ ظهر أن هناك حسابا باسمه فى أحد البنوك السويسرية مقداره ١١ مليون جنيه استرلينى ، وهو ما يعادل ٣٠ مليون دولار تقريبا وكان هناك فى نفس الوقت اقرار من الأنبا صموئيل يحدد أن هذه الأموال أموال الكنيسة ، ولا حق فيها لأحد غيرها ، وبالفعل فقد كانت هذه كلها تبرعات واعتمادات ، وضعت

تحت تصرفه بوصفه أسقفا للخدمات مسئولا عن العلاقات الدولية للكنيسة (١) .

وفيما يتعلق بهذه الهجرة الاستيطانية والمنافسات بين المسلمين والأقباط في بلاد المهجر فإننى أحب ألا أسير في عرض هذه المنافسات وظروفها ونتائجها رغبة في الحفاظ على الوطن الذى يضم الجميع ، والذى لا يمكن أن يستغنى عنه المسلم أو القبطى مهما طال بعده عنه . فلوطن حنين لا يهدأ ، وبالوطن جذور لا تموت ، وبه أهل لهؤلاء وأولئك أقاموا ولم يهاجروا .

ولكن شيئا واحدا أريد أن أتحدث عنه ، فالمهاجرون من مصر أناس شرقيون على كل حال ، لهم تقاليد وعادات لا يمكن إهمالها ، وقد نما في الغربية أبناؤهم وبناتهم ، وأوشكت تقاليد الغربية أن تطغى على التقاليد الشرقية ، فالاختلاط الشائع في بلاد الغرب بدأ يمد جذوره إلى المهاجرين المصريين ، وربما أوشكت فتاة مسلمة أن تقع في هوى فتى غير مسلم ، وهذا وذاك لم يخلق الاستقرار للأسر المهاجرة وبخاصة للأسر المسلمة ، وكان واضحا كذلك أن الدراسات الإسلامية والعربية التى تتقدم للنشء الإسلامى بهذه البلاد ضئيلة وغير كافية ، ونتيجة لكل ذلك عادت بعض الأسر المصرية إلى الوطن مضحية بالثراء من أجل الاستقرار والحفاظ على الآداب والقيم .

إلغاء زيارة بريجنيف لمصر

كانت قد حددت سنة ١٩٧٤ موعدا لزيارة الرئيس بريجنيف رئيس الاتحاد السوفيتى لمصر ، ولكن اندفاع السادات نحو الولايات المتحدة وأوروبا ، وسياسة الانفتاح باعدت بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، ونتيجة لذلك ألغيت زيارة بريجنيف لمصر .

أحداث سنة ١٩٧٥

شهدت سنة ١٩٧٥ مجموعة رائعة من نتائج حرب أكتوبر فإن الرئيس السادات وقّع اتفاقية فك الاشتباك الأول في مطلع عام ١٩٧٤ كما ذكرنا من قبل ، وقد ضمنت هذه الاتفاقية لمصر السيطرة الكاملة على ضفتي القناة ومنذ ذلك الحين بدأت جهود مصر تعمل في ميدانين مهمين :

- الميدان الأول : تعمير مدن القناة ، وإعادة المهجرين إلى أوطانهم
- الميدان الثاني : تطهير قناة السويس لتعود صالحة للملاحة الدولية

وكان العاملان يفيضان اتجاه مصر للسلام ، إذ ليس هناك معنى لتعمير مدن القناة لو كانت مصر تتجه لحرب جديدة ، وقد قدّرت الدول لمصر هذا الاتجاه ، فساعدت مساعدات واسعة في إنجاح هذين الميدانين .

وكانت المساعدة في الميدان الأول وهو ميدان التعمير خصبة وسخية من العالم العربي ، وقد قدمت المملكة العربية السعودية ودولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة فيضا سخيا من المساعدات التي جعلت إعادة تعمير مدن القناة ميسورة وسريعة ، وتقديرا لهذه الجهود سميت بعض مناطق المدن المعمّرة بأسماء زعماء هذه البلاد فظهرت مدينة فيصل ومدينة الصباح ومدينة الشيخ زايد .

أما تطهير قناة السويس وإعدادها للملاحة الدولية فقد اشترك فيه مع الفنيين المصريين كل الخبرات العالمية لإزالة كل معوقات الملاحة البحرية في مجرى القناة ولا يمكن أن ينسى الباحث ما قدمته اليابان والولايات المتحدة وانجلترا من جهود جبارة في هذا الميدان ، لقد وفدت إلى ساحة القناة ، أخطر الآلات العملاقة وأعظم المهندسين العالميين ، وكان تكتل الجهود داعيا لسرعة النجاح في تطهير القناة وإعدادها للملاحة الدولية لتستأنف نشاطها في خدمة الإنسان في كل مكان والاقتصاد العالمي لكل الدول .

وكان إقدام السادات على تعمير مدن القناة ، وتطهير القناة

وإعدادها للملاحاة الدولية عاملى ضغط على إسرائيل ، فقد أحسست أن مصر صادقة فى مسيرتها نحو السلام ، فحدث ما سُمى فك الاشتباك الثانى ، أى عودة القوات الإسرائيلية إلى خلف المضائق كما ذكرنا من قبل ، وذلك حتى تكون القناة فى مأمن من أى عدوان ، وحتى يعبرها الناس وهم فى أمان واطمئنان •

وانتهت عقليّة السادات إلى جعل يوم ٥ يونيو سنة ١٩٧٥ موعداً لافتتاح القناة ، وتم ذلك فى مهرجان كبير ، والسادات بذلك يهدم جرحاً فى قلوب المصريين ، إذ كان هذا الجرح يؤلمهم كلما جاء اليوم الحزين يوم الخامس من يونيو ، فرأى أنور السادات أن يضع ابتسامة على أفواه المصريين فى هذا اليوم لعلمها تكفكف آلامهم •

ولم يقنع السادات بافتتاح قناة السويس ، بل عمل على تطوير القناة وتعميقها ، وجعلها مزدوجة فى بعض أجزائها ، وكل هذا كان تحسيناً للخدمة فيها ، رفع طاقتها إلى درجة كبيرة •

نهاية الملك فيصل

من الحق أن نذكر أن الملك فيصل كان له دور فريد فى حرب رمضان وقد بدأ هذا الدور قبل اندلاع المعركة فقد صرح الرئيس أنور السادات بأنه عرض على الملك فيصل قبل المعركة بفترة نية مصر نحو بدء الصراع ضد إسرائيل ودعا الملك فيصل لمصر بالتوفيق ، ووعده بكل التأييد فى كل المجالات وكان له شرط واحد أن تكون المعركة طويلة فطولها فرصة للثقة والجدية وبالتالي للتجمع العربى والتضامن ، ووعده أنور السادات بذلك •

ومع بدء المعركة وصلت برقية إلى الرئيس السادات من الملك فيصل يقول « نؤكد لكم بأننا إلى جانبكم بجميع إمكانياتنا داعين للجيش المصرى المظفر بالنصر والتأييد » •

ودارت المعركة ووقف الرجل عملاقا هائلا كأنه في غرفة العمليات الحربية ، ويقول عنه الرئيس السادات :

« إن كل ما صدر بعد ذلك عن قضية البترول ، وعن مدّ مصر بكل ما تحتاج إليه ، وعن الوقوف الصلب في المحيط الدولي ، وعن الدعم للتضامن العربى ، كل ذلك صدر من الملك فيصل دون أن يطلب أحد منه شيئا » .

وعلى هذا فسيظل التاريخ يذكر للرجل دوره الكبير في المعركة الناجحة .

ومن الواضح أن صدى قطع البترول عن أمريكا كان عنيقا للغاية فلقد أحس كل بيت وكل مصنع بهذه الصدمة الشديدة ، وانطلقت ألوان من التهديدات المثيرة ، ولكن الرجل كان أصلب عودا ، وكان كالجبل الأثمن فلم تتل منه هذه الترهات منالا ، وتراجعت التهديدات من تلقاء نفسها ، وسحبها أولئك الذين ظنوا أن صداها سيكون له تأثير على نفس الملك ، مع العلم أن الملك لم يقل شيئا يردّ به على هذه التهديدات ، ولكن صمته كان أبلغ من كل كلام ، فالذين هددوا توقفوا عن التهديد ثم سحبوا هذا الشعار الزائف وتراجعوا ثم سلكوا الطريق الذى يرضى الصف العربى الذى نال بالملك فيصل قوة وثباتا وجلالا .

ولم يكن قرار فيصل عن البترول وليد انفعالات صاحبت المعارك العسكرية وإنما جاء تنفيذا لحكمة وحساب دقيق ، ومن أجل هذا اجتمعت حول هذا القرار كلمة جميع الدول العربية المنتجة للبترول ، وكانت معركة البترول نموذجا لاستخدام الحكمة والدهاء والمرونة ، التى هزت أنماط التفكير الغربى من أساسه ، فبدأ يعيد الحسابات فى مواقفه نحو العالم العربى وكانت النتائج مذهلة :

(م ٢٥ - التاريخ الاسلامى)

- تحركت دول أوروبا الغربية لتتصدّر قرارا جماعيا تطالب فيه بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها •
- تخلت اليابان عن حيادها وأعلنت انحيازها وإيمانها بالقضية العربية ، وبدأت تشارك بصورة فعّالة في عمليات تنمية الدول العربية •
- ثم تحركت الولايات المتحدة وبدأت تبحث عن حل للأزمة الشرق الأوسط بعد انحيازها كامل دام أكثر من ربع قرن نحو ربيبتها المدللة إسرائيل •
- وانتهت إلى الأبد حالة اللاحرب واللاسلم وشرع كيسانجر في رحلاته المتصلة لنزع الفتيل من الأرض المشتعلة المهددة بالانفجار •
- أفاق العالم بأسره من غيبوبة اللامبالاة ، ومن اعتناق أسطورة الدولة المسالمة التي يريد العرب إلقاءها في البحر •

وهذا الرجل الذي رفع شأن بلاده وأعز شأنها وأيّد المعركة قبل أن تقوم ودعّمها وهي مشتعلة ، وناصرها بحزم بعد أن توقفت ، سقط شهيدا في لحظة كان العالم العربي والعالم الإسلامي بحاجة شديدة إليه ، وكان موته غدرا بيد ابن أخيه المسمى فيصل بن مساعد بن عبد العزيز وقد أطلق عليه هذا الشاب الرصاص وهو يتظاهر بأنه يريد أن يقدم له التحية ، وفي لحظة سريعة أفرغ في جسد الملك رصاص مسدسه وسقط الرجل العظيم شهيدا في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ (٢٥ مارس ١٩٧٥) وأحدث نبأ اغتيال الملك فيصل دويا هائلا في العالم كله بوجه عام ، وفي العالم الإسلامي والعربي بوجه خاص وكان الشاب القاتل قد عاد حديثا من أمريكا ولا نستبعد أن يكون قد تأثر بالحنق الذي يذيعه الصهاينة وعملاؤهم ضد الملك الراحل ، فأقبل الشاب على فعلته الطائشة لهذا السبب أو لسواه ، وقد قيل عقب الحادث إن الشاب مختل العقل ، ولكن سرعان ما أثبت الأطباء أنه عاقل مسئول عما فعل ، وبناء على ذلك قدم الشاب للمحاكمة وقد استغرقت

محاكمته عدة أشهر ولما سئل أحد أولاد الملك الراحل عن القصاص قال : وماذا يجدى القصاص من ذلك الشاب بعد أن قضى بفعلته الشنعاء على رجل كان العالم الاسلامى يتطلع إليه ويرقب فضله ، ولكن القصاص على كل حال يحمى الأحياء من مثل هذا التصرف الإجرامى وهو المعنى الذى تشير إليه الآية الكريمة « ولكم فى القصاص حياة » •

وفى صبيحة يوم ١٨ يونية سنة ١٩٧٥ صدر حكم المحكمة الشرعية بإعدام القاتل الأثيم وتم تنفيذ الحكم فى نفس اليوم وصدر بذلك بيان رسمى يقول :

تمّ تنفيذ الإعدام فى المجرم القاتل بناء على حكم أصدرته صباح اليوم المحكمة الشرعية العليا لارتكابه جريمة قتل فقيده الأمة العربية والإسلامية المغفور له الملك فيصل ، وكان جلالة الملك خالد بن عبد العزيز قد صدق على الحكم فور صدوره وأمر بتنفيذه عقب صلاة العصر •

وقال الراديو نقلا عن بيان للقصر الملكى إن القاتل اعترف خلال محاكمته بأنه قتل الملك لكى يضع حدا للإسلام ، وأن جريمته هى جزء من أهدافه لمحاربته هذا الدين ، لعن الله هذا القاتل الأثيم ورحم الله الفقيد وأتابه على ما قدمه لبلاده وللعالم العربى والإسلامى من جهد وهون (١) •

أخبار سنة ١٩٧٦

أحداث لهذا العام ذكرناها من قبل :

في سنة ١٩٧٦ حدثت أحداث مهمة ذكرنا بعضها فيما سبق ، كقصة المنابر والأحزاب مما ترتب على ورقة أكتوبر التي تحدثنا عنها ضمن أحداث سنة ١٩٧٤ ونواصل الآن تسجيل أحداث أخرى خلال هذا العام .

إلغاء المعاهدة مع السوفييت وأسبابه :

على أن أهم أحداث هذا العام كان إلغاء المعاهدة مع السوفييت التي كانت قد عقدت في ٢٧/٥/١٩٧١ ، ولم يكن إلغاء المعاهدة شيئاً مفاجئاً ، فقد كانت المقدمات البعيدة والقريبة توحى به ، فالقضاء على أعوان السوفييت في حركة مايو سنة ١٩٧١ وطرد الخبراء الروس في يوليو سنة ١٩٧٢ ، وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ودول الغرب عقب حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وإلغاء زيارة بريجنيف لمصر سنة ١٩٧٤ وسياسة الانفتاح التي بدأت سنة ١٩٧٤ واستمرت عقب ذلك وما صاحبها من مظاهر الديمقراطية والأحزاب ٠٠٠٠ كل هذا كان يمهد لإلغاء المعاهدة مع السوفييت ، وكان واضحاً لذلك أن إلغاء هذه المعاهدة ليس إلا مسألة اختيار الوقت المناسب لإعلان الإلغاء .

ويقرر محمد ابراهيم كامل أن السادات كان يشعر أن الاتحاد السوفيتي يعاديه شخصياً منذ بداية عهده ، فقد كان السوفييت يأملون أن يجيء على صبرى خلفاً لعبد الناصر ، إذ كان لعلى صبرى علاقات تفاهم بالاتحاد السوفيتي ، فلما آل الأمر للسادات بدأ العداء بين السادات والاتحاد السوفيتي ، ويذكر محمد ابراهيم كامل وزير خارجية السادات أن السادات أخبره بهذا الإحساس عدة مرات (١) .

ونعود بعد ذلك لنعدد الأسباب ونشرح الظروف التي دفعت

(١) السلام الضائع في كامب ديفيد ص ٦٧ .

السادات لإصدار قرارٍ بإلغاء المعاهدة مع السوفييت ، تلك المعاهدة التي كانت تحقق لهم في مصر مكانا ممتازا •

ومن تتبعنا للدراسات السياسية والعسكرية للفترة السابقة على إلغاء المعاهدة يتضح لنا الآتى :

كانت المملكة العربية السعودية حريصة على أن تخفف من تعميق صلتها بالسوفييت ، ولذلك فعندما تأخر الاتحاد السوفيتي في إرسال الأسلحة التي كانت لازمة لمصر في مطلع ١٩٧٢ تلقى الرئيس السادات من الملك فيصل هدية هي « ٢٠ قاذفة — مقاتلة » أملا أن يستحث ذلك الآخرين على تدبير احتياجات مصر ، ويقول محمد حافظ اسماعيل : إن ذلك جعل الاتجاه للتسليح الغربى يتخذ مسارا عمليا ، وكان من الطبيعى أن يشجع على استرخاء الارتباط بالسوفييت (١) •

وصارح الرئيس السادات زعماء السوفييت بأن علاقات ضباطنا بمستشاريهم ليست طيبة نتيجة طول فترة الاستعداد ، وطالبَ باستكمال احتياجاتنا من الذخائر ، وعرض استعدادنا لدفع الثمن بالعملة الصعبة •

ولعل عرض مصر استعدادها لدفع الثمن بالعملة الصعبة كان نوعا من المداعبة أو قل التظاهر بالقدرة ، ولكن السوفييت أخذوا المسألة مأخذ الجد فطالبوا بالثمن فورا على أن يكون بالعملة الصعبة ، وإزاء ذلك طلب الرئيس المصرى أن تُسحب القوات السوفيتية من مصر حتى تُستغل نفقاتها التي تدفع بالعملة الصعبة لتقدم سدادا لثمن المعدات المطلوبة •

واتفقت روسيا مع أمريكا على ما يسمى « تأمين الاسترخاء » بالشرق الأوسط ، وكان في ذلك إساءة لمصر من حليفها روسيا •

ولوحث أمريكا بأن مصر طالما استمرت اعتمادها على المعاهدة مع السوفييت فسيفل الدافع الأمريكي لتحقيق تسوية •

وقامت حرب أكتوبر التي تدخلت فيها أمريكا تدخلًا مباشرًا ، وتعرفت على الثغرة ودفعت إسرائيل لها ، وحمت إسرائيل فلم ترغبها على الانسحاب إلى مواقع يوم ٢٢ أكتوبر وهو موعد إيقاف إطلاق النيران ••••• ويقول محمد حافظ اسماعيل ، إنه ابتداء من ذلك اليوم تؤكد هيمنة الولايات المتحدة السياسية والعسكرية على قضية الشرق الأوسط ، وإنه من هنا والأعوام قادمة ستظل الولايات المتحدة هي المهيمنة على مسار الأحداث بالمنطقة (١) •

وفي فك الاشتباك الأول والثاني لم يكن للاتحاد السوفيتي أي دور مما جعل روسيا تعلن ضيقها ، وأنها ضد أن تقوم اتصالات بين مصر وإسرائيل عن طريق أمريكا دون اشتراك الاتحاد السوفيتي •

ووصلت المسألة قمة سوء العلاقة في أكتوبر سنة ١٩٧٦ ، فقد أرسلت الحكومة السوفيتية رسالة للحكومة المصرية حول ما أسمته تصريحات رسمية وصحفية تتسم بروح معادية للاتحاد السوفيتي دون أن يتصدى لها الرسميون ، وتتناقض مع روح معاهدة الصداقة والتعاون ، وتؤثر على العلاقات وتكوهت هذه الرسالة بالعون العسكري الضخم الذي قدمه الاتحاد السوفيتي بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٧٣ والذي يشمل ٣٠٠٠ دبابة و ٨٠٠٠ مدفع و ١٣٠٠ طائرة وكان ذلك بنصف ثمنها •

ويلاحظ أن هذا العناد ضاع قسم كبير منه في الحربين الخاسرتين سنتي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فما كان للاتحاد السوفيتي أن يهنئ بذلك على مصر ، فهذا القدر الذي ضاع كان في عهد عبد الناصر الذي فتح أبواب الشرق

الأوسط للاتحاد السوفيتى ، ومهما دفع السوفييت لذلك فلن يقدموا الجزاء المناسب •

وفى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفيتى الخامس والعشرين سنة ١٩٧٦ تناول بريجنيف العلاقات مع دول الشرق الأوسط فلم يهاجم إسرائيل كالعادة ، بل أعلن استعداد بلاده لتطوير علاقات الاتحاد السوفيتى مع جميع بلدان المنطقة •

وجاء دور مصر سريعا فى خطاب للرئيس بمجلس الشعب حول العلاقات المصرية السوفيتية ، وبناء على اقتراحه اتخذ المجلس قرارا بإنهاء معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة بين البلدين سنة ١٩٧١ وعملت « تاس » فى بيانها بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٩٧٦ بأن هذا الإجراء دليل جديد على السياسة غير الصديقة التى يتبعها الرئيس السادات تجاه الاتحاد السوفيتى منذ فترة طويلة ، وأنه بهذا وضع نهاية قانونية للمعاهدة التى كانت فى حالة شلل فعلى •

هذا وينبغى أن نذكر أن دعامة مهمة من دعائم الاتحاد السوفيتى بمصر كانت قد انهارت من وقت مبكر ، فمع انسحاب الخبراء الروس من مصر رأى الرئيس إعفاء الدكتور مراد غالب من منصب وزير الخارجية وأسند هذا المنصب الى الدكتور محمد حسن الزيات ، وكان هذا التغيير يخفى معنى واضحا ، فقد اختفى عنصر مهم من عناصر الود مع الاتحاد السوفيتى •

بين نارين ؟

ما موقف المصريين من إلغاء المعاهدة مع السوفييت ؟

الحق أن الشعب المصرى لم يحس أبدا بعلاقة وثيقة مع الاتحاد السوفيتى ، والقضية الدينية عقبة بين المسلمين والسوفييت ، وإذا

كان الإسلام حرّم على المسلم أن يتزوج مشركة أو لا دينية لبعد الشقّة بين الاثنين ، فإنّ المسالمين كذلك يحسون ببعد الشقّة بينهم وبين الاتجاه إلحادى عند السوفيين ، وقد لا يعرف كثيرون أنّ السوفييت ظلّوا وثنيين حتى نهاية القرن العاشر الميلادى أى بعد ظهور السيد المسيح بحوالى ألف سنة ، وبعد ظهور الإسلام بحوالى أربعة قرون ، وظلّ الأباطرة متمسكين بعبادة الأصنام حتى عهد فلاديمير الاسدى كحل من الوثنية فقرر اختيار دين سماوى سنة ٩٨٨ م وكان اختياره للارثوذكسية مبنيا على مظاهرها وزخارفها وليس على معتقداتها (١) .

ومن هنا فإنّ الديانات لم تكن قط عميقة فى نفوس السوفييت ، وكان إلغاؤها مع انتصار الشيوعية عملا مقبولا تقريبا بالنسبة للجماهير ، وفى نفس الوقت كان هذا الإلحاد عائقا دون تعمق الصلات بين المسلمين والسوفييت .

فإذا جئنا إلى الولايات المتحدة نجدنا أمام عدو يعلن العداء ، فرّس إسرائيل وينتججه لحمايتها بقوة سياسية واقتصادية وعسكرية ، ولا يشفع له أنه يتبع دينا سماويا ، لأنّ العدالة أبرز دعائم الديانات ، والولايات المتحدة أبعد ما تكون عن العدالة فيما يتعلق بالحقوق بين العرب وإسرائيل .

وأنّ ذلك فنحن بين نارين ، ولا خلاص لنا إلا بحكومات يقظة هائلة أمينة ، تدبر أمورنا بالداخل بعدالة ونزاهة وجد ، وتنظم شئوننا بالخارج بما يحمى ديارنا وأهلينا ومعتقداتنا .

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف ج ٨ ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

أحداث سنة ١٩٧٧

انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير :

مع مطلع عام ١٩٧٧ ظهرت هذه الانتفاضة العارمة ، فإن الحكومة كانت قد نفذت مشورة صندوق النقد الدولي ، وأمرت في ١٦ من يناير سنة ١٩٧٧ ، بخفض الإعانات الحكومية لسلع أساسية مثل الخبز واللحم والسكر والزيت والأرز والصابون وأنابيب البوتاجاز ، وكان ذلك التخفيض يوفر على الحكومة مليارا من الجنيهات سنويا ، ولكن خفض الدعم أو حذفه بالنسبة للملايين المصريين كان يمثل ضربة شديدة •

ومع الإحساس العام ضد حذف الدعم كانت هناك محلات منتشرة بالقاهرة والإسكندرية وغيرهما من المدن تباع وسائل الترف و السلع المتعة والتسلية ، وقد ظهرت هذه المحلات مع الانفتاح الذى تحدثنا عنه من قبل ، وهكذا عانى الإنسان العادى فى مصر جوعا وحرمانا ، ورأى بعينه وسائل ترف الآخرين فثار واضطرب •

وفى نفس الوقت كان السادات غارقا فى أحلامه ، إذ كان يعتقد أنه فعل للشعب ما لم يفعله أى رئيس ، ولكن الشعب كان يدرك أنه فى القاع ، وأن السادات وذويه والطبقات العليا أخذوا كل خيرات مصر ، ولم يتركوا للشعب إلا الجوع والحرمان •

ومن أحلام السادات أنه كان فى استراحة أسوان ، وكان معه ضيفه الرئيس تيتو الذى شهد مأساة هذه الانتفاضة وقطع الزيارة وعاد لبلاده ، وكان السادات كذلك بأسوان فى انتظار زيارة الملك حسين ، وكان هذا يمثل ترفا فى جانب وفقرا فى جانب آخر ، ولكن السادات لم يكن يحس بذلك بل كان يظن أنه أصبح الزعيم المحبوب ، ويتخذ دليلا على ذلك ما يشاهده من تصفيق الغوغاء له عندما يمر موكبه متجها لزيارة من الزيارات التى كان يقوم بها ، ونسى أن هؤلاء حشدوا له حشدا من الاتحاد الاشتراكى أو من تلاميذ المدارس ، أو من المتفرجين •

ولنعد لتصوير الانتفاضة فإنه بعد رفع الأسعار هدد سائقو التاكسيات بالإضراب ان لم يرتفع سعر (البنديرة) تبعاً لرفع سعر البنزين ، واستجابت الدولة لذلك ورفعت أسعار المواصلات بالتاكسيات وسيارات الأتاليم •

ثم قامت يوم ١٨ يناير مسيرة عمال حلوان قاصدة مجلس الشعب للشكوى من رفع الأسعار وتحرك طلبة جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ، ثم عمال الترسانة البحرية بالإسكندرية وسرعان ما عمت التحركات مختلف العواصم في كل المحافظات •

واتجهت بعض التجمعات لمهاجمة مواقع السلطة مثل أقسام الشرطة والمطافئ وظلت المظاهرات حتى الثالثة صباحاً ، ثم استؤنفت صباح اليوم التالي (١٩ يناير) وكثرت أعمال التخريب ، وشملت المظاهرات جميع المدن الكبرى من الاسكندرية إلى أسوان وأحرق المتظاهرون الملاحى الليلية وبعض المحال التى تباع أدوات الترف والبذخ •

ويذكر الأستاذ موسى صبرى أن هذه الحركات كانت قد أُعيدت سلفاً بدليل وحدة الهتافات وتشابه الأعمال التى قام بها المتظاهرون من محاصرة أقسام الشرطة والمطافئ ثم الهجوم على المرافق العامة بالطوب والحجارة ، ثم إبادة السلب والنهب والحرائق (١) •

واضطر الجيش للتدخل بعد أن عجزت الشرطة عن السيطرة على الأمور وكان تدخل الجيش رزينا ، فهذأت الانتفاضة بعد خسائر واسعة فى الأرواح والأموال ، وقد رأى السادات من شرفة استراحته مدينة أسوان وهى تحترق •

ويصور أنور السادات نفسه خطورة الحال فى كلامه للأستاذ

(١) السادات : الحقيقة والأسطورة ص ٣٨٤ •

أحمد بهاء الدين فيقول : لقد حاولوا مهاجمة بيتي في الجيزة ، وكادوا يصلون إليه ، وكانت زوجات الوزراء والكبراء يصرخن في بيوتهن فزعا ويحاولن الاستغاثة بأى مخلوق خوفا من اقتحام الغوغاء البيوت على العائلات ، أما ما كانت تهتف به الغوغاء في الشوارع فكان غاية في البذاءة (١) .

وهذه الهتافات التى أشار لها السادات كان منها :

| | |
|----------------------|-----------------------------|
| جيهان يا جيهان | الشعب جعان |
| يلبس آخر موضة | واحنا نسكن عشرة فى أوضة |
| يسكن فى القصور | واحنا نسكن فى القبور |
| مش كفاية لبسنا الخيش | عايزين ياخدو منا رغيف العيش |

وتراجعت الحكومة فى قراراتها الاقتصادية فأعلن السادات إعادة الدعم كما كان .

وقد شهدت جزءا من هذه الانتفاضة خلال عودتى من كلية دار العلوم الى ضاحية المعادى التى أسكنها ، وكان مقر الكلية فى شارع المنيرة وما إن خرجت من هذا الشارع ظهر يوم ١٨ يناير وبدأت أسير فى شارع قصر العينى حتى واجهتنى مظاهرة من المظاهرات الكثيرة التى عرفت فيما بعد أنها كانت تملأ شوارع القاهرة ، وقد راعنى أننى رأيت فى شارع قصر العينى عددا من السيارات المحطمة ، وعددا من واجهات المحلات التى تنثر زجاجها ، ولم أكن أستطيع أن أجد وسيلة للفرار ، ومع هذا فقد كانت معى عين الله فقد أمرنى الثائرون بالانحراف الى شارع جانبى وهددوني أن عصيت أوامرهم ، وما كان للعصيان سبيلا ،

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٢٧ .
(م ٢٦ - التاريخ الاسلامى)

فاندفعت الى هذا الشارع الجانبى الذى قادنى إلى طريق الكورنيش ،
وانخذت سبيلى إلى المعادى ، واذكر حين ذاك أن شخصا هتف لى
ليركب معى سيارتى ولكن ما كنت أستطيع الوقوف ، ولست أدرى كيف
نجوت ، ولا بد أن أذكر أنها عناية الله •

أما الحكومة فبعد أن أعادت الدعم بدأت تبحث عن محرضى هذا
الهيّاج ، واتخذت من الأحزاب التى كانت قد بدأت حياتها والتى أشرنا
إليها فيما سبق عدوًّا ، معتقدة أن تجمعات حزبي الوفد والتجمع دفعت
الشعب إلى هذه الإثارة ومن هنا ضيقت الحكومة على هذين الحزبين مما
أدى إلى ما ذكرناه آنفا من أن حزب الوفد جمّد نشاطه ، ومثل هذا
تقريباً فعله حزب التجمع ، وقد عاشى السادات ما بقى من عمره بعد ذلك
وهو يصف هذه الانتفاضة بأنها « انتفاضة الحرامية » •

ويرى الأستاذ محمد حسنين هيكل (١) أن ما حدث فى هذين
اليومين كان انفجاراً شعبياً له دواع اجتماعية ، ولم يكن قط « انتفاضة
حرامية » بدليل أن الحكومة تراجعت وأعادت الأسعار كما كانت •

وتقول الأنباء إن شاه إيران اتصل بالسادات إبان هذه المحنة ،
وأعلن له قلقه عليه واستعداده لاستقباله فى طهران اذا رأى ذلك
ضرورياً ، وهذا يفسر لنا حرص السادات على استقبال شاه إيران
وأسرته بمصر عندما نزلت بهم المحنة بسبب الثورة التى قادها الإمام
الخمينى •

القوانين الاستثنائية :

أراد السادات أن يؤدب الشعب أو أن يؤدب القوى التى رأى أنها
قادت أو حرصت على تلك الانتفاضة ، وهدهد تفكيره إلى قوانين استثنائية
أجرى عليها استفتاء عقب هذه المظاهرات ، وبالطبع أُعلن ان الاستفتاء

(١) وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى الاشتراكى ص ٢٤٨ •

حصل على موافقة الشعب بنظام التسعات المكررة ، فهذه النتيجة كانت في أدراج وزير الداخلية قبل أن يبدأ الاستفتاء •

ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين ^(١) : إن المهندس سيد مرعى كان يظن أنني أوحيت للسادات بهذه القوانين لأن السادات استدعاني من الكويت وأمضيت معه ساعات طويلة عقب هذه المظاهرات ، وقال سيد مرعى لأحمد بهاء الدين : ما هذه القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟ فأجبت بـأننى سمعتُ عنها كما سمعتُ أنت ، وأن هذه القوانين لا يمكن أن يكون كتبها أحد دارسى القانون ، وأخذت أشرح له ما فى هذه القوانين من مخالفات دستورية لا يقبلها عقل تلميذ فى الفرقة الأولى بخاية الحقوق •

ولكن السادات سار فى طريقه وأجرت وزارة داخلية الاستفتاء وأعلنت هذه الوزارة أن الشعب كله استجاب لهذه القوانين !!

ضرب ليبيا :

شهدت سنة ١٩٧٧ حادثة لا يرتضيها الفكر الإسلامى ولا الفكر المصرى تلك هى غارات الطائرات المصرية على مواقع ليبية على الحدود وربما وراء الحدود ، وفى هذه الغارات دُمِّرت أسلحة وقتل وجرح عدد من الليبيين •

لماذا أمر السادات بهذه الحملة الكئيبة ؟

لقد كان من الثابت فى ذهن المصريين دائما أن القوة المصرية إنما هى لخدمة مصر والعالم العربى ، وأن السلاح المصرى لن يوجه ضد الإنسان العربى وإنما سيكون دائما لحمايته •

وإذا جاز لى أن أقف وقفة استطرادية فاننى أقرر أن مصر انتصرت سنة ١٩٧٣ بأسلحتها وأسلحة العرب ، وأن العراق انتصر في صراعه ضد إيران بأسلحته وأسلحة العرب كذلك •

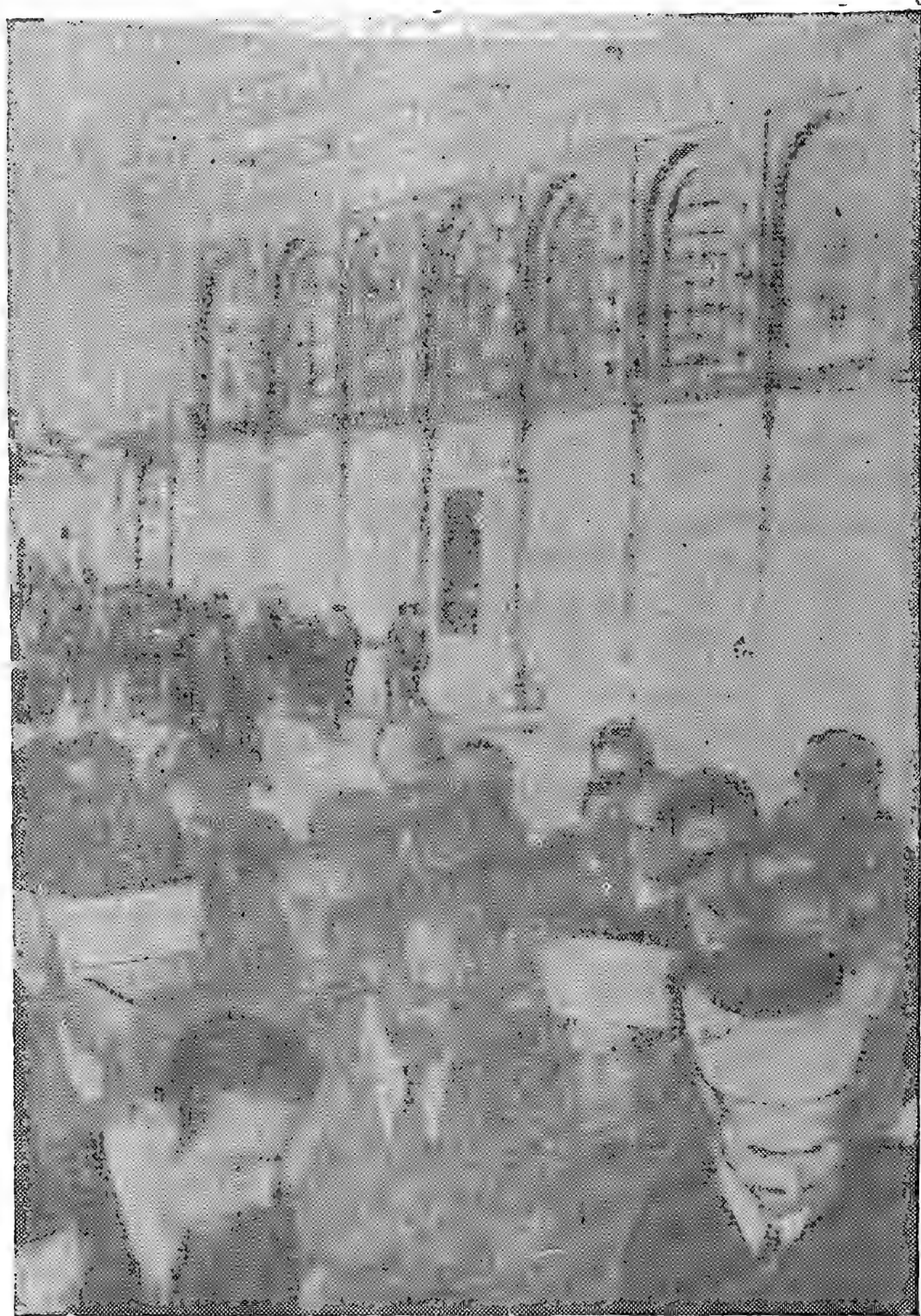
أما أن يتوجه السلاح العربى للعرب فهذا ما لا يرتضيه المصريون ، ولذلك نسأل : لماذا قام السادات بهذا التصرف غير اللائق ؟

يورد الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه « خريف الغضب ^(١) » بعض الأسباب ، ويورد باحثون آخرون أسبابا أخرى ، ونحن لا نحب أن نسجل هذه الأسباب ، فسياستنا تهدف للتجميع لا للتفريق ، وكل ما نذكره هنا هو موقف ليس سرا ، إنه موقف العقيد القذافى من حرب أكتوبر ، فبينما تجمع العرب بأسلحتهم وأموالهم لمساندة مصر ، كان العقيد القذافى يهتف ضد هذه الحرب ، ويؤكد أن مصر ستهزم فيها ، وأن مصر لم تذكر له موعدا ، بل ترك العقيد القذافى ليبيا وذهب إلى فرنسا ليكون صوته أكثر وضوحا ، وكان ذلك جرحا غائرا في جسم المصريين جميعا وليس في جسم السادات وحده •

وأيا ما كانت الأسباب فإن الشعب المصرى لم يستسغ أن تقوم الطائرات المصرية بغارات على الشعب الليبى •

راحة القدس :

القدس الشريف ، حيث بيت المقدس ثالث الحرمين ، تهفو النفوس لزيارته ، وقد أصبح القدس بعد أن احتلته إسرائيل الغاشمة في موضع يتعذر على المسلمين ارتياده ، فتوقفت تقريبا رحلات المسلمين إليه •



رحلة القدس

وكان المرحوم الملك فيصل طيب الله ثراه يدعو الله أن يمدّه في أجله حتى يتحرر القدس ويزوره الملك ، وهذا الدعاء يهتف به أكثر المسلمين أو كلهم في مختلف البقاع ، ومن أجل هذا كانت زيارة أنور السادات للقدس وهو تحت الاحتلال الإسرائيلي تثير التساؤلات والغضب .

ورحلة القدس التي قام بها السادات هي موضوع دراستنا الآن ، وهي لم تكن رحلة دينية ، بل كانت رحلة سياسية ، والحق أن اتصال قادة المسلمين باليهود ليس حدثا جديدا فقد ذكرت صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ١٩/١١/٨٥ أن الاتصالات بين مصر وإسرائيل بدأت من أغسطس سنة ١٩٥٢ فقد كان عبد الناصر يتبع سياسة ترمى إلى التخلص من مصادر المتاعب الأجنبية ليوسع نفوذه في العالم العربي والإسلامي كما ذكرنا من قبل ، ففاوض في السودان ونال السودان استقلاله التام عن مصر وكان كثير من المصريين والسودانيين يعدون مصر والسودان قطرا واحدا ، وأشهد لقد سمعت بأذني عتبا شديدا عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا فكان هناك من السودانيين من يقول : أما كان من الأوفق أن تكون الوحدة بين مصر والسودان ؟

والحق أن الاتصال الوثيق ماديا وروحيا يجعل ارتباط السودان ومصر ارتباطا طبيعيا ويصوّر الانفصال بينهما محاربة لقوى طبيعية .

المهم أن عبد الناصر تخلص من الصراع حول قضية السودان وأراد أن يتخلص من الصراع مع إسرائيل بطريقة أو بأخرى فبدأ الاتصال بإسرائيل من الشهر التالي لقيام الثورة المشؤمة .

ولكن الشيء الذي غاب عن عبد الناصر والسادات هو التعرف الدقيق على شخصية الرجل اليهودي ، لقد ظن عبد الناصر كما ظن السادات من بعده أنه أمام مفاوض عادي أو حتى عدو عادي ، ونسيا أن الرجل اليهودي لا يحمل قلبا كالقلوب التي يحملها الناس ، وليس

به العاطفة التي تجذب الإنسان إلى اللين أحيانا والتفاهم أحيانا أخرى ، إن الإنسان اليهودي معتد ، كثير الأطماع ، بل إن أطماعه لا تقف عند حد ، يتلاعب بالالفاظ ، ويدبّر المكائد والمؤامرات ، تسالّله فيجيب إجابات تحتل عدة معان ، وتحاول التوافق معه فيرى ذلك ضعفاً منك وينتججه للابتزاز ، وإذا كنت تفاوض فردا واحدا ادّعى أنّه يعيش في جو ديمقراطي ويطلب منك مهلة لأخذ موافقة الآخرين على ما اتفقتما عليه ، وهو في الحق يريد مهلة لمزيد من التشدد حسب الظروف ، وإذا كنت تفاوض جماعة فإن منهم من يقبل ومنهم من يرفض وإذا اتفقت على رأي مع جماعة هبت جماعة أخرى لترفض هذا الاتفاق ، وصدق الله العظيم الذي يقول : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » .

ذلك كان الوضع الذي جعل الاتصالات المصرية مع إسرائيل التي جرت في أغسطس سنة ١٩٥٢ لم يحقق لها النجاح .

وفي عهد عبد الناصر وبعد الهزيمة الفادحة سنة ١٩٦٧ بدأت إسرائيل تنتهز الفرصة ليتم من جديد لقاء بين مصر وإسرائيل ، وقصة ذلك أن قدرى حافظ طوقان وهو سياسي فلسطيني شهير كان عضوا بالمجمع اللغوي المصري ، وكان يحضر لمصر كل عام تقريبا لحضور جلسات هذا المجمع ، وقد اطلب منه موثى ديان وزير الدفاع آنذاك أن يقابل جمال عبد الناصر ويبلغه رسالة ملخصها :

إن الروس لن ينفعوه ، والأمريكان كذلك لن ينفعوه ،
ولن يستطيع الأمريكان أن يضغطوا على إسرائيل ،
وإن أمريكا والاتحاد السوفيتي لا يهمهما نهاية
مشكلة الشرق الأوسط بل ربما كان من صالحهما
أن يستمر الصراع في هذه المنطقة .

ولذلك فإسرائيل تدعو عبد الناصر — على الرغم

من كثافة الكراهية والشكوك — أن يجرب التفاهم مباشرة مع إسرائيل ودون وسيط *

ويورد الأستاذ أحمد بهاء الدين هذه الرواية ويعلق عليها بقوله :
إن إسرائيل لا بد أن تكون قد وصلت الرسالة نفسها إلى أنور السادات
مرة ومرات (١) *

ولم يكن هدف إسرائيل من ذلك تسوية الموقف ، لم يكن ذلك هدفها
ابداً ، وإنما كان محاولة لجعل الصراع يتجه اتجاهها داخليا ، فالعرب ،
وكثيرون من المصريين سيهاجمون من يجلس مع القتلة والسفاحين على
مائدة واحدة *

ولنقفز إلى ظروف رحلة القدس لنتساءل : ما دوافعها وما
أسرارها الحقيقية ؟

يقول الدكتور صلاح العقاد (٢) : إذا كانت رحلة القدس مفاجأة
فإن استعداد السادات للاتصال المباشر بإسرائيل كان واردا منذ مدة ،
منذ رحلة كيسنجر المكوكية سنة ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ثم شجع كارتر الرئيس
السادات على المضي في هذا الطريق ، وجاءت أحداث ١٨ و ١٩ يناير سنة
١٩٧٧ فأوحى للسادات أن الشيوعيين يقفون ضده بتأييد السوفييت ،
فأراد أن يلجأ إلى المعسكر الآخر *

وكان السادات يظن أن الحرب ستفتح الأبواب لحل القضية ، ثم
ظن أن تعمير مدن القناة وإعادة فتح قناة السويس الحياة ستمهد الطريق
للحل وتوحي بأن الحرب استبعدت ، وأن السلام سيأخذ طريقه ،
وظن السادات طبيعى مع غير اليهود ، فاليهود لا يحققون أى أمل ،

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٦٥ .

(٢) السادات وكامب ديفيد ص ١٥٩ .

ينتصرون أو ينهزمون ولكن اتجاهاتهم الشريفة لا تهدأ في حال الانتصار ولا في حالة الهزيمة ، وحسبك أنهم وقد امتلكوا السلاح الذرى والقمر الصناعي والأسلحة الفتاكة لا يسمحون بقيام دولة فلسطين بجوارهم خشية أن يلقيهم الفلسطينيون في البحر !!!

ويورد الأستاذ أحمد بهاء الدين (١) عدة آراء أوجت إلى السادات بضرورة الرحلة للقدس فيذكر أن كيسنجر قال للسادات بعد الحرب : أمريكا عاجزة يا سيادة الرئيس ، وليس لديك إلا أن تحدد وسيلة لاستخدام قوة ضغط الرأي العام العالمى والأمريكى بالذات والإسرائيلى المستعد للسلام ، وتركيز الضغط على بيجين فى القدس •

ويتساءل الأستاذ بهاء الدين : هل توحى هذه العبارة بأن كيسنجر كان فعلا أول من اقترح فكرة الذهاب إلى القدس ؟

وفى مكان آخر يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين إن الرئيس كارتر قال للسادات إن الإسرائيليين غاضبون لأنك ترفض لقاء علنيا مباشرا ورسميا بين الجانب المصرى والجانب الإسرائيلى ، وهم يرون أن مثل هذا اللقاء ، سيكون ذا نتائج مهمة (٢) •

وتعليقى على هذا الكلام أن إسرائيل أوعزت لأمريكا بذلك حتى يعرض السادات اللقاء على أمل فتح الأبواب ، ولكن الأبواب لن تفتح ، ثم إن هذه الرحلة ستحقق لإسرائيل فائدة كبرى لأنها ستفتح الأبواب للخلاف بين الدول العربية وهذا ما كان •

والعجيب أن السادات ظل يتغنى بأن هذه الرحلة كسرت الحاجز النفسى بين العرب وإسرائيل ، ولم يدّر أن الحاجز النفسى مصنوع من

(١) أحمد بهاء الدين : محاوراتى مع السادات ص ١٥٠ وما بعدها •

(٢) المرجع السابق ص ١٦١ •

الفولاذ ، وأنه يتعذر كسره ، فالقول بأن الرحلة كسرت هذا الحاجز لا ينطبق ولا حتى على السادات نفسه •

واقتنع أنور السادات بالرحلة ، وكأنه لم يجد وسيلة سواها ، وراح يخبر بها خاصته وفي مقدمتهم وزير الخارجية إسماعيل فهمي ، ولكن هذا لم يكن يستطيع أن يتحمل هذا التصرف ، فلعله كان يحس بأن الأمل فيها قليل ، ولكن الذي أحسّته أنا أن الرجل خاف على نفسه من التهديدات التي وجهت لمن يشاركون في هذه الرحلة ، والتي كان الأستاذ يوسف السباعي فيما بعد ضحية من ضحاياها على الرغم من أنه بذل حياته كلها لخدمة العرب والأفارقة •

والمهم أن إسماعيل فهمي تمارض ثم استقال وصدر قرار بأن يتولى محمود رياض عمل وزير الخارجية ولكن هذا كان أضعف من أن يتحمل هذه المسؤولية وأبدى رغبته في الاستقالة ، وأسند عمل وزارة الخارجية إلى الدكتور بطرس غالي •

ونستمر مع هؤلاء الوزراء قليلا فنذكر أن محمود رياض حاول بعد فترة أن يقبله السادات ليعود لعمله بحجة أنه لم يقدم استقالته وأن موقفه فهمي خطأ ، ولكن أحدا لم يستمع إليه •

أما إسماعيل فهمي فكان يتصور — كما يقول موسى صبرى ^(١) — أن المظاهرات ستقوم في مصر ضد السادات وضد هذه الزيارة ولكن ذلك لم يحدث ، وقد حاول إسماعيل فهمي بعد ذلك أن يستعيد مكانته مع السادات ، وتوسط له السفير أحمد عبد القادر لكي يعينه السادات مستشارا له ، ولكن السادات رفض ذلك ، ووصل الأمر إلى أن إسماعيل فهمي اتكّل بمكتب الرئيس وطلب أن يتحدث مع السادات ، ولكن السادات لم يستجيب إلى هذا المطلب ، ولم يقبل الاتصال به •

واتجه أنور السادات إلى مجلس الشعب في ١٩٧٧/١١/٩ ، وألقى خطاباً قال فيه : إنني مستعد للذهاب إلى آخر العالم إذا كان ذلك سيحول دون قتل أو جرح جندي واحد أو ضابط واحد من أولادي أقولها الآن : إنني مستعد للذهاب إلى آخر العالم ، وسوف نقدهش إسرائيل عندما تسمعني الآن أمامكم ، أنا مستعد للذهاب إليهم في عقر دارهم ، إلى "لكنيست" نفسه للتحدث إليهم

ودعش أعضاء مجلس الشعب لذلك الافتراض ، ولكن هذا المجلس كان مستعداً دائماً ليصفق لكل شيء ، فالكلمات الرئيسة تطلق الأيسدي بالتصفيق أيا كانت هذه الكلمات .

أما جماعة المثقفين فقالوا : ليذهب إلى آخر الدنيا كما يشاء ، ولكن إن ينال شيئاً من إسرائيل ، إن صيحاته العاطفية لا تصل إلى قلوبهم ، فهذه القلوب قد ماتت تماماً أو على الأقل قد تحجرت .

ورفض العرب جميعاً هذه المبادأة لحقدهم على إسرائيل وعدم أملهم في الوفاق معها ، وربما لأن مثل هذه المبادأة كانت أعلى من المستوى الفكري للكثيرين .

وبدأ التهديد الأحقق يتجه لكل من يشترك في هذه المرحلة ، وأقول إنه تهديد أحقق أو أسود لأن السياسة عندما تدار بالسيف يكون الفشل هو نتيجتها ، ومن العيب أن يقول إنسان لإنسان : إما أن تتبع رأيي أو أقتلك ، فهذه شريعة الغاب .

ماذا كان رد الفعل لدى قيادات إسرائيل تجاه عرض السادات ؟ إن قيادات إسرائيل أحست بالنجاح ، فطالما أوعزت بأن يتم لقاء بين مصر وإسرائيل كما ذكرنا ، وقد تحقق لإسرائيل باتجاه السادات أكثر مما كانت تتمناه ، فاللقاء كان بناء على اقتراح السادات ، وهو يتم على

أرض إسرائيل ، ومع زعيم أكبر دولة عربية ، وبعرض منه
فليات السادات وليقل ما يقول بعقلية الرجل الشرقى ، وليصفق له
الناس ليسعد بذلك كما يحدث في بلاده ، ولكن لا شيء أكثر من هذا .

وهزت بضعة أيام دون رد رسمي من إسرائيل ، وكان ذلك في حد
ذاته يشير إلى جانب من الاستهانة ، وربما لو كان الأمر بالعكس لأسرعت
مصر بعد دقائق بدعوة رئيس إسرائيل لزيارة مصر .

وعلى كل حال ففى ١٥/١١/ وجه مناحم بيجين رئيس وزراء
إسرائيل دعوة رسمية إلى السادات لزيارة إسرائيل ، وأعد ممثلو مصر
وإسرائيل تفاصيل الزيارة وكانت رحلة أنور السادات يوم ١٩/١١/ سنة
١٩٧٩ وهو يوم وقفة عيد الأضحى وكان من بين الوفد الذى صاحب
السادات د . مصطفى خليل رئيس الوزراء ود . بطرس غالى الذى
أسندت له وزارة الخارجية ، ووصلت الطائرة المصرية إلى مطار
بن جوريون الساعة الثامنة مساء ونزل أنور السادات من الطائرة حيث
كان فى استقباله زعماء إسرائيل وفى مقدمتهم إبراهيم كانزير رئيس
إسرائيل ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل وموشى ديان وأريل شارون
وجولدا مائير ومارداخاي جور وغيرهم من زعماء إسرائيل .

والحق أن أنور السادات كان متماسكا قويا ، وكان يصفحهم فى
ثقة وإيمان ، وربما أطلق نكته مع هذا أو ذاك .

وعلى طول الطريق من المطار إلى القدس كانت هناك الجماهير
المتحمسة تهتف للضيف الكبير وأكثر هؤلاء كانوا من البسطاء والذين أمثلوا
الخير من هذه الزيارة سواء كانوا من العرب أو من الإسرائيليين .

وفى صباح اليوم التالى ذهب أنور السادات لصلاة العيد فى المسجد
الأقصى ، ولما انتهت الصلاة اتجه عبر الساحة الواسعة إلى قبة الصخرة ،



الصلاة في بيت المقدس

وكما كان هناك جماعات تهتف بحياة أنور السادات فقد وجدت جماعات من المتظاهرين الفلسطينيين يهتفون ضده ويتوعدونه ، وفي الساعة الرابعة من مساء الأحد دخل أنور السادات الكنيسة وقد استقبله الأعضاء بحفاوة بالغة وألقى خطابا طويلا دبجته أقلام بارعة في الجانب الأدبي وحسن الأداء ، وشمل أفكارا رائعة في مجال المسألة كما حوى لقطات صادقة من التاريخ وهو على العموم يعتبر قصيدة رائعة بالغة الجودة ، وقد ألقى السادات خطابه باللغة العربية ، وهناك ترجمة بالانجليزية قامت بها وزارة الخارجية المصرية وراجعها الأستاذ شريف رزق الله ، كما كانت انترجمة العبرية تلقى في نفس الوقت ، ولعل من المستحسن أن ننقبس سطورا قليلة من هذا الخطاب الحافل لنعلق عليه بعد ذلك ، ولننتعرف على مداه لدى الإسرائيليين :

— جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكي نبني حياة جديدة ، ونقيم السلام على هذه الأرض ، أرض الله ، فكلنا مسلمون ومسيحيون ويهود نعبد الله ولا نشرك به أحدا ، وتعاليم الله ووصاياه هي الحب والصدق والطهارة والسلام .

— يجب أن نرتفع جميعا فوق صور التعصب وخداع النفس ونظريات التفوق البالية .

— إن الروح التي تزهق في الحرب هي روح إنسان ، والزوجة التي تترمل هي إنسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة سواء كانت عربية أو إسرائيلية ، والأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم أطفالنا جميعا ، لهم علينا المسؤولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهنيء والغد الجميل .

— وقد شاعت المقادير أن تجيء رحلتى إليكم في يوم عيد الأضحى المبارك وهو عيد التضحية والفداء حين أسلم إبراهيم عليه السلام

جدد العرب واليهود أمره إلى الله واتجه لتنفيذ أمر الله في التضيحية
بوالده •

— إننى أعلن للعالم كله أننا نقبل العيش معكم في سلام دائم
وعادل ، ولا نريد أن نحيطكم أو تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو
بقتائف الأحقاد والكراهية •

— لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع حاولتم أن تبنيه على
مدى ربع قرن من الزمان ، ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣ كان جدارا من
الحرب النفسية ، ومن التخويف من القوة القادرة على اكتساح الأمة
العربية ، ومن الترويج بأننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك ، وعلينا أن
نعترف معا أن هذا الجدار قد وقع وتحطم سنة ١٩٧٣ •

— الحق أقول لكم إن السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم
يكن قائما على العدالة وليس على احتلال أرض الغير •

— ونعلن أننا نقبل كل الضمانات التي تريدونها من أعظم قوتين في
العالم أو إحداهما أو من القوى الخمس الكبرى ، وهكذا فإننا قابلون أية
ضمانات ترضونها لأننا في المقابل سنأخذ نفس الضمانات •

— هناك أرض عربية احتلتها إسرائيل بالقوة ونحن نصر على تحقيق
الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ، والانسحاب الكامل من
الأرض العربية المحتلة من يونيو سنة ١٩٦٧ أمر بديهي لا نقبل عنه
الجدل ولا رجاء عنه لأحد أو من أحد •

— إن قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم
تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد وإذا كنتم قد وجدتم المبرر
القانون لإقامة وطن قومي على أرض لم تكن كلها لكم بعد أن
تركتموها مئات السنين فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على

إقامة دولته من جديد في وطنه الذي لم يتركه قط ولم يعرف له وطنا
سواه •

— وكم سيكون العالم سعيدا عندما نرشف إليه اتفاق سلام يقوم
على إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية التي احتلت سنة ٦٧
وتحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وبخاصة حقه في تقرير
مصيره ، وأن تعيش دول المنطقة في سلام داخل حدود آمنة وتدار بين
هذه الدول العلاقات طبقا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة •

وجاء في ختام هذا الحديث هتاف من أنور السادات قال فيه :

يا أيتها الأم الثكلى

ويايتها الزوجة المترملة

ويا أيها الابن الذي فقد الأخ والأب

ياكل ضحايا الحروب ، املثوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام
واملثوا الصدور والقلوب بآمال السلام •

صدى خطاب السادات على زعماء إسرائيل :

يقول الأستاذ موسى صبرى الذى كان ضمن الصحفيين المصريين
الذين رافقوا السادات : إن خطاب بيجين الذى جاء بعد خطاب السادات
كان فى منتهى السوء ^(١) فقد أعلن أن لا عودة لحدود ما قبل ١٩٦٧
ولا عودة فى توحيد القدس وكونها عاصمة للإسرائيليين ، ولا عودة فى أن
الفلسطينيين لا يمكن أن تقوم لهم دولة على حدود إسرائيل أو أن تقبل
إسرائيل إجراء أية محادثات مع منظمة التحرير •

وبيجين بذلك يخرّب كل الآمال ويقول موسى صبرى كذلك إن

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٥٣٤ •

القيادة الإسرائيلية كانت تعتقد أن هذه الزيارة للتهويه ، ولذلك فقد أعلنت إسرائيل التعبئة العامة قبل الزيارة .

وتقول السيدة جيهان السادات وكانت بحكم موقعها تتبع الزيارة من لحظة إلى أخرى :

كانت الكاهيرا تهرئ على وجوه جامدة للزعماء الإسرائيليين ولا يظهر أى انفعال بالتجاوب من أبا أيان أو بارليف أو عزرا وايزمان^(١) وتذكر كذلك أن عزرا وايزمان — والمفروض أنه من المعتدين — دون ملاحظة خلال استماعه لخطاب السادات ومرر الورقة التي كتب عليها الملاحظة إلى مناحم بيجين وهوشى ديان ، وقد قرأها كل منهما وأشار بالموافقة وتقول إنها علمت بعد ذلك أن الملاحظة التي كانت على الورقة هي : (لابد أن نستعد للحرب) .

ويقول موسى صبرى لقد سألت بيجين : ماذا تقدّم للسلام بعد كل ما قدمته مصر ؟ سوف نعترف بإسرائيل ، ونعترف بحقها في الحياة في سلام مع جيرانها العرب ، فماذا فعلت أنت ؟ ويذكر موسى صبرى أن إجابة بيجين كانت إجابة فظة ، وأنه قال وهو يضع يده على كتف موسى صبرى : يا صديقي نحن لم نطلب منكم الاعتراف بإسرائيل ، فلسنا في حاجة إلى هذا الاعتراف ، إسرائيل حقيقة دولية .

ويختم موسى صبرى حديثه عن هذه الرحلة بقوله : لقد عدت من هذه الرحلة وأنا في قمة التشاؤم^(٢) .

وهكذا قدّم السادات كل شيء ولم يأخذ شيئاً ، وأقام رحلة وسط ضباب كثيف وسوء ظن متراكم ، فجاءت النتيجة إقبالا من مصر وإعراضا من إسرائيل ولم تثر هذه الزيارة أية ثمرة .

(١) سيدة من مصر ص ٤٧٠

(٢) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٥٥١ .

(م ٢٧ - التاريخ الاسلامى)

ومرة أخرى كانت القيادات الإسرائيلية تعتقد أن السادات يهوّ
بهذه الزيارة وبيّعلان الرغبة في السلام ، وأنه يتخذ من ذلك وسيلة
لإعلان الحرب ولذلك أعلنت هذه القيادات التهنئة العامة ، وهذا يدل
على أن سوء الظن كان قد بلغ مداه (١) .

نظرة أخيرة لهذه الرحلة :

لو أن السادات درس الشخصية اليهودية لما أقدم إطلاقاً على
هذه الرحلة ، لقد ذهب بعقل مفتوح ، وقلب عاطفي ليتحدث إلى الجمود ،
والصلابة ، وسوء الظن ، ومحاولة الكسب من كل شيء ، وعدم القدرة
على العطاء أو الوفاق ، وكان أجدر بالسادات أن يعلن قبواه للدعوات
المتكررة للقائه في أرض محايدة ، أما أن يعرض نفسه من جانب ، ويذهب
لدارهم من جانب آخر ، فإن هذا لم يتقابل إطلاقاً بأي تقدير من هذه
الجماعة .

والعجيب أن المجتمع الدولي الذي هزته مفاجأة الرحلة لم يعلق
على عدم استجابة إسرائيل لاتجاه السلام ، كأن أخلاق اليهود وهوقوفهم
كان متوقعا لدى المجتمع الدولي .

مقارنة :

إذا كنا قد أوضحنا فيما سبق اتجاهات بيجين الخسنة تجاه مبادرة
السادات ، وذكرنا أنه هو وجماعته وقفوا موقفاً صلباً دون أية استجابة
لإقبال السادات ودعوته للسلام أقول إذا كنا قد عرفنا ذلك فإننا
نذكر ما توقعه السادات من إسرائيل لمواجهة في منتصف الطريق حتى تؤتي
المبادرة أكلها ، يصف أنور السادات أمانيه بقوله :

أخبرت وايزمان أن تصرفات بيجين ستؤدي إلى ضياع فرصة

السلام ، وقد ثبت لى أن بيجين لا يفقه شيئاً فى السياسة ، ولو كان لديه حِسٌّ سياسى لقدّم لى مقابلاً لمبادرتى ، ولكنه عجز عن فهم مدلول المبادرة ، وقابلها بالتشدد والمراوغة ، مما أثار عليه حنق العالم كله !!! وكان يستطيع أن يقوم بمبادرة بسحب القوات الإسرائيلية فى سيناء إلى خط العريش رأس محمد ولكن جموده وجشعه أعمياه عن القيام بأى تحرك (١) .

ونقول لأنور السادات إنه هو الذى لا يعرف أخلاق اليهود ، وعدم المعرفة هو الذى دفع السادات لبناء قصر من الأحلام فى الهواء .

ونقل وايزمان رأى السادات إلى بيجين ، وعرض بيجين هذا الرأى على مجلس الوزراء ، ثم أعلن فى مؤتمر صحفى يوم ٢٣ يوليو ٧٨ أن مجلس الوزراء قرر بأغلبية ساحقة رفض الطلب الذى تقدّم به السادات لإعادة العريش وجبل سيناء إلى مصر ، لأنه ليس من حق أى شخص أو أية دولة أن تحصل على شىء مقابل لا شىء (٢) .

وكان المقابل الذى يطلبه بيجين هو السماح ببقاء المستوطنات الإسرائيلية وبعض التسهيلات العسكرية ، كاستعمال مطارات سيناء ، وهى أمور يتطلبها الجشع الإسرائيلى عند النصر والهزيمة .

شىء واحد حققه السادات من هذه الرحلة ، هو أنه صار ألمع النجوم ، وكان قد اتخذ الأبهة المادية لذلك ، فارتدى أغلى الثياب ، ومشى مشية الأبطال ، ووقف شامخاً وهو يلقي الخطاب وكل هذا كان مادةً لصفحات كتبت عنه فى الصحف والمجلات العالمية ، كما استمعت أغلب الدول إلى خطابه الذى أذيع بلغات مختلفة على أكثر دول العالم بواسطة القمر الصناعى .

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٣٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧١ .

أُمَمَات سَنَةِ ١٩٧٨

اغتيال الأستاذ يوسف السباعي :

كان الأستاذ يوسف السباعي ضمن الوفد الذي رافق السادات إلى القدس ، وكانت بعض الهيئات الفلسطينية قد أذرت كل من يصحب السادات في هذه الرحلة بالموت •

ونقف هنا لنقرر أن هذا الإنذار بعيد كل البعد عن الإسلام وعن الحكمة وعن الخلق القويم ، فكأن هذه الهيئة تريدنا جميعاً أن نلغى عقولنا وتفكيرنا وأن نتقدم لها لنسألها عن الوسيلة التي نسلکها لتحرير الأرض ، وكأن المعارف تنبع من هذه الهيئة ولا تنبع من سواها ، وبيح السياسة عندما ترتبط بالتهديد وإصدار أحكام الإعدام على المخالفين في الرأي •

وعلى كل حال فقد نفّذ هؤلاء الطائشون وعيدهم ، وقتلوا الرجل العظيم الذي كان واسع الثقافة ، سمح الأخلاق ، رضى النفس ، والذي بذل حياته وجهده في خدمة القضايا العربية والأفريقية ، وقد وقع حادث الاغتيال في قبرص في فبراير ١٩٧٨ وكان يوسف السباعي يرأس الوفد المصري في اجتماعات لجنة التضامن الآسيوي الإفريقي المنعقدة في نيقوسيا عاصمة قبرص ، وقد ضرب يوسف السباعي من الخلف وسقط مدرجا بدمائه ، وذعر الرأي العام في مصر لهذا الحادث ، فحركة الاغتيالات لا يقرها عقل ولا منطق ولا تفيد من قريب أو من بعيد أهداف الفلسطينيين ، وبخاصة إذا وجهت هذه الحركة العدوانية ضد مصر التي ضحت بفيض من الدم والمال من أجل هذه القضية طيلة عشرات السنين •

في أعقاب الاغتيال : ١٨ شهيدا من رجال الصاعقة :

وللأسف لم تقف المؤسسة عند هذا الحد ، فقد أمر أنور السادات بإرسال طائرة إلى مطار لارناكا في قبرص ، وعلى ظهرها قوة من رجال الصاعقة المصريين ، مهمتهم اختطاف قاتلي يوسف السباعي ، والعودة بهم

إلى القاهرة لتقديمهم إلى المحاكمة ، وانتهت المهمة بفاجعة مريعة هي قتل ثمانية عشر شاباً من رجال الصاعقة الذين تعترض بهم الدول ، والذين يكونون قوة هائلة عند الشدائد ، وقد سقط هؤلاء برصاص من الخلف ، برصاص أطلقته القوات القبرصية •

ولاشك أن هذا التصرف يحسب في ذنوب السادات ، وسنعود إليه فيما بعد ونحن نتحدث عن زلاته وأخطائه ، ولكننا لا نغنى سياسة قبرص من هذا الإسراف في العدوان ، وكان يمكن أن نتصرف بطريقة أيسر ، وأن تعتبر خطأ مصر ناشئاً عن الاستياء العظيم الذي نزل بالشعب المصري نتيجة لاغتيال رجل من أبرز رجالها •

إن القرارات السريعة من هنا ومن هناك كانت سبباً في هذه الكارثة الأليمة التي لم يفرح لها إلا أعداء العرب والإسلام •

استفتاء ٧٨/٥/١٤ واختفاء حزب الوفد :

بعد رحلة القدس أصبح السادات هدفاً لهجوم متصل من الصحافة العربية ، ومن المعارضة المصرية كما أن اتجاهه للمسألة مع إسرائيل ، والارتقاء في أحضان أمريكا حامية إسرائيل ، جلب عليه كثيراً من السخط ، وكانت زعامات حزب الوفد هي أهم محرك لهذا السخط ، بل كانت في نظر السادات المحرك الأعظم للسخط والإثارة ، وفي ساعة حمق اتجه أنور السادات للاستفتاءات التي تعود أن يلجأ لها كلما أراد أن يضرب ضربة ، ونتيجة الاستفتاءات مؤكدة ، فهي تحقق له مأربه ، وتعطية الفرصة ليضرب باسم الشعب ، والشعب برىء من هذه الضربات الآثمة •

وكان الاستفتاء هذه المرة على صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعي ، وحرمان قادة الأحزاب التي أفسدت الحياة السياسية في مصر من الحقوق السياسية • • • • • وأعلنت نتيجة الموافقة على هذا الاستفتاء بنسبة التسعات المكررة أو نحوها ، وبدأ السادات يضع هذه

النتيجة موضع التنفيذ على هواه ، فجعل الأستاذ فؤاد سراج الدين والأستاذ عبد الفتاح حسن عضو مجلس الشعب آنذاك من هؤلاء الذين أفسدوا الحياة السياسية ، وم يجعل من هذه الطائفة من° انحسر نفوذه في الحياة المصرية الجديدة مهما كانت مواقفه من قبل كالأستاذ ابراهيم عبد الهادي •

وأحسّ حزب الوفد أنه المقصود بهذا الاستفتاء ، وأن حرمانه من قاداته أمر غير محتمل ولا مقبول ، فجمّد نشاطه في يونيو سنة ١٩٧٨ ، واختفت بذلك إلى حين تلك القوة الهائلة التي حاربها الانجليز والملك فاروق وعبد الناصر وثورته وهؤلاء جميعا متساوون ، يفتقون في صف واحد ضد شعب مصر ، وضد القيادة الوفدية التي آدت بها الشعب والتف حولها •

في الطريق إلى كامب ديفيد :

قلنا من قبل إن السادات بعد الجولة العسكرية الناجحة سنة ١٩٧٣ اتجه للمصالحة والمفاوضة لعله يستطيع أن يحقق عن هذا الطريق ما عجز عن تحقيقه بالحرب بعد أن ألقت الولايات المتحدة بثقلها في جانب إسرائيل ، وكان طريق المفاوضة وعرا وقاسيا ، فالروح الإسرائيلية لا تعرف التفاهم ، ولا توافق على الالتقاء في منتصف الطريق ، ولا تميل للتنازل عن أى شيء ، بل تسعى جادة لتأخذ كل شيء ، وأغلب الظن أن السادات لم يدرك طبيعة خصمه ، فهو مرة يتحدث عن السلام مقابل الأرض واليهود يريدون الأرض أكثر من حبهم للسلام ، ومرة يتجه بحديثه للرأى العام في إسرائيل كما حدث في خطابه في ٢٦ يوليو سنة ١٩٨١ وكان يعتقد أن الرأى العام في إسرائيل يميل للسلام ويمكن أن يرغم بيجين ليسير في طريق السلام ، ونسى السادات أن بيجين نموذج لكل صهيونى ، وأن الرأى العام اليهودى قد يصفق للسادات ببديه ، ولكنه في نفس الوقت يؤيد بيجين بقلبه وصوته ويهيل للنهب والعدوان •

وكان مما دفع السادات الى تحمل صلف بيجين وقسوته أن السادات رأى رأى العام العربى يناوئه بعد زيارته لأقدس ، ورأى التهديدات من كل جانب ، وأدرك أن عملية الإنقاذ الوحيدة أن يسترد سيناء ، وإذا كان العرب قد تخلوا عنه فإن استرداد سيناء من جانب وتحقيق تقدم ما فى مجال الحقوق الفلسطينية من جانب آخر ، ستكون وسيلته ليفرض نفسه على المجتمع العربى الذى قال عنه السادات إنه يخطب ويتكلم أكثر جدا مما يفكر أو يعمل ، وعلى هذا بذل السادات أقصى جهده فى مجال المفاوضة وتحمل من أجل ذلك أقصى ما يمكن أن يخطر بالبال من عنت اليهود وجبروتهم •

وعلى كل حال نستطيع أن نرصد محاولات المفاوضات فى الخطوات التالية :

أولا : فى الاسماعيلية :

عقد فى الاسماعيلية اجتماع قمة بين السادات وبيجين فى ديسمبر سنة ١٩٧٧ وكان الوفد المصرى مكونا من مصطفى خليل وسيد مرعى ومحمد كامل ابراهيم ، وقد قدم الجانب المصرى رأيه فى القضية ، وهو رأى واضح يستند إلى القرار رقم ٢٤٢ وخلاصته جلاء إسرائيل عن الأرض التى احتلتها عام ١٩٦٧ •

وقدم بيجين تصور له ورأيه ، ولم يكن رأى اليهودى جديدا ، فقد أعلنت كل القوى الصهيونية ألا عودة لحدود ١٩٦٧ ، أما الاقتراح الخاص بسيناء فيمكن انسحاب إسرائيل منها على ألا تتقدم القوات المصرية بعد مضايق متلا والجدى ، وأن تحتفظ إسرائيل بالمطارات ومحطات الإنذار المبكر الواقعة شرق المضائق ، وأن تبقى المستوطنات الإسرائيلية بسيناء لسكانها ، وتبقى معها قوات شرطة لحمايتها •

واتضح من ذلك أن الفجوة بعيدة جدا بين المشروعين فيما يتعلق

بسيناء ، أما فيما يتعلق بالضفة وغزة فقد كانت الفجوة أوسع ، وكانت إسرائيل لا تتكلم عن الضفة إلا باسم جوديا والسمارة ، فكأنها أرض صهيونية يسكن فيها بعض العرب •

وفشل الاجتماع تماما ولكن الرغبة كانت متبادلة في عدم إعلان الفشل ، ولذلك تم الاتفاق على تكوين لجنة سياسية ولجنة عسكـرية للإعداد لمؤتمر قمة قادم •

ثانيا : في القدس :

اجتمعت اللجنة السياسية في القدس في يناير ١٩٧٨ ، ولم يظهر في هذا الاجتماع أى تقدم ، وإنما كان الموقف تـكراراً لما حدث في الإسماعيلية ، وكل ما يمكن أن يلمسه الباحث أن إسرائيل عرضت الجلاء عن سيناء بشروطها السابقة ، فكان مبدأ الاعتراف بالجلاء مشجعاً للجانب المصرى ، على أن تتجه المفاوضات لتذليل الشروط التى عرضتها إسرائيل ، وعلى كل حال لم يطل عمر اللجنتين اللتين اقترح قمة الاسماعيلية قيامهما ، فجمّدت هاتان اللجنتان •

فبراير ومارس ١٩٧٨ وأثرهما في المفاوضات :

في فبراير ومارس ١٩٧٨ اغتيل يوسف السباعى بأيدٍ فلسطينية ، كما ذكرنا آنفاً ، ويلاحظ أن منظمة التحرير الفلسطينية أعلنت أنه ليس لها يد في هذا العدوان ولا تقره ، ولكن القاتل كان فلسطينياً على أية حال ، وقد انتهزت إسرائيل فرصة إحساس مصر بالغضب على الإرهاب الفلسطينى ، فاتجهت لغزو جنوب لبنان في مارس ١٩٧٨ بحجة تأديب من أسـمـتهم « الإرهابيين » وهم الذين نسميهم « فدائيين » •

ومن أجل هذه الأحداث المتصلة بهذين الشهرين اتجه الضغط لمواصلة الحديث عن سيناء ، أما الحديث عن الضفة وغزة فأصبح في المكان الثانى

لغبية أصحاب الشأن من جانب ، ولحدّة العلاقة بين الفلسطينيين ومصر من جانب آخر •

وأصبح الجو مليئاً بالغيوم ، وكثرت الانتقادات الموجهة للسادات من المعارضة ، ومن هنا قام السادات في مايو بالاستفتاء الذى تحدثنا عنه من قبل ، وكان موضوع الاستفتاء يشمل عدة نقاط أهمها الموافقة على صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى ، والحرمان من الحقوق السياسية لقادة الأحزاب الذين أفسدوا الحياة السياسية في مصر ، ولم يكن موضوع المفاوضات ضمن موضوعات الاستفتاء ، ولكنه في الحقيقة كان مختفياً في الظل حتى تسكت الأصوات التى كانت تنتقد مسيرة المفاوضات •

ثالثاً : في قلعة ليدز بإنجلترا :

وبعد أن فشل اجتماع القمة في الإسماعيلية ، واجتماع اللجنة السياسية في القدس اقترحت الولايات المتحدة أرضاً محايدة وكانت إنجلترا هى تلك الأرض ، وكان مكان الاجتماع هو قلعة ليدز في مقاطعة « كنت » وكان الاجتماع في مطلع النصف الثانى من يوليو ١٩٧٨ ، واشترك فيه وفد من الولايات المتحدة وجاء أن يحقق ما لم يتحقق في الاجتماعين السابقين •

وقد ذكرنا من قبل أن أنور السادات طلب مقابلة وايزمان وذكر له أنه يلوم بيجين لأن هذا لم يحاول أن يواجه مبادرة السادات ببعض التنازلات ، وقد نقل وايزمان هذا الرأى الى بيجين وتدارسه مجلس الوزراء كما ذكرنا من قبل •••••

وبسبب لقاءات وايزمان مع السادات في هذه المرة وغيرها تعرض وايزمان لهجوم شديد في مجلس الوزراء قاده أريك شارون وكان بيجين « يتفرج » على هذا الهجوم ، وحسم وايزمان الأمر حين أعلن أنه ليس من

الحكمة أن يحاول أنور السادات إيجاد الفرقة داخل صفوف حكومة إسرائيل (١) .

وفي هذا الاجتماع كان نصيب الضفة وغزة كبيرا ، وعرض في هذا المجال المشروع المصري والمشروع الإسرائيلي ، وكان الفرق واسعا بين المشروعين ، فمصر تريد تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٣ الذى يحتم عدم ضم أية أرض بالقوة ، والذى يُلزم إسرائيل بالانسحاب ، ويقدم المشروع ضمانات للأمن كاملة تشمل ست نقاط هى :

- ١ — إقامة مناطق منزوعة السلاح .
- ٢ — إقامة محطات إنذار مبكر تدار بواسطة طرف ثالث على جانبي الحدود .
- ٣ — وضع قوات الأمم المتحدة على طول الحدود وشرم الشيخ .
- ٤ — اعتبار مضيق تيران ممرا دوليا مائيا .
- ٥ — إقامة مناطق تحدّد فيها نوعيات الأسلحة .
- ٦ — إنشاء لجنة عسكرية مصرية إسرائيلية .

وهذه النقاط تغطى الأمن الإسرائيلى عند الانسحاب من الضفة وغزة وسيناء .. (٢) .

أما المشروع الإسرائيلى فكان بعيدا جدا عن ذلك ، فهو لا يثق في قوات الأمم المتحدة ، وهو يمزج بالإرهاب ويكرر الخوف منه ، وهو يعتقد أن الأرض بالضفة وغزة أرض إسرائيلية ، ويريد تنظيم حياة الفلسطينيين بها فقط ، فهم بها يحكمون أنفسهم تحت سلطات إسرائيل .

فالحكم الذاتى في نظر إسرائيل هو عدم التدخل في حياة الفلسطينيين العرب « والسماح لهم أن يعيشوا جنبا إلى جنب مع

(١) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

الصهاينة وأن يُلغى الحكم العسكرى ، ويتولى هؤلاء أمورهم بأنفسهم مع بقاء الاحتلال الإسرائيلى .

وهكذا لم تتجح اجتماعات ليدز ولم تقدم أى تطور فى المشكلة وكان الموضوع بالنسبة للقدس أكثر صعوبة .

ويقول محمد ابراهيم كامل إن فانس وزير الخارجية الأمريكى أدرك التعتن الإسرائيلى ، وهدد بأن الرئيس كارتر سيتدخل بحسم ويعلن سبب إخفاق المفاوضات ، ويعود بالملائمة على إسرائيل .

ويقدر محمد ابراهيم كامل كذلك أننا رفضنا عدم الالتزام باجتماع تالٍ لعجزنا عن إحراز أى تقدم فى هذه الاجتماعات (١) .

أدل التقارب العربى ونتيجته :

كان من نتيجة الدفاع المصرى القوى عن الضفة وغزة وإبراز حقوق الفلسطينيين والتمسك بها ، أن وجد فى الساحة العربية تقدير لهذه الجهود المصرية ، وهادولة دعم التقارب العربى الذى كانت مبادرة السادات قد هزته ، فنشط محمود رياض أمين الجامعة العربية أتمية هذه الجهود ولتقوية الصف العربى ، وتهيأت مصر للاستجابة لذلك ، فى مقابل الصلّف الإسرائيلى وتعتنت بيجين ، وأوشك السادات أن يفات من القبضة الأريكية اليهودية .

ولكن انفلات السادات من القبضة الأريكية الإسرائيلىة كان أمراً لا ترتضيه أمريكا ولا إسرائيل ، فقد كانت إسرائيل حريصة على تفنيت الصف العربى ، وعلى المحافظة على إبعاد مصر عن الدول العربية ، ثم إن تدهور الحالة فى إيران وإحساس أمريكا بعجز الشاه عن السيطرة على الأحوال كانت من الأسباب التى دعت أمريكا أن تحاول الوصول إلى اتفاق بين مصر وإسرائيل ليساعد ذلك على الاستقرار فى المنطقة ضماناً لمصالح

(١) المرجع السابق ص ٣٦٢ .

أمريكا في هذه المنطقة الحيوية ، وعلى هذا أعلن كارتر أنه سيبدعو
الزعيمين السادات وبيجين الى اجتماع ثلاثى في كامب ديفيد *

اجتماعات كامب ديفيد ونتائجها

تمت اجتماعات كامب ديفيد في سبتمبر سنة ١٩٧٨ ، وقد كررت مصر
موقفها من الالتزام بتنفيذ قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ وناورت
إسرائيل كعادتها واستمرت المباحثات اثنى عشر يوما ، وقد حاول
السادات أن يثُرك الملك حسين في هذه الاجتماعات أو يثرك الفلسطينيين
ولكن هذه المحاولات لم تنجح ، وكان شبح الفشل يبدو من حين إلى آخر ،
ويقول الأستاذ الدكتور صلاح العقاد ^(١) إن السادات كان أمامه
خياران : إما أن تقطع المباحثات أو يتساهل في موضوع الضفة
وقطاع غزة ، وكان الرئيس السادات يحسب ألف حساب لإخفاق
المباحثات ، ويرى أن العرب والسوفييت سيثمتون فيه ، وسيثبت أن
الذين عارضوا المبادرة كانوا على حق ، ومن أجل ذلك ظهرت سلسلة من
المتنازلات في موضوع الضفة والقطاع بل في موضوع سيناء *

وقد أسفرت اجتماعات كامب ديفيد عن اتفاقيتين أعلنتا في ١٧
سبتمبر هما :

١ — كانت الاتفاقية الأولى حول « إطار السلام في الشرق الأوسط »
وهي تدعو الدول العربية التفاوض لتحقيق السلام مع إسرائيل على
أساس قرارى مجلس الأمن رقمى ٣٤٢ — ٣٣٨ وعلى أساس المبادئ
التالية :

عن الضفة وغزة : وضع ترتيبات لفترة انتقالية يتحقق فيها الحكم
الذاتى لهاتين المنطقتين وعند انتخاب سلطة الحكم الذاتى تتوقف

(١) السادات وكامب ديفيد ص ١٨٠ .

الحكومة العسكرية والإدارة المدنية الإسرائيلية عن ممارسة مهامها ، ثم
تتسحب القوات الإسرائيلية فيما عدا ما يتقرر بقاؤه منها في نقاط
محددة لأغراض الأمن .

ويكون ذلك في حدود الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحاجاته
المعادلة .

٢ — أما الاتفاقية الثانية فكانت حول « إطار العقد معاهدة سلام
بين مصر وإسرائيل » وذلك خلال ثلاثة شهور أى حتى ١٧ ديسمبر ١٩٧٨
ويشمل هذا الإطار الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية من سيناء
إلى منطقة الحدود الدولية ، ويكون ذلك خلال ثلاث سنوات واستخدام
مصر للمطارات التى أنشأتها إسرائيل بسيناء لأغراض مدنية فقط ، وحق
السفن الإسرائيلية فى الملاحة فى خليج وقناة السويس على أساس
اتفاقية القسطنطينية ، واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة مياها دولية
مفتوحة للجميع .

وتتسحب إسرائيل خلال تسعة أشهر إلى خط العريش — رأس محمد
وعقب ذلك تنشأ علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل بما فيها الاعتراف
الكامل ، وإنشاء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ، وإنهاء
المقاطعة الاقتصادية وعوائق حرية الحركة للأفراد والسلع ، ثم يتم
الانسحاب عقب ذلك من كل سيناء على مراحل خلال المدة الباقية من
السنوات الثلاث ، وستشرح هذه المراحل عند حديثنا عن المعاهدة التى
نظمت ذلك ضمن أحداث سنة ١٩٧٩ .

ثم توضع ترتيبات الأمن التى تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح ،
ومناطق مقيدة التسليح ومحطات للإنذار المبكر ، وانتشار قوة دولية
لحراسة الحدود (١) .

(١) محمد حافظ اسماعيل : أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص

نقد الاتفاقية الأولى :

أولا : كان الحكم الذاتى فى نظر إسرائيل كما وضحه بيجين ينطبق على السكان لا على الأرض ، فالأرض فى تقديره إسرائيلية ، يعيش فيها اليهود والعرب ، وللعرب أن يحكموا أنفسهم فى نطاق السلطة الإسرائيلية العامة كما ذكرنا من قبل •

أما المفهوم العربى فكان بعيدا كل البعد عن ذلك ، فهو يرى أن الأرض عربية تماما ، وعلى المحتل الإسرائيلى أن يخرج منها لىكوّن فيها الفلسطينيين دولتهم المستقلة ، وثنتان بين المفهومين ، ومع خروج إسرائيل من الضفة وغزة تنتهى المستعمرات الإسرائيلية بالمناطق العربية كما حدث فى سيناء ، أو تبقى تحت حكم الفلسطينيين •

ثانيا : قضية الأمن التى وردت فى هذا الاتفاق فسّرها الجانب الإسرائيلى على أنها أمن إسرائيل وحدها ، واتخذت إسرائيل كل الاحتياطات طبقا لهذا الفهم •

ثالثا — أدخلت الاتفاقية الأردن فى الالتزامات مع أن المملكة الأردنية لم تكن ممثلة فى المفاوضات ، فقد نصت على أنه عقب نهاية الفترة الانتقالية (مدتها ثلاث سنوات) يجرى الاتفاق مع الأردن على تحديد الوضع النهائى ، ويجوز أن يشترك الفلسطينيون فى هذه المباحثات ، والفلسطينيون لم يكونوا أيضا طرفا فى المباحثات •

رابعا : تلتزم الاتفاقية سلطات الحكم الذاتى والحكومة الأردنية أن تقبم علاقات مع إسرائيل على نمط العلاقات التى وردت فى الاتفاق بين مصر وإسرائيل •

خامسا : أصر بيجين على إضافة عبارة (مجلس إدارى) بين قوسين (م ٢٨ — التاريخ الاسلامى)

أمام عبارة (سلطة المحكم الذاتى) وبهذا أصبح هذا الحكم خاصا بالأمور الادارية وليس له اختصاص تشريعى أو سياسى •

سادسا : لم تشمل الاتفاقية موضوع تجميد المستوطنات الإسرائيلية وهذا يفتح الباب لمزيد من الزحف الإسرائيلى فى الأرض العربية •

سابعا : سقطت الإشارة إلى القدس نهائيا واكتفى بخطابات متبادلة بين الأطراف ، وليس لهذه الخطابات أية قوة قانونية وليست ملزمة لإسرائيل ، وبخاصة أن إسرائيل كانت قد قررت فى يوليو ١٩٦٧ أن مدينة القدس موحدة وأنها عاصمة إسرائيل •

هذا ما نراه من أهم بنود النقد فيما يتعلق بالاتفاقية الأولى ، أما نقد الاتفاقية الثانية فيجدر بنا أن نؤجله لنورده عقب إيراد أهم نصوص المعاهدة التى وضعت الاتفاقية الثانية دعائمها ضمن حديثنا عن : أحداث سنة ١٩٧٩ فيما بعد •

وقبل أن نترك هذا الموضوع لا تزال أمامنا لقطات ينبغى أن نسجلها هنا ، فهى ترينا بعض الأحداث التى أثّرت على مجريات الأمور ، كما تثرينا اتجاهات الأطراف المتعددة تجاه هذا النزاع :

أقطات ترتبط بمصر :

١ — تحملت مصر عبئا واسعا وثقيلًا تجاه القضية الفلسطينية منذ ظهورها ، وضحت من أجل ذلك بفيض من المال والدماء ، مما كان من أسباب الإرهاق الاقتصادى الذى تشهده مصر ، وفى نفس الوقت كانت هناك دول عربية تقدم للقضية كلاما وخطبا فقط ، وقد أراد زعماء الكلام أن يتحكموا فى قضية مصر ، وأن يستعملوا الخطب فى هذا المجال كما استعملوها فى القضية الفلسطينية ، ولم يكن من الممكن أن تترك مصر دول الخطب تتحكم فى مصيرها •

وقد عبر أنور السادات عن مشكلات مصر بقوله : إنه لا يستطيع أن يربط مصير مصر بما تثيره بعض الدول العربية وما تتحمله هذه الإثارة من شكوك وتردد وعجز عن اتخاذ القرارات ، وإن مصر قد تحملت العبء الأكبر من التضحيات ولا تسمح حالتها بالاستمرار في هذه الأوضاع إلى أجل غير مسمى (١) .

٢ — الرافض العربي الدائم أضعف موقف السادات ، ولم يكن هناك من سبيل إلى إجماع الجانب العربي على موقف واحد تجاه المفاوضات مما جعل السادات يتخذ الخطوات بنفسه لحل المشكلة المصرية فالشعب المصري هو القابض على النار .

٣ — كان السادات يعاني خلال المفاوضات معاناة شديدة بين النقد العربي المرير من جانب ، والتصلب الإسرائيلي الخشن من جانب آخر .

٤ — حرصت إسرائيل بوسائل متعددة على إبعاد مصر عن العرب ، فلما تم لها ذلك ، وأحسّت بالجفوة العربية للسادات أسرفت في التحكم فيه .

٥ — كانت حالة مصر وقت المفاوضات تدفع لقبول السلام بشـكل أو بآخر ، وقد عبر السادات عن ذلك بقوله لوزير خارجيته آنذاك محمد إبراهيم كامل : إنك لا تعرف شيئاً عن أحوال مصر الداخلية ، ولقد ترك لى عبد الناصر تركة مثقلة بالهجوم ، والمشاكل ، وإن أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية في غاية السوء ، وكل مرافق البلاد منهارة ، ولن نستطيع مصر أن تخرج من أحوالها إلا إذا حصلت على السلام وكرّست كل مواردها للتنمية (٢) .

(١) محمد إبراهيم كامل : السلام الضائع في كامب ديفيد

ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) محمد إبراهيم كامل : المرجع السابق ص ٥٩٦ .

ويلاحظ أن الدول العربية عرضت في هذا الوقت على مصر مبلغا سخيا لمعالجة مشكلاتها الاقتصادية بشرط عدم السير في طريق عقد معاهدة مع إسرائيل ، ونحن نتساءل : أين كان هذا السخاء من قبل ؟

٦ — مما يؤخذ على السادات أنه كان في المفاوضات يعمل وحده ، ويرى من حوله أشبه بالرموز الروتينية ، بل كان يصرّح أحيانا لهم بأنهم لا يفهمون في السياسة ، كما حدث في موقفه من الدكتور نبيل العربي عندما اعترض هذا على الخطابات المتبادلة بشأن القدس ، وقال : إنها ليست لها أية أهمية قانونية ، ومما يؤخذ عليه كذلك أنه في مثل هذا العمل الكبير كان يخشى شماتة الاتحاد السوفيتي وحافظ الأسد والقذافي ، وهو من أجل ذلك يريد نتيجة لمبادرته حتى لو كانت نتيجة تنقصها بعض عناصر النجاح ، ولا شك أن التحرك بدافع هذا الإحساس خطأ سياسيا كبيرا .

لقطات ترتبط بإسرائيل :

١ — كان لإسرائيل مطالب في المفاوضات هي صورة من صور الابتزاز التي سجلها التاريخ لليهود من مطلع ظهورهم على الساحة البشرية ، كان اليهود أسوأ من موقف « كوهين » في المسرحية العالمية الشهيرة (تاجر البندقية) وكانوا « فمّا » واسعا يتطلع لابتلاع كل شيء ، ليس فقط لأزدراد كل الطعام الذي على المائدة ، بل لأزدراد أدوات المائدة أيضا ، ففي المشروع الذي قدمه بيجين للسلام بدت « وقاحته » كما يصفه وزير الخارجية المصري فهو (بيجين) يقول : « عندما توقع اتفاقية السلام يستطيع الجيش المصري البقاء في خط لا يتجاوز ممرى متلا والجدى ، أما باقى سيناء (وهو أكثر من ثلاثة أرباعها) فتكون منزوعة السلاح ، وتحتفظ إسرائيل بمطاراتها العسكرية فيها ، وبمحطات الإنذار المبكر ، وأما المستوطنات بين رفح والعريش ، وبين إيلات وشرم الشيخ فتبقى كما هي ، وستكون مستوطنات مدنية ، ولكن هناك مبدءا

يهوديا مقدسا بالآلا يتتترك المدنيون بدون حماية عسكرية ، اذلك سنحتفظ بقوات قليلة لحماية هؤلاء المستوطنين المدنيين (١) .

٢ — هذا فيما يتعلق بسيناء ، أما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة فقد أعلن اليهود أن القدس موحدة ، وثابعة لإسرائيل وهى عاصمتها ، كما كانوا يتحدثون عن الضفة بأسماء يهودية ، فيقولون « يهودا والسامرة » ويرون أن الأرض أرضهم وأنهم لم يدخلوا أرضا جديدة ، وإنما هى أرضهم استعادوها ، وكان حديثهم فقط عن الشعب العربى الذى يعيش فى هذه الأرض ، وكيف يعملون ليسمحوا له بالحكم الذاتى ، وقد ذكرنا ذلك من قبل .

٣ — كان بيجين يتحدث بصلف ووقاحة كما يقول الأستاذ أحمد بهاء الدين (٢) ، وقد وصل من وقاحته أن أعلن استعداد إسرائيل لإعادة سيناء إلى مصر بشرط واحد هو أن تخرج مصر من العروبة ، وعندما أحس أن هذا الشرط مرفوض من أساسه ، وأنه لا توجد قوة تستطيع أن تحققه ظهر بأنه لا يريد السلام أصلا ، ولا يريد إعادة شبر من سيناء ولا يهيمه اذا وقع أى صدام مع السادات ينهى المفاوضات .

وقد بلغ اليأس بالسادات قمته فى كثير من الحالات نتيجة توقف بيجين عن الاستمرار فى مسيرة السلام ، وتصف السيدة جيهان السادات ذلك بقولها : اتصلت به (الرئيس السادات) أسأله كيف تسير المحادثات ؟ فأجاب : بيجين صعب جدا ، ومعقد جدا ، ولكن السيدة جيهان شجعت زوجها ، وأوصته بالصبر ، فأجاب : أننى أحاول وأحاول وأحاول ، ولكن الأمر غير مشجع .

وهناك مطالب أخرى لإسرائيل سنراها عندما نعرض اتفاقية السلام ونحلل بنودها .

(١) محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ٤٥ .

(٢) محاوراتى مع السادات : ص ١٧٣ .

لقطات ترتبط بأمريكا :

١ — كان السادات يتوق إلى أن يصبح حليف أمريكا ، وكان يعلن دائما أن الحل في يد أمريكا ، وأن أمريكا هي القوة الأولى في العالم ، وكان أحيانا يبدى استعداداه بأن يكون رجل أمريكا ومساندا للنظم التي في فلكها كنظام موبوتو في زائير .

وظن السادات أن هذا يساعد على حل القضية ولكنه نسي مكانة إسرائيل بالنسبة لأمريكا ، فإسرائيل ليست حليفة أمريكا فحسب ، ولكنها قلب أمريكا الخفاق .

وكانت أمريكا تتعاطف مع مصر مجرد تعاطف ، وعندما تحسب أمريكا بتعسف إسرائيل لا تملك أمريكا إلا أن تتوسل لإسرائيل لتيسير الأمر .

٢ — وقد وصل الأمر بأمريكا أن تعهدت لإسرائيل ألا تقدم أى مشروع لتسوية القضية إلا بعد عرضه على إسرائيل وأخذ موافقتها عليه ، وعلى هذا كانت الاقتراحات الأمريكية شديدة التأثير باتجاهات إسرائيل ، بل كانت صورة من هذه الاتجاهات في كثير من الأحوال (١) .

٣ — وسنرى فيما بعد أن معاهدة السلام وقعت في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ وبعد يومين اثنين أى في يوم ٢٨ مارس وقعت أمريكا مع إسرائيل اتفاقا يرتبط بهذه المعاهدة خلاصته التزامات أمريكا تجاه إسرائيل ، فإذا كانت أمريكا ضغطت على إسرائيل لتترك المطارات التي أعدتها في سيناء ، فإن أمريكا تعهدت ببناء مطارات بديلة لإسرائيل ، وإذا كانت إسرائيل حرمت بترول سيناء ، فإن أمريكا تتعهد بتوفير احتياجات إسرائيل من البترول لمدة ١٥ سنة ، وهناك التزامات أخرى كثيرة في هذا الاتفاق ، والذي

(١) محمد ابراهيم كامل : المرجع السابق ص ٥٦١ .

أريد أن أقوله هنا أن المفاوضات حول هذا الاتفاق كانت تجرى خلال المفاوضات المرتبطة بالمعاهدة المصرية الإسرائيلية ، وما إن وقعت المعاهدة حتى تم هذا الاتفاق الذي كانت مفاجأة غير سارة لمصر ، وسنورد خلاصة وافية لهذا الاتفاق عقب حديثنا عن المعاهدة ضمن أحداث سنة ١٩٧٩ إن شاء الله •

لقطات ترتبط بالعرب :

هناك كثيرون من العرب يستطيعون النقد والكلام ولا يستطيعون العمل ، وذلك شيء يؤخذ عليهم ، فهم يحاربون بالخطب الرنانة ويرفضون كل شيء ، ويقترحون المستحيلات فإذا لم يتحقق اتخذوا الهجوم وسيلة لهم ، على من يحقق الممكنات •

وما إن تم اتفاق كامب ديفيد حتى علا صراخ العرب وارتفع تهديدهم ، وفي تقديري ليس هذا أسلوبا حضاريا ، وأنا هنا لا أدافع عن أنور السادات ، وقد انتقدت كثيرا من أعماله كما يرى القارىء ، بل انتقدت قرارات كامب ديفيد ، ولكن السؤال هو : هل كان يمكن أن ننال أكثر من هذا ؟ وما الوسائل ؟

الإجابة واضحة فإن هذه المفاوضات أعادت سيناء إلى مصر ولو بتسليم محدود ، أما الجولان التي كان يمكن أن تعود إلى سوريا الوطن الأم في نفس الوقت ، فقد أعلنت إسرائيل ضمها لها سنة ١٩٨١ ، ولا يعلم إلا الله مستقبلها ، أما الضفة وقطاع غزة فلا تزالان تعانيان من الاحتلال اليهودي المرير ، وتتجه التحركات بالنسبة لهما إلى المطالبة بعقد مؤتمر دولي وهو طريق طويل وشاق ، وإسرائيل للأسف لا تحترم قرارات مجلس الأمن ولا هيئة الأمم المتحدة ، ومن خلفها أمريكا تدعمها وتدافع عنها •

ويصفت اللواء محمد حافظ إسماعيل حالة العرب المحزنة في هذه

الفترة من التاريخ بأنها كانت حالة تدعو للقلق والخجل ، فحرب أهلية في لبنان طال مداها ، وبوادر أزمة بين العراق وإيران انقلبت إلى حرب ضروس ثمانى سنوات ، وحركات إرهاب تضر ولا تنفع ، وقيادات فلسطينية متنوعة ومختلفة ، وصراعات بين مجموعة وأخرى من البلاد العربية ، واضطراب اقتصادى نشأ عن انهيار أسعار البترول كل هذا سبب ما أسماه « الغياب العربى » الذى ترك الساحة لإسرائيل تعربد ليس فقط فى الضفة وغزة ، بل امتدت عربيتها إلى لبنان ، وضربت المفاعل الذرى فى العراق ، ومركز منظمة التحرير فى تونس (١) .

والعجيب أن بعض القوى المتهافئة التى لاتزال تسير فى فلك ما يسمى (الناصرية) تعارض اتفاقيتى كامب ديفيد ، وكان على هؤلاء أن يخبجوا وأن يتواروا عن الأنظار ، فما جلب الاحتلال لهذه الأرض التى نصارع بالدم والمال والعرق لتحريرها إلا زعيم الناصرية حسابه على الله .

وبعد أيام من إعلان اتفاقيات كامب ديفيد أى فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٨ ظهرت جبهة سمت نفسها « جبهة الصمود والتحدى » واجتمعت بدمشق ولم يكن لها برنامج بناء على الإطلاق ، ولا خطة لتحقيق هدف عربى نبيل ، إنما برعت فى الشتائم والتهديدات ، فزادت الفركة بين العرب حدة واتساعا ، وكانت هذه الجبهة تتكون من ليبيا وسوريا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقررت هذه الجبهة رفض اتفاقيتى كامب ديفيد وقطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع « النظام المصرى » والدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربى .

مؤتمر بغداد :

استجابة لما طلبته جبهة الصمود والتحدى عقد مؤتمر قمة عربى

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحدييات ص ٤٧٠ بتصرف .

في بغداد في أول نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، لينظر في هاتين الاتفاقيتين ، وقرر المجتمعون أن اتفاقيتي كامب ديفيد تتعارضان وقرارات القمة العربية ولا تؤيدان للسلام العادل ، وأرسلوا وفدا إلى القاهرة لمناسبة الرئيس السادات العدول عن هاتين الاتفاقيتين ، ولكن السادات رفض استقبال الوفد ، وعلى هذا قرر المؤتمر أن القاهرة إذا وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل فإن عضويتها في جامعة الدول العربية تعلق ، وبالتالي فإن مقر الجامعة العربية سينقل من القاهرة إلى تونس .

وقرر المؤتمر كذلك تقديم مساعدة مالية قاربت ثمانية مليارات من الدولارات سنويا لدول المواجهة ومنها مصر إذا لم تسر إلى نهاية الشوط ، ولم توقع المعاهدة مع إسرائيل ، ويتساءل المطلعون أين كان هذا السخاء عند الأزمات التي مّرت بمصر في عهد احتلال إسرائيل لسيناء ونهبها للبترول المصري ؟ لقد جاء السخاء بعد فوات الاوان .

وربما جاز لنا أن نقفز لنذكر أن مصر وقعت فعلا معاهدة سلام مع إسرائيل في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ كما سنذكر في أحداث سنة ١٩٧٩ وفي اليوم التالي (٢٧ مارس) اجتمع وزراء الخارجية والاقتصاد العرب في بغداد لتنفيذ قرارات مؤتمر القمة ، فقرر الوزراء ما يلي :

١ — قطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع مصر وبالتالي سحب السفراء العرب من القاهرة .

٢ — تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية ، ونقل مقرها بصفة مؤقتة إلى تونس .

٣ — وقف القروض والمساعدات الاقتصادية إلى مصر .

ويحدث هذا لمصر مع أن الدول العربية لم تقطع علاقاتها بحكومة الكتائب في لبنان مع ان هذه الحكومة لم تقنع بعلاقات مع إسرائيل بل دعته لغزو لبنان وضرب المقاومة الفلسطينية به ، وتدخلت مصر بكل

ثقلها لحماية ياسر عرفات من عدوان كان محققا ، ومع هذا ظلت العلاقات العربية مع لبنان تسير في طريقها ، وظل المعون الاقتصادي العربي يتدفق على لبنان ، يا الله !

وانتهى عام ١٩٧٨ بهذه الآلام وبمبادئ القطيعة التي تمت سنة ١٩٧٩ ، وهي قطيعة لا تسمح بها ظروف العرب ، فلا مصر تستغنى عن العرب ، ولا العرب يستغنون عن مصر ، وإذا كان أغنياء العرب قد فرحوا لتوقف مساعداتهم لمصر ، فقد كان واجبا عليهم أن يتذكروا مساعدات مصر للعرب طيلة عهود طويلة ، وأقرر أن الشعب العربي واصل صلاته مع مصر ، وفوفود السياح لم تنقطع ، وفوفود الطلاب الذين يسعون لطلب العلم ، والمرضى الذين يسعون للاستشفاء ظلوا يتدفقون ، وفرق العمل المصرية من أساتذة وأطباء ومهندسين وعمال لم تتوقف ولم تقل ، بل ربما زادت والمؤتمرات العلمية والإسلامية لم تخل من أعداد كبيرة من المصريين أيما كانت العاصمة التي تستعقد بها هذه المؤتمرات ، وفي كلمة قصيرة وصريحة لم تؤثر قرارات المقاطعة على العلاقات بين الشعب المصري والشعوب العربية ، وكان الحب هنا وهناك أقوى من الغضب ومن القرارات •

وهناك دولتان رفضتا القطيعة من أول الأمر ، هما السودان وعثمان أما المملكة الاردنية الهاشمية فقد نفذت القطيعة فترة ، ولكنها سرعان ما تخلت عنها ، وعادت للإخاء والتعاون مع مصر ، والمصريون يتذكرون موقف هذه الدول الثلاث بالكثير من التقدير والاعتزاز •

ومرّ الزمن ، ووجدت أكثر الدول أن القطيعة عمل لا يليق ولا يمكن تنفيذه ، فتراجعت هذه الدول وأعادت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية بمصر ، وكيف يمكن خلق قطيعة بين مصر ودول الخليج مثلا مع أن روابط ود عميقة تربط بين شعوب هذه الدول من جانب وبين

الشعب المصري من جانب آخر ، وعلى الحكام أن يكونوا صدى لاتجاهات الشعوب .

وفي يناير سنة ١٩٨٩ أعلن قيام تجمع اقتصادى بين مصر والأردن والعراق واليمن الشمالية ، ويعتبر هذا ردا صريحا على محاولات التفريق السياسى والاقتصادى بين الدول العربية بعضها والبعض ، وبمناسبة هذا التجمع الاقتصادى سئل الدكتور أسامة المراز الوكيل الأول لوزارة الخارجية المصرية عما إذا كانت معاهدة السلام مع إسرائيل تتعارض مع مثل هذا التجمع ، فأجاب : إنه لا يوجد هناك مانع يمنع التجمع الاقتصادى والسياسى مع العرب ، وأضاف أن مصر أكدت مرارا التزامها بميثاق الدفاع المشترك ^(١) ، فإذا أضيف إلى ذلك التعاون العسكرى العظيم لرد غائلة إيران عن العراق وعن دول الخليج أدركنا أن التفريق بين الإخوة شئ صعب المنال ، وأن الحكمة تقتضى التريث عند حدوث خلاف فى الرأى .

ولم يبق على القطيعة حتى كتابة هذه السطور فى أوائل سنة ١٩٨٩ إلا ليبيا وسوريا ، وهو شئ يدعو للأسف ، فعلاقة مصر بهاتين الدولتين كانت وطيدة جدا ، بل كانت علاقة وحدة خلال مئات من السنين . وقد شهدت الشهور الأخيرة من سنة ١٩٨٩ عودة الود والوئام بين مصر وهاتين الدولتين .

وكلمة ختامية عن إحساس منصف محايد تجاه اتفاقيتى كامب ديفيد ، وهى كلمة نقتبسها من سفير مصر فى باريس الذى يصوّر لنا رأى الفرنسيين فى كامب ديفيد بقوله : لم يكن الفرنسيون يرون أن ما تحقق فى كامب ديفيد شئ أو خطوة للخلف ، بل كانوا يرون ذلك خطوة متقدمة ^(٢) .

لقد كان العرب يريدون الإنصاف فى عالم حافل بالمظالم ، يريدون

(١) حديث نشر فى الوفد بتاريخ ١٤/٢/١٩٨٩ .

(٢) محمد حافظ اسماعيل : المرجع السابق ص ٤٥٥ .

العذل في عالم تحكمه القوة ، وقد توقف السادات كثيرا خلال المفاوضات ، بل
هزم ادعته وأراد العودة بدون وصول إلى الغاية ، فهو كان يريد المزيد ، كما
أريد أنا وأنت ، ولكن المجتمع العالمي والمجتمع العربي لا يستطيعان أن
يحققا حل الأمانى ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه كما قال الشاعر
العربي ، وليت الذين رفضوا اتفاقتي كامب ديفيد استقطاعوا تحقيق
غاية أسعى دنهما ، فإذا عجزنا عن تحقيق كل آمالنا فلنقنع مؤقتا بالممكن ،
ولنتطلع إلى المستقبل لعله يكون أحسن من الماضي وهن الحاضر ، وذلك
أمل قريب النوال إن شاء الله •

وفي العام التالي لتوقيع المعاهدة أى في سنة ١٩٨٠ اندلعت الحرب بين
العراق وإيران وتناست مصر كل شيء ، وقدمت كل ما تستطيع من معدات
ونذائر حربية وخبرات العراق ، وكان ذلك مطلباً جماهيرياً ، فحماية
العراق حماية الجزيرة العربية ودول الخليج وللأماكن المقدسة ، وذلك
شيء يحرص عليه كل فرد في مصر مهما كان ما همس المصريين من قرارات
مؤتمر قمة بغداد •

وفساء كامب ديفيد :

في حديث شامل أدلى به الأستاذ فؤاد سراج الدين زعيم حزب الوفد
إلى صحيفة الأنباء الكويتية ونشرته صحيفة الوفد القاهرية في
١٩٨٩/٢/٢ سئل فؤاد سراج الدين عن اتفاقتي كامب ديفيد فأجاب :

كامب ديفيد ماتت ، وكلام الإسرائيليين عنها لا يساوى ثمن المداد
الذى كتبت به ، فإسرائيل خرقتها مرات ومرات •

وكلمة ماتت كلمة حقيقية ، فاتفاقية « إطار السلام في الشرق
الأوسط » بنيت على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ وإسرائيل
صرحت عدة مرات بأنها لا تحترم هذين القرارين ، وليس في نيتهما

إعادة الأرض لأصحابها ، بل نتحدث عن الأرض حديث مالك لا حديث
محتل غاصب .

وإسرائيل ترفض الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وإسرائيل تعامل العرب في الضفة وغزة معاملة بعيدة كل البعد
عن الجانب الإنساني ، فالضرب والتعذيب والقتل والطرْد هي الأسلوب
الذي تتبعه إسرائيل مع عرب هاتين المنطقتين .

والمستعمرات التي تقام والاستيلاء على أرض العرب بالقوة ، وهدم
بيوتهم ، وتعطيل مدارسهم كلها تتنافى مع إطار السلام في الشرق
الأوسط .

وجيش صاخب بمعداته وأسلحته يواجه أطفال الحجارة ، يا له
من ظلم فادح سيحاسب عليه اليهود يوماً من الأيام .

ويصف الأستاذ اسماعيل فهمي ^(١) تقويض إسرائيل لاتفاقات
كامب ديفيد بقوله :

إن الضفة الغربية وغزة هي بلا شك أرض احتلتها إسرائيل خلال
حرب ١٩٦٧ ، وقد تعهد بيجين في اتفاقات كامب ديفيد باحترام قرارى
٢٤٢ ، ٣٣٨ وميثاق الأمم المتحدة ، ومعنى هذا إعادة هذه الأرض إلى
أصحابها الذين كانوا يعيشون فيها قبل احتلالها سنة ١٩٦٧ .

ولكن بيجين نقض هذا الاتفاق وأعلن فيما بعد أن يهودا والسامرة
جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل ، وكان ما قاله في هذا المجال : هو إن
أمتنا قد ولدت في يهوديا وسماريا وليست في حيفا ولا تل أبيب ، وفي

(١) التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط ص ٤٥٤ وما بعدها .

يهوديا وساماريا ظهر أنبيأؤنا بنبواتهم ، وظهرت الثقافة اليهودية القديمة ، والتي منها تربينا حتى يومنا هذا •

ومن الواضح أن هذه الاتجاهات مناقضة تماما لاتفاقيات كامب ديفيد •

ومن أجل هذا الاتجاه لم تتوصل مباحثات الحكم الذاتي بين مصر وإسرائيل إلى أى نتائج لأنها واجهت طريقا مسدودا منذ البداية عند التعرض لموضوع السيادة على هذه الأرض ، وقد كان موضوع السيادة على الأرض واضحا تمام الوضوح في اتفاقيات كامب ديفيد •

ومن وسائل تدمير هذه الاتفاقيات كذلك أن إسرائيل قررت أن القدس الشرقية هي جزء من أراضيها إلى الأبد وقد صدر بذلك قرار الكنيسة الإسرائيلية في ٣٠ يوليو سنة ١٩٨٠ •

وقررت إسرائيل كذلك أن المستوطنات في الضفة وغزة لا يمكن إزالتها •

وصرح بيجين أكثر من مرة بأن محاولة إنشاء دولة فلسطينية مستقلة شيء لا يمكن تصوره •

وكل هذا وسواه قضى بوفاة اتفاقات كامب ديفيد ، وعلى هذا فإن اتفاقات كامب ديفيد ماتت إلى غير رجعة ، وقد قال الدكتور أسامة الباز الوكيل الأول لوزارة الخارجية المصرية في تصريح نشرته له صحيفة الوفد الصادرة في ١٠/٢/١٩٨٩ إن اتفاقيات كامب ديفيد الموقعة مع إسرائيل عام ١٩٧٨ تعتبر مرحلة تم تجاوزها ، وقال إن عهد كامب ديفيد كان فترة انتهت ويجب ألا نعيد ذكر هذه الاتفاقيات بعد ذلك •

وليس موقف إسرائيل مع مصر بأحسن من موقفها مع الضفة أو غزة ، فما سمى تطبيع العلاقات لا يمكن أن يتم مع العداء الكامن في النفوس ، ومع آلاف الأرواح البريئة التي فاضت بسبب إسرائيل ،

والقيود التي فرضتها إسرائيل وأمريكا على مصر تؤلم المصريين وتقلقهم ، و « طابا » استنفدت كل الجهود من مفاوضات وتحكيم ، وبعد سبع سنوات من الجلاء عن سيناء قرفض إسرائيل إخلاء هذه المنطقة المصرية حتى كتابة هذه السطور (فبراير ١٩٨٩) • وقد عادت طابا لمصر بعد ذلك كما سنرى فيما بعد •

ياسر عرفات وكأعب ديفيد :

وقد اعترف ياسر عرفات بإسرائيل يوم أعلن قيام دولة فلسطين في ١٩٨٨/١١/١٥ في ظل القرارين السابقين ، كما أعلن أن وثيقة استقلال فلسطين تؤكد على أن دولة فلسطين تؤمن بتسوية المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، والالتزام بقرارات الأمم المتحدة وعدم اللجوء للقوة إلا فيما يتعلق بالدفاع عن التراب الوطنى •

إن تصريحات ياسر عرفات يوم اعلان قيام الدولة الفلسطينية أعطت إسرائيل أكثر مما أعطته لها كأعب ديفيد ، وبارك الحرب ذلك ولم يغضبوا ، ولعل ذلك يخفف من الحملة على كأعب ديفيد وإن كانت هذه قد انتهت إلى الأبد ، ونطمح في نتائج جديدة تحققها المسيرة الجديدة التي تسعى لها منظمة التحرير الفلسطينية •

جائزة نوبل :

في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨ منحت جائزة نوبل للسلام مناصفة بين السادات وبيجين ، ونظر الشعب المصرى لهذه المشاركة نظرة اشمئزاز فلم يكن الربط بين الرئيس السادات ومناحم بيجين مَرَضِيَا لأحد ، وإذا كانت الظروف قد أرغمت السادات على توقيع اتفاقيتى كأعب ديفيد ، وإذا كان هناك من يوافق على هاتين الاتفاقيتين للضرورة ، فإن الإجماع منعقد على أن الود لا يمكن أن ينبثق بين زعيم مصرى وزعيم صهيونى ، وتاريخ مناحم بيجين بالذات كتاريخ بن جوريون وإسحاق شامير هو تاريخ سفك دماء ومحبة لإراقة الدماء •

وقد تناسى اليهود توقيعاتهم على الاتفاقيتين ، وراحوا بعد ثلاثة شهور من التوقيع يزحفون من جديد لبناء مستعمرات جديدة في الأرض العربية •

ومن أجل هذا رفض السادات التوجه إلى أوصلو مع مناحم بيجين لتسلم الجائزة في ديسمبر من نفس العام وأصاب المهندس سيد مرعى في السفر لذلك بديلا عنه (١) •

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ٤٨٣ و ٤٨٦ •

أحداث سنة ١٩٧٩

في الطريق لمعاهدة السلام :

عند حديثنا عن الاتفاقية الثانية من اتفاقيتي كامب ديفيد ذكرنا أنه بناء على هذه الاتفاقية تقوم مصر وإسرائيل خلال ثلاثة شهور أى حتى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٨ بتوقيع معاهدة للسلام على أساس الانسحاب الإسرائيلي من سيناء

ومرت الشهور الثلاثة دون التوصل إلى إعداد هذه المعاهدة ، فقد ظلت نقاط عديدة موضع خلاف بين الطرفين ، وكان من أهم هذه النقاط الربط بين معاهدة السلام واتفاقية الحكم الذاتي ، وحل شهر يناير ١٩٧٩ دون التوصل إلى اتفاق ، وفي نفس الوقت كانت مشكلات إيران قد تصاعدت وأرغم الشاه على مغادرة البلاد ، ومن هنا التزمت أمريكا بمزيد من الجهود للوصول إلى اتفاق بين الطرفين ، وبناء على هذا تدخل الرئيس كارتر بأقصى ما يستطيع من القوة في شهر مارس لتسوية الموقف بين الطرفين ، واستطاع أن يصل إلى نتيجة مقبولة حوالى منتصف شهر مارس ، واتفق على عقد مؤتمر قمة ثلاثى في واشنطن في أواخر مارس لتوقيع المعاهدة .

وفي ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ وقع كارتر والسادات وبيجين معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في واشنطن .

المعاهدة بين مصر وإسرائيل :

ولا شك أن توقيع هذه المعاهدة يعتبر أهم حادث وقع سنة ١٩٧٩ ، وقد أصدرت الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة كتابا حافلا بكل ما يرتبط بهذا الحدث العظيم ، ويبدأ بالكلمة التى ألقاها الرئيس لدى وصوله إلى واشنطن ثم تجيء نصوص المعاهدة ، فالبروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي ، فنظام الطيران العسكرى ، والنظام البحرى العسكرى ، ونظام الإنذار المبكر ، ثم يجيء ملحقان أولهما عن تنظيم الانسحاب من

سيناء ، والثانى بروتوكول بشأن علاقات الطرفين ، وبعد ذلك تجيء كلمات للرئيس السادات وللرئيس كارتر ولناحم بيجين ويختتم الكتاب بالمؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس السادات مع الكتاب والمعلقين الأمريكين •

وخلاصة معاهدة السلام نسجلها فيما يلى :

أولا : إنهاء حالة الحرب ، وإقامة السلام بين الطرفين ، وانسحاب القوات الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين إلى ما وراء الحدود الدولية •

ثانيا : يحترم الطرفان سيادة كل منهما على أرضه ، وحقه فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ، كما يمتنعان عن التهديد أو استخدام القوة ويسويان خلافتهما بالوسائل السلمية •

ثالثا : يلتزم كل من الطرفين بالألا تصبح أرضه منطلقا لأعمال عدائية ضد الطرف الآخر •

رابعا : يكون انسحاب الإسرائيليين مدنيين وعسكريين من سيناء خلال ثلاث سنوات من تبادل وسائل التصديق على المعاهدة ، ويتم هذا الانسحاب على مرحلتين :

- الأولى : خلال تسعة شهور إلى خط شرق العريش رأس محمد
- الثانية : خلال ما تبقى من السنوات الثلاث إلى الحدود الدولية •

خامسا : عند إتمام الانسحاب الأول ينشئ الطرفان علاقات عادية وودية بينهما ، وتشمل الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية ، ورفع أى حواجز تعوق حرية حركة الأفراد ، أو السلع •

سادسا : توضع ترتيبات تحقق أقصى درجات الأمن وتتضمن انتشار القوات فى سيناء على النظام التالى :

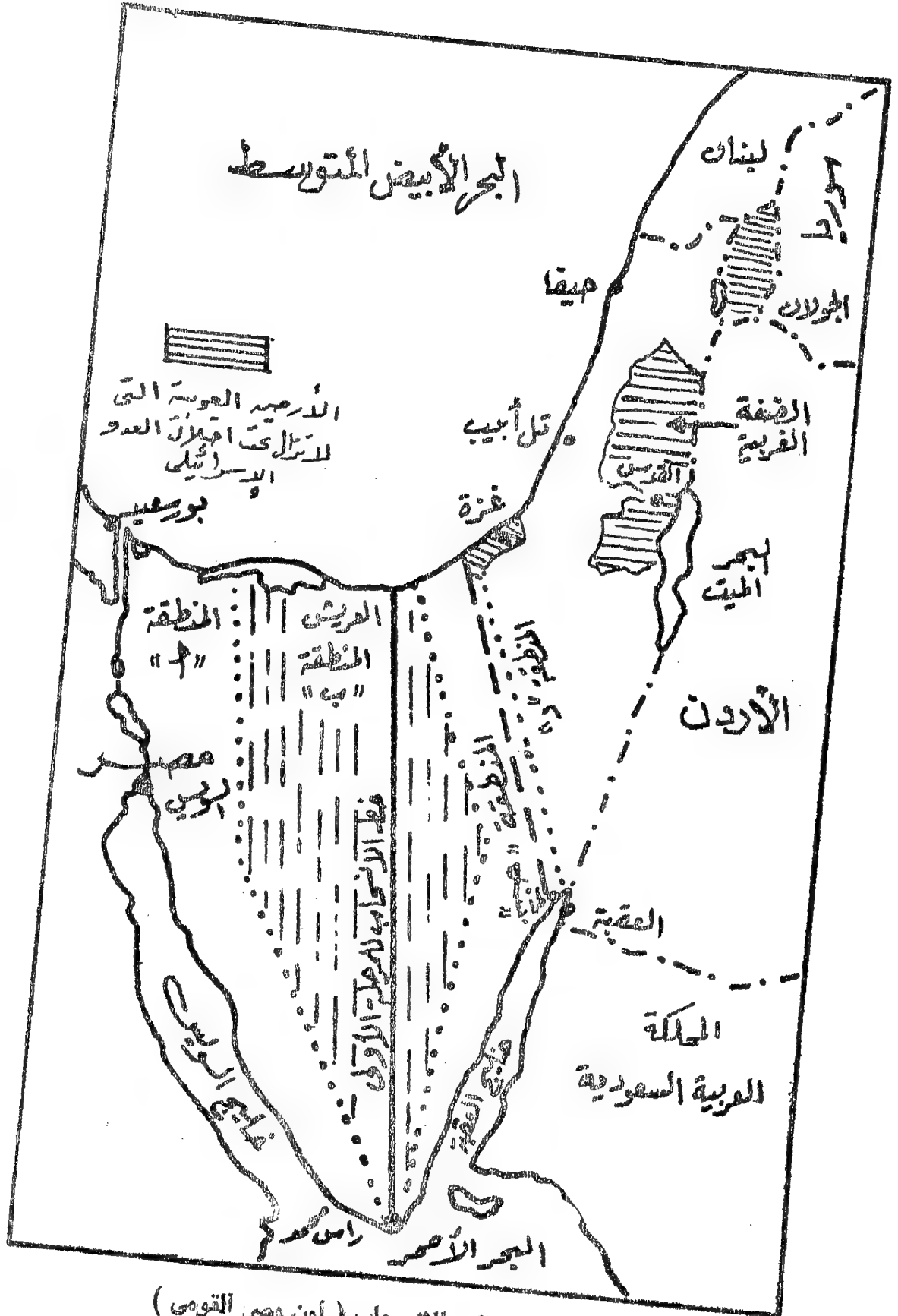
المنطقة (أ) القسم الأول من سيناء وهو الذى يقع شرق القناة بعمق منتصف المسافة بين خليج السويس والقناة من جانب وخط شرق العريش — رأس محمد سالف الذكر من جانب آخر • وفى هذا الجزء توجد قوة مكونة من فرقة ميكانيكية من ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، ولواء مدرع واحد ، وسبع كتائب مدفعية ميدانية ، وسبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات وحتى ٢٣٠ دبابة و ٤٨٠ مركبة أفراد مدربة من كافة الأنواع وإجمالى الجنود ٢٢ ألف فرد •

المنطقة (ب) القسم الثانى وهو يشمل الجزء الأكبر من سيناء ويقع وسط شبه الجزيرة على جانبى الخط من شرق العريش إلى رأس محمد ، وتتمركز فى هذا الجزء وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية فى المحافظة على النظام فى المنطقة ، وعدد أفراد الجنود فى هذه المنطقة لا يتجاوز ٤٠٠٠ جندى وتنشأ فى هذه المنطقة تحصينات ميدانية ، ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع •

المنطقة (ج) غرب الحدود الدولية ، وتنتشر بها الشرطة المدنية وقوات الأمم المتحدة •

المنطقة (د) وهى تقع فى أرض إسرائيل شرق الحدود الدولية وتنتشر بها أربع كتائب مشاة إسرائيلية ومراقبو الأمم المتحدة •

وتنص المعاهدة على إبرام اتفاقات للتجارة والعلاقات الثقافية وللطيران المدني ، كما تنص على استخدام مطارات العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط مع إمكان استخدامها من قبل كل الدول لأغراض تجارية •



المعاهدة : خطوات الانسحاب (أن مصر القومية)

سابعاً : تضمنت المعاهدة خطابات متبادلة حول :

١ — بدء مباحثات الحكم الذاتي للضفة الغربية وغزة خلال شهر من تبادل وسائل التصديق على معاهدة السلام على أن تنتهى بتحقيق الاتفاق خلال عام •

٢ — تبادل السفراء بين مصر وإسرائيل خلال أشهر من إتمام الانسحاب في المرحلة الأولى •

٣ — يبقى الأمريكا دور في حالة خرق معاهدة السلام أو حالة الخلاف حول نقطة من نقاطها •

اتفاق أمريكي إسرائيلي :

لقد أشرنا إلى هذا الاتفاق من قبل ، وذكرنا أن سوء النوايا التي تملأ عقل الإنسان اليهودي كانت مهيمنة عليه وهو يوقع ما سُمّي معاهدة السلام ، وبينما كانت الإجراءات لتوقيع هذه المعاهدة تسير في طريقها ، كانت المفاوضات لعقد اتفاق أمريكي إسرائيلي تسير في الوقت نفسه ، وخلاصة هذا الاتفاق أن عدم الثقة في المعاهدة ينعكس على تصرف إسرائيل ، فهي لا تنوى أن توفّيَ بما وعدت ، وتحس أن الآخرين لن يوفوا أيضاً ، ومن هنا تتخذ الاحتياطات بأن تلزم أمريكا بالتزامات أهمها ضمان تطبيق معاهدة السلام بما يحقق الأمن لإسرائيل ، وأن تلتزم الولايات المتحدة بمراقبة تنفيذ المعاهدة ، وتنص كذلك على الإجراءات التي تتخذها إذا خُرقَت المعاهدة أو حصل تهديد بخرقها •

وتلزم الولايات المتحدة كذلك بالاستجابة لاحتياجات إسرائيل العسكرية والاقتصادية ، كما تلزم بفرض قيود على إمداد الدول الأخرى بالأسلحة إذا كان هناك احتمال لاستخدامها ضد إسرائيل •

وقد ذكرنا من قبل أن هذا الاتفاق كان مفاجأة غير سارة لمصر ، وأنها أبدت امتعاضها من سلوك الدولتين وبخاصة في نفس الوقت الذي كانت الابتسامة يجدر أن ترتسم على الشفاه •

معاهدة السلام في الميزان :

إنها تسمى معاهدة سلام ، ولكن الإنسان المصرى لا يحس بسلام مع إسرائيل على الإطلاق ، وإن روح السلام لم تكن موجودة في أثناء المفاوضات ، بل كانت الشكوك مهيمنة على الجو ، وكانت ألوان الضغوط تترك آثارا قاسية في نفس المفاوض المصرى ، ولا تزال تترك هذه الآثار المريعة في نفوس المصريين جميعا .

لقد حاولت إسرائيل أن تجعل موضوع الضفة وغزة موضوعا بعيدا عن الأهداف المصرية ، ورفضت الاستجابة لقضية القدس ، وفرضت وقتا طويلا لانسحابها من سيناء بحجة انتظار المطارات التى تبنيها الولايات المتحدة لإسرائيل لتحل محل المطارات التى بنتها إسرائيل في سيناء ، وأمرت على إخلاء بعض المناطق من سيناء من الجيش المصرى ، وحددت تسليح ما تبقى من مناطق سيناء ، وأرادت تطبيع العلاقات بينها وبين مصر ، وجيشها لا يزال جائئا على الأرض المصرية والعربية ، ونسيت إسرائيل أن تطبيع العلاقات مع كل هذا الضغط لا يمكن أن يتم .

وكانت إسرائيل في هذه الأمور بعيدة كل البعد عن الذكاء ، كانت تظن أن هذه الأمور تمنحها الأمن ، ولكن الحق أن هذا الحرص كان منها غباء اجتماعيا جلب لها الكراهية ، ولم يترك لها في ديارنا أى إحساس بالتعاطف والود .

إن كل مصرى يدرك أن إسرائيل هاجمتنا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ولم نهاجمها إلا سنة ١٩٧٣ لاستعادة الأرض ، فهى دولة عدوانية وليتها تعرف الوسيلة لتخفيف هذا العدوان والحقد .

لقد كانت هناك حروب مريعة وطويلة بين ألمانيا واليابان وإيطاليا من جانب وبين الحلفاء من جانب آخر ، ولما توقفت هذه الحروب عاد شطر واسع من الود والتعاون بين هذه الدول بعضها والبعض ، ولكن

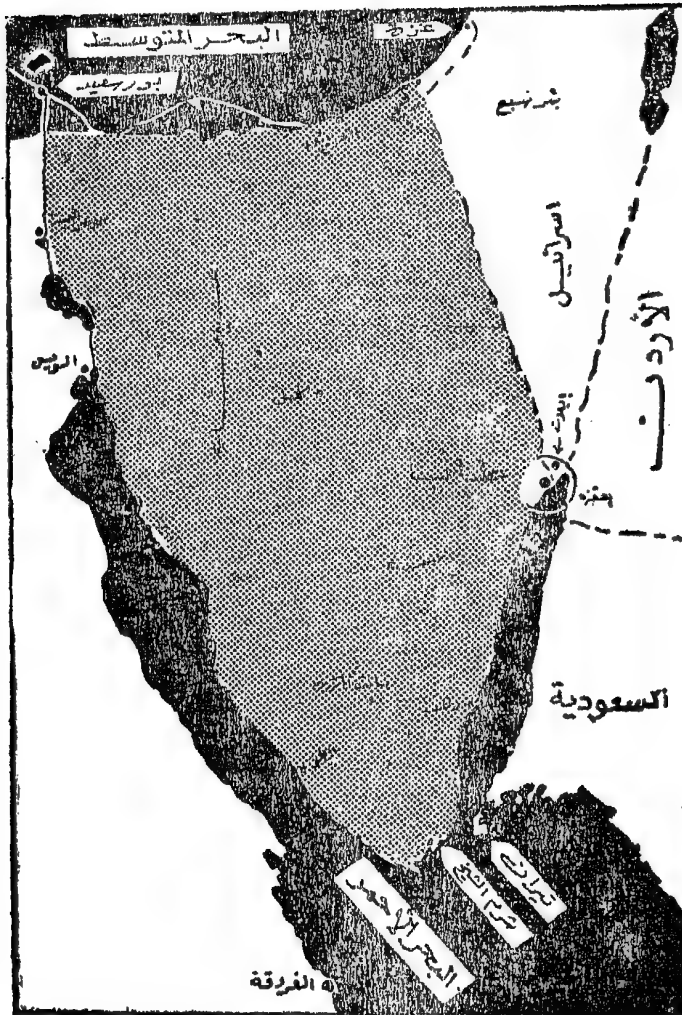
ذلك النمط لا يمكن أن يتم بين الدول العربية وإسرائيل ، لأن إسرائيل عالم وحدها في الحرص على النكيل من الآخرين ، والسلب ، والقهر ، والضغط ، والقسوة ، وفي نفس الوقت لا تعرف الود ولا الوفاء ، وفي كلمة موجزة إنها معاهدة سلام بدون سلام •

قضية طابا :

وقد تم الانسحاب الإسرائيلي من سيناء في الموعد المحددة ، ولم تستطع إسرائيل أن تتغلب على جشعها فتتقدم الانسحاب يوما أو أسبوعا عن الموعد المحدد ، وتظهرت شبه الجزيرة على كل حال من أقدام آخر جندي إسرائيلي في ٢٥ ابريل سنة ١٩٨٢ ، ولكن إسرائيل عجزت عن أن توفي بما وعدت وأن تخرج في يسر من كل سيناء ، بل عبثت بالحدود في عدة مناطق أهمها منطقة طابا ، وتمسكت بهذه المنطقة وغيرت مواقع العلامات التي توضح الحدود ، وبدأت مفاوضات طويلة جعلت هذه القضية من أصعب القضايا التاريخية التي ظهرت في العصر الحديث ، وكانت مصر في هذه المفاوضات قوية الجانب ، تؤيدها أسانيد قانونية وجغرافية وتاريخية ، تؤكد سيادتها على طابا ، تلك المنطقة التي تقع على طرف خليج العقبة ، وكانت العلامة رقم ٩١ هي أخطر علامات الحدود ، وقد أبرزت هذه العلامة تلاعب إسرائيل في موضعها ، وكذلك في موضع علامات أخرى عددها ١٤ علامة في الحدود بين البلدين •

ولم تسفر المفاوضات عن نتائج مرضية لأن المفاوضات المصرية قسدم أعمق الأدلة وأقواها ، ولم يكن عند إسرائيل أى دليل مقنع ، ولكنها راوغت وتعسفت مما جعل المفاوضات لا تصل إلى نتيجة ، وكان لابد بعد فشل المفاوضات أن يتم اللجوء إلى التحكيم ، وقد تمت الموافقة على التحكيم في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٨٦ أى بعد أكثر من أربع سنوات في المفاوضات •

وحاولت أمريكا أن تتفادى التحكيم لأنها كانت تدرك حق مصر الثابت وأدلتها القوية ، ولكن الاقتراحات الأمريكية جاءت متخذة صف



موقع طابا

إسرائيل ، فقد اقترحت أن تعترف إسرائيل بالسيادة المصرية على طابا على أن تشارك إسرائيل مصرَ في إدارة المنشآت التي أقامتها إسرائيل بهذه المنطقة مثل فندق سونسنا ومجموعة الشاليهات السياحية بها ، وعلى السماح للإسرائيليين بدخول المنطقة بدون جواز سفر ، وبدون تأشيرة ، والاكتفاء ببطاقات مؤقتة خاصة •

ودعشت مصر لهذا التصرف ، فالسيادة هي السيادة ، وإذا اعترفت إسرائيل بالسيادة المصرية على طابا ، وبأنها جزء من الأرض المصرية ، فإن ذلك يستلزم أن يتبّع مع هذا الجزء كل الإجراءات التي تتبّع بالنسبة للوطن كله •

وعلى هذا لم يكن هناك مفرٌ من التحكيم ، وتترك الأمر للمحكمة التي ارتضاها الطرفان ، وأعلنت مصر أنها لا تقبل أى حل وسط ، وبخاصة أنه كان لدى الوفد المصرى مجلة إسرائيلية باللغة العبرية ، صدرت سنة ١٩٦٤ ، وبها خريطة لمنطقة طابا توضح أنها ضمن الحدود المصرية •

وينبغى أن نذكر أن هيئة التحكيم كانت تتكون من قاض سويسرى متخصص فى القانون الدولى ، وفى قضايا النزاع على الحدود ، ومن قاض فرنسى هو رئيس محكمة النقض الفرنسية ، ومن أستاذ القانون الدولى بجامعة زيورخ ، ثم من قاض مصرى هو الدكتور حامد سلطان أستاذ القانون الدولى ، وقاضية إسرائيلية تعمل أستاذة بالجامعة العبرية •

حكم المحكمة :

وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ أصدرت المحكمة حكمها ، وحددت مواقع نقاط الحدود وبخاصة العلامة ٩١ التى توضح أن منطقة طابا أرض مصرية ، وكان على إسرائيل أن تنفذ هذا الحكم دون مراوغة ودون تعطيل ، ولكن إسرائيل هى التى لا بد أن تخلق المشكلات وتثير الاعتراضات ، وصبرت مصر وصابت حتى جاء يوم ٢٩ نوفمبر وهو آخر موعد لتنفيذ حكم المحكمة فقد كانت المحكمة قد قررت أن يتم تنفيذ الحكم خلال ثلاثة أشهر وحينئذ فقط تمّ الاتفاق على عودة طابا إلى مصر ، والبدء فى وضع



نموذج للصَّرَع الذي اصاب
العدو عند الانسحاب من طابا



بكاء مريد للخروج من طابا

علامات الحدود خلال أسبوعين من تاريخ هذا الاتفاق ، ووضعت علامات الحدود فعلا •

وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الإسرائيلية إلى مواقع جديدة بعد وضع العلامات ولكنها لم تنسحب من منطقة طابا انتظارا لانتهاء المباحثات حول المرافق السياحية ، ومما يذكر ان الخلاف حول علامات الحدود قد شمل العلامات رقم ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ •

وقد تحركت عشر علامات منها تجاه الشرق لمسافة بين خمسة أمتر وكيلو مترين ، وتحركت أربع علامات تجاه الغرب لمسافة تتراوح بين مترين وخمسين مترا طبقا لقرار التحكيم ، وعقب وضع العلامات انتقل المنفذ المصرى إلى مكانه الجديد •

أما المنطقة التى وقع فيها فندق سونستا والشاليهات السياحية فقد ظلت موضع خلاف بين مصر وإسرائيل فإسرائيل تساوم كعادتها ، تريد تعويضاً عن المبانى والمؤسسات أكثر جداً مما تستحق ، وتريد كما ذكرنا من قبل تسهيلات لدخول رعاياها إلى هذه المنطقة •

وقد تمّ الاتفاق فى ٤ فبراير سنة ١٩٨٩ على أن يواصل الجانبان مباحثاتهما للوصول الى اتفاق حول المسائل المتبقية خلال شهر فبراير وعندما تنتهى الأطراف إلى حل مرضٍ يتم تحديد الجسودول الزمنى للانسحاب من طابا •

ومما يذكر أن العلامات العشر التى انتقلت إلى الشرق أعطت لمصر حوالى ١٠ كيلو مترات مربعة أما العلامات التى انتقلت الى الغرب فقد أعطت لإسرائيل ١/١٠ كيلو متر مربع •

سبع سنوات مرت حول الخلاف على هذه المنطقة الصغيرة ، وهى دليل جديد على مراوغة إسرائيل وصعوبة التعامل معها ، وأخيرا تمّ الاتفاق فى ٢٦/٢/١٩٨٩ على حل هذه المشكلة ، ووقعت مصر وإسرائيل على اتفاقيات ثلاثة هى :

١ — شراء مصر لفندق سنوست وقرية نلسن السياحية ، وهذا الاتفاق وقعته وزير السياحة المصرى •

٢ — تحديد موعد الانسحاب الإسرائيلى النهائى وهذا الاتفاق وقعته الدكتور نبيل العربى رئيس وفد مصر فى مباحثات طابا •

٣ — الاتفاق الخاص بالمرور إلى طابا من إسرائيل وهذا الاتفاق وقعته ممثل وزارة الداخلية واتفق على أن تعود المنطقة لمصر فى موعد أقصاه منتصف مارس ١٩٨٩ وقد عادت فعلا فى هذا التاريخ ، كما اتفق على امتداد الحدود بخط مستقيم من العلامة ٩١ إلى مياه الخليج •

وبنهاية مشكلة طابا فى مارس ١٩٨٩ تنتهى آخر مخططات عبد الناصر المريرة ، بعد جهاد ونضال عسكرى وسياسى استغرق ٢٢ سنة •

ان الشعب المصرى لا يستطيع أن ينسى مراوغة اليهود ، ولا شك أن تلك المراوغة تخلق مزيدا من الكراهية والنفور فى نفوس المصريين ، والعجيب أن إسرائيل تظن ان مواقفها تلك نابعة عن ذكاء ، والحق أن ذلك قمة الغباء ، فالمساومة والشد والضغط يزيدها بعدا عن تعاطف المصريين ، ويجعل ما يسمى التطبيع عملا متعذرا ، وكيف نجعل العلاقات طبيعية مع شعب يفتتح فمه ليزدرد كل شئ ، ويثقل عقله وقلبه عن الود والتسامح والعدالة ، والحق إنها غريزة يهودية أن تنهب إسرائيل ما تستطيعه من المجتمع البشرى ، وهيئات أن يتغلب اليهود على هذه الغريزة •

تواريخ بناء الفندق :

ومما يذكر أن فندق سونستا المتنازع على تكاليفه فى طابا بنسائه ضابط إسرائيلى وهو للأسف من أصل مصرى ، ويقع على مساحة ٦٢٠ مترا وقد بدأ بناؤه بعد رحلة الرئيس السادات للقدس سنة ١٩٧٧ وشجعتة الحكومة الإسرائيلية على ذلك ، وقد بنى منه عدة أدوار قبل المعاهدة المصرية الإسرائيلية ، ولما ظهر النزاع حول ملكية هذه المنطقة

اتفق على منع إقامة أية منشآت بها حتى يتم الفصل في موضوعها ، ولكن مالك الفندق خالف ذلك وارتفع بأدوار الفندق بعد المعاهدة الى اثني عشر طابقا بحجة أن الحظر كان عن إقامة منشآت جديدة ، أما استكمال المنشآت فلم يدخل في دائرة الحظر •

إنها حيل إسرائيلية لإثارة المشاكل •

قانون الأحوال الشخصية :

في تقديرى أنه لا بأس من أن تمارس زوجة رئيس الجمهورية بعض الأنشطة وبخاصة في المجال الاجتماعى ، وقد مارست السيدة جيهان السادات صورا من هذا النشاط وبخاصة خلال حرب أكتوبر ، إذ اشتركت في الإشراف على الجرحى والمعوقين ، وكان ذلك موضع تقدير عظيم من المصريين •

ولكن السيدة جيهان للأسف لم تهتم ابدا بالناحية الاجتماعية بالبلاد ، وركزت هى وزوجها جهودهما في « ميت أبو الكوم » حيث أقيمت مبان جديدة وسخانات بالشمس ورصفت الطرق إليها ، وتحسنت مداخلها ، كأن « ميت أبو الكوم كانت هى القطر كله •

وكان الفقر يحيط على مرأى ومسمع بجيهان السادات ، وكانت الأسعار ترتفع ويصرخ الناس ، ولكن صرخات المحتاجين لا تصل الى قلوب المترفين وآذانهم •

شيء واحد اهتمت السيدة جيهان به ، ذلك هو المرأة ، والمرأة موضع اهتمام الجميع ، وهى عند الرجل أمه وزوجته وأخته وبنته ، وهى موضع برّه ونور حياته ، وقد أعطاه الإسلام مكانة سامية ، ورعاها أعظم رعاية ، وإذا كان هناك إجحاف بها من بعض الرجال فهناك إجحاف يقع على الرجل من بعض النساء ، وهناك ظلم يقع بين الزء وأخيه ، والابن وأبيه ، فتلك سنة الكون ، لا يعيش الناس جميعا في أمان شامل •

ويبدو أن السيدة جيهان سمعت أو رأت بعض حالات عن القهر والظلم يوقعه بعض الرجال بالنساء ، فاتخذت موقفا من الرجال كأنهم جميعا آثمون ، و خلقت جوا من الاضطراب في مجتمعنا المصرى •

ونسيت السيدة جيهان أن المجتمع المصرى بتاريخه وثقافته ومكانته العلمية يعتبر إلى حد كبير قدوة في المنطقة العربية والإسلامية ، ولابد أن تسير القوانين الإسلامية به غير بعيدة عن القوانين الإسلامية المتبعة في البلدان العربية والإسلامية حولنا •

وبسبب هذا النسيان وبسبب التعصب للمرأة ، ذلك التعصب الذى لم يكن له سبب مقبول اتجهت السيدة جيهان للتأثير على زوجها ليصدر قانونا جديدا للأحوال الشخصية ، وسمّى هذا القانون « قانون جيهان » وكان أنور السادات يدرك أن مجلس الشعب — مع أنه مجلس مصنوع بيد الرئيس ، وليس ممثلا للأمة تمثيلا حقيقيا — مع هذا فقد كان من المتوقع أن يرفض المجلس هذا القانون الجديد ، لذلك اتجه أنور السادات لإصدار القانون فى غيبة مجلس الشعب ، وأصدره فعلا فى عطلة هذا المجلس سنة ١٩٧٩ قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام ، بدعوى أن من حق رئيس الدولة أن يصدر القوانين فى غيبة مجلس الشعب للضرورة ، على أن تعرض هذه القوانين على المجلس فى أول جلسة لانعقاد المجلس •

وخلاصة هذا القانون هى :

❖ إذا تزوج الرجل على زوجته أو زوجاته فلا بد من إخطارهن بذلك حتى يكن على علم بهذه الواقعة الجديدة •

❖ ومن حق الزوجة التى يتزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق ، وتصبح واقعة الزواج الجديد قرينة قانونية على أن ضرا لحق (م ٣٠ - التاريخ الإسلامى)

بها يبيح لها أن تطلب التفريق ، والقاضى ليس حراً فى تقدير الضرر
ببحثه ، بل يتعين عليه إذا طلبت الطلاق أن يستجيب لطلبها دون
مناقشة لها فى إثبات الضرر •• فزواج المتزوج فى حد ذاته يساوى أن
الضرر قد وقع على الزوجة السابقة يقينا •

✽ قرر القانون للزوجة التى تطلق لذلك نفقة أسمائها نفقة « المتعة »
وعدها مكافأة لها على ما قدمته لزوجها فى أثناء زواجه بها ، تماماً مثل
مكافأة نهاية الخدمة للموظفين •

✽ استبقى القانون السكن للزوجة ما دام لديها أطفال قُصّر من
هذا الزواج ، وأن تظل فى مسكنها ، وعلى الزوج أن يصادر هو
المنزل ويتركها لها ولصغارها ويبحث له عن مسكن آخر (١) •

وعندما عَقِدَ مجلس الشعب عَرَضَ عليه القانون ، ووقف وزير
مجلس الشعب يعلن أسبابا غير مقنعة لإصدار القانون فى غيبة المجلس ،
فلم تكن هناك ضرورة لإصداره قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام ، لذلك
قال الوزير بصراحة إن سبب إصداره فى غيبة المجلس هو الخوف من أن
يرفضه المجلس كما حدث فى محاولات سابقة •

ووافق المجلس فلم يكن فى طاقته رفض قانون أصدره رئيس
الجمهورية ، وكانت موافقة المجلس فى ٣ يوليو سنة ١٩٧٩ •

ويلاحظ أن هذا القانون أحدث ارتباكاً فى الحياة المصرية ، فقد لجأ
كثير من المتزوجين الراغبين فى زواج جديد إلى الزواج العرفى حتى لا
يُطْرَد من بيته ويلتزم بتكاليف واسعة بالنسبة لزوجته الأولى ، والزواج
العرفى لا يضمن حقوقاً للزوجة ولا لأولادها ، كما أن إخراج الرجل من

(١) جيهان السادات : امرأة من مصر ص ٤٢١ •

بيته أحدثَ مشكلاتٍ غير قابلة للحل ، فإلى أين يذهب الرجل مع ارتباطه بعمل في المدينة التي بها مسكنه ؟

وقد أجاز بعض العلماء قانون السيدة جيهان ربما بتأثير السلطة ، ولكن الحق أنه لم يكن هناك داع له ، والزواج الجديد ليس بالضرورة مسبباً للضرر .

نهاية القانون :

وفي سنة ١٩٨٤ أحال أحد القضاة هذا القانون للمحكمة الدستورية على أساس أنه مخالف للدستور ، فلم تكن هناك ضرورة لإصداره قبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام ، ورئيس الجمهورية يستطيع أن يصدر القوانين في غيبة المجلس عند الضرورة فقط ، ولا ضرورة في هذا الموضوع ، فحكمت المحكمة بعدم دستورية القانون ، فسقط .

وفي سنة ١٩٨٥ صدر قانون جديد للأحوال الشخصية كالآتي :

✽ خالف القانون الجديد القانون المقتضى بعدم دستوريته في أنه إذا رغبت الزوجة التي تزوج زوجها عليها في الطلاق فعليها أن تقوم بإثبات موضوع الضرر الذي لحق بها ، وما تذكره الزوجة القديمة يخضع لتقدير القاضي فيقتنع أو لا يفتنع يعد أن كان الأمر بعيداً عن تقديره .♦♦♦♦♦

✽ أصبح من حق الزوج إذا كان مالكا لمسكنه أن يحتفظ به ولا يتركه لطلقاته وصغاره على أن يوفر لهم مسكناً ، أما إذا كان مستأجراً وليس مالكا فيستمر الوضع الأول أى يترك المسكن لهم (١) .

(١) المستشار عبد الحميد يونس : قضية قانون الأحوال الشخصية : مجلة المصور : أكتوبر سنة ١٩٨٨ .

٣٠ مقعدا للمرأة في مجلس الشعب :

ننقل فيما يلي سطورا من كتاب « امرأة من مصر » تتحدث فيها السيدة جيهان عن سلطانها على زوجها في أخطر الأمور ، تقول السيدة جيهان :

في شهر مارس سنة ١٩٧٩ — وعيد الأم يقترب — قلت لزوجي : هناك هدية خاصة واحدة أتوق إليها هذا العام ، وهي هدية أود أن أحصل عليها •

سألني : ما هي ؟

فقلت : هل ستمنحها لي ؟

قال : نعم لو استطعت أن أدفع ثمنها •

قلت : أنت في هذه المرة تستطيع •

فقال : موافق يا جيهان ، ما هي ؟

قلت : حقوق المرأة •

قال : نعم يا جيهان هذا العام سوف أمنحها لك •

وفي ٢٠ يونية سنة ١٩٧٩ أصدر أنور قرارا رياسيا من مادتين عن المرأة نصه : إضافة ثلاثين مقعدا للمرأة في مجلس الشعب ، وتخصيص من ١٠٪ الى ٢٠٪ من جميع المقاعد في المجالس الشعبية للمرأة ^(١) •

لقد كانت جيهان السادات في حلم جميل ، فكأن كل شيء قد ناله الإصلاح في مصر ، ولم يبق إلا أن تترك المرأة بيتها وأولادها لتكون عضوا في هذه المجالس ، ولم يطل عمر هذه المنحة فسرعان ما عُدل عنها •

(١) جيهان السادات : المرجع السابق ص ٤٢٧ •

إن للعمال والفلاحين نصف عدد الأعضاء على الأقل في المجالس النيابية والشعبية ، وذلك عبء ثقيل ، وقرار لا مصلحة للبلاد فيه على الإطلاق ، فأرادت جيهان أن تخفيف عبئا جديدا ، وأضافتة فعلا ، ولكن عمره كان قصيرا •

ليته يموت أيضا ذلك القانون الجائر الذي يخصص نصف المقاعد للعمال والفلاحون فهو تعبير كاذب ولا ينال العمال والفلاحون منه أى فائدة ، وكل فائدته خاصة بالحاكم ، فهؤلاء العمال والفلاحون يجيدون التصفيق والموافقة على أى قانون يريده الحاكم الذى وضعهم فوق تلك الكراسى ، ومنهم الذين رقصوا بالمجلس عند هزيمة ١٩٦٧ الساحقة والدماء لا تزال تتدفق من شباب مصر على رمال سيناء ، فلا بأس من الرقص ما دام ذلك لإسعاد الحاكم المهزوم الذى وضعهم أعضاء فى مجلس الشعب •

ومن ناحية أخرى نحن نرفض نظام الطبقات بين المصريين ، وهو نظام يتنافى مع حياتنا المصرية ، فهناك مئات أو آلاف من أبناء العمال والفلاحين تخرجوا من كليات الطب والهندسة والآداب ودار العلوم ، ومن العجب أن يكون الأب فى جانب لأنه فلاح وابنه فى جانب آخر يوضع فى « الفئات » فليُفصحَ وليء الأمر عن رغبته بأنه يريد أن يختار المصنفين ، وأولئك الذين يوضعون اليوم فى مجلس الشعب ، ليردشوا الجميل لمن وضعهم عندما يختارونه للرياسة أو يوافقون دون نقاش على اقتراحاته واتجاهاته •

إن مجلس الشعب مجلس تشريعى ، ويجب أن يوضع فيه من يستطيع التشريع •

أعمال سنة ١٩٨٠

إلغاء الأحكام العرفية وإعلان قرارات الرخاء :

هذا العنوان كان السادات يتغنّى به عندما يعدّد مفاخره وإنجازاته من عام إلى عام ، ولكن الحق أن هذا العنوان لا مدلول له ، فلا الأحكام العرفية ألغيت من الناحية العملية ، ولا مصر عرفت الرخاء منذ قامت بها الثورة المشؤومة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وسنرى في أحداث ١٩٨١ كيف قبض أنور السادات بجرة قلم كما يقولون على المئات من طوائف الشعب ، وذلك ما لا يتم إلا في ظل أحكام عرفية جائرة ، أما ما يقال عن الرخاء فكلام مردود لا معنى له ، فالفقر والغلاء يأكلان الناس إلا من حظى بالمال الحرام .

طائرة أحمد بدوى :

في ٢ مارس سنة ١٩٨٠ سقطت طائرة هليكوبتر كان يركبها الفريق أحمد بدوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ، ومعه ١٤ من كبار القادة العسكريين ، وقد حدث رعب وانزعاج لهذا الحادث المؤلم ، فالفريق أحمد بدوى كان يحظى بحب الناس وتقديرهم ، ثم إن فراغا واسعا حدث في قيادة الجيش بسبب هذه الخسارة ، ومع أن التحقيق دلّ على أن سبب سقوط الطائرة كان إهمالا في الصيانة ، فإن إشاعات انتشرت ووجدت من يقبلها حول إسناد هذا العمل إلى مؤامرة قام بها الموساد الإسرائيلي أو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .

ولا يزال السر مكتوما حول هذا الحادث الذي يتعدّد خساره عظيمة في المجالين العسكري والشخصي (١) .

مع شاه إيران :

في أحداث سنة ١٩٧٧ ذكرنا أنه عندما اشتد الأمر في انتفاضة ١٨ — ١٩ يناير اتصل شاه إيران بالسادات وأعلن قلقه عليه وعلى أسرته ، وذكر له استعدادده لاستقباله في طهران إذا رأى ذلك ضروريا .

(١) اقرأ عن هذا الموضوع كتاب « المنصة » للأستاذ علوى حافظ .

وفي يناير سنة ١٩٧٩ جاء دور السادات ليرد الجميل ، فقد كانت الثورات بإيران تلتهب ، وكانت الجماهير تميل للإمام الخميني الذي كان على وشك أن يعود لإيران بعد حياة طويلة بالمنفى ، فأرسل السادات يدعو الشاه لزيارة مصر فاستجاب الشاه وحضر لمصر في ١٧/١/١٩٧٩ .

وهكذا يعيش الملوك والرؤساء في قلق ، وبخاصة أولئك الذين يتسمون الله ويتجاهلون شعبهم ، فهم يعيشون غرباء ومنبوذين في بلادهم ، ولا تحميهم إلا القوة الغاشمة التي تنهار من حين إلى آخر كما انهارت القوة التي كانت تحمي الشاه ، وكما ضعفت القوة العسكرية حول السادات عن حمايته كما سنرى فيما بعد ، ليت الملوك والرؤساء يتعلمون درساً من التاريخ .

وبعد أن أمضى الشاه بضعة أيام في مصر سافر إلى المغرب ، ثم أخذ الشاه ينتقل بأسرته من مكان إلى مكان ، يقذفه تطر ويتلقاه آخر ، فمن المغرب سافر إلى جزر بهاما فإلى المكسيك فالولايات المتحدة ، وأخيراً إلى بنما ، ولكن سرعان ما ضاقت به بنما على نحو ما فصلناه في الجزء الثامن من هذه الموسوعة (١) ، بل وصل الأمر إلى محاولة تسليمه لإيران لحاكمته بيد أعدائه الذين كانوا قد استولوا على الحكم بالبلاد ، ولم ينقذه إلا السادات الذي أعلن أنه مستعد أن يستضيفه ، وأرسل له طائرته الخاصة لإحضاره إلى مصر وحضر الشاه إلى مصر في ٢٤ مارس سنة ١٩٨٠ على طائرة أخرى كما سنرى بعد قليل وقدّم له العلاج اللازم ، ولكن صحته كانت في تدهور متصل فأسلم الروح في ٢٦/٧/١٩٨٠ .

وننقل فيما بعد ما دونه جيهان السادات في هذا الموضوع ، فهي تقول :

في مارس ١٩٨٠ اتصلت بي تليفونيا « فرح دينا » من بنما ، وقالت : جيهان ، إن وضعنا يبعث على الأسى ، لقد انتشر المرض في طحال

زوجي ، وإذا لم نَجْرَ له عملية جراحية فوراً ، فسوف يموت ، ولا أستطيع أن أثق في أى شخص هنا لإجراء هذه العملية •

وسألتها : لماذا يا فرح ؟

فقلت : وهى تكاد تبكى إنه من الصعب أن أشرح لك فى التليفون ، وعرفت من ذلك أن تليفونها مراقب وخاضع للتصنّث ، وأضافت « فرح »
قائلة : يجب أن نغادر بنما فى الحال ، فهناك تقارير تنذر بالشؤم •

وكنا قد سمعنا أن بنما على وشك أن تسلّم الشاه إلى إيران ، فقد كانت هناك محاولات جادة لتوقيع اتفاقية تسليم المجرمين بين إيران وبنما ، وكانت المفاوضات على وشك أن تنجح •

وتقول جيهان : عرفت أيضاً من لهجتها أنها لا تثق فى أطباء بنما ، وتخشى منهم الخيانة فى إجراء هذه العملية ، فسألتها : ألا تستطيعين إحضار أطباء أمريكيين ؟ فأجابت : لقد رفضت حكومة بنما منحهم تصريحاً بالدخول ، وسألتها عن موقف الحكومة الأمريكية ؟ فقلت : لقد نلنا ما فيه الكفاية من أمريكا وحكومتها •

وأحسست بانهيـار الشاهبانو ، وأن كبرياءها قد تحطّم خلال الشهور القليلة منذ خروج زوجها حتى إجراء هذا الحديث •

واندفعت أقول لها : ولماذا لا تحضرون إلى مصر ؟ عندنا أطباء ممتازون ، ويمكنكم أن تحضروا من تشاءون من الأطباء ، فأجابت بلهفة : هل يمكن ذلك ؟ وأحسست بتمسكها بهذا الأمل ، فقلت لها سأصل بك مرة أخرى لأخبرك بالترتيبات ، وانتهت هذه المكالمة ، واتصلت فوراً بأنور فى مكتبه وأخبرته بما دار بينى وبين فرح وسألته : هل كنت على خطأ فى دعوتى لها ؟ أو أن ذلك سيسبب لك حرجاً ؟ فأجابنى : لا خيار يا جيهان ، أخبرى فرح بأننى سأرسل إليهم طائرة الرئاسة

لتنقلهم فوراً ، فالوقوف مع أصدقائنا في محنتهم عمل يرضى الله ويرضى شعبنا الذي عرف بإكرام المحتاج .

وأُسرع أصدقاء الشاه ينقلونه على طائرة استأجروها لحسابه دون أن ينتظروا وصول الطائرة المصرية ، مخافة أن يكون في الانتظار خطر على الشاه ^(١) وقدّمت مصر كل ما يمكن من علاج للشاه ، واستقبلت عدداً من الأطباء العالميين لإجراء بعض العمليات الجراحية له ، كما احتفت مصر بأسرة الشاه وكرّمتها أعظم تكريم وخصّص لها قصر القبة لتعيش فيه ، ولكن حياة الشاه كانت في تدهور مستمر ، فأسلم الروح في ٢٦ يوليو سنة ١٩٨٠ كما ذكرنا آنفاً وأقيمت له جنازة رسمية حافلة ، ودفن الشاه في مسجد الرفاعي بالمكان الذي دُفن فيه أبوه من قبل ، وكان الشاه قد نُقل رفاته أبية إلى إيران وكأنه كان يخلو المكان ليكون موثلاً له .

في اعتقادي أن السادات كان يمثل الشعور النبيل الذي اتجه له كثير من المصريين ، هذا الشعور الذي كان يحرص على إكرام عزيز قوم ذل ، وكان السادات في هذا الخلق على النقيض من عبد الناصر الذي كان شديد الحرص على إذلال الشرفاء ، ومع هذا فقد وُجد من بين المصريين من كان يرى أن الشاه لا يستحق الرعاية لتحالفه مع إسرائيل ، ولما سفك من دماء الإيرانيين ، ولعدوانه بطريق أو بآخر على عرب الخليج

إسرائيل تعلن القدس مدينة موحّدة وعاصمة لدولتها :

بعد رحيل الشاه بأربعة أيام جاءت مأساة أخرى فقد أعلن الكنيست الإسرائيلي أن القدس القديمة والجديدة مدينة واحدة لا يجوز تقسيمها ، وأنها عاصمة لإسرائيل ، وكانت الحكومة الإسرائيلية بذلك تُحدث انتهاكا جديدا لاتفاقيات كامب ديفيد بعد الانتهاك الذي حدث من قبل ببناء

(١) امرأة من مصر ص ٥٢١ - ٥٢٤ باختصار .

مستوطنات جديدة بالضفة الغربية وتوسيع المستوطنات التي شيدها من قبل ، وكانت مباحثات الحكم الذاتي للفلسطينيين قد توقفت دون إحراز أى تقدم ، ولا شك أنه من العار على اليهود أن يجعلوا من مدينة القدس المقدسة عاصمة لهم ، فالقدس يسكنها مائة ألف مسلم ، وهى مقدسة لدى ألف مليون من المسلمين ، وقد فجع المسلمون بهذا الإجراء ، فقد كان هذا التصرف يخلق مأزقا لأنور السادات ، ولذلك قال أنور السادات عنهم : إنهم يظهرون كما لو كانوا قد انضموا إلى العرب لمحاربة مصر ومحاربة السلام (١) .

شئ واحد نريد أن نذكره لإسرائيل ، هو أن دورة الحياة لن تتوقف ، وإذا كانت إسرائيل قوية بأمريكا الآن ، فهذا الوضع لا يمكن أن يدوم ، وستحاسب إسرائيل يوما من الأيام على ما ترتكبه من تعنت وقسوة ، وسينزل بها ما تنزله الآن بالعرب والمسلمين ، ونرجو ألا تصرخ إسرائيل آنذاك ، وأن تعرف أن الشر لا يموت كما أن الخير كذلك لا يموت .
لعنهم الله .

أخبار سنة ١٩٨١

عام هموم :

يمكن القول إن هذا العام كان حافلا بالهموم من مطلعه ، كانت فيه كوارث كأنها تقود للنهاية التي تنتظر السادات نفسه — وسنقص أهم أحداث هذا العام فيما يلي :

ميت « أبو الكوم » في سيناء :

في يناير من هذا العام زار السادات سيناء ووضع حجر الأساس لقرية جديدة سماها « ميت أبو الكوم » وكان هذا نوعا من التحدى ، فهو لم يقنع بـ « ميت أبو الكوم » واحدة كان يراها فوق القرى وفوق المدن ، بل أراد « ميت أبو الكوم » أخرى في سيناء •

صحيفة ولدت ميتة :

وفي مارس من هذا العام وضع حجر الأساس في مشروع بناء دار صحفية تُصدّر مجلة خصها باهتمامه وأطلق عليها اسم « مايو » باسم الشهر الذي تخلص فيه من منافسيه سنة ١٩٧١ • أو قل تخلص من أعدائه ولم يتخلص من أعداء الشعب •

اليهود يثيرون شبهة بقصف المفاعل النووى العراقى :

ذكرت فيما سبق أن اليهود كانوا حريصين على عزل مصر عن العرب ، وقد حققت لهم المعاهدة المصرية الإسرائيلية هذا الهدف ، ولما تم لهم ذلك أرادوا أن يقضوا على السادات ، وذلك هو الخلق اليهودى الذى لم يتخلف ، والذى لا يعرف الطشور في الصداقة ، فقد اجتمع بيجين بالسادات في ٤ يونيو بشرم الشيخ ، وفي وقت الاجتماع كان أعوان بيجين يدبّرون بإرشاده هجوما بالطائرات لقصف المفاعل النووى في العراق ، وتم ذلك فعلا بعد يومين من اجتماع شرم الشيخ ، وشاع أن قصف المفاعل كان مؤامرة اشترك فيها السادات ، ردّا على مؤتمر بغداد ، أو شاع على الأقل أن بيجين أخبر أنور السادات باتجاه إسرائيل

(م ٣١ - التاريخ الاسلامى)

لتحقيق هذا الهدف ، وأن السادات لم يعترض ، وكل ذلك لم يحدث ، وإنما كان الأمر — كما قلنا — محاولة لتدمير السادات بعد أن استغله اليهود وعقدوا معه هذه المعاهدة ، أو كان محاولة لتدميره لأنه عقد معهم هذه المعاهدة التي أخذت منهم سيناء •

وقد وصل من قوة هذه الإشاعة ما يرويه الأستاذ محمد حسنين هيكل ^(١) من أن السفير الأمريكى اتصل برئاسة الجمهورية صباح يوم ضرب المفاعل ليسأل : ما إذا كان مناحم بيجين قد أخطر السادات بنية إسرائيل على قصف المفاعل ؟

وإذا كان السفير الأمريكى يصل ظنه إلى هذا المدى فكيف بالآخرين ؟ ولهذا أصدر السادات بياناً ينفى فيه علمه بالتخطيط لضرب المفاعل •

وتعلّق السيدة جيهان السادات على هذه العملية العدوانية بأنها أوشكت أن تبعد الاتجاه للسلام ، وأن توقيتها كان يقصد به النيل من زوجها الذى هزّته هذه العملية هذا قاسياً ، وفتحت الباب للأعداء المعاهدة أن يستأنفوا مهاجمتها بشدة ، وتقول السيدة جيهان « فى كل خطوة سلام كان زوجى يتخذها ، كان الإسرائيليون يعودون للخلف خطوات (٢) » •

أحداث الزاوية الحمراء

الدارس المحايد للعلاقات بين المسلمين والأقباط يجد تعاوناً شاملاً فى كثير من الظروف بين هؤلاء وأولئك ، ففى الحروب الصليبية نكل الصليبيون بالمسلمين والمسيحيين على السواء ، فقد كانت المسيحية الصليبية غارقة فى الدم ، فأنزلت سخطها على المسلمين لأنهم مسلمون ،

(١) خريف الغضب ص ٤٦٦ •

(٢) امرأة من مصر ص ٥٣٥ •

وعلى المسيحيين الشرقيين لأنهم يتبعون مذهب الأرثوذكس وهو مذهب يجعلهم في نظر كاثوليك الغرب الأوربي ضمن الكفار •

وفي حملة نابليون وقف المسلمون والمسيحيون متعاونين ضد الزحف الفرنسى •

ولما جاء عهد الاستعمار الأوربي اكتوى بناره المسلمون والمسيحيون على السواء •

صحيح أنه كان هناك دائما شواذ من المسيحيين عاونت الصليبيين أو انضمت لزحف نابليون ، أو ساعدت في ظل الاستعمار ^(١) ، ولكن هؤلاء كانوا قلة لا وزن لها بالنسبة للغالبية المطلقة التى كان الوطن عندهم عظيم القدر لا يبيعونه بأى ثمن ، وفي التاريخ المعاصر وجِد هؤلاء المسيحيون المتعصبون أيضا ، فهناك جماعة في مطلع عام ١٩٨٦ قدموا طلبا لتكوين حزب باسم السلام الاجتماعى ، وكانوا جميعا من المسيحيين ، فكأنما أرادوا أن يفتحوا بذلك بابا من الشر والتعصب ، فاحتج لذلك كاتب مسلم معروف هو الأستاذ محمود عبد المنعم مراد ، وما إن نشر هذا كلمته حتى كتب عدد من المسيحيين المثقفين يؤيدونه ويحتجون على قيام تجمع مسيحي خالص ، وكان من هؤلاء الأستاذ رفلة عالم الجغرافيا الشهير والوزير السابق الأستاذ عدلى عبد الشهيد

ومن الحق أن نذكر أن بعض المسلمين يتجهون أحيانا للتعصب ، واعتقادى أن ذلك لقلة دراية بالفكر الإسلامى وبالتاريخ الإسلامى فالقرآن الكريم يقول « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » ويقول « لكم دينكم ولى دين » وفي التاريخ الإسلامى نماذج رائعة على تعاون المسلمين والمسيحيين ، وكان بعض الفقهاء إذا جاء مسيحي يريد أن يدخل الإسلام يطلب منه أن يؤكد له أن ذلك من باعث داخلى وأنه لا يوجد ما يكرهه على ذلك •

(١) انظر نماذج من هؤلاء في الجزء الخامس من هذه الموسوعة « تاريخ مصر من عمرو بن العاص الى حسنى مبارك » .

وبصفة شخصية أقرر أن كثيرين من المسيحيين يقرءون كتبى وبخاصة كتاب « المسيحية » من سلسلة مقارنة الأديان ، وأننى أقرأ كثيرا من الكتب المسيحية وبخاصة تلك التى يتفضل الأنبا غريغوريوس بإهدائها لى من مؤلفاته •

تلك مقدمة لم يكن منها بد ، ومع هذا فقد حدثت صراعات بين بعض المسلمين وبعض المسيحيين وبخاصة فى هذا العام الذى نروى أحداثه ، وأشهر هذه الصراعات ما ارتبط بالزاوية الحمراء حيث أراد الأقباط بناء كنيسة على قطعة أرض ، وقال المسلمون أن هذه الأرض ملك لهم وأنهم أخذوا إذنًا من الدولة لبناء مجمع إسلامى عليها ، وقامت المعارك ، وفى مرة أخرى تساقطت مياه غير نظيفة من شرفة بعض الأقباط على شرفة بشقة يسكنها المسلمون فتشاتم هؤلاء وأولئك ، ثم امتدت الأيدي واندفعت الأسلحة وسقط قتلى وجرحى •

وانتقلت العدوى بجرأة من مكان إلى مكان ، وشدت الأحداث بعض رجال الدين من الجانبين ، وانتقلت الأحداث كذلك من مصر إلى الاقباط بالخارج ، فعندما كان السادات فى أمريكا نشر الأقباط المصريون إعلانا كبيرا فى « واشنطن بوست » و « النيويورك تايمز » يعبرون فى هذا الإعلان عن المضايقات التى يلقيها الأقباط فى مصر ، ثم قامت هذه الجمعيات بمظاهرات ضد السادات إحداهما أمام البيت الأبيض فى أثناء اجتماعه مع ريجان ، والثانية أمام متحف « المتروبوليتان » الذى كان السادات سيحضر فيه احتفالا بإقامة قسم جديد للآثار المصرية (١) •

ولا شك أن كل مصرى مخلص لدينه ولبلاده يستنكر أحداث التعصب والقتل ، ويستنكر التظاهر فى الخارج ضد رئيس الدولة •

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ٢٦٩ •

مساعداة للعراق فى حربها ضد إيران

سببق أن تحدثنا عن مؤاممر بغداد الذى عقد فى نوفمبر سنة ١٩٧٨ وتقرر فيه تعليق عضوية مصر بالجامعة العربية ، وقطع العلاقات السياسية والديبلوماسية معها ، وعدم مدّها بالمعونات الاقتصادية إذا أكملت الشوط وعقدت معاهدة سلام مع إسرائيل .

وعندما وقّعت مصر معاهدة السلام مع إسرائيل فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ اجتمع وزراء الخارجية العرب وقرروا تنفيذ ما أقره مؤتمر بغداد .

وبعد حوالى العام من ذلك التاريخ اشتعلت الحرب بين إيران والعراق — وبالنسبة فى ٢٢/٩/١٩٨٠ ، واتجهت إيران والعراق إلى دول العالم طالبان الأسلحة وقطع الغيار والخبرات ، وقامت مصر بدور هائل تجاه نجدة العراق على الرغم من أن مقاطعة العرب لمصر أخذ القرار بها فى بغداد ، ولكن مصر تناست هذه الخطيئة ، وقدمت العون للعراق فى أخرج الأوقات ، وكان عون مصر أنواعا من الأسلحة والذخائر وقطع الغيار ، وقد قامت مصر بذلك وهى تعلن أنها لا تريد حربا بين مسلم ومسلم ، ولكنها فى الوقت نفسه لا تقبل انهيار دولة عربية إسلامية ، ومعنى هذا أنه لم يكن لمصر خيار فيما اختارته ، فإيران دولة مسلمة ولكن العراق دولة مسلمة وعربية ، وإيران تتطلع للزحف على الجزيرة العربية إن تحقق لها الانتصار على العراق ، وذلك شىء ترفضه مصر ، وتحارب لمنعها ، مهما كانت الظروف .

وقد نشرت الأنباء أن عون مصر للعراق جاء فى أخطر الأوقات وأحرجها ، حتى أن بعض زعماء العراق تأثروا كثيرا بتقديرها لهذا الدور المصرى الكبير (١) .

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامى للمؤلف : ج ٨ ص ٢٠٣ .

وبينما وقفت مصر هذا الموقف من العراق ، فإن إسرائيل التي يفتترض أن بينها وبين مصر معاهدة سلام وقفت موقفا مضادا تماما لموقف مصر ، فقد أمدت إسرائيل إيران بالكثير من الأسلحة والذخائر والخبرات ، بل دخلت المعركة بشكل مباشر حينما انقضت طائراتها على المفاعل النووى الذى كان يمكن أن يكون من العوامل التى تشدد أزر الجيش العراقى ، ولم تترك الطائرات الإسرائيلية هذا المفاعل إلا وهو كومة من الرماد وكان ذلك فى يونيو ١٩٨١ كما ذكرنا من قبل .

إن حرب العراق أعطت درسا للعرب ألا يتعجلوا فى تصعيد الخلافات بينهم ، فهم فى حاجة إلى بعضهم البعض ، وقد تظهر هذه الحاجة بعد فترة قصيرة من القطيعة لنقول أدعاة الخلافات إن أسباب الحب والتآلف أكثر وأعمق من أسباب الجفاء .

قرارات سبتمبر المشؤمة

إن اتجاه السادات لأمريكا وللغرب بوجه عام ألزمه أن يتظاهر بالديمقراطية ، وكان هذا التظاهر شكائيا بعيدا كل البعد عن طبيعة السادات العسكرية والديكتاتورية ، فهو فى ذاته ديكتاتور عسكرى ، وهو فى تربيته تلميذ عبد الناصر الذى لم يكن فقط ديكتاتورا ، بل كان طاغية وسفاحا .

ومن الواضح أن إعلان الديكتاتورية أيسر من إخفائها ، وقد كان السادات يخفى الديكتاتورية ويتظاهر بالديمقراطية ، ولكن طبيعة الديكتاتورية فى نفسه طالما اندفعت إلى السطح وبرزت للعيان ، وفى خلال رياسته نجده فى عدة مرات يكبح الديكتاتورية ليتظاهر بالديمقراطية ، ثم ينهار أمام دوافع الاستبداد الكامن فى نفسه فيبدو ديكتاتورا متسلطا لا يستمع لأحد ولا يستمتع بضمير .

وموقف السادات من أحداث سبتمبر هو موقف رجحت فيه طبيعة

السادات ، فبرز استبداده علم أوسع النطاق ، وقد أعلن سببين لهذا الموقف ، هما :

١ — الفتنة الطائفية التي رآها قد استعرت بين المسلمين ، الأقباط وبخاصة جماعة الأقباط الذين تظاهروا ضده في الولايات المتحدة في أثناء وجوده هناك ، والباحث في نفسية السادات يجد أنه لم يغفر هذه المظاهرات ، لأنها قامت في أرض الديمقراطية وبحضرة زعيم شرقي يدعى الديمقراطية ولا يعمل بها ، فجرحت هذه المظاهرات كبريائه واستسلم للعنف .

ومن ناحية المسلمين كانت ثوراتهم في مصر صاحبة بسبب قوانين جيهان التي ذكرناها من قبل ، وبسبب حرمان المسلمين من أصوات بعض العلماء الذين لهم في نفوس المسلمين مكانة عظمى كالشيخ الغزالي والشيخ كاشك ، ثم التقاعس الواضح تجاه تنفيذ قانون التشريع الاسلامي ذلك التشريع الذي كانت الهيئات العلمية قد أعدته من قبل ، ثم وضع في أدراج مغلفة بحيث لا يرى النور .

وعلى هذا كان السادات كارها للمسلمين والأقباط على السواء .

٢ — اعتقد السادات أن أحزاب المعارضة تعمل على ما يعوق تنفيذ الانسحاب الإسرائيلي من سيناء ، وإذا لم ينسحب الإسرائيليون من سيناء فإن المعاهدة تصبح حبرا على ورق ، لا قيمة لها . وكان السادات شديد الحماسة لهذه المعاهدة ، ويقول موسى صبرى في ذلك : كان السادات مقتنبا لهذا التخطيط من المعارضة ، ولذلك قرر أن تكون قرارات التحفظ شاملة لكل الاتجاهات الدينية والسياسية المتطرفة ، وبذلك تهدأ الأجواء حتى يتم الانسحاب في ٢٥/٤/١٩٨٢ وكان واضحا لجميع المتصلين بالسادات أن هذه الإجراءات مؤقتة حتى يتم الانسحاب (١) .

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٢٠٥ .

وتطبيقنا على هذا الكلام من ناحيتين :

الأولى : بشاعة هذا التحفظ الذى شمل مجموعة كبيرة من كبار السن والمرضى والزعماء وكان مقصودا به أن يستمر ثمانية شهور من سبتمبر ١٩٨١ الى ٢٥ ابريل ١٩٨٢ *

الثانية : اتهام هذه الزعامات وهؤلاء المصريين بأنهم يقومون بأى عمل يؤجل أو يلغى انسحاب الإسرائيليين من سيناء ، وليس هناك مصرى واحد كان يعمل على تعطيل الانسحاب ، وإذا كانت الثورة هى التى جلبت هذا الاستعمار الكريه فإن المصريين جميعا كانوا فى أشد الحماسة للتخلص من أقدام هذه الطغمة الفاسدة من الصهاينة ، وقد دفع المصريون جميعا ضريبة الدم فى معارك أكتوبر لتحرير سيناء ، فلا يمكن اتهام أى مصرى بعرقلة طرد الصهاينة منها فسحقا لكلمات موسى صبرى *

وقرارات سبتمبر المشؤومة تعتمد على المادة ٧٤ من الدستور ، وهى المادة اللعينة التى شرحناها ونحن نتحدث عن الدستور ، وهى تعطى الرئيس سلطات واسعة وفضفاضة ، وتشمل قرارات سبتمبر ما يلى :

١ — القبض على حوالى ثلاثة آلاف شخص فى ليلة الثالث من شهر سبتمبر واللىالى التالية وفيهم أساتذة من الجامعات ، وزعماء سياسيون ، وصحفيون ، وأطباء ، ورجال دين مسيحيون ومسلمون ، وعدد كبير من الشباب ، وفيهم كذلك بعض القيادات النسائية (١) .

٢ — اعتقال بعض أقطاب اليسار بتهمة التآمر مع السفارة السوفيتية لقلب نظام الحكم ، واستلزم هذا طرد البعثة الدبلوماسية السوفيتية كلها من مصر .

(١) اختلفت المصادر فى تحديد العدد ، فالبعض يرى أنه كان ١٥٠٠ أو ١٥٣٦ ويرى الأستاذ هيكى ان العدد كان ٣٠٠٠ واضعا فى حسابه أعداد الشباب الذين قبض عليهم فى المحافظات المختلفة ، ولم يرحلوا للقاهرة ، وانظر : التغيير أو الضياع للدكتور محمد حلمى مراد ص ٣٧ .

٣ — إبعاد حوالى ستين أستاذًا ومدرسا من الجامعات وإحاقهم
بوظائف إدارية •

وقد أثبتت محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة ان المادة ٧٤
لا تبيح ما قام رئيس الجمهورية بفعله ، فالخطر ليس جسيما ، وقد
تمكنت السلطات من التغلب على مشكلة الزاوية الحمراء ، فلم يكن هناك
ما يدعو لاستعمال هذه المادة (١) •

ومن مشاهير الذين اعتقلوا من السياسيين الأستاذ فؤاد سراج الدين
والأستاذ عبد الفتاح حسن ، والأستاذ محمد حسنين هيكل والأستاذ فتحى
رضوان ، والمهندس عبد العظيم أبو العطا ، والأستاذ إبراهيم طلعت ، والدكتور
محمد عبد السلام الزيات ، والأستاذ محمد فائق ، والدكتور حلمى مراد —
والأستاذ حامد زيدان ، والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، والدكتور
محمد أحمد خلف الله ، والأستاذ فريد عبد الكريم ، والدكتور محمود
القاضى ، والأستاذ عادل عيد ، والأستاذ عبد العزيز الشوربجى والأستاذ
محمد فهميم •

ومن أساتذة الجامعات الذين اعتقلوا : الدكتور ميلاد هنا والدكتور
كمال الإبراشى ، والدكتور عبد المحسن حموده •

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة اعتقل الأستاذ عمر التلمسانى
والشيخ المحلاوى والشيخ كشك والشيخ عيد •

ومن القيادات النسائية : د • نوال السعداوى و د • لطيفة الزيات
وفريدة النقاش وغيرهن •

كما اعتقل عدد كبير من القسس ورجال الدين المسيحي •

وصدر قرار جمهورى بإبعاد البابا شنودة عن المباشرة الإدارية
على الكنائس ، وعينت لجنة بابوية خماسية لتتولى الشؤون الإدارية
بالكنائس •

(١) دكتور محمد حلمى مراد : التغيير أو الضياع ص ٤٣ •

ومن الصحفيين الذين اعتقلوا الاستاذ صلاح عيسى والاستاذ حسين عبد الرازق •

ومن المؤسف أن روح التنشئ كانت مسيطرة على السادات وهو يقوم بهذا العمل الأخرق ، وقد وقف يعلن أسباب القبض على هؤلاء ويعدّد أسماء بعضهم ، وعندما جاء ذكر الشيخ المحلاوى الذى كان أحد خطباء مساجد الاسكندرية قال السادات عنه :

« أهو دلوقت قاعد زى الكلب فى السجن » •

وهذا التعبير وذلك التنشئ بعيدان تماما عن اللياقة •

وعندما جاء دور التحقيق أمام المدعى الاشتراكى فيما ارتكبه هؤلاء من أخطاء تبين أن الكثيرين منهم لم يثبت لهم خطأ محدد لدرجة إن المدعى الاشتراكى شكّا خلال إجراء التحقيقات من أن عددا كبيرا من المتحفظ عليهم أرسل اليه للتحقيق دون بيانات وافية تشكّل اتهاما (١) •

والباحث تعتريه الدهشة عندما يطالع أن موسى صبرى كان في يده نفوذ يستطيع به أن يحمى من الاعتقال بعض الذين كانوا ضمن قوائم المعتقلين (٢) •

وكان من أبسط أنواع اللياقة أن يعامل هؤلاء المعتقلون معاملة المعتقلين السياسيين ، ولكن الذى حدث أنهم عوملوا بقسوة لا تلائم بشريتهم أولا ، ولا تتفق ووضعهم الاجتماعى ثانيا ، ثم إن الكثيرين منهم كانوا متقدمين فى العمر ، ويتناولون أدوية بشكل منتظم ، ولكن السلطة الجائرة حرمتهم الدواء ، ولم تقدم لهم الالتزامات البشرية والإنسانية ، لدرجة أن الاستاذ المهندس عبد العظيم أبو العطا الوزير

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٩٦ •

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠١ •

السابق مات في الاعتقال ولم يستطع زملاؤه أن يقدموا له الإسعافات
الضرورية عندما احتاج لها ، فأسلم الروح •

ويصف محمد حسنين هيكل ^(١) ما لاقاه هؤلاء المعتقلون من تعسف
فيقول : في صالة استقبال السجن صودر كل ما كان معي ومع غيري من
الكتب والأوراق والأقلام ، بل ومن الأدوية والمحافظة والنقود والملابس ،
ولم يسمح لكل منا إلا بغير داخلي واحد وقوطة وفرشة أسنان بدون
معجون ووَضَعْنَا في زنانات بها مراتب من المطاط وبطاطين نفوح
منها رائحة ال « د . د . ت » وكانت هناك حفرة في ركن من الزنانة
تمثل « الحمام » وفي ركن آخر كانت هناك مجموعة من الأواني الصاج
ليوضع بها طعامنا ، وكان طعامنا عبارة عن العسل الأسود وبعض
الأرغفة التي تغطيها طبقة من الذباب •

ويقرر الأستاذ حسنين هيكل أنه في الأيام الخمسة الأولى لم يتناول
طعاما إلا خمس بيضات مسلوقة وخمسة أرغفة ، وكان خفير بيته بالريف
قد قدم له هذا الزاد عندما أخذته قوة من الشرطة لتفتيش سكنه
بالريف ، ويضيف هيكل أن هذا القدر الضئيل من الزاد اتسع لاستضافة
بعض رفاقه بالزنانة •

إنه على ذلك لم يكن سجنا إنما كان تتكيلا وتعذيبا ، ولا تسمح
القيم والأخلاق بذلك ، ولكن عصابة الثورة ما كانت تعرف القيم ولا
الأخلاق •

مقارنة بين اعتقالات عبد الناصر والسادات :

يمتدح موسى صبرى — للأسف — اعتقالات السادات ، فيراها
جنة إذا قيسَت باعتقالات عبد الناصر ، وكأنه يطلب من معتقلي

(١) خريف الغضب ص ٤٧٩ وما بعدها •

السادات أن يشكروه ويثثنوا عليه لأن اعتقالهم الذى وصفناه — كان كما يقول موسى صبرى — يختلف عن اعتقالات عبد الناصر كثيرا ، فان الاعتقالات فى عهد عتد الناصر كان معناها اختفاء المعتقل فى مكان مجهول الأعوام طويلة دون أن يُسَمَّح لأسرته بمعرفة مكان اعتقاله ، وكان المعتقلون — فى بعض المراحل — يقيَّدون بالسلاسل فى أيديهم وأقدامهم ، وكانوا يعذبون تعذيبا جماعيا بالضرب بالعصى الغليظة والجلد ، وبعضهم مات من فظاعة الضرب ولم يكن هناك تحقيق أو محاكمة على الإطلاق (١) .

ألا لعنة الله على هذه الاعتقالات وتلك ، وعلى من ابتكرها ، ومن نفَّذها ، ومن رضى عنها — وكثيرا ما كان طغيان الطاغية أثرا لكلمات يكتبها أو يقولها بعض المنافقين .

الاعتقالات والرأى العام المصرى والعالمى :

يقول موسى صبرى إن سياسة السادات فى الحكم كانت تقضى أنه عندما يلجأ لاتخاذ الإجراءات الاستثنائية يبتعد عن المساس بالصحفيين والسياسيين وأساتذة الجماعات ، ولهذا كان مفهوما قبيل إعلان الاعتقالات أنها متجهة للجماعات الإسلامية ولعدد من القساوسة .

ولكن شيئا حدث لا يعرفه موسى صبرى جعل قرارات الاعتقال تتسع لكل الاتجاهات (٢) .

هل هى التقارير التى يتقرب بها الأوغاد إلى السادة ، أو هى الطبيعة العسكرية تندفع فى ثوبها الديكتاتورى الصريح ؟

لقد اتسعت الاعتقالات حتى كان الواحد منا لا يتوقع أن يرى زميله أو صديقه بمنجاة من الاعتقال .

(١) موسى صبرى : السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢١٢ .

ولم يكن السادات يظن انه سيكون هدفا للهجوم من الإعلام الشرقى والغربى على السواء ، كان يظن ان الاتحاد السوفيتى هو وحده الذى سيهاجمه ، ثم فوجئ بأن الإعلام الغربى كان أكثر حدة من الإعلام الشيوعى ، وبخاصة لوجود الأستاذ محمد حسنين هيكل بين المعتقلين وله مكان بارز فى وسائل الإعلام الغربية ، وكانت صحيفة « الصنداي تايمز » فى قمة الغضب والسخرية بالسادات لدرجة أنها نشرت مقالات الهجوم على السادات فى نطاق واسع ، ووضعت مرة رسما لوجه السادات وكأنه وجه حمار (١) .

غرور السادات بالاستقبالات الشعبية :

يذكر موسى صبرى (٢) موقفا عجيبا للسادات ، فإنه بعد إصدار هذه الاعتقالات قام برحلة إلى المنصورة ، فاجتمع لاستقباله على طول الطريق أعداد كثيرة من البشر ، وعاد السادات الى استراحة القناطر بعد هذه الرحلة وهو فى قمة السعادة ، وصرح بأن هذا الاستقبال العظيم يعتبر استفتاء جديدا لزعامته وتأييدا للقرارات التى اتخذها .

ولعمري إنه لشيء يثيبن السادات أن يظن هذا الظن الأبله ، فإن مستقبله كانوا تلاميذ المدارس ، أو عمالا ، منحوا إجازة لهذا الغرض ، وكانوا رعايا ربما لم يسمهوا عن الاعتقالات ، وكانوا رجال حزبه كأولئك الذين رقصوا لعيد الناصر يوم التاسع من يونيو فى مجلس الشعب وأجساد المصريين فى سيناء تنتفض ، والدماء تندفع ، والوطن يحتله العدو ، والكرامة تداس .

ليت الرؤساء يعرفون أن الجماهير تجتمع « لافرجة » على أى شيء غير عادى ، إنهم يفعلون ذلك مع ممثل أو مغنية ، وربما مع هجرم شهير ألقت الشرطة القبض عليه بعد هروب طويل .

(١) المرجع السابق : ص ٢٠٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢١١ .

من كلمات الأستاذ عمر التلمساني عن هذه الاعتقالات :

وقبل أن نترك أحداث سبتمبر الكريهة ينبغي أن نقف بسبحة سطور من الكتاب الذي كتبه المرحوم الأستاذ عمر التلمساني يصف ما عاناه خلال هذه المحنة ، يقول سيادته :

يوم ٤ سبتمبر ١٩٨١ خرجت صحيفة الأهرام على الناس معلنة أنه تم القبض على ٥٥٣ شخصا من العناصر المحرصة على الفتنة الطائفية وأن غالبية المتهمين عناصر أعماما التعصب والتطرف الديني ، ومعهم قلة حزبية ركبت موجة الفتنة ، ومعهم كذلك ١١٩ من ذوى السوابق ، وإن المدعى الاشتراكي يتولى التحقيق مع المتهمين وسيكشف السادات في خطابه غدا التفاصيل المذهلة لمؤامرة الفتنة الطائفية (١) .

وأعلنت صحيفة الأخبار في نفس اليوم أنه قد أُعِدَّت صحيفة اتهام خاصة لكل واحد من المتحفظ عليهم (٢) .

ويصف الأستاذ عمر التلمساني حالته في الاعتقال فيقول :
وُضعت في حبس انفرادي في مستشفى طره من يوم ٣ سبتمبر ، وفي المعتقل حُرِّمَتْ من الصحف والمجلات والكتب ، ومن الراديو والتليفزيون وكانت التغذية سيئة للغاية . فكانت تُقدَّم لى وجبة واحدة في اليوم ، وهى من العدس المزوج بالحصى والرمل ، أو من الفول الذى استنفذ السوسى ما فيه من البروتين (٣) .

وفي يوم ٦ سبتمبر أعلنت صحيفة الأخبار بعناوين رهيبة مخيفة قولها :
— أخطر استغلال للدين .

— حل بعض الجمعيات المشهورة التى عملت ضد الوحدة .

— التحفظ على أموال الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية .

— دور العبادة تستغل لتحقيق أغراض سياسية ، ولضرب الوحدة الوطنية .

(١) أيام مع السادات ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١١ - ١٢ .

- نقل ٦٤ من هيئات التدريس بالجامعات والمعاهد العليا •
- فصل ٦٧ من العاملين في الصحافة والإذاعة والتلفزيون •
- إلغاء القرار الجمهوري بتعيين الأنبا شنودة (١) •

وحتى يثبت للقارئ كذب هذه الاتهامات يذكر الأستاذ عمر التلمساني أن كل التحقيقات والاتهامات قد حفظت ، وأن أعضاء النيابة كانوا يقولون إننا لا نجد صحيفة اتهام لأكثر المعتقلين •

دكتور حلمي مراد يصف بعض حالات القبض :

إذا كنا آنفا قد اقتبسنا من المرحوم الأستاذ عمر التلمساني بعض ما عاناه يوم قبض عليه وما عاناه في المعتقل ، فإننا نقتبس سطور من مشاهدات شاهد عيان آخر هو الأستاذ الدكتور محمد حلمي مراد وفيما يلي كلمات سيادته :

..... صاحب قرار الاعتقال فظاظة في التنفيذ بالنسبة لحالات رأيته ، فقد رأيت ليلة وصولي إلى سجن الاستقبال بطره شابا أودع معنا في نفس الزنزانة جاءوا به حافيا بجلباب النوم بعد أن انتزعوه من فراشه دون أن يمكنوه من ارتداء ملابسه أو إحضارها معه •

وصاحب الاعتقالات تعمية بالنسبة لأهل جميع المعتقلين فيما يختص بالجهة التي سيرسلون إليها ، ولم يسمحوا أية سيارة خاصة بمتابعتهم لمعرفة تلك الجهة بحيث أخذ الأهل والمحامون يبذلون الجهد ويحاولون الاتصال بالمسؤولين عدة أيام لمعرفة مكان اعتقالهم ، وهو أمر يعود بنا إلى القرون الوسطى قبل أن يصدر التشريع الانجليزي الذي يلزم الدولة بضرورة الإفصاح عن مكان وجود المتهم ، وهو القانون المعروف باسم Habeas Corpus والذي أصبح أمرا متعارفا عليه ومسلما به في كل دول العالم المتحضر (٢) •

(١) المرجع السابق ص ١٤ •
(٢) التغيير أو الضياع ص ٣٩ •

حادث المنصة

كان بعض من توثقت علاقاتهم بالسادات يقولون إنه كان يتوقع أن يموت قتيلا تبعا للحكمة التي تقول : من قَتَلَ يَمُوت . ولو بعد حين ، وكان السادات قد شارك وخطط في قتل أمين عثمان ، وفي محاولة قتل الزعيم مصطفى النحاس ، ولذلك كان ينتظر أن يثأر منه (١) .

ولدينا وصف دقيق لحادث المنصة كتبه أكثر من شاهد عيان ، ولكننا قبل أن نورد هذا الوصف ينبغي أن نذكر الأسباب التي دفعت هذه المجموعة من المثبان للقضاء على السادات ، ويمكن القول إنه كانت هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة ، والأسباب المباشرة هي تلك التي تُنسب للسادات نفسه قبيل الحادث ، أما الأسباب غير المباشرة فترتبط أساسا بتغاضي السادات عن المساوىء التي ارتكبت في عهد سلفه عبد الناصر ، ومن أجل هذا ينبغي أن نبدأ بذكر الأسباب غير المباشرة ، فهي أسباب بعيدة ، ثم نتحدث على الأسباب المباشرة التي كانت حديثة الوقوع .

الأسباب غير المباشرة لحادث المنصة :

تسلّم السادات الحكم من عبد الناصر ، وأغضى الطرف تماما عن كل الجراح والآلام التي سببها عبد الناصر لمصر وللمصريين ، فلم يهتم السادات بالتحقيق في الهزائم البشعة التي دمرت الإنسان المصري ، وحطّت من سمعة البلاد ، وأكلت أعظم الثروات ، فلم يفتح السادات ملفات حرب ١٩٥٦ ولا حرب اليمن ولا حرب ١٩٦٧ بما في هذه الحروب من أهوال وإهمال جسيم .

ولم يهتم السادات بالسرقات والاختلاسات التي غمرت عصر عبد الناصر ، وكأن شيئا من ذلك كله لم يكن .

(١) حسن عزت : العمالة والأقزام ص ٢٦٠ .

وجواهر أسرة محمد على أسدل السادات عليها ستارا كثيفا مع أنها كانت فوق ما يخطر بالبال من جلال وعظمة ، وكأنّ هذا القدر الهائل من الجواهر كان ميراثا خاصا بعبد الناصر ورفاقه ، ومع اختفاء الجواهر اختفى كذلك الاثاث الفاخر من القصور الملكية •

والاتهامات الصريحة التي ارتبطت برصيد الذهب الذي نقله عبد الناصر إلى منزله سنة ١٩٥٦ ولم يعد للبنك المركزى مرة أخرى أغفلها السادات فلم يسمح بكلمة عنها ، حتى اختفت هذه الاتهامات مع اختفاء هذا الرصيد العظيم الذى تدهورت بسبب اختفائه عملتنا المصرية ، وكان هذا الرصيد خمسمائة مليون من الجنيهات الذهبية الاسترلينية (١) •

وتكلم السادات عن خزانة عبد الناصر وما كان بها من أموال ثم سكت عن مصير هذه الأموال مع اعترافه بأنها كانت أموال الدولة للمصروفات السرية •

وظهر أولاد عبد الناصر وأصهاره بعده ومعهم مئات الملايين من الدولارات وأحيانا ينسب لهم المليارات ، ولكن السادات لم يفتح فمه بكلمة « من أين لك هذا » لأى منهم ، مع أن رائحة السلب كانت تفوح كثيرا •

والمعذبون الذين أوقع بهم عبد الناصر ومعاونوه من أمثال صلاح نصر وحزمة البسيونى ••• لم ينالوا أى انصاف من السادات •

وتناسى السادات الانتفاضات الشعبية التى قامت فى عهد عبد الناصر

(١) سبق ان تحدثنا عن هذا الرصيد - اقرأ الخطايا العشر للدكتور ابراهيم دسوقى اباطة ص ٤٥ •

وبخاصة انتفاضة فبراير ١٩٦٨ ونوفمبر ١٩٦٨ ثم انتفاضة عصر السادات نفسه في يناير ١٩٧٧ ، بل كان يسميها انتفاضة الحرامية .

وأغضب السادات الطرف عن اختلاسات مديرية التحرير ، وعمما أصاب البلاد من انهيار المرافق ، ومن القوانين الجائرة الخاصة بالإسكان والأرض الزراعية ، وكان شيئا من ذلك لم يحدث .

وفي إيجاز ، لقد حفل عصر عبد الناصر بأحداث جسام أضرت بالبلاد والعباد ، وبدل أن ينصف السادات الناس من هذا الديكتاتور راح ينحني أمام تمثاله ، ويخفي كل مساوئه ، فأشعل القلوب حقدا عليه منذ أيامه الأولى .

الأسباب المباشرة :

إن الذين قتلوا السادات في يوم عيده ذكروا أسبابا رئيسية ثلاثة كانت مباشرة ، وكانت كالقشة التي قصعت ظهر البعير ، فأشارت كوامن الحزن في قلوبهم وهيجت نفوسهم فجعلتهم يتقدمون على هذا الاغتيال ، وهذه الأسباب المباشرة هي :

١ — المعاهدة مع أعداء البشرية من بنى إسرائيل ، ومحاولة تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل .

٢ — اعتقال المسلمين بدون ذنب يذكر ، وتعذيبهم في السجون .

٣ — القبض الغادر الهادر الذي قام به السادات على آلاف من البشر في أوائل سبتمبر وما ضمته هذا الحشد من رجال سياسة ، ورجال دين ، وأساتذة جامعات ، وكبار السن ، مع الإسرائ في الإساءة لهؤلاء المعتقلين .

وأضاف خالد الإسلامبولي زعيم القتلة أسبابا أخرى هي :

- ١ — سب العلماء المسلمين المشاهير ، ووضعهم في السجون •
- ٢ — تقريب الأشخاص الذين عرفوا بعدائهم للإسلام •
- ٣ — تشجيع نوادى الرونارى والليونز في مصر هو وزوجته (١) •

وهناك أسباب خاصة يذكرها الأستاذ عادل حمودة ، وهي اعتقال شقيق خالد ، وبكاء أمه عليه وخوف أبيه ، ثم تحفظ السادات على نبيل المغربى المترجم بمجلة « الدعوة الإسلامية » ومحمد الببلى من أعضاء الجماعات الإسلامية ، والأثنان هما زوجا شقيقتى حسين عباس الذى أفرغ الرصاص فى رقبة السادات وهو ينظر الى الطائرات التى تقوم بأعمال أكروباتية (٢) •

وكانت الأسباب غير المباشرة تتأجج فى نفس كل مصرى ، ثم جاءت الأسباب الثلاثة السابقة فدفعت هذه المجموعة من الثبان الى ارتكاب هذا الشطط على الرغم من كل شئ •

وصف الحادث :

والآن بعد أن قدمنا الأسباب المباشرة وغير المباشرة لهذا الحادث نستطيع أن نخطو لنقدّم وصفا لهذا الحادث :

تقول السيدة جيهان السادات إن زوجها كان يهوى الزى العسكرى لدرجة أنه كان يرتديه عقب طرده من الجيش ، مع علمه أن ذلك كان محرّمًا عليه ، ولما أصبح رئيسا للجمهورية زادت عنايته بالزى العسكرى وبجعله يتناسب مع مكانته الجديدة ، كما كان من مظاهر اعتزازه بعسكريته حرصه على تأبط عصا المارشالية فى المناسبات الرسمية •

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ٩٠ •

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠ •

وتضيف هذه السيدة بأن السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ كان من الأيام القليلة التي لم يساورها أى خوف على حياة زوجها فيه ، فهذا اليوم الذى يتصدر الأعياد القومية المصرية كان يقين زوجة السادات قوياً بأن لا خطر يمكن أن يهدد حياة زوجها ، فهو القائد والبطل وصانع النصر ، وهو يقف بين أبنائه كما كان يقول •

رقم « ٦ » فى حياة السادات :

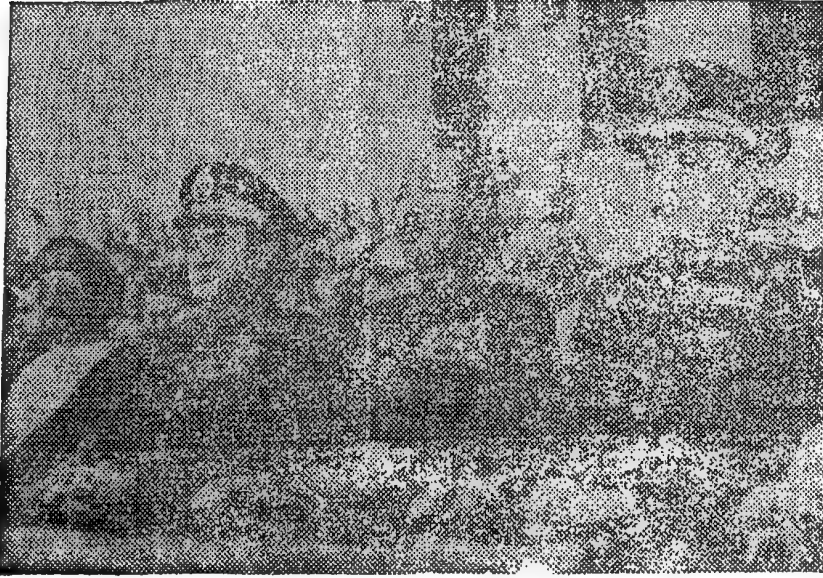
- وبمناسبة ذكرنا ليوم ٦ أكتوبر نقرر أن رقم ٦ كان رقماً مهماً فى حياة السادات ومشواره السياسى ، ويتضح ذلك مما يلى :
- ٦ فبراير عام ١٩٣٨ تخرج السادات من الكلية الحربية •
 - ٦ يناير عام ١٩٤٦ اشترك فى اغتيال أمين عثمان •
 - ٦ يناير عام ١٩٥٠ بدأت الخطوات لإعادته للجيش بعد أن كان مطروداً ، وقد تمت هذه الخطوات فى الأيام التالية لذلك التاريخ من شهر يناير •
 - ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ حقق أعظم نجاح فى العبور بجيش مصر الى سيناء •
 - ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ لقي مصرعه وهو فى أوج مجده بين جيش كامل •
 - ٦ مارس عام ١٩٨٢ صدرت الأحكام فى قضية اغتياله (١) •

ونعود للسيدة جيهان السادات التى تقول انها لن تنسى الابتسامة التى ارتسمت على وجه زوجها حين دخل إلى منصة الاستعراض وسط موجة عالية من التصفيق ، ثم نظر إلى أعلى المنصة ليرى أحفاده الأربعة يقفون معى •

وتقرر السيدة جيهان أن العرض ابتداءً متأخراً عن وقته ، ولم يكن بالدقة التى تميّز بها فى السنوات الماضية عندما كان تحت إشراف وزير الدفاع السابق الفريق الجسمى •

وتصل السيدة جيهان إلى وصف ساعة النهاية فتقول إن طائرات

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٧ •



قبل الكارثة

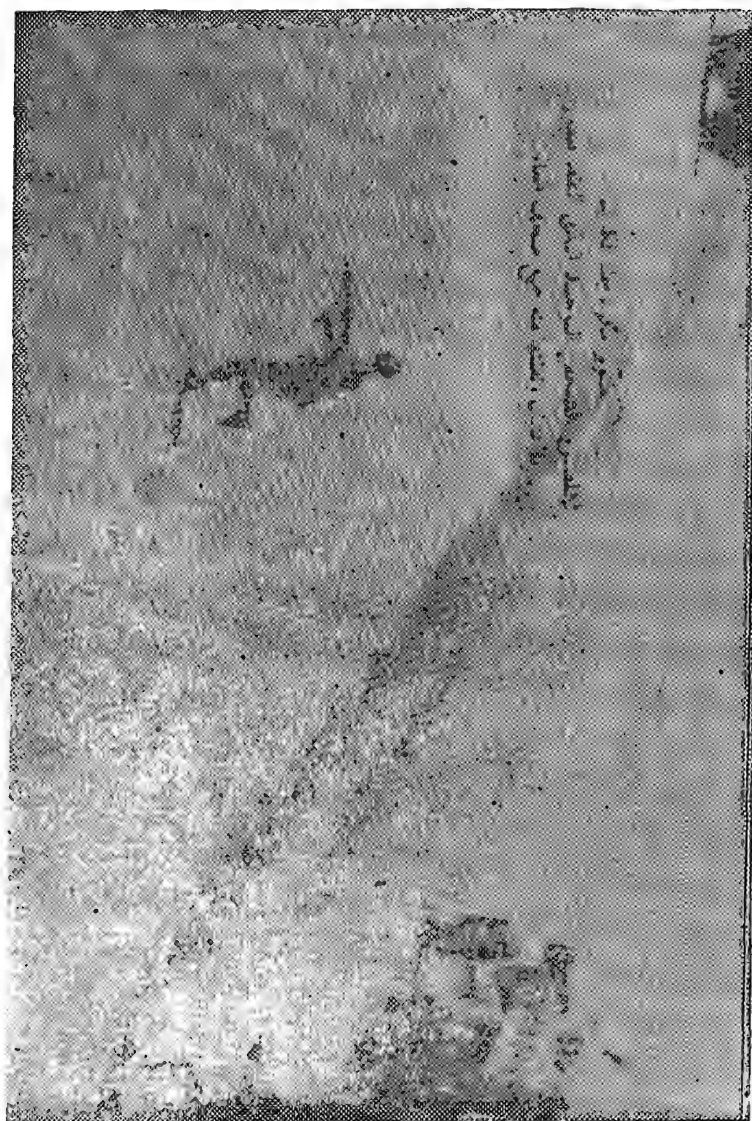
سلاح الطيران أقبلت في تشكيلاتها الرائعة وأخذت طائرات الفانتوم تقوم بحركات أكروباتية تاركة خلفها خيطا من الدخان ذات الألوان البراقة ، فكانت السماء مليئة بالاشرطة المتقاطعة الحمراء والزرقاء والخضراء ... ومن خلال النوافذ الزجاجية في الشرفات العلوية نظرت إلى أنور ، وكان كالآخرين ينظر إلى أعلى ليراقب الاستعراض في السماء ، وكانت قبعته على « الدرابزين » المقام أمامه •

ولكن ما هذا ؟

ماذا تفعل هذه المركبة العسكرية التي خرجت فجأة من بين صفوف مركبات المدفعية وتوقفت أمام منصة العرض ، وجرى ثلاثة من العسكريين تجاه المنصة وهم يحملون المدافع الرشاشة ، وفي نفس الوقت سمعت فرقعة قنبلة يدوية ، وقد كاد صوتها يكسيع وسط زئير الطائرات النفاثة ، ومكلا الدخان الجو ، وفي الحال نظرت إلى أنور ، وكان واقفا يشير إلى حراسه بالتدخل ثم سقط ، وكان هذا آخر ما رأيته من زوجي •

صراخ وعويل والرصاص يحطم النوافذ الزجاجية التي كنت من خلالها أشاهد العرض ، وقد حاولت أن أسرع نحو زوجي ، ولكن حارسي منعني بعنف ، وأخذ أحفادي يصرخون ويصرخون حتى انفجرت قنبلة أخرى وملا صوت الرصاص آذان المشاهدين •

وفي هذه اللحظة شاهدت الأهوال ، فالمقاعد مقلوبة في كل مكان ، والدماء تتدفق ، وعربات الإسعاف تحمل القتلى والمصابين ، وسألت أحد رجال الحرس الجمهوري عن زوجي فأجاب : إنه بخير ، وإن طائرة هليكوبتر حملته إلى مستشفى المعادي ، ويبدو أنه أصيب في يده فقط ، ورأيت أحد حراس نائب الرئيس يهمس في أذن السيدة سوزان بأن زوجها في أمان ، وأسرعت إلى السيارة التي حملتنا إلى الهليكوبتر التي كانت في الانتظار في قصر القبة لتذهب بنا إلى المستشفى ، وهناك في المستشفى كان الأطباء والمرضات ينظرون إلى « بالكثير من الوجوم » ولم



يوجهوا إلى أى حديث مما زاد فى قلقى على زوجى ، وانضمت إلى بناتى وأزواجهن فى حجرة فى المستشفى ، وكنا ننتظر أى طبيب ليجىء لنا ليطمئنا على أنور ، ولكن أحدا لم يأت وعشنا فى مستشفى المعادى فى قلق عظيم ، ووجدتنى أحس أن السادات قد ذهب ، وبعد لحظة عرفت وتأكد لى أن السادات قد انتهى •

وتقول السيدة جيهان مصوِّرةً ما عدته إهمالا فى العرض فى ذلك العام : إن أسئلة كثيرة ظلت بلا إجابة ، ففى كل عام كانت فرقة من فرق الصاعقة تتقدم العرض ، ثم تأخذ مكانها بين الرئيس وقوات العرض ، ولكن هذا لم يحدث فى ذلك العام ، وفى كل عام كان القناصة يرابطون فوق أسطح الأبنية المحيطة لمراقبة أية محاولات عدوانية ، ولكن لم يظهر لهؤلاء القناصة أثر فى ذلك العام ، وكان المفروض أن تخضع كل مركبة عسكرية وكل مدفع لتفتيش دقيق للتأكد من خلوها من الذخيرة الحية ، لكن ثلاثة هم ضابط وجنديان استطاعوا بطريقة أو بأخرى أن يصلوا إلى المكان الذى كان زوجى يجلس فيه ومعهم ذخيرة حية •

وتختم السيدة جيهان ما عدته إهمالا بقولها : هل كان حجم التآمر أكبر مما حدث ؟ أو أنه كانت هناك مؤامرة واسعة ؟ وقد اتضح أن جميع مَنْ فى مصر كانوا يوجهون اللوم للجميع الحرس الجمهورى بوجه اللوم إلى الحرس الخاص وبالعكس ، وهذا دفعنى إلى الشك ، الشك فى الجميع لقد قتلَ التهاونُ زوجى ، لقد قتلَ الإهمال زوجى (١) •

وعن هذا الإهمال يتكلم حسن عزت الذى كان زميلا للسادات عندما طُردا من الجيش فيقول : هناك قوات مختلفة مسئولة عن حماية الرئيس هى الصاعقة ، والحرس الجمهورى ، والحرس الخاص ، والمخابرات ، وأجهزة الأمن المختلفة ، وهى قوات مدربة تدريباً عالياً

(١) جيهان السادات : سيدة من مصر ص ١٧ : ٣٣ مقتطفات •

ବିଜ୍ଞାନ ଶାସ୍ତ୍ର



أنفقت عليه الدولة ملايين الدولارات ، فكيف عجزت كل هذه القوى عن حماية الرئيس ، إنه إهمال جسيم يستحق من قاموا به أن يحاسبوا حسابا عسيرا (١) •

وصف للحادث من زاوية أخرى :

إذا كنا قد أوردنا آنفا وصفا لنهاية السادات دونه زوجته ، فمن الواجب علينا أن نقدم وصفا آخر لهذا الحادث يركز على زوايا أخرى لم تسجلها زوجة السادات ، وهذا الوصف الجديد يعتبر إلى حد كبير تصويرا للحادث بيد فاعليه وأعوانهم ومن يتحدثون باسمهم ، وهو سجل دونه محامى المتهم الثانى فى القضية بعد أن استمع لتفاصيل الحادث من أفواه من قاموا به •

ويبدأ هذا المحامى « الأستاذ شوقى خالد » حديثه عن حادث المنصة بقوله : إن هذه المنصة فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٨١ شهدت فى دقائق معدودة إحساس السادات بالزهو ثم بالقهر ، بالمجد ثم بالموت ، بالخطرة ثم بالضعف ، وينقل المؤلف وصف مراسلة إحدى شبكات التليزيون الأمريكية للسادات حيث تقول : كان السادات يرتدى بزته الرمادية المائلة للزرقة المزينة بعشرات الأوسمة والنياشين ، والتي صممت له بمعرفة أفخم بيوت الأزياء الأوروبية ، وإلى جانبه نائبه حسنى مبارك ووزير الدفاع عبد الحليم أبو غزالة بنفس الزى •

ونقطع اقتباساتنا من الأستاذ شوقى خالد لنورد اقتباسا من الأستاذ عادل حمودة يقول فيه :

ويقال إن هذه البزة (البدلة) الجديدة أسهمت فى نهاية السادات ، فقد كانت ضيقة عليه ، فلم يستطع أن يلبس تحتها القميص الواقى من الرصاص ، وكان القتل يظنون أنه يرتدى هذا القميص ، ولذلك اتجه



هداد

حسين عباس — وهو قذاف ماهر — إلى رقبة السادات فضربه فيها وهو يتطلع إلى أعلى ليتابع حركات الطائرات (١) .

ونعود للأستاذ شوقي خالد الذي يقول :
وقد لوحظ اختفاء شبكة الحراسة أمام المنصة ، ولوحظ كذلك أن الحرس الأمريكي الخاص بالسادات والمكون من ١٢ خبيرا قد تراجعوا إلى الخلف ، وكان ذلك بأمر السادات الذى كان يخشى الخطر من الخلف ، كما أنه لم يشأ أن يظهر بمظهر الخائف أمام العالم الذى كان يشهد العرض عن طريق شاشات التليفزيون .

وبدأ العرض ، وجلس الجميع فى استرخاء يتابعون تدفق القوات ومراقبة حركات الطائرات البهلوانية المزودة بالألوان ، والتي كانت تشد الأنظار إلى السماء

وفجأة حوالى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، وقفت إحدى العربات أمام المقصورة ، وقبل أن ينتبه أحد فُتح باب من أبواب جهنم وانهاالت القنابل والرصاصات فى اتجاه السادات ، وبعد حوالى ٤٠ ثانية كان السادات قد فارق الحياة .

ويعصف المؤلف القتلة وهم يقدرون ببعض التجارب على المنصة قبل العرض بيومين ليضمنوا نجاح مخططهم ، ويسرد الظروف التى ساعدتهم على تحقيق هدفهم ، وكيف أن خالد الاسلامبولى تسلم إبر ضرب النار الخاصة بتسليح كتتيته ، وأخذ منها ثلاث إبر هياها للاستعمال ووضع بديلا عنها إبرا أخرى حتى يكمل العدد مخافة تفتيش طارئ .

ومما ساعد هؤلاء على نجاح عملهم أن دراجة بخارية كانت تسير فى مقدمة طابور العرض وتعطلت ودفعها رجال الأمن بعيدا عن مسيرة الطابور ، وتعطلت كذلك عربة فدُفعت بعيدا عن المسيرة أيضا ، فلمسا

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٦٤ .

وقف خالد بسيارته أمام المنصة ظنن أن الحادث حادث تعطل كذلك الذى حدث للدراجة وللسيارة ، ولكن الأمر كان مختلفا ، فهذه العربية كان يركبها خالد الاسلامبولى ومعاونوه ، ومنها اندفع الموت إلى السادات وإلى بعض من كانوا معه على المنصة •

وقد أُلقيت على المنصة عدة قنابل ، والقنبلة الأولى ألقاها خالد الاسلامبولى ، ثم اندفع الرصاص من المدافع الرشاشة والبنادق الآلية ، وعندما أدرك السادات ومن معه أن فى الأمر شيئا وقف السادات وهو يهتف « مش معقول » وقد كررها عدة مرات ، وكان وقوفه فرصة لدى القناص البارع حسين عباس فصوب رصاصه إلى رقبتة ، ورصاصات أخرى إلى صدره ، ثم تكوّن ما يسميه عادل حمودة (١) « تشكيل هجومى » اذ تقدم الأربعة الذى يشتركون فى هذه المؤامرة وأمطروا المنصة بوابل من الرصاص ، وقد استغرقت هذه الأحداث ٤٠ ثانية • وعندما انتبه الحرس للمأساة كان كل شيء قد انتهى •

ضحايا الحادث :

قتل مع السادات فى المنصة سبعة أفراد منهم اللواء حسن عبد العظيم كبير الياوران والمصور محمد يوسف ، وخلفان ناصر من سلطنة عمان والأنبا صموئيل وشانج لوى أحد رجال السفارة الصينية •

ومرتكبو هذا الحادث هم :

— خالد الاسلامبولى ملازم أول تخرج فى الكلية الحربية سنة ٧٨ مع مرتبة الشرف ، وهو لم يتزوج ، وكان يجيد الرماية وحصل على عدة بطولات فيها من القوات المسلحة •

— عبد الحميد عبد السلام عبد العال ملازم أول سابق من أبطال

رفع الأثقال وهو متزوج وله ابن واحد كان عمره عند الحادث تسعة أشهر •

— عطا طایل حميدة ملازم أول مهندس احتياط تخرج في هندسة الاسكندرية قسم ميكانيكا لم يتزوج •

— حسين عباس محمد رقيب متطوع بالقوات المسلحة متزوج وله ولد واحد كان يوم الحادث في يومه السادس من عمره ، وتوفي هذا الطفل عقب ذلك •

— محمد عبد السلام ، وهو لم يكن في العرض ولكنه الذى قدم الذخيرة والرجال لخاله ، وهو كذلك كان المرائد الدينى الذى يحث على مقاومة الظلم والقضاء على الظالمين •

وقد تعرض القتلة بعد ذلك لرصاصات من أسلحة رجال المخابرات العسكرية ، ثم توقف رجال المخابرات عن الضرب لعلهم يصلون عن طريق القتلة إلى معلومات عن أسرار هذا الحادث الذى ظن أنذاك أنه تدبير واسع المدى للاستيلاء على الحكم •

وبقيت بعد ذلك نقطتان ينبغى أن نقتبسهما من الأمتاذ شوقى خالد وهما :

١ — شوهذ النبوى اسماعيل نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو يهرب ويترك المنصة تاركا زوجته فى المنصة ، ولم يسترد الرجل شجاعته ، ولم يعد الظهور على وجه الأرض إلا بعد أن هدأت الأحوال ، وبعد أن ظهر أن الهدف لم يكن الاستيلاء على السلطة ، وراح الرجل كعادته يسيطر التقارير الآمنية التى أظهر فيها بأنه كان على علم بالمؤامرة قبل وقوعها ، وأراد أن يُعِدَّ للأمر عدته ، ولكن أحدا لم يسمع رأيه ولا نصيحته ، وأنهى الرجل تقريره بأنه الوحيد بين رجال الأمانة المؤهل لحماية الرئيس الجديد •

٢ — نقل جثمان السادات إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى

على متن طائرة هليكوبتر ، ونقل القتلة الى نفس المستشفى في إحدى السيارات العسكرية ، وفي هذا المستشفى أعلنت حالة الطوارئ ، وانقسام الأطباء والجراحين الذين يعملون بالمستشفى فريقين ، فريق يعالج السادات وفريق يعالج الذين قتلوه ، ولكن السادات كان قد أنهى قبل أن يرفعوه من تحت مقاعد المنصة (١) .

جنازة السادات :

كانت جنازة السادات يوم السبت ١٠ أكتوبر ، وقد صُلّي عليه في مستشفى المعادي ، وحمل جثمانه في طائرة هليكوبتر الى ساحة العرض حيث اغتيل ، وقد بدأت طقوس الجنازة في حوالى الساعة الثانية عشرة بعزف (المارش) الجنائزى لفردريك شومان ، وقد سار في الجنازة ممثلون لثمانين دولة من أبرزهم ثلاثة من رؤساء الولايات المتحدة السابقين وهم نيكسون وفورد وكارتر ، وكان من المشيعين الأمريكيين الكسندر هيج وزير خارجية الولايات المتحدة وهنرى كيسنجر .

وكان من زعماء المشيعين الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران والرئيس الفرنسى السابق جيسكار ديستان ، والأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا ، والمستشار الألمانى هيلموت شميت والزعيم الصينى دنج سياو ينج ، ورئيسة البرلمان الأوروبى سيمون فيل ، والرئيس الايطالى وملك بلجيكا والرئيس اليونانى .

ولم يكن بالجنازة من الزعماء العرب إلا جعفر نميرى رئيس جمهورية السودان آنذاك ، ويبدو أن العرب قاطعوا الجنازة ليس فقط لقطع العلاقات بينهم وبين مصر ، بل لتوقعهم أن زعماء اليهود سيكونون في الجنازة ، وبالفعل كان زعماء اسرائيل في الجنازة على الرغم من أن الجنازة حدثت

(١) الأستاذ شوقى خالد : محاكمة فرعون ص ٢١ - ٢٩ مقتطفات .

يوم السبت ، ووُورِيَّ جسد السادات التراب ومعه كل ما قدم من خير
وشر ، غفر الله له •

أما نهاية الذين قتلوه فقد تأجلت حتى تمت محاكمتهم كما سنرى
فيما بعد •

اغتيال السادات يهتّم إعادة النظر :

ويذكر الأستاذ الدكتور محمد حلمي مراد ^(١) على اغتيال السادات
بقوله :

كان من الواجب أن يعاد النظر في كافة الأوضاع القائمة والسياسات
التي انتهجها السادات وحكومته للموقف على مواضع الخلل ، والتصدي
لمعالجتها سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية حتى
لا يقلت الزمام مرة أخرى •

بعد النهاية :

عرف المصريين خبر وفاة السادات من الإذاعات الخارجية ، أما
وسائل الإعلام المصرية فلم تذع ذلك إلا بعد عدة ساعات •

وكان مجلس الوزراء قد انعقد بعد وفاة السادات وطبقا للدستور
أصبح الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب قائما بعمل رئيس
الجمهورية ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وانعقد مجلس الشعب فقرر
معاشيا استثنائيا لأرملة السادات ولأولاده منها وصدر بذلك القانون
رقم ١٦٣ لسنة ١٩٨١ ونصه :

مادة (١) : تتخذ الدولة جميع الإجراءات القانونية اللازمة لتمليك
الدار التي كان يقيم بها المغفور له الرئيس أراحل مهدي أنور

(١) التغيير أو الضياع ص ٧ •

السادات بالجيزة وملحقاتها ، مع النزول عنها لقرينته السيدة هيهان طوال حياتها ، ثم من بعدها لأولادها منه طوال حياتهم ، وتُعْفَى من جميع أنواع الضرائب والرسوم على أن تُخصَّص بعد ذلك كمتحف ووزارة تخلد به ذكرى الزعيم الراحل ”

مادة (٢) : تنتازل الدولة عن ملكية الدار التي كان يقيم بها المغفور أنه أنور السادات بالمعجزة بالإسكندرية وملحقاتها (والملحقات عشرون فدانا) إلى السيدة قرينته حال حياتها ثم لأولادها من بعدها
على النحو السابق •

ويلاحظ ان المخصصات شيء هائل ، والدور واسعة الحدود ، ويضاف لها حدائق ومساحات واسعة ، وذلك ما اتَّبع مع أسرة عبد الناصر من قبل ، ورسوم التسجيل على حساب الدولة ، وكل ذلك بدون ضرائب مدى حياة الزوجتين وحياة أولادهن ، ويحدث هذا في وقت يعيش فيه الملايين من المصريين في القبور ، يا الله •

والفكر الإسلامى يرفض أن يشتري رئيس الدولة من الدولة أو يبيع للدولة ، والأمر هنا أشد فحشا فهو يأخذ من الدولة بدون ثمن •

ومن الملاحظ أن بنات السادات من زوجته الأولى قد استثمرن من كل ما خصص الأسرة السادات فالتنازل كان للأرملة السادات ولأولادها منه ، ونذكر القارىء بأن هؤلاء جميعا كانوا قد بلغوا سن الرشد عند مقتل أبيهم وهم أثرياء ، ويباشرون أعمالا تدرّ عليهم أرباحا وفيرة وقد رتَّبت لبنات السادات زيجات رأسمالية في أغنى ثلاث أسر في مصر ، فما يأخذه أولاد الزعميين من مصر ليس إلا قطرات من دم المحتاجين ، وبلغة أخرى أخذ من الفقراء لتحقيق المزيد من الترف للأغنياء ، ولذلك أعتقد أن الله لن يبارك في هذا المال الذى يَعطَى دون وجه حق •

ويلاحظ ان المعاش في العادة يتوقف إذا تزوجت زوجة المتوفى أو بناته أو وصل أولاده إلى سن الرشد ، ولكن القانون الذى أصدره مجلس الشعب تناسى كل هذه المبادئ ، حسابهم على الله • وإذا سارت مصر على هذا النمط من دفع مخصصات ومرتبات وبيوت للرؤساء فإنه بعد قرن واحد أو نصف قرن تصبح ميزانية مصر وقصور مصر ملكا لحفنة من أولاد الرؤساء وزوجاتهم ، إنه تخطيط لم تعرفه أية حضارة من الحضارات فى عصرنا الحديث •

وتعلق الدكتورة نعمات أحمد فؤاد (١) على هذا القانون من عدة وجوه :

١ — لوحظ فى هذا القانون ليس فقط ضمان الحاجة بل أيضا ضمان الترف ، وذلك شمل هذا القانون قصر الاسكندرية وملحقاته •

٢ — كانت السرعة هائلة فى استصدار هذا القانون ، فقد قُدِّم الاقتراح بذلك مساء الأربعاء ٧ أكتوبر ، وعقدت جلسة أخرى فى مساء اليوم نفسه ، فوافق المجلس على هذا الاقتراح ، ثم وقع الدكتور موفى أبو طالب القائم بعمل رئيس الجمهورية ونشر بالجريدة الرئيسية بتاريخ ٨ أكتوبر ، وكل ذلك قبل أن يدفن الجثمان •

٣ — سقط أحمد بدوى شهيدا ومعه أربعة عشر ضابطا من القادة ، ولم تفعل الدولة لهم أى شيء •

وقد نشرت الدكتورة نعمات فى الصفحة نفسها من كتابها « صناعة الجهل » صورة للسيدة جيهان وهى تداعب « النسناس » وتسقيه لبنا ، وكثيرون من المصريين لا يستطيعون الحصول على رغيف الخبز •

(١) صناعة الجهل ص ١٢٧ - ١٢٨ •

أولاد السادات في نظره نوعان :

يقرر الفكر الإسلامى أن الآباء يجب أن يعدلوا بين أولادهم فى كل شىء حتى فى الابتسامة ، وقد حاولت زوجة بشير بن سعد أن تخص ابنها النعمان بشىء ، واستجاب لذلك زوجها ، وأرادت الأم توثيق ذلك فطلبت من بشير أن يثبت الرسول على وثيقة التنازل ، ولما قدم بشير الوثيقة للرسول سأله الرسول : هل للنعمان إخوة ؟

فأجاب : نعم ، فسأله الرسول : هل أعطيتهم جميعا مثل ما أعطيت النعمان ؟ قال : لا • فصرخ الرسول فيه قائلا : ليس يصلح هذا ، وإنى لا أشهد إلا على حق ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ^(١) •

ولكن السادات لم يكن سائرا على النهج الإسلامى ، لقد حرّم بناته من زوجته الأولى كل حنان ، وعطف ، ومال ، وحرمن كذلك زبانيته وزوجته الثانية بعد وفاته ، ويقول حسن عزت :

سألت زوجة السادات الأولى عن ميراث السادات فقالت إنه لم يترك مليما واحدا ، قلت : والمنزل الكبير فى ميت أبو الكوم والثمانية عشر فدانا التى اشترها السادات من أخيك ؟ فأجاب سعد ماضى أخوها قائلا : لقد بعثتها للسادات بثمن بخس عندما قال لى إنه يريد الأرض لبناء بيت كبير للأسرة ، ولكنه سجل الأرض لابنه جمال قبل وفاته ^(٢) • وهكذا لم ينل بنات السادات من السيدة إقبال ماضى أى نصيب من الميراث •

ونعود لجلسة مجلس الشعب التى عقدت عقب وفاة السادات فنذكر أن المجلس قرر ترشيح حسنى مبارك لرياسة الجمهورية ، ويجرى الاستفتاء على ذلك بعد أسبوع •

(١) الحياة الاجتماعية فى الفكر الإسلامى للمؤلف ص ٧١ - ٧٢ •

(٢) العمالة والأقزام ص ٢٤٧ •

قانون بمنح القصور والمعاشات الاستثنائية دائماً :

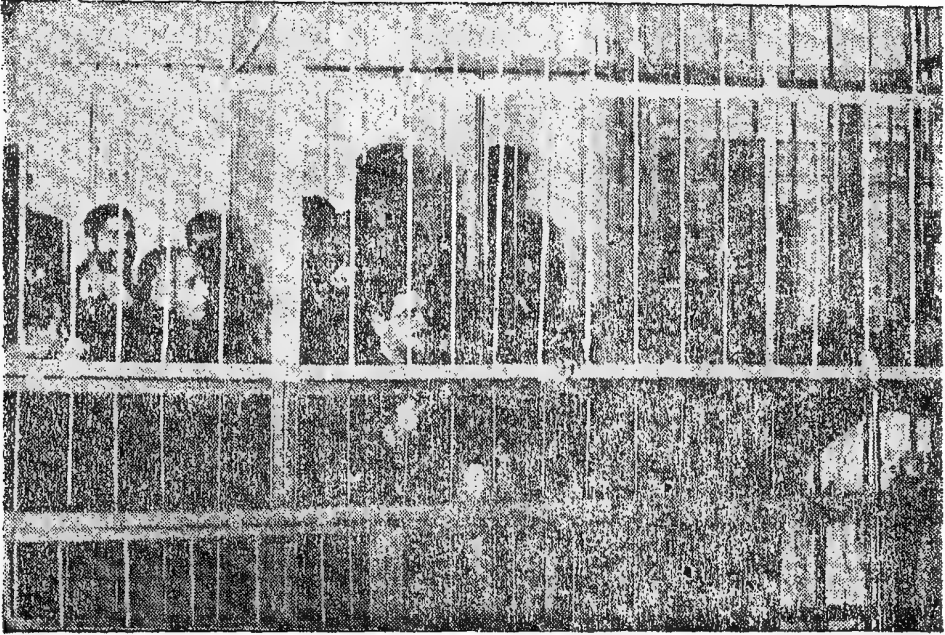
وهنى لا يحتاج مجلس الشعب لتكرار هذه المنح فى كل مرة يموت الرئيس أو يعتزل ، فقد تمّ إصدار القانون رقم ٩٩ لسنة ١٩٨٧ الذى قرر لأول مرة فى تاريخ الدول المتزام مصر بتقديم مسكن للسكنى رئيس الدولة بعد اعتزاله ولأسرته من بعده ، فالمادة الثانية فقرة أولى من هذا القانون تنص على أن : (تكفل الدولة دون مقابل مسكناً ملائماً بعدد السكنى رئيس الجمهورية بعد تركه منصبه ولأسرته حال حياته ، ومن بعده لزوجته وأولاده) .

والفترة الثانية من المادة الثانية تحمّل الدولة كافة تكاليف الإعاقة بل والرعاية الرئيس الجمهورية السابق (سواء عزل أو اعتزل) فتقول : (وتتحمل الدولة التكاليف اللازمة لتوفير الحراسة والأمن والرعاية اللازمة لرئيس الجمهورية السابق ، كما تتحمل جميع الضرائب والرسوم المقررة على شاغلى المسكن) .

محاكمة القتلة :

صدر قرار جمهورى بتكوين محكمة عسكرية لمحاكمة القتلة وأعوانهم برياسة اللواء دكتور سمير محمد فاضل ، وفى هذه المحاكمة بذل المحامون أقصى الجهد لتتحوّل المحاكمة من محاكمة القتلة إلى محاكمة المجنى عليه ، فشرّحوا ما ارتكبه السادات من أعمال كانت فى رأيهم ضد الدين والوطن ، واستلزمت القصاص منه ، وذكر خالد الإسلامبولى أن هناك أسباباً ثلاثة دفعته لقتل السادات هى :

- ١ — القوانين التى يجرى بها الحكم فى البلاد لا تتفق مع تعاليم الإسلام ، وبالتالي فإن المسلمين كانوا يعانون أخطر المشقات .
- ٢ — السادات أجرى صلحاً مع اليهود أعداء الله وأعداء البشرية وأراد تطبيع العلاقات معهم ، وهذا يضر بالوطن والمواطنين .
- ٣ — اعتقال علماء المسلمين واضطهادهم وإهانتهم .



القتلة خلف القضبان

وهذه الأسباب هي تقريبا نفس الأسباب التي ذكرناها من قبل •

ولعل الشيء الذي لم يفصح عنه خالد الاسلامبولي هو أن زنازين السادات ضمنت عددا من أسرة خالد ، فأخوه وابن خالته وزوج شقيقته كانوا داخل هذه الزنازين • ويرى الأستاذ علوى حافظ ^(١) أن خالدا وأعوانه كانوا بعيدين عن هوى السلطة والحكم ولو أرادوا ذلك لقتلوا كل مساعدى السادات ووزراءه ، وأنهم أبطال لم يمثّلوا تيارا متعنّتا أو متطرفا كما يطلّو للبعض أن يصفهم ، بل إنهم شباب معتدل عبّروا عما تمنّاه كل مصرى بعد أن تأله السادات وتجبر ، وبعد عن الشعب ولم يعد يحسّ بالامه ، وصار يعيش في برج عاجي مثل غيره من الرؤساء العسكريين الجهلة •

وقد طلب الدفاع شهود نفى لإيضاح ما اعتبروه انحرافات في السادات ، فطلبوا شهادة كمال الدين حسين والبغدادى ، وحسين هيك ، وإسماعيل فهمى ، وحسن التهامى الذى وصف زيارة السادات للقدس بأنها « إسرء » وحلمى مراد وغيرهم وكادت المحاكمة تصبح كما وصفها الأستاذ شوقى خالد ، « محاكمة فرعون » أى محاكمة السادات ، ولكن المحكمة لم تقبل هذه الطلبات ولم تسمح بإحضار شهود النفى •

واشتدّ الصراع بين المحكمة والدفاع ، وقررت المحكمة أن الدفاع يجب أن ينتهى من المرافعة في مدة حدّدتها المحكمة ، ورفض الدفاع ذلك ، واشتدت الخلافات ، وأمرت المحكمة بتنحية بعض المحامين ، واتجه المحامون بشكوى إلى رئيس الجمهورية ، ولكن الرئاسة لم تستمع لهم ولم تتدخل في الأمر ، وفي وسط هذه الخلافات أعلنت المحكمة في ١٩٨٢/٣/٣ حجز القضية للحكم ، وحدّدت يوم ١٩٨٢/٣/٦ للنطق بالحكم ، وصدر النطق بالحكم في ذلك اليوم في الصباح الباكر ، وكان يقضى بإعدام خمسة

(١) المنصة ص ٢٠٣ •

هم الأربعة الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم وعرفنا بهم أما الخامس فهو محمد عبد السلام فرج وكان يمثل فقيه الثائرين ورائدهم الدينى •

وحاول زعماء أحزاب العمل والتجمع وبعض رجال السياسة أن يطلبوا من رئيس الجمهورية ألا يوقع الحكم بالموافقة ، وأن يخفف حكم الإعدام أو أن يعيد محاكمة القتلة أمام محكمة أخرى ، ولكن الرئيس حسنى مبارك وافق على الحكم •

ومن الأمور التى أثارها الدفاع أن قتل السادات لم يكن برصاص هؤلاء المتهمين ، وقدّموا بعض الأدلة على ذلك ، ولكن خالد الاسلامبولى رفض ذلك وقال : كأنكم تريدون حرمانى من شرف قتله ، وهو عمل" بذلت أقصى الجهد لتحقيقه •

وتم إعدام هؤلاء الخمسة فى يوم ١٥/٤/١٩٨٢ ولم تسلكهم جنثهم لذويهم ، ودفنوا فى مكان واحد لا يعلم به أحد (١) •

نقابة المحامين ترفض رئيس المحكمة :

أحيل الدكتور سمير فاضل للمعاش عقب هذه المحاكمة ، وقد حاول أن يقيد اسمه فى جدول نقابة المحامين ، لكن طلبه رفض بعد أن اتهمته النقابة بأنه فى أثناء نظر هذه القضية أخل" بحقوق الدفاع (٢) •

موقف بعض المحامين فى هذه القضية :

وعلى الرغم من جهود المحامين فى هذه القضية فقد ذكر أحدهم وهو الأستاذ ممدوح عبده مراد أن موقف المحامين فى هذه القضية كان حرجا جدا ، لأن المحامى كان يحس بأنه يقف ضد أساسيس الرأى العام الذى لم يكن متعاطفا مع المتهمين •

(١) شوقى خالد : محاكمة فرعون ص ٢٢٤ وما بعدها •

(٢) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ٢٦٧ (بالهامش) •

ومثل هذا ما قاله الأستاذ محمد يسرى محرم الذى ذكر أن هيئة الدفاع ما حضرت الى هذه المقاعة إلا الأداء واجب الدفاع ، وهى أمانة لا بد من أدائها ، ولكن هيئة الدفاع فى الوقت نفسه تشجب سفك الدماء ، وترفض اعتباره وسيلة للتفاهم وحل المشكلات (١) .

سقوط النظام كله :

ونختتم هذه الدراسة بكلمات للأستاذ علوى حافظ (٢) حول نهاية ثورة ١٩٥٢ مع قتل السادات يقول سيادته : سقط النظام كله الذى بدأ صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، انتهى على المنصة ظهر يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ . نعم سقط وانتهى مع السادات ، وكان السادات يقول لخاصته إنه آخر الفراعنة (٣) .

سقط بعد أن أضاع ثلاثين عاما من عمر الشعب .

لقد أمضت مصر مع هذا النظام عمرا تراجعت فيه لأوراق ، وضاعت ، وتخلّفت ، وأفلسست ، ولينتنا نعى هذا الدرس ونفهمه لنوقف فترة انضياع ، وبخاصة أن هذه الفترة كانت من أخصب الفترات على أكثر شعوب العالم ، لقد حققت دول " من العالم الثالث صورا من التقدم ، أما حكم العسكريين فى مصر فقد تركها جامعة تجثو على ركبتيهما لتطالب من الأصدقاء ومن الأعداء رغيف الخبز .

قوانين يجب أن تسقط :

ومع سقوط النظام ينبغى أن تسقط القوانين التى ابتكرها النظام ، وفى قمتها ما يلى :

- (١) المرجع السابق ص ٢٧٠ .
- (٢) المنصة : ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
- (٣) المنصة : ص ٢٠٤ .

- ١ — تقسيم الدولة الى عمال وفلاحين وفئات ، فنحن شعب واحد والتداخل واضح جدا بين هذه الأقسام •
- ٢ — الديمقراطية الخداعة لتصل الى الديمقراطية الحقيقية ، وبخاصة في الانتخابات •
- ٣ — القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٢ بشأن حماية الوحدة الوطنية •
- ٤ — القانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٧ الخاص بأمن الوطن والمواطن والصادر عقب احداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ •
- ٥ — القانون رقم ٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى •
- ٦ — القانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٨٠ الخاص بحماية القيم من العيب •
- ٧ — قانون الأحزاب السياسية (١) •
- ٨ — القانون الذى يبيح لرئيس الجمهورية أن يرشح نفسه للرئاسة أكثر من مرتين (وينبغى أن تكون كل مرة من المراتين أربع سنوات فقط) •
- ٩ — البدعة التى ابتدعوها لاعطاء القصور والاستراحات لرئيس الجمهورية عقب اعتزاله أو لأسرته عقب وفاته •

(١) انظر التغيير أو الضياع للدكتور محمد حلمى مراد ص ٥٧ وما بعدهما •

أُمرات ليست من الحوليات

تدارسنا فيما سبق أحداث عصر السادات التى ارتبط كل منها بعام من أعوام حكمه ، وجاء الآن دور الأحداث التى انسابت من عام إلى عام ولم ترتبط بعام محدد ، وذلك مثل الديكتاتورية والترف والحسنات والمساوىء وسنتدارسها الآن تحت عناوين موضوعية وليس تحت عام من الأعوام .

الحاكم وأسرته

سنتحدث تحت هذا العنوان عن « أنور السادات » من ناحية تكوين شخصيته ، وأبرز اتجاهات هذه الشخصية ، ثم نتحدث عن زوجته « جيهان » التى كانت إلى حد كبير لها دور فى عهده ، ثم نتحدث عن أولاده بوجه عام ، ونبدأ بأن نرسم أبرز صفات أنور السادات .

أنور السادات :

ولعل أول ما ينبغى أن نعرضه هو التعرف على الأخلاق الشخصية للرئيس وأسرته ، وهذا سيدعونا لتتعرف على عبد الناصر الذى اختار السادات ليكون خليفة له ، والأساس الذى رجح هذا الاختيار .

وأبرز صفات عبد الناصر الشخصية هو أنه كانت به عقدة من الفقر جعلته شديد العداءة للأغنياء ، وعقدة من الذلة جعلته شديد الحقد على الأشراف ، وبالتالي شديد الحرص على إفقارهم وإذلالهم ، ولكن حقهده على الأغنياء لم يدفعه ليكون صديقا للفقراء ، بل إنه وجه كل اهتماماته لذاته ولأسرته ، أما الفقراء فقد ازدادوا فى عهده فقرا ، والامية ازدادت انتشارا ، والقرية المصرية والأحياء الشعبية بالمدن تركت تسبح فى ظلمات القرون الوسطى ، وساعت حاتها عما كانت عليه قبل هذه الثورة المشؤومة ، وقنع عبد الناصر بالإعلام الزئف (الصحافة والإذاعة والتليفزيون) التى كانت تحت سلطانه ، فجعلت تهتف له وتبنى له مجدا من الخيال لا يلبث أن يزول .

وكان عبد الناصر بسبب عقدة الفقر والذلة اللتين عاناها في مطلع حياته ، مولعا بمن يهله ويعلو قدره ، به إنه يارك كاتبا أجرى مقارنة بين الدعوة المحمدية (نسبة للرسول صلوات الله وسلامه عليه) والدعوة الصلاحية (نسبة لصلاح الدين الأيوبي) والدعوة الناصرية (نسبة لعبد الناصر) واتجه في عقله لترجيح الدعوة الناصرية (١) .

نفاق السادات :

ومن أجل هذا وجد عبد الناصر بغيته وأمنيته في أنور السادات ، فقد كان النفاق أبرز أخلاق السادات ، فاندفع هذا يمدح عبد الناصر على نمط الشاعر ابن هانيء الذى قال فى الخليفة الفاطمى قولا أغرق فيه وانحرف ، قال :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ولمبالغة السادات فى مدح عبد الناصر ، نال رضاه ، فنال السلامة والرياسة ، .

ما مظاهر خُلُق النفاق فى السادات ؟ وكيف كان النفاق أبرز صفاته ؟ ذلك ما سنوضحه فيما يلى :

مع الملك فاروق ومع الضباط الأحرار :

يقول حسن عزت صديق السادات وصهره (١) : السادات كان عميلا مزدوجا ؛ للعرش مقابل المال ، ولتشكيل الضباط الأحرار مقابل ما قد يصل إليه منهم فيما لو نجحت الحركة واستولت على الحكم ، أى باختصار شديد كان يلعب على الحبلىن ممسكا العصا من منتصفها ، فلو فشلت الحركة فهو مع العرش ومركزه مضمون لتحقيق طموحه ،

(١) انظر الجزء التاسع من هذه الموسوعة عن عصر عبد الناصر : عصر المظالم والهزائم ص ١٤١ وما بعدها .
(٢) العمالة والاقزام ص ٣٦٥ .

ولو نجحت الحركة فهو في مركز أكثر ضمانا ، وهذا هو الوجه القبيح
للسادات .

مع عبد الناصر وضده :

وتجلى نفاق السادات في أبرز صورهِ مع علاقته بعبد الناصر ، ففي
حياة عبد الناصر كان السادات يرفعه إلى درجة أسمى من درجات البشر ،
وكانت كلمات « الملهَم والمعلَّم » هي من الأوصاف التي يضيفها على
عبد الناصر من حين إلى حين ، وكان السادات يخلق من هزائم عبد الناصر
انتصارا ، ومن قسوته شجاعة ، ومن استبداده ديمقراطية ، ومن سرقاته
أمانة ونزاهة ، ولعل أبرز صور النفاق التي انبعثت عن شخصية السادات
تجاه عبد الناصر هي كتابه الذي أُلِّفَ يمتدح فيه سيده ، ويثنى عليه
ويضفي عليه صفات القديسين ، وعنوانُ هذا الكتاب هو :

يا ولدي هذا عمك جمال

وقد حرص أنور السادات على إخفاء هذا الكتاب وجمعه
من الأسواق والمكتبات عندما آل له الأمر ليخفي عورةً كانت فاضحةً
ولكن كيف والكتاب كان في يد الكثيرين ، وأول صور النفاق التي تتصل
بهذا الكتاب أن ابن السادات الذي أهدى السادات إليه هذا الكتاب
أسماء أبوه « جمال » تيمنا باسم الزعيم وإيماء بولاء لم يعرف العمق ،
ولاء انقلب إعصارا ضد عبد الناصر عندما رحل الزعيم كما سنرى .

ومن هذا الكتاب نقتبس بضع فقرات :

السادات يمتدح عبد الناصر

سميتك باسمه :

وجمال عبد الناصر عمك يا بَنِي الذي سميتك على اسمه هو
صديقي ، ورئيسي ، الذي أحبه وأحترمه منذ أن كنا ضابطين صغيرين
في منقباد سنة ١٩٣٨ (١) .

(١) أنور السادات : يا ولدي هذا عمك جمال ص ٣١ .



كان من وظائف السادات أن يضحك الزعيم

اللقاء محمد نجيب يتعاون مع الرجعيين ؟؟

وأخطر شيء واجهته ثورتنا يا بُنى كان من داخل الثورة نفسها حينما خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب ، وهو الرجل الذى اخترناه أول الأمر لقيادتها ، ففضّل أن يتعامل مع الرجعيين أعداء الثورة ، وكادت المسألة تنتهى بكارثة لولا يقظة عمك جمال (١) .

جمال هو الثورة :

إن الحديث عن الثورة لابد أن يعود بنا فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال (٢) .

الثورة والمثل العليا :

إن ثورة ٢٣ يوليو اتخذت من المثل العليا شعاراً لها ، وتمسكت وحافظت عليه بسبب عمك جمال (٣) .

أناثورك والتكيل بالأصدقاء :

وقد حافظ عمك جمال على المثل العليا ، فلم يكن مثل كمال أناثورك الذى قضى على كل زملائه وأصدقائه الذين عاونوه فى ثورته (٤) .

(١) تعليق : نسى أنور السادات أو تناسى أن عبد الناصر قضى على كل أصدقائه ومعاونيه ، وكان المشير آخرهم ، ولم ينج منهم إلا من سبّح بحمده كالسادات ، أو من كان على هامش الثورة مثل حسين الشافعى ، وقد نسى أنور السادات أن عبد الناصر كان قد نكّل بالإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ وقتل الأستاذ عبد القادر عودة وخمسة من زملائه وسجن وعذب الآلاف منهم ، وكان عبد الناصر فى يوم ما يتظاهر

(١) المرجع السابق ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٩ .

بأنه من الإخوان وطالما استمتع بهم قبل الثورة وفي مطلعها ، حتى
استأسد فقطع اليد التي امتدت له بالعون وأسرف في التتكيل بهؤلاء
الذين ساعدوه) •

خطبة عبد الناصر :

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ ، وكان عمك
جمال وما زال وسيظل يحسب حساب كل شيء مهما كان مستبعدا ، وكان
يسيطر على الأحداث فيوجهها ولا توجهه (١) •
(تعليق : لو كان كذلك ما تكررت هزائمه العسكرية ولا اضطربت
خطبه الاقتصادية والاجتماعية) •

مظالم ٦٠٠ سنة :

وعك جمال يا ولدى هو الذى حطم مظالم ٦٠٠ سنة (٢) •
تعليق (الحق أنه خلق مظالم لا تتسع لها القرون) •

جمال والصدقة :

كانت الصدقة هى العامل الأساسى الذى اتخذه عمك جمال شعار
لـه ، فهو معنى ينسجم مع طباعه (٣) •

عبد الناصر والديكتاتورية :

فى الاجتماع الأول لمجلس قيادة الثورة اتجهنا جميعا إلى تبني
الديكتاتورية لكى يمكن أن نبني البلاد بعد هذه الفترة الطويلة من
الفوضى والفساد ، ولكن عمك جمال يا ولدى أعلن أنه لا يستطيع أن
يكيّف نفسه مع أى نظام ديكتاتورى لأن ذلك يتنافى مع طبيعته ، وكانت
نتيجة التصويت هى سبعة أصوات فى صالح الديكتاتورية وصوت واحد

(١) المرجع السابق ص ٥١ - ٥٢ •

(٢) أنور السادات : يا ولدى هذا عمك جمال ص ٦٥ •

(٣) المرجع السابق ص ٧٠ •

في صالح الديمقراطية ذلك هو صوت عمك جمال ، واعتزكنا عمك جمال ،
ولكننا اضطررنا للتراجع وموافقته على رأيه لأن عمك جمال هو عقل الثورة
ومدبرها ورائدها (١) .

(لا داعى للتعليق ، فكم قتل عبد الناصر ونكل بكل صوت اتجه
للديمقراطية) .

اللهم :

وجمال يارب هو صنّعتك الرائع ، وإبداعك القاهر ، إنه عبدك
المؤمن بك ، المتوكل عليك ، الذى يسير بإلهامك ، وهو الباعث في شعبه
وقومه رسالة الحق والعزة والسلام ، ولقد نصرتنا يا رب به في مواطن
كثيرة (٢) .

(لا تعليق فهذا الكلام قمة الكذب والنفاق فلم تعرف البلاد العزة
والسلام والنصر طيلة عهد عبد الناصر) .
تلك نماذج من كتاب مطبوع ، والكتاب كله يسير على هذا النمط ،
فهو أبشع صورة من صور الكذب والنفاق .

الانحناء أمام تمثاله :

وحتى بعد موت جمال عبد الناصر استقبل السادات عهده في
الرئاسة بأن انحنى أمام تمثاله في مجلس الشعب كما ذكرنا من قبل ،
وإذا كان السادات يخاف جيروت عبد الناصر في حياته ، فقد انحنى له
بعد وفاته لإحساسه أن عبد الناصر خلّق جبابرة في مراكز القوة فأراد
أن ينافقها ريثما يتعده نفسه لمواجهة .

السادات يهاجم عبد الناصر :

رأينا فيما سبق صوراً من التسبيح والإجلال الذى كان مظهر
السادات في عهد عبد الناصر ، فماذا كان حال السادات بعد موت الزعيم ؟

(١) المرجع السابق مقتطفات من ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ .

إن السادات لم يضمن^١ علينا بفيض من حقه على عبد الناصر وكراميته له ، ووصفه بما يستحق من صفات النزق ، والخيبة ، وقد انتضح ذلك في كتاب « البحث عن الذات » الذى ضمّت صفحاته أشنع وصف لمن كان بالأمس ملهما ومعلما ، ومن هذا الكتاب نقتبس بضع فقرات :

حقد وقلق :

لم يكن من السهل أن تزول الغشاوة من عيني عبد الناصر ، وداخله ملئ بتناقضات لا يعلمها إلا الله ، يحتم على واجبي ألا أكشفها أو أفصح عنها ^(١) ، ولقد مات عبد الناصر دون أن يستمتع بحياته ، فقد قضى حياته كلها بين انفعال وانفعال ، وكان القلق يأكله أكلا ، وكان يفترض الشك^٢ فى كل إنسان ، وكانت النتيجة الطبيعية أن خلف عبد الناصر وراءه تركة رهيبة من الحقد سواء بين زملائه وأقرب الناس إليه ، أو داخل البلد نفسها بجميع طبقاتها ^(٣) .

جَبَل الحقد :

أقبح ما واجهته عندما توليت رئاسة الجمهورية لم يكن الوضع الاقتصادى المنهار ، ولا الوضع العسكرى المهيمن ، بل جَبَل الحقد وانعدام القيم الإنسانية ، ومحاولة الكسب بحق أو بدون حق بأى ثمن ولو كان عن طريق القضاء على الآخرين ^(٣) .

شكوك عبد الناصر جعلته ينشغل بنفسه :

كان عبد الناصر فى طبيعته كثير الشك ، ولذلك انشغل بأمنه عن أهم وأثمن ما فى الوجود وهو الإنسان ، وهكذا حدثت فى مصر أخطاء

(١) ماذا كان يمكن أن يذكر غير هذا الفيض من الصفات القبيحة التى نسبها اليه ، ويبدو أنه كان هناك أكثر مما ذكر .

(٢) أنور السادات : « البحث عن الذات » ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٣ .

جسيمة ضد أخطر وأهم ما كان يجب أن نحرص عليه وهو آدمية الإنسان وإنسانيته (١) .

عصبى المزاج :

لم يكن من السهل على عبد الناصر أن يثبتي علاقة صداقة مع أى إنسان ، فهو المتشكك دائما ، الحذر ، المليء بالمرارة ، العصبى المزاج (٢) .

الشك فى كل إنسان :

كان عبد الناصر يشك فى كل إنسان وفى كل شيء إلى ان يثبت العكس ، وفى ظروف حياتنا المعقدة ، قليلا ما يثبت ذلك ، وفى ضوء هذا الخلق طالما أنزل النوازل بالآخرين لجرء الشك (٣) .

اهتمام عبد الناصر بأسرته :

كان لدى عبد الناصر حساسية شديدة من ناحية أهله ، فكان يكفى أن يبخله أن أحدا من الناس قال شيئا ما عن أحد أقاربه حتى يضعه على الفور فى المعتقل ، ويتخذ ضده أقصى الإجراءات ، وهذه إحدى نقاط الضعف التى كان يستغلها أصحاب مراكز القوى لينالوا حظوة عنده ، وفى نفس الوقت ينالون من أعدائهم (٤) .

تختلط عايه الأمور :

كان عبد الناصر تختلط عليه الأمور ، ويفقد البصيرة ، متأثرا بآراء المحيطين به ، ولم يكن هؤلاء شرفاء فى تقديم النصح له ، فقد كان كل

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨٠ .

- همّهم أن يعظّموا عبد الناصر حتى تبقى لهم مناصبهم ونفوذهم (١) .

الفلة والخرافة بدل الحقيقة عند عبد الناصر :

كان عبد الناصر مشغولا بالخرافة التي أصبح اسمه مقترنا بها ، خرافة كبيرة جدا ، وهو أنه حقّق النصر على امبراطوريتين كبيرتين ، « بريطانيا وفرنسا » ونسى عبد الناصر دور ايزنهاور الذي حوّل الهزيمة العسكرية الطاحنة إلى نصر سياسي ، وشاعت هذه الخرافة وأصبح عبد الناصر أول من صدّق أنه انتصر ، ونسى الهزيمة العسكرية التي لم يستطع أحد من المصريين نسيانها (٢) .

كمية رهية من الأحقاد :

كان عبد الناصر يترك خلفه كمية رهية من الأحقاد ، وكان كل من رجاله يحمل في نفسه كمية هائلة من الخقد على عبد الناصر ، وبقيت هذه الأحقاد مكتومة في نفوس هذه الجماعة (٣) .

الديكتاتورية :

كانت الديكتاتورية طبيعة في عبد الناصر لم تتخلف عنه (٤) ! ! !

عنيف في خصوماته :

كان عبد الناصر عنيفا في خصوماته لا يعرف لها حدا ، وطالما اندفع في هذه الخصومة إلى نقطة اللاعودة (٥) .

ذلك قليل من كثير مما ذكره السادات مسبّحا بحمد هيد الناصر مرة ولاعنا له مرة أخرى ، وأترك للقارئ الحكم على الرجلين ، والدعاء أن ينقذنا الله مما خلفه هذان الرجلان من بلاء نطمع ألا يطول مداه .

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٥) المرجع السابق ص ٢١٧ .

وكما نافق السادات عبد الناصر ، فإن الكثيرين نافقوا السادات ، وقد كتب المرحوم الدكتور ابراهيم عبده كتابا ^(١) يحذر فيه السادات من خطر هؤلاء ، فالنافق كائن هزيل يطوى نفسه على ما بها ، ويظهر كما يريد الأتقياء ، وسنقتبس من هذا الكتاب بعض لمحات في مجالاتها .

الخداع بتكوين لجنة لتدوين تاريخ الثورة :

وإذا كان النفاق صفة بارزة في السادات فإن الخداع كان صفة مهمة عنده ، وكان يتظاهر بإرضاء الجماهير وهو لا يقصد أن يحقق أية نتيجة ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون خداعا ، فقد أعلن تكوين لجنة لتدوين تاريخ الثورة وتدوين خطوات حياتها ، وأعلن كذلك تشكيل لجنة لتحقيق أسباب هزيمة يونيو المريعة ، وجعل نائبه آنذاك محمد حسنى مبارك رئيسا للجنة ، وكان عجيبا أن تكون السلطة التنفيذية رئاسة مثل هاتين اللجنتين ، مع أن السلطة التنفيذية هي المتهمة .

وعلى كل حال فإن الإعلان عن تكوين هاتين اللجنتين جعل الأصوات التى كانت نائرة تهدأ وتظن أن ما كان خافيا سيتضح ، وتتوقع ظهور ما أشيع حول وجود خيانة سببت هزيمة يونيو ، وأن المسألة لا تعدو أن عبد الناصر أراد أن يتخلص من عبد الحكيم عامر بأى ثمن ، ولو بهزيمة ساحقة للجيش الذى كان عامر يترعمه ويقوى به على عبد الناصر .

وعلى كل حال فإن تكوين هاتين اللجنتين أخففت الأصوات فى انتظار النتائج ، ولم يظن أحد أن تكوينهما ليس إلا ذرعا للرماد فى العيون ، وليس إلا خديعة تغطى ثورة الجماهير إلى حين .

ولعل السادات أدرك أن إبراز الحقائق عن هذين الموضوعين سيدمر الثورة التى ينتسب لها السادات ، فأثر أن يختفى هذا التحقيق وتلك المحاولة ليظل الظلام ساترا للأخطاء ، حتى يظل البؤم ينعم بالظلام والظلمات .

(١) عنوان هذا الكتاب هو : ومن النفاق ما قتل .

وقد أدرك السادات كذلك أن التحقيق في هذين الموضوعين سيفتح الأبواب لموضوعات كثيرة ينبغي ألا يُكشَف عنها الحجاب مثل هزيمة ١٩٥٦ ، والمعقلات ، والحراسات ، والوحدة مع سوريا ، ثم ما تم خلال هذه الوحدة مما سبب الانفصال ، ونتائج الانفصال ، وحرب اليمن ، وغير هذه من المآسى التى ارتكبها الثوار فى حق مصر والمصريين ، ولذلك أثر السادات أن تظل هذه الأمور كلها فى طيِّ الكتمان ، واكتفى بهذه الخديعة التى شغلت الناس حيناً من الدهر .

اللب على الحبَلين فى مجال آخر :

وعندما أقبل السادات على أمريكا واستبعد السوفيت بدأ نشاط الشيوعيين يظهر ويحاول أن يثُخِث القلاقل ، ولهذا سمح السادات للإخوان المسلمين بالظهور ، لا حباً فيهم ، بل ليستغلّهم ضد الشيوعيين ، فظهرت مجلة « الدعوة » ونشط شباب الإخوان ، ولكن سرعان ما أبدى السادات الخوف من هذا النشاط الذى لم يكن تحت سلطانه أو فى طيات عباة كما يقولون ، وبسبب هذا الخوف اتَّجِه السادات لضربهم ، والقبض على عدد من شبوخهم وشبابهم ضمن الذين ضمهم الاعتقال الأثيم فى سبتمبر الحزين .

جيهان السادات

كانت جيهان — كما سنرى — واسعة الآمال ، وبعض وسائلها لتحقيق هذه الآمال لم تكن وسائل مُرضية ، فمست زوجها فى حياته أو ذكراه بعد وفاته ، وسنعيش مع نشاطها ندوّن بكل الحيادة جوانب الخير والشرِّ فى هذا النشاط :

نهط جديد من زوجات الرؤساء :

لم تكن السيدة جيهان السادات مثل نازلى زوجة الملك فؤاد ولا مثل فريدة وناريمان زوجتى الملك فاروق ، ولا مثل تحية زوجة عبد الناصر ، كانت هؤلاء الزوجات تعشنَّ فى الظل ، وإذا كان لأى منهن رغبة فى شيء حاولت أن تحقق رغبتها عن طريق زوجها أو عن طريق رجال القصر .

ولكن جيهان السادات خرجت للحياة العامة وللشارع السياسى ، وكانت بذلك تحاول أن تحقق أحلاما راودتها من عهد صباها ، والذي يقرأ كتابها « سيدة من مصر » يرى عجباً ، فهي تقول إنها مرة مدّت يدها لقارئ كفى فقال لها إنك ستصبحين ملكة مصر (١) وقد كانت هذه الحادثة كما تقول قبل أن يعود أنور السادات للجيش ، وقبل قيام الثورة بعدة سنوات ، ومرة أخرى حلمت أن شيئاً أصاب عبد الناصر ، واستيقظت منزعة كما تقول ، وبعد بضعة ساعات مات عبد الناصر (٢) .

على كل حال نحن أمام أحلام تحققت ، سواء كانت هذه الأحلام أحلام نائم أو أحلام يقظان .

وعندما أصبح أنور السادات رئيساً للجمهورية بدأت خطواتها لتحقيق الأحلام ، ولكن الشهور بين أكتوبر ١٩٧٠ ومايو ١٩٧١ كانت شهور قلق ، ولم تكن سلطات أنور السادات كاملة ، فلما قضى على ذبول عبد الناصر فى ١٥ مايو ١٩٧١ اكتمل له السلطان ويقول محمد حسنين هيكل إن السادات فى ذلك الوقت خلع على زوجته لقب « سيدة مصر الأولى » وكان هذا اللقب الجديد مستعاراً من البيت الأبيض الأمريكى ، لكن وقع تعبير « First Lady » فى أمريكا لم يكن كوقع تعبير « سيدة مصر الأولى » باللغة العربية (٣) . إنه لقب يحمل معنى السيادة والترفا .

سيدة مصر الأولى :

وينبغى أن نقف وقفة مع هذا اللقب الكريه الذى جلب السادات به سخط المصريين عليه وعلى هذه السيدة ، وقد ذكرنا من قبل أن جذور هذه السيدة ليست مصرية ، فأما اسمها « جلاديس » وهى من مالطة وتعتنق المسيحية ، ولم تدخل الإسلام على الرغم من حياتها فى بيت

(١) سيدة من مصر ص ١٣٧ .

(٢) سيدة من مصر ص ٢٩٠ .

(٣) خريف الغضب ص ١٠٦ .



ترف

مَنْ كان يسمّى نفسه « الرئيس المؤمن » ووالدها ليس عريق الجذور في المصرية ، فهو ينحدر من أصل تركي ، فإذا أصبحت ابنة هذين سيّدة مصر الأولى فإن ذلك كان شيئاً يثير الكراهية والسخط ، وقد أحسّ المصريون أن هذا اللقب قُصِدَ به إيذاء شعورهم ، وأن هذه السيّدة مع أن جذورها تختلف ديناً ودماً مع المصريين أصبحت تلقب سيّدة مصر ، وهذا أثار حنقهم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإننا نحس أن من الشرف أن نكون خدم بلادنا المخلصين ، وهذا اللقب يناقض هذا الإحساس لأن منطوقه يفيد أن جيّهان سيّدة مصر .

إن المصريين لم يغفروا أبداً للسادات أنه أطلق هذا اللقب على زوجته ، ولا شك أنه أحسّ بذلك وأحسّت به زوجته ، ولكن خلق العناد الرديء لم يسمح لهما بالتراجع ، وقد جلب هذا اللقب عليهما سخط الناس ، ولكن يبدو أن الرؤساء لا يبالون بسخط الرعية ، والأمر لله .

جمال السادات يخطب بنتاً أمها مسيحية لبنانية :

وكما فعل السادات عندما أحب « جيّهان » وأمها مسيحية مالطية ، فعل ابنه جمال فقد أحب « دينا » وأمها مسيحية لبنانية ، ويقولون « الولد سرّ أبيه » وأم جيّهان اسمها « جلاديس » وأم دينا اسمها « نيكول » وكانت نيكول في باريس عندما سمعت عن خطبة ابنتها لجمال السادات ، وتروى جيّهان السادات عنها أنها ذهبت لكنيسة نوتوردام وانحنّت وقبلت أرض الكنيسة آنذاك ، شكرت على أن ابن السادات خطب ابنتها (١) .

إننى شديد التمسك بالفكر الإسلامى الذى يوصى باتباع الديانات

الأخرى ، وأعرف تماما أن الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب ، فما بالك بمسلمة أمها من أهل الكتاب ؟ أعرف هذا جيدا ، ولكنى أحس أن بيوت الرؤساء والعلماء عليها التزامات خاصة ، ويقرر التاريخ أن بعض الخلفاء الفاطميين وبعض الخلفاء العثمانيين عندما تزوجوا من بيوت غير إسلامية بدأ الوهن يذبل في الأسرة .

إن بيوت الرؤساء والعظماء ينبغي أن تحافظ على روح الإسلام ، وهيهات أن تسود روح الإسلام إذا كانت الأم غير مسلمة ،

نشاط جيهان :

قلنا آنفا إن جيهان السادات لم تكن في الظل كما كانت زوجات الملوك والرؤساء قبلها ، وقد خرجت جيهان للحياة العامة ، وسرعان ما جمعت حولها بلاطا خاصا بها يتكوّن من زوجات بعض رجال الأعمال والسياسيين والضباط ، كذلك ضم هذا البلاط عددا من سيدات الطبقة التي كانت بارزة قبل الثورة ، وفي وقت من الأوقات كانت تعتبر نفسها مسئولة مباشرة عن ضباط الحراسة في الرئاسة وعن زوجاتهم (١) .

من أصحاب الأعمال :

وأصبحت جيهان السادات من أصحاب الأعمال والمال وقد سئل أنور السادات يوما عن الترف الذي يعيش فيه هو وأسرته ، فقال : إن زوجته من أصحاب الأعمال والمال ، وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد : إن أنور السادات لم يحدد عمر هذه الأعمال والأموال وهل هي تليدة عريقة موروثة أو مستحدثة ، ولما أحس بدعشة مستمعيه قال : إن خديجة زوجة الرسول كانت تاجرة ، ونسى إن السيدة خديجة نالت الثراء

(١) محمد حسنين هيكل : خريف الغضب ص ١٠٥ .

قبل زواجها من الرسول بل كان الرسول قبل الرسالة يعمل في تجارتها (١) .

موقف الإسلام من تجارة الحاكم وذويه :

وبمناسبة ما باثرتة جيهان من أعمال درّت عليها الربح نقرر أنه من المبادئ الإسلامية أن الحاكم وأهله وأعوانه ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشترين ، وعليهم أن يبتعدوا تماما عن أية صفقة يمكن أن يكون فيها استغلال لمكانة الحاكم (٢) .

وقد نص البيان الشامل الذي أخرجه عمر بن عبد العزيز عقب تواليه الخلافة على أن تجارة الوالى وأسرته ممنوعة إذ لابد أن يتجه لها الاستغلال ، ومما أثّر عنه قوله : تجارة الولاة مفسدة والرعيّة هلكة (٣) .

وقد عقد ابن خلدون فصلا عن أن « تجارة السلاطان مضرّة بالرعايا » (٤) .

والذى لا شك فيه أن جيهان السادات ما كانت بحال من الأحوال تستطيع أن تحصل على هذا حصلت عليه ولا على جزء منه لو لم تكن زوجة رئيس مصر ، فالاستغلال واضح واكيد ، ودفعت مصر ثمن ما جنته جيهان .

الوفاء والامل :

ومن نشاط السيدة جيهان السادات ما بذلته من جهد إبان حرب

(١) د . نعمات فؤاد : صناعة الجهل ص ٥٩

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج١ ص ٥٤ .

(٣) البيان كله فى ابن عبد الحكيم : سيرة عمر بن عبد العزيز

ص ٩٣ - ١٠٠ .

(٤) المقدمة ص ١٩٧ - ١٩٩ .

واقرا « السياسة فى الفكر الاسلامى » للمؤلف ص ١١٩ .

١٩٧٣. فقد كانت تَمْضِي الكثير من وقتها مع الجرحى والمعوقين ، وقد شجّع موقوفها هذا كثيرات من المصريات فانضممن لها ، وكان ذلك عملا جديرا بالشكر والتقدير .

ويرتبط بذلك تلك الجمعية التي سميت الوفاء والأمل وقد اتجهت هذه الجمعية لمساعدة أسر الشهداء ومساعدة المعوقين ، ومحاولة إيجاد أعمال لمن يستطيع العمل منهم ، وكان يتبع هذه الجمعية مؤسسة لخدمة المعوقين ورعاية شئونهم .

ولكن للأسف ، ارتبطت بجمعية الوفاء والأمل بعض الشبهات ومن أبرزها المعونة التي قدمتها أمريكا لهذه الجمعية وقدرها - عشرة ملايين دولار ، وقد خصم هذا المبلغ من المعونة المخصصة لمصر ، ولم يحاسب الجهاز المركزي للمحاسبات جمعية الوفاء والأمل على طريقة إنفاق هذه الملايين وسواها من التبرعات (١) .

قرى للإيتام :

ومع الوفاء والأمل قامت مصر بإنشاء قرى للإيتام ، وكان ذلك من الأنشطة التي قامت بها جيهان السادات .

رياسة المجلس الشعبي بالمنوفية :

ومن أنشطتها أنها أصبحت رئيسة المجلس الشعبي لمحافظة المنوفية واتخذت من ذلك وسيلة لتقديم كثير من الخدمات الاجتماعية للمنطقة .

إلغاء عقوبات قضائية :

ومن أنشطتها التي تؤخذ عليها ما نشرته جريدة الوفد في ٨٤/٦/١٤ إذ تدخلت لإلغاء عقوبة الأشغال الشاقة على تاجر مخدرات

(١) د . نعمات أحمد فؤاد : المرجع السابق : ص ١٧٤ .

يمتلك صيدلية ريفولى بجوار منزل رئيس الجمهورية السابق ، وتقول زوجة هذا التاجر إنها كانت تربطها علاقة صداقة قوية بالسيدة جيهان السادات فرجتها باسم الصداقة أن تتوسط لدى الرئيس السادات لإعفاء زوجها من عقوبة الأشغال الشاقة ، واستجابت جيهان لرجاء صديقتها ، واستصدرت من الرئيس الراحل قرارا جمهوريا بالعفو عن زوج صديقتها •

وبعد وفاة السادات طلب المدعى الاشتراكى فرض الحراسة على هذا التاجر ، ونظرت محكمة القيم برياسة المستشار حسن عثمان هذا الطلب ، وأصدرت حكمها بفرض الحراسة على ممتلكات هذا التاجر ، ورفضت التحفظ على التاجر نفسه •

قانون للحد من الإنجاب :

وقد تحدثت جيهان السادات حديثا طويلا فى كتابها عن محاولاتها لاستصدار قانون يحد من الإنجاب ، وقد عُرِضَت صور متعددة لهذا القانون ، ولكنه لم يصدر ، واكتفى بالإعلانات وبالمحاولات التى تنشرها وسائل الاعلام •

٣٠ مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب :

وبمحاولات ضخمة مثابرة استطاعت جيهان أن تشق زوَجَها بإصدار قرار رياسى بإضافة ثلاثين مقعدا للمرأة فى مجلس الشعب ، وتخصيص من ١٠ الى ٢٠ فى المائة من جميع المقاعد فى المجالس الشعبية للمرأة ، ولكن هذا القرار كان قصير العمر ، فقد أُلغى بعد وفاة السادات كما ذكرنا من قبل •

قانون الأحوال الشخصية :

وقد تكلمنا من قبل عن قانون الأحوال الشخصية الذى كان من جهود جيهان السادات ، ولذلك كان يسمى قانون جيهان ، فقد حاكنا

هذا القانون وانتقدناه ، وذكرنا التعديلات التى تمت عليه بعد وفاة السادات وبعد توقف نفوذ زوجته ، وتلك دائما هى نهاية القوانين والقرارات التى ليس لها جذور شعبية أو التى تصدر عن هوى الرؤساء فقط .

ولا يدرك الإنسان لماذا يتحمس أعضاء مجلس الشعب لإلغاء القرار الخاص بتحديد ٣٠ مقعدا للمرأة ، ولا يتحمسون لإلغاء تخصيص ٥٠٪ على الأقل للعامل والفلاحين بهذا المجلس .

إن الإجابة هى أن أى رئيس سيشغل محتاجا لهؤلاء يصفقون ويوافقون دون تفكير ، وكل ما نذكره هو أن المال الذى يحصل عليه هؤلاء من عرق الفقراء والمحتاجين سينقلب نارا وشموا على أخذه بدون وجه حق .

دعوة زوجات رؤساء الدول لزيارة مصر :

وتذكر السيدة جيهان ^(١) قضية تفتخر بها ، وهى أنها دعت زوجات الرؤساء الأفارقة والعرب لزيارة مصر سنة ١٩٧٤ وتقول : لقد استجاب لدعوتها عدد يزيد عن مائتين من ثلاثين دولة منها كينيا وأثيوبيا وأوغندا وساحل العاج وبورندى وتوجو وتشاد ونيجيريا وزائير وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس واليمن وقطر والكويت والبحرين وعمان ولبنان والعراق والصومال وكان ذلك أول اجتماع من نوعه فى القاهرة وأعدت لهن حفلات وزيارات لمناطق الآثار بالقاهرة ، ثم إلى مشاهدة الآثار فى الصعيد برحلة نيلية رائعة .

والسيدة جيهان سعيدة بذلك ، وهى بالتأكيد لم تسأل نفسها الأسئلة التالية :

(١) سيدة من مصر ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .

— هل استطاعت السيدة جيهان السادات أن تحجب عن أنظار هؤلاء السيدات أفواج الفقراء الذين يملئون الشوارع والذين يمثلون قاع البؤس ؟

— ماذا فعلت السيدة جيهان تجاه الذين يقفون في كل مكان ماديّن أيديهم طلبا للمصدقة وسائلين القادرين لقمة العيش ؟

— وهل تحاشت السيدة جيهان في تنقلاتها مع هؤلاء السيدات أكثر شوارع القاهرة المليئة بالحفر وطفح المجارى •

— وهل رجعت هؤلاء السيدات لبلادهن يتحدثن عن الآثار والماضى ؟ أو أنهن وسفن الفقر والحاضر •

— وأخيرا ماذا قدمت هؤلاء السيدات لمصر نظير هذه الرحلة باهظة التكاليف ؟

وأسئلة أخرى كثيرة ولكن يبدو أن السيدة جيهان نسبت قاع الفقر الذى عانته يوما ، ونسيت كذلك أولئك الذين يعيشون فى القاع والقبور ، وحسبت أن كل الناس يعيشون فى الرخاء الذى أصبحت تنعم فيه •

ثورتها على الشباب المسلم :

أخرجت السيدة جيهان السادات كتابها « سيدة من مصر » باللغة الإنجليزية بعنوان : Woman from Egypt

ثم ترجمته أو ترّجم لها إلى اللغة العربية ، وهى فى هذا الكتاب تهاجم الشباب المسلم للأسف ، وتصف هؤلاء الشباب بما يؤذيهم ويؤذى مصر ، وموضع العتب الشديد أن هذه الصفات تثنّس عن شبابنا الإسلامى فى أمريكا وغيرها من البلاد الناطقة بالإنجليزية ، واعتقادت أن

ذلك يتناقض مع الولاء لمصر ، وبخاصة أن هذه الصفات ليست حقيقية أو دَخلَها جانب كبير من المبالغات ، ومن هذه الصفات نورد قولها :

— وصلتُ مرة إلى جامعة القاهرة في الساعة العاشرة صباحا في طريقى لقسم اللغة العربية ، ولكن حائطا من البشر اعترض طريقى ، كان هؤلاء هم الجماعات الإسلامية يُصَلُّون في فناء الحرم الجامعى ، وماذا يصلون في العاشرة صباحا ، ثم إن فناء الجامعة طريق للمدرجات وليس مسجدا (١) . (يبدو ان هذا الكلام غير صحيح لم نشهده قط في الجامعة) .

— كان الأصوليون من «الجماعات الإسلامية» يرددون في خطبهم أن السلام مع إسرائيل محظور بنص القرآن ، وأن الأقباط هم أعداء المسلمين (٢) .

— كانت بعض الطالبات يرتدين النقاب ، ويغطّين أيديهن بالقفازات وعندما كنت أراهنّ يمشين في ردهات الجامعة كنت أشعر « بوجع في قلبى » (٣) .

— كانت الجماعات الإسلامية تكره الموسيقى الغربية التى كان بعض الطلاب يستمعون إليها ويرون أن أى موسيقى باستثناء تلاوة القرآن عمل مدنس (٤) .

— كانت الجماعات الإسلامية تردد : أن الاقباط في مصر يجب أن لا يكون لهم صوت في سياسة مصر ، وأن المسيحيين متواطئون في مؤامرة مع الإمبريالية بالخارج ، ولا تصادقوا قبطيا (٥) .

(١) سيّدة من مصر : ص ٥٠٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥٠٨ .

(٣) المرجع السابق : ص ٥٠٩ .

(٤) المرجع السابق : ص ٥١٠ .

(٥) المرجع السابق : ص ٥١٣ .

واعتقادی أن هذه إثارة للرأى العام العالمى بوجه عام والرأى العام الأمريكى بوجه خاص ضد مصر ، وكان الولاء لمصر يمنع إذاعة هذه الأقوال التى لم تكن حقيقة ، أو على الأقل حفلت بالمبالغات الشديدة .

وهكذا أصبحت جيهان السادات سيدة غربيّة فى فكرها وحياتها ، ويعتقد بعض علماء الاجتماع أن الصورة الغربية التى ظهرت بها جيهان السادات كانت من أسباب عودة الحجاب والنقاب ، رفضا لاتجاهها ولأسلوب حياتها من ثيابات مصر وسيداتها (١) .

إعجاب بشعب إسرائيل :

ولعل أخطر ما تَخَنَّنَ به هذه الدراسة عن الشباب هو إحساس شابّة من بيت السادات هى « جيهان » ابنة السادات ، فقد قالت أمها عنها ما يلى :

« كانت ابنتى جيهان مفتونة بشعب إسرائيل » (٢) واعتقادی أن إحساس جيهان ابنة أنور السادات كان انعكاسا لتصرفات والدتها التى تقول فى نفس الصفحة (٥٠١) « إنى كنت سعيدة جدا عندما قابلت « لسيه راين » زوجة إسحق راين فى حفل غداء بعد أن بدأت إسرائيل تجاؤ عن سيناء وقد احتضنت كلُّ هنا الأخرى ، وتقول السيدة جيهان لأنور السادات عندما ذهبت لزيارة إسرائيل واستقبلها الإسرائيليون بالترحيب : لقد تأثرتُ بهذا الترحيب وقلت لأنور : لمانا قضينا كل هذه السنين نحارب هؤلاء الناس ؟

إن بعض المفكرين المصريين يوافقون على معاهدة الصلح مع إسرائيل ، ولكن ليس فيهم من ينسى ما فعلته وما تفعله إسرائيل مع

(١) دكتور سعد الدين ابراهيم نقلا عن « الهجرة الى العنف ص

٢٦٩ » .

(٢) امرأة من مصر ص ٥٠١ .

المصريين والعرب ، ولا ينسى العدوان الذى كان ولا العدوان الذى لا يزال واقعا ، وحاشا أن يحتضن مصرى* مخلص لبلاده أى زعيم سفك من زعماء إسرائيل ، على الأقل خلال هذا الجيل الذى نعيشه •

مقارنة :

ويصور اللواء محمد حافظ إسماعيل موقفا مصريا مؤثرا لطالبة مصرية فى باريس رأت السادات فى التليفزيون عندما كان يزور القدس وهو يضع إكليل زهور على قبر الجندى الإسرائيلى المجهول ، ويقول سيادة اللواء : شدة انتباهى صوت* يختنق بالعبرات لفتاة مصرية لم تستطع أن تسيطر على ما يعتل فى صدرها ، وهى كما تقول لا تستطيع أن تصدق أن يصافح رئيسها الأعداء وأن يضع أكاليل الزهور على قبر جنديهم المجهول بينما رمال سيناء ندبة بدماء شهدائنا (١) •

نعم هذه فتاة مصرية صميمة عبرت عما يفعله أى مصرى* أصيل ، أما الأحضان والإعجاب بالشعب الإسرائيلى فمن حظ السيدة جيهان ، وحظ ابنتها التى انتقل لها سر* أمها •

لقد تحاملت جيهان السادات على الشباب المصرى لترضى الأمريكان ، ولهذا السبب أيضا تعاطفت مع اليهود !!! فيا للعجب تنعم بأموال مصر وتتعاطف مع أعداء مصر •

ثقافة جيهان السادات :

عندما أصبحت جيهان زوجة لرئيس مصر ، وتطلعت لتلعب دورا فى الحياة العامة ، رأت أنه من الضرورى أن تكسب قدرا من الثقافة ليساعدها على تحقيق هدفها ، وأتجهت أول الأمر الى الحصول على الثقافة اللازمة لهذه المكانة ، فبدأت تأخذ دراسات عن البروتوكول والنظم

(١) أمن مصر القومى فى عصر التحديات ص ٤٤٣ •

الديبلوماسية ، ثم بدأت تدرس تاريخ مصر القديم وآثار مصر وفنونها ،
لنتحول منه إلى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ، ثم إلى تاريخ مصر
الحديث .

ولكن فجأة خطر لها أن تستغل مكانتها في أن تسير في دراستها
سيراً نظامياً ، أى أن تأخذ الثانوية العامة أو ما يعادلها ، وتأتق بإحدى
كليات الجامعة وتحصل على درجة جامعية ، ثم تسير في الطريق حتى
تحصل على درجة الدكتوراه ، وقد كان ذلك قمة الطموح ، وقد هيئ
الطريق تماماً لزوجة رئيس الجمهورية لتحقيق هذا الطموح .

وفي مصر تقف أمام التلاميذ والطلاب عقبتان قاسيتان إحداها
النجاح في الثانوية العامة أو ما يعادلها ، والحصول على درجات تؤهل
للإلتحاق بالجامعة .

والعقبة الثانية هي النجاح في السنة التمهيدية لمن يريد أن يحصل
على الماجستير فالدكتوراه .

وكانت إزاحة هاتين العقبتين من طريق زوجة رئيس الجمهورية عملاً
بمسيراً لل غاية ، فإنها تؤدى امتحان الثانوية العامة أو ما يعادلها في
القصر الجمهورى أو ما هو في مستوى ذلك ، ... وستتأهل كل الحواجز
التي تحول دون مساعدة زوجة الرئيس لتصل إلى الجامعة ، أو أن
تحصل على شهادة G. C. E. التي تعادل الثانوية العامة والتي يلجأ
إليها (أولاد الذوات) ليهربوا من متاعب الثانوية العامة المصرية . والعجيب
أن هذه السيدة حصلت على شهادة انجليزية معادلة ، ثم دخلت قسم
اللغة العربية بكلية الآداب (١) بجامعة القاهرة ، وكان ذلك سنة ١٩٧٤ .

وكانت السيدة جيهان ذكية باختيارها كلية الآداب ، بل باختيارها
قسم اللغة العربية بها ، فذلك وحده هو الوسيلة لتصبح يوماً مدرّسة أو

(١) عبد الله امام : محاكمة عصر ص ٢٠٠ .

أستاذة بجامعة الولايات المتحدة الأمريكية وانهارت الحواجز التي كان يمكن أن تحول دون مساعدتها ، فنجحت بتفوق في الفرق الأربع وحصلت على الليسانس بامتياز ، وأصبحت معيدة بالكلية ابتداء من سنة ١٩٧٨ ، ولأنها حصلت على الليسانس الممتازة فإنها أُعفيت من السنة التمهيدية أي أعفيت من العقبة الثانية التي تقوم أمام الطلاب المصريين ، ثم حصلت على الماجستير في العام التالي (سنة ١٩٧٩) أي في عام واحد ولعلها أسرع ماجستير في جامعة القاهرة •

وكتابة الماجستير والدكتوراه عمل سهل ، فالمساعدات تنصب انصبابا من كل جانب ، وقد حُسِّدت لذلك مساعدات كثيرة بالإضافة إلى ذكاء الباحثة العام ، وأصبحت جيهان السادات مدرسة مساعدة بكلية الآداب ، وكان ذلك من أهم أمانيتها ، ولعل ذلك لم يتحقق لغيرها ، ففتاة تزوجت مبكرة وأنجبت أربعة أطفال ، وعاشت التزاماتها التي فرضتها عليها الحياة كزوجة لرئيس الجمهورية ، ومع ذلك تستطيع أن تحقق هذا الأمل وتحصل على هذه الشهادة وتلك في هذا الوقت القصير ... شئ يدعو للشك أو الغبطة ، وإن كانت الغبطة لن تحقق للمغتبط أي قدر من الأمل •

وتراخت المساعدات بعض الشيء عن السيدة جيهان بعد وفاة زوجها ، فلم تحصل على الدكتوراه إلا سنة ١٩٨٦ أي بعد سبع سنوات •

وهكذا لم يقتنع السادة بالحصول على الجاه والمال بل اتجهوا للحصول على الدرجات العلمية التي هي في الأصل وقف على الكادحين ، ووسيلة الانكفاء للطفرة من القاع الى سطح الأرض •

وقد حصل جميع الذين ساعدوا السيدة جيهان في تيسير العمل لها ، وإخضاع القوانين لرعايتها ومساعدتها علميا وإداريا حصل هؤلاء على مكافآت سخية لهذه المساعدات ونكتفى بهذا الإجمال ، وإن كانت هناك تفاصيل دقيقة عن هذا الموضوع ، ولكننا لا نحب إذاعتها وقد

كَتَبَ عنها قريبا حسن عزت في كتابه العمالقة والاقزام (١) .

جيهان ومحنة الدكتور عبد العزيز سليمان

معنى الآن كتاب بعنوان « محنتى » كتبه الدكتور عبد العزيز سليمان الذى تولى مناصب مختلفة لعل أعظمها أنه كان رئيسا لجامعة عين شمس ، وهو فى هذا الكتاب يتحدث عن محنته ومحنة زوجته السيدة سعاد أبو السعود وابنته وابنه ، ويذكر أن سبب هذه المحنة هى وهو لا يذكر اسمها ولكن القارىء يفهم من عرض الأحداث أنها السيدة جيهان .

والمهم أن الكتاب ليس جديرا أن نقف عنده ، فلغته ركيكة ، وهو يسير فى غموض بلا ذكر أسماء ، وانما بابها لا يدركه إلا مؤلفه وقليلون حوله ، هذا بالإضافة إلى سوء الطباعة والإخراج .

قد تقول لى إن الدكتور أستاذ « علوم » وأقول لك إن دقة التعبير والأداء ضرورية لكل من أراد أن يكون مؤلفا وكاتبا (٢) وإذا صرفنا النظر عن الكتاب ولغته ، بقيت المظالم التى يعرضها المؤلف ولتى نزلت به وبأسرته ، وتلك إن صححت تكون عملا بشعا .

هل تزوجت السيدة جيهان بعد أنور السادات ؟

الذى يطالع كتابها « سيدة من مصر » يجد كلماتها التالية :

« لن أتزوج مرة أخرى ، ولن أفكر حتى فى تغيير اسمى ، كل ما أردته دائما هو أن أكون زوجة أنور »

« وسأقابل زوجى ثانية بعد الموت فى عالم الخلود الأبدى » (٣) .

ويحس القارىء بهذا القول على إصرارها أن تعيش ما تبقى من

(١) حسن عزت : العمالقة والاقزام ص ٢٧٠ .

(٢) كتاب « محنتى » للدكتور عبد العزيز سليمان .

(٣) سيدة من مصر : ص ٥٦٩ .

حياتها مرتبطة باسم السادات ، وفيئة لذكراه ، وبخاصة أنها عاشت معه ثلاثا وثلاثين سنة من (١٩٤٩ — ١٩٨١) ونقلها من لا شيء إلى شيء كبير جدا ، وأنها عند وفاته كانت على مشارف الخمسين ، وأنجبت منه ابنه جمال الذي تحدثنا عنه وثلاث بنات تزوجهن في حياة أبيهن وأصبح لها عدد من الأحفاد ، وكل هذا جعلنا نصدق أنها لن تتزوج بعده .

ولكن الزمان ينسى كما قال المرحوم الشاعر أحمد شوقي ، وقد جاءت الأنباء أن هذه السيدة قد تزوجت ، وقد نقلت الصحافة المصرية هذا الخبر بكثير من الأسى والسخرية ، وذكر رئيس تحرير الوفد كلمات صارخة باكية على هذا الزواج ، وكان ذلك بالعدد الصادر في ١٩٨٨/١١/٢٧ .

ولست أحب أن أعلق على هذه الحادثة ، فلعل الآراء تختلف فيها ، وقد تزوجت قبلها جاكلين كنيدي من أوناسيس جريا وراء المال ، وقد حصلت فعلا على المال ولكنها فقدت تماما تقدير الأمريكيين لها ، ولعل حياة السيدة جيهان بالولايات المتحدة جعلها تتأثر بهذا النموذج وتنسى الفكر الشرقي الذي لا يستسيغ هذا التصرف الرديء .

ولعل من الأنسب من الآن أن نتحدث عن جيهان بدون إضافة اسم السادات إلى اسمها ، فقد أصبحت بذلك الزواج « مدام الضابط الشاب » . وإذا كانت المقارنة من طبيعة الدراسات التاريخية الحديثة فإننا ننقل هنا ما نشرته الصحافة المصرية في ١٤ مايو سنة ١٩٨٦ عن كورازون أكيينو رئيسة الفلبين ، فقد تقدّم لها سبيل جارف من طلاب الزواج ولكن كورازون أكدت بصورة رسمية أنها ترفض الزواج وستظل وفيئة لذكرى زوجها الراحل .

ثروة جيهان :

إن زواج جيهان فجّر موضوعا مهما عن ثروتها ، وليست لدى وثائق عما قيل عن ذلك الثراء الفظيع ، وكل ما أملك هو أن أنقل ما

أذاعته صحيفة الوفد عن ثروة جيهان وهى الصحيفة الوحيدة التى نتوقع
منها الحديث عن الثراء الذى جمعه ثوار الاشتراكية ، أما الصحف
الحكومية فلم تصدر لها تعليمات بإذاعة هذه الوثائق والأحداث ،
ونصوص هذه الاقتباسات هى كالآتى :

برقيتان :

** الى زوجة الريان السابقة التى تزوجت من أحد الضباط :
أعيدى الملايين الثلاثين إلى المودعين الغلبة لأنها لن تنفك في
الدنيا ولا في الآخرة .

** الى الهانم التى تعيش فى أمريكا :
أعيدى الستمائة مليون دولار إلى أصحابها فى مصر لأنه حرام أن
يعيشوا فى المقابر بينما أنت تسبحين فى نهر من الذهب
والحقيقة أنك تسبحين فى دماء الفقراء الذين سرقهم اللصوص
الكبار .

(فى ١١/٣/ ١٩٨٨)

تصحيح واجب :

** واحد صاحبنا .. أكد للعصفورة ... أن الهانم السابقة ، تمتلك
عزبة على مساحة ٣٠ ألف فدان فى الولايات المتحدة الأمريكية .
وكان يمتلكها الرئيس الأمريكى الأسبق جونسون ، وتمتلك أيضا
قصر الملكة نازلى والدة الملك فاروق ملك مصر السابق ، ويقع فى بيفرلى
هيلز بمدينة هوليوود بالإضافة إلى بعض الشركات الخاصة بتصنيع وتعبئة
اللحوم ، ونقل البترول ، بالمناسبة تصل الثروة إلى بضع مئات من
ملايين الدولارات .

(فى ١١/٣/ ١٩٨٨)

✽ لعنة الله على الزوجة التى تتسلط عليها نزواتها ، فتسارع إلى الزواج من ضابط شاب يصغرها سناً ، لتتعم معه بأموال زوجها السابق ، سواء كان من أصحاب شركات توظيف الأموال ، أو رئيس جمهورية رحل .

✽ ولعنة الله على تلك الزوجة التى ترقص فى حفل زواجها الثانى سواء كانت أما لخمسة أطفال ، أو جدة لدستة من الأبناء .

✽ ولعنة الله على الزوجة الجدة ، الأرملة التى تعيش فى أمريكا مع عريسها الشاب الجديد وهى تتعم بخيرات ستمائة مليون دولار نهبت من خزائن مصر ، ومع الملايين مزارع ويخوت وقصور هى من دم هذا الشعب البائس الفقير .

(١٩٨٨/١١/٢٧)

وقد زاد من خطر هذا الثراء ما يشاع عن أنه تيسيرات يهودية لزوجة الرئيس فى حياته لعل ذلك ييسر للسياسة اليهودية بعض المكاسب السياسية أو الاقتصادية ، ثم هو بعد وفاة الرئيس يمثل جذباً لسيدة تكتب أو يكتب باسمها ما يرضى اليهود ، وفى الوقت نفسه ما يهاجم شباب مصر ، وذلك هدف يهودى أعتقد أن اليهود مستعدون لدفع أعلى ثمن له .

أين أسرة عبد الناصر وأسرة السادات الآن ؟

من الأثرياء التى تدعو للحسرة أن أسرتى زعيمى الثورة والاشتراكية ، حصلتا على مال وفير من دم الإنسان المصرى الفقير كما ذكرنا من قبل ، وانتقلت الأسرتان بهذا المال من طبقة إلى طبقة ، ثم انتقلت الأسرتان من مصر إلى خارج مصر ، فلم تعد مصر بما بها من فاقة ، وما تحتاجه من جهدٍ أهلاً ليعيش بها هؤلاء الأكابر .

وبالتأكيد ستجد من العسير أن تقابل أحدا من أفراد هاتين الأسرتين بمصر ، اللهم إلا أولئك الذين أتعخوا بالثراء أو الذين يبحثون عن الفرص لاستغلال ما حصلوا عليه من ملايين لعلها تتضاعف على حساب المضرين في المقاولات أو إنشاء القرى السياحية أو غيرها من المشروعات التي تحتاج إلى المال الوفير ، وتعطي عائداً عظيماً لأصحاب هذه المشروعات •

لقد أعلن عبد الناصر الحرب على الأغنياء ، وكان يسعد عندما ينقل الناس من الثراء للفاقة ومن العزّ للذل والقهر ، ولو جاء عبد الناصر الآن ، أو جاء السادات لرأيا الغنى في أيدي أولادهما ، ولا شك أنهما سيباركان هذا الثراء ، ويعملان على تنميته ما دام في أيدي الأسرتين الجديدتين •

ولكن الله سبحانه وتعالى لن يبارك في مال جاء عن طريق الخيانة لمال الرعيّة ، ولن يبارك في غنى برز على حساب الفقراء •

وبعد

هذه هي السيدة جيهان التي كانت تسمى « جيهان السادات » وذلك هو تاريخها بكل الحيّدة ، ولا شك أن القارئ يرى في هذه الدراسة ألوان نشاطها ما استقام منه وما انحرف ، ودراستنا التاريخية دائماً تقدم للتوعية حتى لا تتكرر في الحاضر والمستقبل أخطاء الماضي •

إن جيهان — في تقديري — جلبت لزوجها في حياته وبعد وفاته كثيراً من السخط ، لقد عاشت لنفسها ، وسيطرت عليها فكرة أن تصبح « ملكة » ولكن على أن تكون من الملكات اللاتي لا يهمهن أمر الجماهير •

أولاد الحكام وتطلّعاتهم :

بالتأكيد يعمل كل إنسان لإسعاد أولاده ، وهذا شيء يحدث عليه الشرع والعرف فقد أوصى عليه الصلاة والسلام بأن تكون الوصية

لغير وارث في حدود الثلث ، قال « الثلث والثلث كثير » وأصناف لأن تدع أولادك أغنياء خير" من أن تدعهم فقراء يتكفّفون الناس •

ولكن ما يحصل عليه الأب الأولاده يجب أن يكون نقيّاً ، وإذا كان الأب حاكماً فإن الأمر يكون أشد ، فقد قرر الفكر الاسلامي أن الرئيس وأعوانه ليس لهم أن يدخلوا الصفقات العامة بائعين أو مشتريين ، وأن الرئيس وأعوانه ليس لهم أن يقبلوا الهدايا ، ويبين الفكر الإسلامي أن الهدية للحاكم ظاهرها الهدية وباطنها الرشوة والاستغلال ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك : هدايا العمال غلول • أى فساد ومهلكة •

إذا أردنا أن نطبق هذه التعاليم على أولاد رؤساء مصر في عهد الاشتراكية الزائفة نجد أن الاستغلال وصل مداه ، فقد صدرت أوامر بإعفاء بعض أولاد عبد الناصر من الخدمة العسكرية ، وفي الوقت نفسه كان ابن ملكة بريطانيا العظمى يعمل وسط البريطانيين في حرب فوكلاند دون أى تمييز •

ودخل أولاد عبد الناصر وابن السادات كلية الهندسة وهناك كلام كثير عن تحدّي الأستاذ الدكتور إبراهيم صالح الذى أراد أن ينفذ العدالة مع ابن السادات ، فأبعد عن الجامعة ، ولم يعُد لها إلا بحكم قضائى بعد عصر السادات (١) •

وربما تسألنى ، لماذا لم يدخل أولاد الرؤساء كلية الطب مع أنها من الكليات المرموقة ؟

(١) أقرأ القصة كاملة في (صناعة الجهل) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد ص ١٢٧ •
وأقرأ « محاكمة عصر » للأستاذ عبد الله امام ص ٢٢ •

والإجابة أن الطبيب سيواجه الناس ويقتبأون عليه أو يدبّرون عنه ، وأولاد الرؤساء انعزلوا عن الشعب ، فليس الواحد منهم مستعدا لمواجهة المرضى وأهليهم ، ومن الخير له أن يكون مهندسا يجلس في مكتب عاجي وترد له المقاولات الكثيرة السخيفة ، فيريح كثيرا دون صلة بالجماهير .

وقد سبق أن ذكرنا أن أولاد الرؤساء يحرصون على الحياة في الخارج ، فلم تعد مصر الفقيرة أهلا ليعيشوا بها ، أو أنهم بعد أمجاد الرياسة وسلطانها يعزّو عليهم أن يفقدوا ما اعتادوه من جلال وسلطان ، فتركوا البلاد لذلك .

ومن تطلعات أولاد الرؤساء أنهم وصلوا في طموحهم إلى أقصى الدرجات في مجال الغنى والجاه ، فابن عبد الناصر متزوج بابنة البدرأوى ، وكانت أسرة البدرأوى وسراج الدين ... من الأسر التي لاقت أشد العدوان من عبد الناصر ، وكان هذا يمدّد هذه الأسر العريقة أسرا إقطاعية امتصّت دماء الشعب ، ولكن ابن عبد الناصر اغتنى وارتفع حتى أصبح في مصاف هذه الأسرة فتزوج منها .

وبنات السادات — كما قلنا من قبل — رُمّيت لهن زيجات لم يلاحظ فيها إلا الغنى والترف ، فقد تزوجت إحداهن من ابن المهندس عثمان أحمد عثمان الذي يَطلّق عليه زعيم « الامبراطورية العثمانية » وتزوجت الأخرى من ابن سليل الغنى والترف المهندس سيد مرعى ، وتزوجت الثالثة في أسرة عريقة غنية هي أسرة عبد الغفار .

أما ابنة عبد الناصر فهي زوجة لشاب ينحدر من أسرة متوسطة أو في الحق أقل من متوسطة اسمه أشرف مروان ، ولكنه سرعان ما أصبح ليس مليونيرا بل « بلياردير » ولا يعرف أحد مصادر هذا الثراء الذي خلق له الأرض الزراعية الشاسعة والمصانع والقصور هنا وهناك

والبيخوت التي تجرى من بحر إلى بحر وما لا يُعرَف من ثروات أخرى •

وفي إيجاز لقد انتقل أولاد عبد الناصر والسادات من عالم القاع إلى عالم السيادة المالية ، ولم يعودوا يستطيعون أن يتعاملوا مع عباد الله من الطبقات العادية •

إخوة السادات :

تكلّما عن إخوة عبد الناصر في الجزء التاسع من هذه الموسوعة ، وتكلّما آنفا عن وصف السادات لعبد الناصر فيما يتعلق بحساسيته نحو أسرته ، وذكرنا كلمات السادات التي تفيد أن عبد الناصر كان يسرف في التتكيل بأي شخص يتحدث عن أسرته وإخوته ، ووسائلهم للحصول على المال ، ونريد الآن أن نتكلم بإيجاز عن بعض أسرة السادات •

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل (١) أن السادات في مطلع حكمه جمع أفراد عائلته وذكر لهم أنه لا يعترض على اشتغالهم بالأعمال الحرة ، ولكنه يحذرهم من أن تفوح لهم رائحة •

ولعلمهم حرصوا على التخفّي فترة من الزمن ، ولكن سعة المال والنفوذ حثّم أن تفوح الرائحة وبخاصة بعد نهاية السادات •

ويروى الأستاذ هيكل أن أحد أشقاء السادات أعلن في اليونان أنه سيستثمر ٧ ملايين من الدولارات في إقامة مصنع نسيج بسالونيك باليونان ، وكان ذلك في حياة السادات ، ولذلك لم ينشر هذا التصريح بهم •

ويعطى الأستاذ هيكل تفاصيل عن عصمت السادات فيذكر أن ثقافته

(١) خريف الغضب ص ٣٩٣ •

كانت في حدود الشهادة الابتدائية وكان يعمل سائق سيارة نقل ، وفي عهد الرئيس السادات انتقل عصمت انتقالة واسعة وتزوج عدة مرات وكانت زوجته الرابعة يونانية من سالونيك ، وقاما معا بإنشاء شركات كثيرة منها شركات شحن بحرية وشركة لصناعة أنابيب الأكسجين وشركات لتوزيع الجرارات وقطع الغيار والمقاولات ، وكان هو وأولاده يملكون عدة عمارات كبيرة وعشرات من الشقق والمكاتب ، وعدة استراحات صيفية بالمعمورة وغيرها (١) وقد طلق عصمت زوجها اليونانية سنة ١٩٨١ كما ذكر عبد الله امام (٢) .

ويقول الأستاذ هيكل إن نشاط عصمت السادات امتد لأخذ إتاوات للحماية ، أو لتصريف وتيسير بعض الأمور ، أو لنيل مكانة أو وظيفة وهكذا ، وبلغ به الحال إلى التسلط على بعض الممتلكات المملوكة للأفراد أو الدولة ، وأخذ كميات هائلة من الحديد والأسمنت من وزارة الإسكان وكان يتجر فيها ، وألوان أخرى من هذا النوع .

وقد أورد الأستاذ عبد الله امام قوائم شغلت سبع صفحات من كتابه « محاكمة عصر » وتشمل هذه الصفحات مواد البناء التي استطاع أفراد أسرة السادات وبخاصة عصمت وأولاده وزوجاته أن يحصلوا عليها من وزارة الإسكان ، وهي تشمل مقادير هائلة من الاسمنت والقيشاني وحديد التسليح والخشب والمواسير .

وقد اعترف أحد وكلاء الوزارة الذين صرقوا هذه الكميات بأن الطلبات لم تشمل المستندات اللازمة للصرف ولا الأدلة على قيام عصمت السادات وذويه بالمشروعات المذكورة ، وأن الثقة في أخى الرئيس كانت وحدها الدليل (٣) .

(١) خريف الغضب ص ٤١٨ .

(٢) محاكمة عصر ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٣٤ باختصار .

والذى ساعد على التحقيق الدقيق مع عصمت وأولاده أن الرئيس حسنى مبارك أعلن فى نوفمبر سنة ١٩٨٢ أنه أعطى توجيهاته للمستشار عبد القادر أحمد على المدعى العام الاشتراكى بالتحقيق مع أى مسئول سابق أو حالى تشير التحريات إلى تورطه فى مساعدة عصمت السادات وأسرته وتسهيل عمليات انحرافه ، تلك التى شملت الاستيلاء على أراضٍ مملوكة للدولة ومنها أراضٍ للأوقاف ، أو الحصول على إعفاءات جمركية مفروضة على السلع التى تم استيرادها من الخارج ، أو التهريب من دفع الضرائب على أنشطته العديدة والمتنوعة ، أو الحصول على حصص من الحديد والأسمنت والخشب من وزارة الاسكان ، أو الحصول على نحو ٥٠٠ خط تليفون من بينها ١١١ خطأ له ولأولاده ، والباقى باعها لرجال الأعمال ، بالإضافة إلى السكوت على فرض الإتاوات على رجال الأعمال ، وتزوير العقود والأوراق الرسمية ، والاتجار فى السوق السوداء (١) .

وتصنيف الصحيفة التى نشرت هذا التصريح فى نفس العدد ما يلى :

فوجئت لجان الجرد بجهاز المدعى العام الاشتراكى والتى قامت بالتحفظ على ممتلكات عصمت السادات بميت أبو الكوم بوجود كميات كبيرة من المسدسات والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية داخل المفيلا التى يمتلكها هناك . كما قام الأهالى بمعاونة رجال الأمن فى الإرشاد عن ممتلكات عصمت السادات بميت أبو الكوم .

وانتهت المحاكمة أمام محكمة القيم إلى إدانة عصمت السادات وأولاده ، فصدرت القرارات بمصادرة هذه الثروة لصالح الشعب ، ولكن قسماً كبيراً من ثروة عصمت كان موجوداً بالخارج فلم تصل له يد العدالة ، وقد قدرت ثروة عصمت وأولاده بأكثر من مائة مليون دولار ،

وقد تقدمت عائلة عصمت السادات بطعن أمام محكمة القيم العليا لرفع قرار المصادرة ، فصدر قرار هذه المحكمة بتأييد حكم محكمة القيم فيما عدا مسكنين و ٩ آلاف جنيه •

طلعت السادات وعلى شفيق والمخدرات :

يقول عبد الله أمام ^(١) إن اللواء عبد الحميد الصغير مدير مكافحة المخدرات سابقا شهد أمام محكمة القيم في قضية عصمت السادات أنه كانت في مصر عصابتان كبيرتان لت تهريب المخدرات ، إحداهما يرأسها على شفيق الذى كان سكرتيرا للمشير عامر ثم قبض عليه وحوكم وسجن ، ثم أفرج عنه المشير وساعده في السفر الى لندن ، وهناك عمل في تجارة السلاح حتى قتل • أما العصابة الثانية فقد كان يرأسها طلعت السادات ، وأن الرئيس السادات قبض عليه وسجنه ولكن لم يعلن سبب ذلك •

ويضيف عبد الله أمام أن طلعت السادات استولى على الحصاة الكاملة لكل المواد الخاصة بمحافظه الفيوم مدة ثلاث سنوات ، وكان يتاجر في السوق السوداء في هذه المواد المتنوعة التى استولى عليها وحرم المحافظة منها (٢) •

نفيسة السادات :

نفيسة السادات هى زوجة عبد العزيز عبد اللطيف الورورى وقد اتهمت السيدة نفيسة هى وزوجها بالاستيلاء على أرض مملوكة لشركة مدينة نصر للإسكان والتعمير وبيعها لبعض الناس ، وبعد السادات أعلنت الشركة أن على المشتري أن يثعبدوا شراء هذه الأرض مرة أخرى منها باعتبارها المالك الحقيقى ، فتوجه المشترون بالشكوى للجهات المختصة • وانتهى الأمر بصدور حكم قضائى على زوج السيدة نفيسة السادات ،

(١) محاكمة عصر ص ٢٨ •

(٢) المرجع السابق ص ١٢٣ •

وهو عبد العزيز عبد اللطيف الورورى بالحبس ستة أشهر فى قضية
جنحة النصب رقم ٨٢٩ لسنة ١٩٨٢ جنح مدينة نصر ، واستأنفها أمام
محكمة شمال القاهرة باستئناف رقم ٨٥٩ لسنة ١٩٨٢ ، وصدر حكمها
بتعديل الحكم المستأنف الى ثلاثة شهور مع الشغل والنفاد (١) .

سكينة السادات :

يذكر الأستاذ أحمد بهاء الدين (٢) أنه بعد انتخاب أنور السادات
رئيسا للجمهورية جاءته سكينة السادات وطلبت أن تنتقل من محررة
بدار الهلال الى مديرة لتحرير مجلة المصور ، وقد ذكر الأستاذ أحمد
بهاء الدين لها أن ذلك ليس من الممكن أن يتم ، لأنها به تتخطى عددا من
الزملاء الذين هم أقدم منها وهم كذلك من حملة الدرجات الجامعية وهى
بدون شهادة جامعية .

وبعد فترة جاءت السيدة أمينة السعيد للأستاذ أحمد بهاء الدين وهى
ترتجف ، وقررت أن سكينة السادات لم تعد تَحْتَمِل ، وأنها فى اجتماعات
هيئة التحرير تقاطع وتذكر أن « أبية أنور يرى كذا وكيت » .

وقد هددها الأستاذ أحمد بهاء الدين بأنه سيسكوها إلى أخيها ،
ولكن نفوذ سكينة امتد كالأخطبوط .

على رءوف وعصمت السادات :

وفى ختام حديثنا عن أسرة السادات بقى أن نورد حديثا يرتبط
بأسرة السادات وأسرة زوجته ، فقد ثبت فى مديرية أمن الجيزة أن
« عبد العال عطا » مأمور قسم الهرم تلقى عدة شكاوى من الجماهير ضد

(١) صحيفة الشعب الصادرة فى ١٨/١/١٩٨٣ وانظر محاكمة عصر
للأستاذ عبد الله امام ص ٣١ .

(٢) محاوراتى مع السادات ص ٢٠ - ٢١ .

على رءوف وعصمت السادات ، ولما كثرت الشكاوى والتعدييات كتب
عبد العال عطا للرئيس السادات يقول :

أدركت من واجبي أن أبلغك عن الانحرافات في سلوك السيدين
على رءوف وعصمت السادات ذلك السلوك الذى شاع فى منطقة الهرم
مما أثار حولهما رائحة كريهة وشملت مذكرة عبد العال عطا
وقائع محددة ومحاضر كثيرة حرّرت فى القسم ضدهما ويقول
عبد الله امام إن النتيجة كانت أولا تحذيرا لعبد العال عطا حتى لا يكتب
ثانية فى هذا الموضوع ، ثم انتهى الأمر إلى قرارٍ بفصله من الشرطة (١) .

(١) محاكمة عصر : ص ٣٨ - ٣٩ .

الديمقراطية والديكتاتورية

عندما نعرض للحديث عن الديمقراطية والديكتاتورية بالنسبة
للأنور السادات ، ينبغي أن نقدم لهذا الحديث بثلاث مقدمات :

١ — المقدمة الأولى : تذكير بما سبق أن أوردناه حول ثورة ٢٣
يوليو كلها ، فهذه الثورة قامت على الديكتاتورية كما وضح أنور السادات
ذلك عندما ذكر أن الثوار جميعا اختاروا الديكتاتورية أسلوبا لمسيرتهم
إلا الديكتاتور الأعظم جمال عبد الناصر فإنه اختار الديمقراطية !! ، ثم
أن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة قاد مجموعة من الغوغاء تهتف :
تسقط الديمقراطية — تسقط الحرية

وكان هذا الصوت معبرا عن الثوار جميعا كما ذكرنا من قبل •

٢ — ان الفرق كبير جدا بين عصر عبد الناصر وعصر السادات في
هذا المجال ؛ كان عصر عبد الناصر عصرا وحشيا بعيدا عن الإنسانية ،
عصر حُكْم الفرد بقسوة ، فإذا ظهر شخص آخر مع عبد الناصر كان
عبد الحكيم عامر بكل الفظاظ والعنف والعريضة ، أو صلاح نصر بكل
الآثام والفجور ، وبالإضافة إلى عامر وصلاح نصر هناك المئات من هذا
النوع المستبد الآثم ، فلم نكن نَحْكُم بديكتاتور واحد ، وإنما بعصابة من
الديكتاتوريين •

أما في عصر السادات فكان الحكم في يد شخص واحد ، لم يسمح
بمركز قوة تشاركه السلطة مستبدة أو غير مستبدة ، وهذه في حد ذاتها
حسنة ، ثم كان السادات خاضعا لظروف ألزمته أن يفتح بابا ولو
صغيرا للديمقراطية ، راضيا أو غير راض ، فإن صلته بالغرب لم تترك
له حرية الاختيار ، فكان عليه أن يتظاهر بالديمقراطية بشكل أو بآخر
كما سنرى ، مؤمنا بها أو غير مؤمن •

إن المقارنة بين عصر عبد الناصر وعصر السادات تجعل من الضروري

أن نقرر أن عصر السادات — في مجال الديمقراطية — أسمى وأنصر ، عرفنا فيه بشكل ما حرية الكلمة ، وحرية القلم ، وحرية الاجتماع ، وعرفنا النوم دون أن يهددنا زوار الفجر (فيما عدا شهر سبتمبر الأثيم) •

٣ — في المقدمة الثالثة نقرر أن من العبث أن نتوقع ديمقراطية حقيقية كاملة من رجل عسكري المنشأ والثقافة ، فالإنسان العسكري أليف الديكتاتورية يعامل بها من دونه ويقتبلها ممن فوقه •

قد يقال إن أيزنهاور وديجول وأمثالهما كانوا عسكريين ، وهذا الاعتراض لا يورده إلا شخص ضحل الثقافة ، فأكثر هؤلاء العسكريين لم يصلوا إلى الحكم إلا بعد أن نفصوا عن أنفسهم تراب العسكرية ، واندمجوا في الحياة المدنية خطوة إثر خطوة ، ثم — وهو الأهم — إن جو الغرب يثرغيم كل شخص على احترام الديمقراطية ، فإذا حاول شخص — عسكريا كان أو مدنيا — أن يتجبه للديكتاتورية اصطدم بقوى شعبية رهيبية تثرغمه على الفرار ، بل يقف ضده الأتصار مع المعارضين ، فالجو الديمقراطي هو الحياة عندهم • هذا بخلاف الشرق الذي ترعبه القوة الظالمية التي تَحْمُرُس نفسها بالسلاح حتى تعيش الديكتاتورية على الرغم مما يكنه الشعب لها من حقد واحتقار •

ديمقراطية السادات :

وعن الوجه الديمقراطي أو الديكتاتوري للسادات يقول عبد السلام الزيات (١) : السادات لا يفهم معنى المعارضة ، فالمعارضة التي يفهمها أو حتى يخلقها هي المعارضة بين جماعة وجماعة على أن تؤيده الجماعة ، فهو يسمح بتعدد الأحزاب وتنافرها مع بعضها البعض ، على أن تكون جميعها مؤيدة له ، يريد للمسلمين أن يختلفوا مع الأقباط ، ويريد لليسار أن يختلف مع اليمين ، والفقراء مع الأغنياء شريطة أن يتجبه الكل

(١) نقلا عن العمالقة والاقزام لحسن عزت ص ٢٥٧ •

له ، وأن يبدى هو تعاطفه مع الجميع ، أما إذا اتجهت المعارضة له شخصيا ولقراراته فهنا تظهر أنياب الديكتاتورية •

ومع أنى لا أدافع عن ديكتاتورية السادات فأنى أرى أن هذا الكلام مبالغ فيه ، فقد صارعت الأحزاب أحيانا ، ولم تنقلب ليصارع أحدها الآخر •

مرة أخرى ، كان عصر عبد الناصر عصر الديكتاتورية الحمقاء ، تلك الديكتاتورية التى قادت البلاد للهاوية ، فلما تمت الهزيمة واحتل الصهاينة بلادنا حسب بعض المخدوعين أن عبد الناصر سيتنازل عن بعض استبداده ، ولكن الرجل أخذ من الهزيمة والاحتلال الصهيونى وسيلة لمزيد من الديكتاتورية فأطلق جملته المزيّفة :

لا صوت يعلو على صوت المعركة

وهذا الوضع يوحى لنا بأن عصر السادات كان أفضل وكان واضعا لبذور من الديمقراطية ، تضعف وتشتد ، ونرجو فى يوم من الأيام أن يكمل نضجها •

وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين وثيق الصلة بالسادات ، وهو يعطينا صورة دقيقة للسادات بين الديمقراطية والديكتاتورية ، يقول سيادته : لقد أصبحت مدركا تماما أن السادات فى تكوينه الحقيقى ، وخلفيته منذ مطلع الشباب « فاشيستى كامل » لا يعرف إلا الديكتاتورية وأن ما يدفعه إلى الأخذ ببعض صور ليبرالية ديمقراطية هو الحاجة إلى التقرب للغرب ، وهو الرئيس كارتر بالذات الذى نصحه بذلك لكى يقطع الطريق على خصوم السادات فى الصحافة الأمريكية ، ويسهل بذلك مهمة كارتر فى الضغط على إسرائيل (١) •

وهذا الوضع هو ما أشرنا له وهو ما ندين به ، فالديكتاتورية كامنة فى نفسه ، قوية فى أعماقه ، والتظاهر بالديمقراطية يجىء تحت

ضغوط معينة وظروف خاصة ، ومن هنا امتلأت حياة السادات بالاتجاهين
جَمِيعاً ، ويمكن أن نضع هنا قائمتين بذلك :

مظاهر الديمقراطية :

فمن الديمقراطية وَضَعُ حد للوباء الذى كان يسمى الاتحاد
الاشتراكى ، فلم يكن ذلك الجثمان اتحادا ولا كان اشتراكيا ، بل كان
كائنا انتهازيا ، ووسيلة لديكتاتورية ناصر وتحقيق أطماع بعض الطامعين
الانتهازيين .

ومن الديمقراطية خُلِقَ « المنابر » التى سرعان ما حولها إلى
أحزاب ، وكوّن هو حزبا ، وأُشَار على مصطفى كامل مراد أن
يكون حزبا آخر ، وسمح بانفلات بعض أعضاء مجلس الشعب حتى
كوّنوا النصاب الذى أتاح ظهور حزب الوفد .

ومن الديمقراطية سماحه لصحيفة « الإخوان المسلمين » بالظهور
ومن الديمقراطية ما أتاحه لنا من حرية الكلمة مقولة أو مكتوبة .

قد نقول لى إن هذه ديمقراطية مظهرية وضعيفة

وأقول لك نعم . كانت ديمقراطية مستأنسة ، ما فى ذلك شك ،
وعندما كان يحس بأن الديمقراطية ترعرعت وتريد أن تكون حقيقة
كانت أنياب الديكتاتورية تبرز وتشحذ .

ويذكر المرحوم الأستاذ جلال الدين الحمامى ان السادات عندما
حوّل « المنابر » إلى « أحزاب » استدعى الأستاذ مصطفى كامل مراد
وقال له : إنك الآن زعيم المعارضة ، وتلك هى ججرتك وهكانتك المادية والأدبية
كزعيم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى ، ولك أن تصدر صحيفة
للمعارضة ، ولعل مصطفى كامل مراد صدّق هذا الكلام ، فاتصل
بالأستاذ الحمامى ليكون رئيس تحرير الصحيفة ، ولكن المسؤولين
قالوا له « سيبك من المراحل ده » فاختار صلاح قبضايا ، وبدأت الصحيفة
تظهر ، وأقبل الناس عليها إذ كانت فيها لهجة المعارضة ، ولكن السادات

لم يحتمل هذا الاتجاه من الصحيفة ، فأشار بوضع الحراقيل المالية والطباعة التي تؤدي في النهاية لإيقافها ، واستجابة لذلك أنذرت مؤسسة الأخبار التي كانت تطبع صحيفة الأحرار المعارضة بأن المؤسسة غير مستعدة لاستمرار طبعها ، وتوقفت الصحيفة ابتداء من أغسطس سنة ١٩٧٨ بعد حياة قصيرة (١) .

ومظاهر الديكتاتورية :

وإذا ذهبنا الى مظاهر الديكتاتورية نجدها فيضا واسعا ، وكان من أخطر مظاهر الديكتاتورية تزيف الانتخابات ، وبالتالي تكون مجالس لا تمثل الشعب بحال من الأحوال .

ومن مظاهر الديكتاتورية تعديل الدستور الذي وضعه هو سنة ١٩٧١ وكان هذا التعديل يقضى بأن مدة الرئاسة غير محدودة السنوات ، وهو وباء لا يزال مسلطا علينا .

ومن الديكتاتورية تلك التشريعات التي أعلنها لحمايته وحماية نظامه وهي التشريعات الاستثنائية التي لا تزال كالسيف مسلطة على أعناق البلاد .

ومن الديكتاتورية فصله كمال الدين حسين من مجلس الشعب تعبيرا عن حقد دفين بينهما منذ عهد مجلس قيادة الثورة ، يوم كان كمال الدين حسين في مكانة أسمى بكثير من مكانة السادات ، وقد اتخذ هذا نموذجا لفصل الشيخ عاشور محمد نصر ، ثم فصل الأستاذ عبد الفتاح حسن وأبو العز الحريري ، وسنتحدث عن فصل هؤلاء بعد قليل ، ثم فصل في عصر حسنى مبارك طلعت رسلان ، فالهم أن السادات فتح الباب لاغتيال النواب وتهديدهم بالفصل من المجلس على الرغم مما يثبتته الدستور لهم من حصانات .

ومن الديكتاتورية تلك العبارات التي اندفعت منه من حين إلى حين .
— عند الضرورة فيأني مستعد أن أفرّم .

- الأفندية : عندما كان يريد السخرية بالمشقفين والجامعيين •
- ديمقراطية لها أنياب •
- الذين يستعملون الماء الساخن (مع ملاحظة أنه أدخل أجهزة تسخين الماء في ميت أبو الكوم) •
- أصحاب الشهادات والدكتوراهات و « القلاطة » (يقصد الكلمة العامية : الألة) •
- آخر الفراغة العظام •
- ومن الديكتاتورية انه كان لا يترك لرئيس وزرائه أن يختار الوزراء ، بل كان هو يختارهم له •

— ومن الديكتاتورية موقفه في المفاوضات مع بيجين ، فقد كان بيجين لا يبتث في أمر إلا بعد العودة لمعاونيه في المفاوضات ، بل إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي والكنيست عند اللزوم ، أما السادات فكان يستبد في كل هذه الخطوات ، وربما كان له العذر في ذلك ، فلم يكن هناك من يستطيع أن يواجه الاتفاق مع إسرائيل كما كان يفعل السادات •

وفي جو هذه الديكتاتورية لم يجد حزب الوفد وسيلة للبقاء في ساحة يحكمها الاستبداد ، فقرر تجهيد نشاطه ، ولم يعد الحزب لزاولة نشاطه إلا بعد نهاية السادات •

ومن الديكتاتورية ما يروى أنه في الفترة التي تلت أحداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ كتب صحفي بريطاني اسمه دافيد هيرست مقالا شديدا ضد الرئيس السادات وقرينته ونشره في جريدة « الجارديان البريطانية » فأصدرت السلطات المصرية قرارا بطرد الصحفي فورا ، واتجهت قوات الأمن إلى غرفته بفندق « هيلتون » عند منتصف الليل ، وقادته إلى مطار القاهرة ، وأركبته أول طائرة تقلع من المطار ، وكانت متجهة إلى قبرص (١) •

(٢) جلال الدين الحمامصي : القرية المقطوعة ص ٢٠٩ •

فصل أعضاء من مجلس الشعب :

يذكر الدكتور ابراهيم عبده (١) أن الأستاذ عباس العقاد وهو عضو في مجلس النواب في الثلاثينات هاجم الملك فؤاد ، وقال : يجب تعطيم أكبر رأس إن هو فكر أو حاول العبث بالدستور ، وقد أراد الملك فؤاد آنذاك ، انزال العقوبة به ، ولكن الحصانة البرلمانية حمته ، فلم يمس به سوء حتى حُلَّ مجلس النواب بعد ذلك فقدّم العقاد للمحاكمة •

ومن هنا تظهر صعوبة المساس بعضو البرلمان ، ولكن أنور السادات حطم هذا الحصن ففتك بأعضاء البرلمان دون الاهتمام بحصانتهم ، وكان الفتك قويا إذ فصلهم من مجلس الشعب ، ولم تقع هذه المأساة على عضو أو عضوين وإنما شملت في دورة برلمانية واحدة أربعة أعضاء هم :

- الأستاذ كمال الدين حسين
- الشيخ عاشور محمد نصر
- الأستاذ عبد الفتاح حسن
- الأستاذ أبو العز الحريري

وسنروى هنا بإيجاز ظروف فصل كل منهم ، ذلك التصرف الذي يعد من أقسى صنوف الديكتاتورية :

السيد كمال الدين حسين :

عقب حركة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ اتجه أنور السادات لعمل استفتاء يخوِّله سلطات ضد من اعتبرهم مناوئين له ، ومهيّجين للجماهير الذين قاموا بهذه الحركة ، وحينئذ أرسل له كمال الدين حسين برقية طويلة جاء فيها : إن استغلالكم للمادة رقم ٧٤ من الدستور اتجاه خاطيء وباطل دستوريا أحملكم وزره ، كما حملت سابقك وزير القانون رقم ١١٩ ،

فالخطر الذى تنص عليه المادة ٧٤ غير موجود الآن ، وكان قصر نظرك
حكومتك هو السبب فيما حدث يوم ١٨ و ١٩ يناير ، وقد قلت فى مجلس
الشعب إن تقنين الظلم أشد أنواع الظلم ، والاستفتاء الذى تحاولون
إجراؤه ستروّره حكومتكم كما زوّرت كل الاستفتاءات الماضية •

وبسرعة حوّل أنور السادات هذه البرقية إلى المهندس سيد مرعى
رئيس مجلس الشعب ، وفهم سيد مرعى ما يَتَّصِدُ بتحويل البرقية له ،
فتحرك ، وأوعز لجماعة من المجلس أن يكتبوا اقتراحا يطلبون فيه إسقاط
عضوية كمال الدين حسين •

والحق أن هذه البرقية لم تكن وحدها السبب فى إثارة السادات ،
فقد كانت هناك أسباب قديمة حركتها هذه البرقية ، فاندفع السادات
للانتقام ، ويقول الباحثون إن كمال الدين حسين لم يكن فى سنوات
الثورة الأولى يعامل السادات بأسلوب الصديق أو الرفيق أو حتى الزميل ،
وانما كان يعامله بأسلوب الرئيس للمرءوس ، فقد كان كمال الدين حسين
أحد نواب رئيس الجمهورية وشغل مناصب كثيرة فى فترة كان السادات
فيها يعيش فى الظل ، وانتهر السادات هذه الفرصة لينتقم لنفسه من
كمال الدين حسين ، ومن ناحية أخرى أراد السادات أن يخيف الآخرين ،
فإذا كان هذا موقفه من كمال الدين حسين فإنه لن يتردد للتصدي لأى
حركة يقوم بها أى عضو من أعضاء مجلس الثورة السابقين أو أعضاء
مجلس الشعب •

وصدر قرارا بفصل كمال الدين حسين من مجلس الشعب تعبيرا عن
حقه دفين كان بين الاثنين •

وأراد كمال الدين حسين أن يعيد ترشيح نفسه فى الدائرة التى

خلت بإسقاط عضويته ولكن سرعان ما أصدر السادات تشريعا بحرمائه من إعادة ترشيح نفسه (١) .

وفي الحديث عن كمال الدين حسين لابد أن أتدخل بتجاربى معه ، فقد كنت فى فترة من الفترات قريب الصلة به ، عندما كنت مديرا للمركز الثقافى بإندونيسيا ، وأشهد الله لقد كان الرجل ممتازا ، صافى النفس ، شديد الرغبة فى الخدمة العامة ، مؤمنا عميق الإيمان ، يدرس اقتراحاتنا بعمق ثم يصدر فيها قرارات سريعة ***** ولولا أنه احتل مع عبد الناصر أعباء العدوان القاسى على محمد نجيب ، وهتاف صلاح سالم : تسقط الحرية ***** والعدوان ضد الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ وهزائم سنة ١٩٥٦ والوحدة مع سوريا وما حدث بها من انحلال وخسائر ***** لولا هذا لكان الرجل من خيرة الرجال .

إننى دائما أذكر أفضاله فأثنى عليه ، وليته تخلى عن هذه الثورة فى وقت مبكر عن الوقت الذى اختاره .

الشيخ عاشور :

كان للشيخ عاشور تاريخ معروف من عهد عبد الناصر ، ففى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى الذى عقد بجامعة القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٦٨ وحضره الشيخ عاشور باعتباره عضوا فى هذا المؤتمر الذى كان يرأسه جمال عبد الناصر نفسه ، فى هذا المؤتمر تكلم الشيخ عاشور وذكر أنه يتلقى محاضرات عن الاشتراكية ، فى معهد الدراسات الاشتراكية ، حيث يجىء المحاضر راكبا سيارة طولها ستة أمتار ، ويلبس خواتم من السوليتير ، وينادى فى محاضراته بالتمسك بالاشتراكية وبالدعوة إلى ربط الحجارة على البطون من أجل المستقبل ، وعقب

(١) انظر كتاب ديكتاتورية السادات للاستاذ جمال سليم : ص ٢٨ و ٤٠

المحاضرة يخرج المحاضر ومعه أعوانه إلى أفخم المطاعم حيث يتناولون عشاء فيه ما لذّ وطاب ، فكان الجوع للشعب والمترف لزعماء الاشتراكية •

وفي نفس الليلة التي قال فيها الشيخ عاشور هذا الكلام نال جزاءه ، فما إن خرج من قاعة الاحتفالات الكبرى حتى وجد من يناديه ، ولما ذهب له دفعه داخل سيارة قذفته في مبنى الشرطة العسكرية في عابدين ، وهناك تلقى درسا كان شديد التأثير في جسمه وعقله •

وفي عهد أنور السادات لاقى الشيخ عاشور من الشعب جزاء ما أنزل به عبد الناصر ، فنجح في إحدى دوائر الاسكندرية الانتخابية ، وأصبح عضواً في مجلس الشعب •

وفي مارس سنة ١٩٧٨ قدم الأستاذ عادل عيد استجواباً لوزير الأوقاف فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول تصرفات غير سليمة ترتبط بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وفي الرد على هذا الاستجواب قال الشيخ الشعراوى كلاماً عجيباً هو :

والذى نفسى بيده لو كان لى من الأمر شيء
لرفعتُ الرجل (يقصد أنور السادات) الذى
انتشلنا مما كنا فيه إلى مكانة من لا يسأل
عما يفعل (١) •

وقد غضب الشيخ عاشور من هذا التعبير وقال بانفعال : كل البشر مسئولون ، والله وحده هو الذى لا يسأل عما يفعل ، اتقوا الله (٢) ، وتطور النقاش • • • • • فهتف الشيخ عاشور : يسقط السادات •

(١) الأستاذان جلال حسين وسامى مهران : البرلمان المصرى ص ٣٠٦ وكتاب « السادات : الحقيقة والاسطورة » للاستاذ موسى صبرى ص ٤٠١ - ٤٠٢ •
(٢) الآية الكريمة هى : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » من سورة الانبياء ٢٣ •

وقد وقف فضيلة الشيخ الشعراوى بعد ذلك يقدم تأويلا لكلماته فقال : إذا كان الرئيس أعطى قرارا بسفر إنسان دون أن يرجع لى باعتبارى وزيرا للأوقاف فإننى أقدر ظروف سيادته فيما يعلمه ويتصرف فيه بناء على علمه ، مما لا يجب أن يعلمه مثلى ، وقلت إن مثل هذا الرجل يجب ألا أسأله عما يفعل (١) .

وتعليقى على هذا التأويل من جانبين :

أولا — قبول التأويل أيا كان ، واعتباره بمثابة استغفار ، وكل إنسان يمكن أن يزل ، والعودة فى الزل مقبولة ومغفورة إن شاء الله .

ثانيا — هذا التأويل فى الحقيقة لا تحتمله الكلمات التى قالها فضيلة الشيخ عن أنور السادات ، فقلوه : لو كان الأمر بيدى لرفعت الرجل الذى انتشلنا هذه الكلمات تتنافى مع التأويل الذى قدمه فضيلة الشيخ الشعراوى .

ويضاف الى ذلك ما قاله الشيخ شعراوى وهو يصدر الاعتذار فقد قال فيما رواه الأستاذ جمال سليم نقلا عن مضبطة مجلس الشعب ما يلى للشيخ عاشور :

— أنا أعرفُ بالله منك !!

وقال

— لا يمكن لمثلى وأنتم تعرفون من هو أن يزل هذه الزلة أمام الله سبحانه وتعالى !! ، وإنى أعلم أن الرئيس السادات مأهون فى دينه ، ولو أنى قلت ذلك فإن الرئيس كان سيغضب منى ، وأنا لا أحب أن يغضب الرئيس منى (٢) !!

وجرت محاولات ليصفح السادات عن خطأ الشيخ عاشور . ولكن

(١) جمال سليم : دكتاتورية السادات ص ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٥ - ٩٦ .

السادات رفض هذه المحاولات ، فصدر قرار المجلس بإسقاط عصوية
عاشور يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٧٨ •

الأستاذ عبد الفتاح حسن :

علاق من عمالة السياسة في بلادنا ، كان رحمه الله تلميذ الزعيم
مصطفى النحاس ، وكان مثالا نادرا في الصفاء والإيمان والإخلاص
والقوة ، وقد تجمعت فيه صفات القادة وأخيار الناس ، وكان موقفه
عقب إلغاء النحاس باشا لمعاهدة ١٩٣٦ موقفا صلبا ، فقد أعدّ بسرعة
فائقة وظائف لآلاف المصريين الذين كانوا يعملون مع الجيش البريطاني
ثم توقفوا عن العمل استجابة لنداء الوطن ، وكان الرجل حبيبا وصديقا
لكل رجال السياسة على اختلاف أحزابهم واتجاهاتهم ، وكان واسع
الاطلاع ، وكان في عالم المحاماة شعلة نور ولسان صدق •

ولم يكن هناك شيء ضد عبد الفتاح حسن ، ولكن أنور السادات
لم يكن يحتمل أى عضو له صلة بحزب الوفد ، ووجد حيلة لذلك بأن
اقترح استفتاء على نقاط حددها ، وكان منها أن السياسيين الذين شاركوا
في الحياة السياسية قبل ٢٣ يوليو يُعْتَبَرُونَ قد أفسدوا الحياة
السياسية ولا بد أن يحرموا من مباشرة الحياة السياسية طيلة حياتهم ،
ودُعِيَ الناخبون إلى هذا الاستفتاء الذى سُمى استفتاء على (مبادئ
حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى) وأُجِرَى الاستفتاء على يد
النَّبَوى اسماعيل وزير الداخلية الذى ادعى أن الشعب قال « نعم »
بنسبة التسعات المكررة ، وتطبيقا لذلك أُنشِئت اللجنة التشريعية بمجلس
الشعب أن الأستاذ عبد الفتاح حسن ينطبق عليه القرار وليس من
حقه أن يكون عضوا في مجلس الشعب ، وصدر قرار بإسقاط عضويته
بعد حوار طويل ، وفقد مجلس الشعب بذلك نائبا من خيرة النواب الذين
يمثلون الأمة أروع تمثيل ، وقال عبد الفتاح حسن للنواب وهو يدافع عن
نفسه :

إننى لا أستجدى عضوية مجلس الشعب ، فقد بلغتها بإرادة
الناخبين ، فأنا هنا باسم الشعب ، ومن يصوّت لإسقاطى يحارب الآلاف
الذين أُنكروا بى إلى هذا المكان •

أبو العز الحريري :

وفى نفس هذه الجلسة المشئومة أُسقطت عضوية الأستاذ أبو العز
الحريرى بحجة أنه قّاد مظاهرة بالأسكندرية ، وقال فيها كلاما لا ترضى
السلطة عنه ، كما نشر مجموعة من المنشورات اعتبرت تطاولا منه على
ولى الأمر •

وفى كلمة ختامية كان عهد السادات عهد ديكتاتورية ، ولكنها كانت
أخف من ديكتاتورية ناصر ، تلك التى بلغت الغاية فى الإثم ، وقد ظهرت
فى عهد السادات لمحات من الديمقراطية كان أكثرها استجابة لظروف
الاتجاه للغرب ، ولم تكن تعبيرا عن عمق داخلى فى السادات •

الترف

كثيرون من الناس لا يعرفون أن جمال عبد الناصر لم يحس بالسعادة والترف طيلة عمره ، لقد كان دائماً خائفا قلقا ، وكان من الناحية الاجتماعية غيبيا ، ولذلك فهو وأهله اغترفوا من مال الدولة ، ولكن لم يسعد بهذا المال ، فقد كان شبه سجين في منزله ، وكانت متعته الوحيدة أن يركب سيارته ويمشى متخفيا ليجلس في منزل السادات ، ويمضى هناك سهرته ، وكان السادات وزوجته يجيدان تسليته والترفيه عنه ، وإذا لم يذهب الى منزل السادات فإنه يجلس أمام عدة أفلام في السينما التي أقامها في مقر إقامته (١) ، هذا هو وصف السادات له ، وهو يرينا أن عبد الناصر كان مسكينا ضغط على الناس ودمرهم ، وأرسل الله له القلق فدمره •

أما السادات فقد نعم بحياته الى أبعد مدى ، وعاش في ترف شامل •
ما أسس هذا الترف ؟

اتخذ هذا الترف أسسا مهمة حتى يصل إلى الغاية ، وتلك الأسس هي :

أولا — المال الفياض الذي أخذه من خزانة الدولة بأسماء مختلفة :
مرتبات — مخصصات — رحلات — مصروفات سرية — اعتماد خاص ••

ثانيا — حرص السادات على جعل مدد الرئاسة غير محدودة ليطول بذلك ترفه ، وكان الدستور الذي اقترحه السادات يقضى بأن مدة الرئاسة ست سنوات ويجوز إعادة انتخاب الرئيس لمدة أخرى ، ولكن السادات بعد أن أعد المدة للتurf صعب عليه أن يقف هذا الترف عند

(١) البحث عن الذات ص ١٠٦ •



ترف : السيدة تداعب النعسان

اثنى عشرة سنة فأجرى تعديلا سنة ١٩٨٠ جعل من الممكن إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدد أخرى .

ثالثا — حرص زبانيته فور قتله على مد هذا الترف لزوجته وأولاده طيلة حياتها وحياة أولادها ، على ألا يتوقف هذا الفيض من المال إذا تزوجت .

رابعا — كان من وسائل الترف أن يعين رئيس الجمهورية مائة مستشارا له مع ملاحظة أن هؤلاء المستشارين كانوا أشبه (بديكور) لا يُستشارون في شيء ذى بال ، فمن المعروف عن السادات أن الأمر كان في يده هو ، وعلى المستشارين ومجلس الشعب ومجلس الشورى أن يقولوا آمين (١) .

مظاهر الترف :

شملت مظاهر الترف كل جوانب الحياة حول السادات وأسرته ، فقد شملت السكن والاستراحات والملبس ووسائل المواصلات والرحلات ، والهدايا والطعام ، وأمامنا فيض هائل لهذه المظاهر نفتنس فيها إلى تصويرا سريعا له .

المال أهم وسائل الترف :

يقول محمد حسنين هيكل : (٢) إن رئيس الجمهورية منذ عهد عبد الناصر كان يوضع تحت تصرفه اعتماد خاص قدره مليون جنيه في السنة ، وكان ينفق منه دون تقديم مستندات ، وعند وفاة عبد الناصر كان في خزانته مليون و ٨٥٠ ألف جنيه ، وستة آلاف من الجنيهات الذهبية ، وفي مايو سنة ١٩٧١ أصدر السادات أمرا بأن تحمل هذه المبالغ

(١) د . نعمات أحمد فؤاد : صناعة الجهل ص ٧١ .

(٢) خريف الغضب : ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

الى بيته بالجيزة وتسلم الي فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص ،
ويذكر الأستاذ هيكل أنه كانت من هذه المبالغ تصرف مرتبات للاجئين
السياسيين ولكن السادات جعل ميزانية اللاجئين السياسيين تابعة
للمخابرات العامة ، وبذلك أصبح الاعتماد الخاص كله تحت سلطان
رئيس الجمهورية •

المسكن :

كان المسكن الرئيسى لأتور السادات هو بيته فى الجيزة وقد وصاه
بالنيل ، وأوقف الشارع الذى كان يسير بين البيت وبين النيل ، على
نحو ما كانت تفعله السفارة البريطانية فى عهد الاحتلال البريطانى ،
وقد أنفق السادات مبالغ هائلة لإعادة تنظيم هذا المسكن وتأثيثه •

وبجوار هذا البيت كان السادات يستعمل قصر الطاهرة ، كمكتب
له ، كما أعيد تجهيز استراحة القناطر لكى تكون بدورها مقرا لرياسيا
كاملا ، وأعيد بناء البيت القديم فى ميت أبو الكوم وزود بنظام تكييف
مركزى للهواء •

ويقول عبد الله امام ان اهتمام السادات بميت أبو الكوم كان
غريبا ومتسعبا ، فقد شمل هذا الاهتمام الطريق الموصل اليها ، كما شمل
القصر الذى بنى بها ، والحديقة التى تحيط بالقصر والتى بلغت مساحتها
١٢ فداناً ، وشمل كذلك المطار الذى أقيم فيها ، وأخيرا شمل كثرة حديث
السادات عن هذه القرية •

ويقارن الأستاذ عبد الله امام هذا الموقف من السادات ، بموقف
الزعيم سعد زغلول من قريته « بيانه » التى لم يشجرف عنه أنه ذكرها أو
اهتم بها ، فقد كانت مصر كلها بلده وموطن رعايته ، ومثل ذلك يقال
عن « سمود » بالنسبة للزعيم طيب الذكر مصطفى النحاس ، كما يقال
عن « كفر المصيلحة » بالنسبة للرئيس حسنى مبارك •

ويقرر عبد الله امام أن أنور السادات لم يكن له في ميت أبو الكوم
أعمام أو أخوال أو خالات أو جذور على الإطلاق (١) .

وفي سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٣ رأى السادات أن يزود كل واحد من هذه
المقار بمركز قيادة مزود بنظام حديث للاتصالات تحصيلاً ليوم نشوب
المعركة مع إسرائيل .

ومن الواضح أن هذه المقار كانت محاطة بحدائق واسعة وفخمة ،
فالرئيس السادات كان مولعاً بالهواء الطلق ، ولم يكن يحب الجلوس
الى المكاتب (٢) .

الاستراحات :

ذكر السادات مرة في إحدى خطبه أنهم يقولون عنه ان عنده عشر
استراحات ، وصرخ السادات قائلاً : هذا كذب ، إن الاستراحات التي
أتردد عليها أكثر جداً من هذا العدد .

كانت هناك استراحة القناطر الخيرية التي أشرنا اليها ، واستراحة
في الهرم ، وبيته وحدائقه في ميت أبو الكوم ، واستراحة في المعمورة ،
واستراحة في الاسماعيلية ، واستراحة في سفح جبل الراحة في سيناء قرب
الطور ، واستراحة ضخمة على شاطئ مرسى مطروح ، واستراحة في
الأقصر وأخرى في أسوان ، كما أمر السادات بإعداد قصر المنتره ليصبح
مكتباً خاصاً له في الاسكندرية ليستطيع فيه قرب استراحته في المعمورة
أن يستقبل من يشاء من معاونيه أو زواره ، وقد تكلفت عملية إعادة
إعداد هذا القصر سبعة ملايين من الجنيهات .

وتصف الدكتورة نعمات أحمد فؤاد استراحة مرسى مطروح بأنها

(١) محاكمة عصر ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) خريف الغضب : ص ١٩٥ .

قصر أسطوري في مدخل مرسى مطروح له سور عال من الأحجار وبداخله سور عال مثله وعلى الزوايا أبراج مراقبة ، وبين السورين كلاب حراسة وبعد السورين حمام سباحة وملاعب ومنارة وأرضيات رخامية ، وممرات من الفسيفساء ، وتعلق الدكتوراة نعمات على هذا القصر بقولها : ان فيه مالم يحدث قبل هذا في مصر في عهد الملوك والسلطين ، وكان كل هذا على حساب الإنسان المصرى الذى يسكن القبور أو يسكن عشش الترجمان وتلال زينهم (١) .

الملبس :

اهتم السادات وأسرته اهتماما كبيرا بالملابس وقد سبق أن ذكرنا أن زوجته كانت لها صديقات يطفن بالمال الكبرى لينقلن لها أخبار أحدث وأفخم ما تحويه هذه المحال من ملابس لها ولبناتها .

كان هذا قبل أن يصبح أنور السادات رئيسا للجمهورية فلما أصبح فى هذا المنصب اتجهت الأعظم بيوت الأرياء بالخارج لتختار منها أعظم ما تحتويه .

أما أنور السادات فكان يقال عنه آتق رئيس بين رؤساء الجمهوريات ، وقد بلغ اهتمامه بملابسه أقصى غاية .

أما فيما يتعلق بزيه العسكرى ، فقد ابتدع فيه أروع ابتداع ، إذ أضاف الى كل أوسمته وشاحا جديدا أطلق عليه « وشاح العدل » لكى يرتديه فوق زيّه العسكرى الذى كان يقوم بإعداده له بيت فى لندن تخصص فى تفصيل الأرياء العسكرية .

وأضاف إلى كتف البدلة العسكرية علامة رتب جديدة تعلق رتبة (الماريشال) كما صنع لنفسه عصا ماريشالية من الذهب ، راح يمسك بها



الباب دليل الجاه

تحت إبطه أو يرفعها أمامه منتصبه في قبضة يده اليمنى ، وكأنه الفرعون يحمل مفتاح الحياة (١) .

وابتكر السادات في الزى العسكرى « جاكيت » مغلقة على أن تكون خاصة به وبقيادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، وطلب منهم ارتداؤها في المناسبات الهامة منذ سنة ١٩٧٦ وهى فى فكرتها مستمدة من الزى العسكرى لألمانيا النازية (٢) .

وسائل مواصلاته :

كان الأنور السادات طائرة خاصة لرحلاته ، وكانت مجهزة كأنها « فيلا طائرة » ولم تكن تابعة لشركة الطيران الوطنية ، ولا للسلاح الجوى المصرى ، وكانت تسمى طائرة الرئاسة ، وعندما أراد أنور السادات أن ينقذ شاه إيران وهو فى بنما قال له : إن طائرة الرئاسة فى الطريق إليك .

وكانت له طائرة هيليكوبتر يستقلها فى تنقلاته الداخلية ، ورغبة فى التأكيد على أمن الرئيس كانت رحلاته الداخلية تتم بواسطة هذه الطائرة ، وكانت تصحبها دائما طائرتان تشبهانها حتى لا تُعرَف طائرة الرئيس من بين هذه الطائرات الثلاث وذلك للمزيد من تأكيد الأمن .

وتعلل مراسلة التليفزيون الأمريكية « دورين كايز » حرص السادات على أن تكون تنقلاته الداخلية بالطائرة الهيليكوبتر بقولها (٣) :

أعلى أجرؤ فاقول إن السبب الأهم هو أن السادات كان يستعمل الهيليكوبتر فى تنقلاته الداخلية حتى لا يكلف نفسه مشقة رؤية أو سماع أو شم الفقر الذى أنشبت أظفاره فى عنق الملايين من أبناء مصر .

(١) خريف الغضب : ص ٣٨٩ .

(٢) عادل حمودة : اغتيال رئيس ص ١٦٥ .

(٣) ضفادع وعقارب ترجمة مصطفى كمال .

وكان له عدد من سيارات المرسيدس ، وقد أمر بتجهيز احداها من طراز ٦٠٠ لتكون مقر قيادة متحركا ، وقد تكلف تجهيزها أكثر من ٧٠٠ ألف دولار (١) .

الرحلات :

كان أنور السادات مولعا بالرحلات الكثيرة في الداخل والخارج ، وكانت رحلاته تستلزم كثيرا من الجهد والنفقات ، إذ كانت تقتضى إجراءات ضخمة ومعقدة فكان يتبعه حرسه الخاص أنسى ذهب ، وكذلك كان على الحرس الجمهورى أن يحرس المنطقة التى يوجد فيها الرئيس بقوة عسكرية كبيرة ، ثم كان من الضرورى وجود مكتب للاتصالات لنقل تعليماته من لحظة إلى أخرى ، وكان هذا يتبع في رحلاته إلى ميت أبو الكوم أو في رحلاته للاستراحات المتعددة ، أو في رحلاته للخارج ، ولم يكن السادات يقنع بحراسة الدولة المضيئة ، بل كان بالإضافة إلى ذلك يعيش في جو مصرى ينقله معه أنسى ذهب .

ويذكر الدكتور حمدى الطاهرى أن الرئيس السادات كان حريصا على أن يكون الوفد الذى يرافقه شاملا ، يضم — بجوار رجال الأمن والمخابرات — عددا من الوزراء المختصين ، ورجال الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون وفنييّن وإداريين ، حتى كان الوفد المرافق له يصل أحيانا الى ١٧٠ شخصا مما كان يسبب الحرج فى كثير من الحالات للدولة المضيئة (٢) .

وكان الرئيس السادات شديد الحرص على أن يصحب زوجته أولاده وأحفاده أحيانا فى كثير من رحلاته .

(١) خريف الغضب ص ٣٨٩ .

(٢) خمس سنوات سياسة : ص ٢٢ - ٢٣ .

الهدايا :

لم تكن الهدايا التى يقدمها السادات أو يقبلها مرتبطة بالرحلات ،
ففى حله وترحاله كان يقدم الهدايا لضيوفه ويقبل الهدايا منهم •

ومع أن السادات — كما ذكرنا من قبل — كان يحاول تقليد الرؤساء
فى الولايات المتحدة فإنه لم يقلد رؤساء الولايات المتحدة فى مجال
الهدايا ، فالنظام هناك ألا يقبل الرئيس هدية تزيد قيمتها عن خمسين دولارا ،
فإذا زادت الهدية عن هذا المقدر اعتبرت هدية للدولة وليست للرئيس ،
وسلمت لسجل خاص بالدولة التى ستقوم فى مناسبة أخرى بتقديم هدية
مماثلة بديلة عنها •

أما السادات فكان يقبل الهدايا لنفسه مهما عظمت قيمتها ، بل إنه
فى بعض الحالات طلب الهدية بلسانه كما يقول هيك : إذ طلب السادات
من المملكة العربية السعودية أن تدفع له ثمن طائرته الخاصة التى أشرنا
إليها (١) •

أما بالنسبة للهدايا التى كان يقدمها فقد اشتط السادات فى ذلك
إلى درجة خطيرة ، إذ أخذ يقدم هداياه من كنوز الآثار المصرية ، وهو
فى هذا يتبع الأسلوب الذى اتبعه عبد الناصر من قبل ، وأمامى الآن
سلسلة طويلة من الآثار قدمها السادات لكثير من أصدقائه وهى تشمل
عقودا من الخرز النادر ، وتمائيل من البرونز ، وأنية من المرمر ، وعقودا
من العقيق ، وغيرها من التماثيل ذات القيمة التاريخية الهائلة ، والكثير
منها كان نادرا ، ولم يكن فى مصر نظيره •

وهكذا نال السادات صورا من الترف فى كل مجال وكان ينعم
بهذا الترف ، وحوله الجوع ، وساكنو القبور ، ولكن قلبه قد أغلق عن
مآسى وطنه واتجه كأكثر الرؤساء فى الشرق الى ملاذ الحياة ونعيمها •

(١) خريف الغضب : ص ١٩٥ •

الديون

أثيرَ عن الرسول صلوات الله عليه أنه كان كثيرا ما يقول : أعوذ بالله من الكفر والدَّيْنِ ، فقال له رجل : يا رسول الله : أتعدل الكفر بالدَّيْنِ ؟

فأجاب : نعم •

ومن الأمثال المشائعة : الدين ذل بالنهار وأرق بالليل •

وقد جلبت الديونُ الاستعمارَ على الشرق ، فعندما نستعرض تاريخ الاستعمار في مصر أو الهند أو إندونيسيا نجده بدأ بقروض توائى الاستعمار عن المطالبة بسدادها حتى تضاعفت ، ثم نتج عن ذلك ما يسمى « صندوق الدين » وانتهى الأمر الى الاستعمار •

وإذا كانت السياسة العالمية في العصر الحاضر لا تجعل الديْن طريقا للاستعمار فإنها بالتأكيد تجعل الدين طريقا للتبعية ، ولا تستطيع دولة مدينة أن تقف من الدولة الدائنة موقف الند للند ، بل لابد من انحناء ولا بد من استجابة للدائنين حتى لا تطالب الدولة الدائنة بالتعجل في تسديد الديون أو حتى تستمر في إعطاء المزيد من الديون •

البنك الدولي يؤكد تفاقم المشكلات الاقتصادية في مصر

وتزايد حجم الديون الخارجية الى ٤٧ مليار دولار :

كشف البنك الدولي للإنشاء والتعمير ، في دراسة خطيرة عن تفاقم المشكلات الاقتصادية في مصر ، وتزايد الديون الخارجية الى ٤٧ مليار دولار ، وأكدت الدراسة ، أن الزيادة السكانية المريعة ، ستؤدي خلال عام أو عامين ، الى انخفاض معدل النمو الاقتصادي الى صفر !! كما أكد التقرير أن مصر تعاني من عدم الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة ،

مثل انخفاض انتاج القطن ، الذى يمثل أهم محصول نقدى فى مصر ، وأثر ذلك على انخفاض الكميات المخصصة للتصدير بشكل ملحوظ ، كما تعتمد مصر على الصناعات المكلفة جدا مثل الألومنيوم والسماد ، الذى يستهلك ١٨٪ من الانتاج المحلى للطاقة ، وأكد البنك الدولى ارتفاع حجم الدعم فى الموازنة الى ٣٠٪ من الدخل القومى ، وهى نفس النسبة المخصصة للاستثمارات من الدخل •

وهذا يرينا مدى الخطورة التى وصلت لها مصر فى عالم الاستدانة •

ولهذا فاننا نهتف به مصر وبالدول التى تبنى حياتها على الديون أنها تعرض استقلالها للخطر ، وتمهد الطريق لتبعية لا مفر منها •

وعندما نعود الى عصر ما قبل الثورة المشؤومة نجد مصر كانت دائنة لبريطانيا عند قيام الثورة بمبلغ كبير ، ويذكر السادات أن بريطانيا سنة ١٩٥٧ أفرجت عن أرصدة مصر بها ، وكانت الأرصدة المصرية آنذاك هى ٤٠٠ مليون جنيه استرلينى ^(١) • ونجد الجنيه المصرى أعلى من الجنيه الاسترلينى ، وكنا فى انجلترا ونحن طلاب نفتح حسابنا فى البنوك بالجنيه المصرى ، وكان هذا شرفا لنا ، واحتفاظا بثقل ذلك الجنيه عن الجنيه الاسترلينى • ولكن الثورة سرعان ما قضت على هذا الرصيد ومدت يدها للديون ، وقد تقدم الناصحون لزعماء الثورة يقررون أن الاستدانة — وبخاصة اذا اتجهت للاستهلاك — ستكون شديدة الضرر على مصر ليس من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من الناحية السياسية أيضا ، فإن الدولة المدينة لا تستطيع أن ترفع رأسها معارضة للدولة الدائنة فى أية قضية سياسية •

وأضاف الناصحون أن خضوع مصر للقوى الدائنة سيمسّ ضررّه جميع دول المنطقة لأن مصر شديدة التأثير في المناطق التي تحيط بها ، وإذا وقفت مصر على قدميها صارت عاملاً مؤثراً في المنطقة كلها .

وأضاف الناصحون نقطة مهمة ترتبط بمصر والديون ، وهي أن سياسة الدائنين تقتضي أن تبقى مصر طافية على سطح الماء ، لا تنزل رأسها عن السطح فتختنق وتغرق ، ولا ترتفع رأسها حتى لا تتنفس بحرية ، فالتحكم في مصر على هذا النمط هو أسلوب الدول الدائنة من الغرب أو الشرق .

ولما جاءت سنة ١٩٥٦ وأمّمت القناة دون استعداد لذلك وبالتالي دمرت مدينة بورسعيد ، واستولت إسرائيل على سيناء ، ونهبت معدات حربية ومدنية تعادل مئات الملايين من الجنيهات ، حينذاك بدأنا نمد أيدينا للأصدقاء وللأعداء واستمرّ الحاكم مدّ اليدين ، وكأن الدائنين كانوا ينتظرون هذه الفرصة ليقدموا الأموال لمصر حتى تركع ، فلا يمكن للمدين أن يرفع رأسه في وجه الدائن كما قلنا .

والعجيب أن ديوننا جاءت من دول كثيرة صغيرة وكبيرة ، فكلما وفد وفد لزيارتنا من بلغاريا أو رومانيا أو هولندا وغيرها من الدول المماثلة طلبنا قرضاً ، فلم تكن قروضنا فقط من الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وإنما أصبحنا مدينين لعدد كبير من دول العالم .

وبالإضافة إلى الديون مددنا أيدينا نطلب العون لتشييد منشآت اجتماعية أو صحية واتجهنا في هذه المرة الى اليابان التي أقامت مستشفى « أبو الريش » ودار الأوبرا .

وعلى العموم لاحقنا الديون المادية والأدبية من كل جانب وتقول

صحيفة أخبار اليوم ^(١) : ان ديون مصر قفزت إحدى عشرة مرة خلال عصر السادات فوصلت الى ١٨ مليار دولار ، وتقول الصحيفة إن هذه الديون موزعة كالآتي :

١ — الدائن الرئيسي لمصر هو الولايات المتحدة الأمريكية التي بلغت نسبة ديونها ٣٥٪ من إجمالي الديون ، ولا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي صانعة إسرائيل وحاميتها ، وهي تعطينا طالما توقفنا عن مواجهة إسرائيل ومعارضتها ، فهذه الديون هي ثمن " تدفعه أمريكا لنا لمنغضى الطرف عن إسرائيل وعن عبثها بهذه المنطقة •

٢ — الدائن رقم (٢) اليابان ومجموعة دول غرب أوروبا • ألمانيا الاتحادية وفرنسا والسوق الأوروبية المشتركة وسويسرا وهولندا والدانمرك • وبريطانيا • وكندا •

٣ — المركز الثالث تحتله هيئات التمويل العربية وفي مقدمتها هيئة الخليج التي وفرت لمصر ١٧٠٠ مليون دولار ، يضاف الى ذلك قروض الصناديق العربية والبنك الاسلامي للتنمية والمستحقات للحكومات العربية وتصل نسبة هذه القروض ١٦٪ من اجمالي ديون مصر •

٤ — تأتي بعد ذلك المنظمات وهيئات التمويل الاقليمية والدولية وبنك تشيز منهاتن ١٣٪ من ديون مصر •

٥ — المركز الخامس تحتله مجموعة دول أوروبا الشرقية والصين حيث تصل مديونيتها لمصر ١٣٪ من اجمالي الديون •

وتتحدث صحيفة الوفد ^(٢) عن الديون فتسميها (صناعة التبعية) وتوضح ما ذكرناه آنفا أن هذه الديون طريق لخضوع مصر الى هوكب الدائنين ، وتذكر الصحيفة أن مصر بدأت في الاستدانة من سنة ١٩٥٨

(١) الصادرة في ١٦/١/١٩٨٢ •

(٢) الصادرة في ١٥/١٠/٨٧ •

حينما عقدت اتفاقيتين لقرضين مع الاتحاد السوفيتي ، ثم توالى القروض بعد ذلك ، وفي نهاية عهد عبد الناصر كانت ديون مصر غير العسكرية حوالى ١٨٠٠ مليون دولار ، أما الديون العسكرية فليس لدينا أرقام دقيقة وحساب لها ، وقد أصبحت الديون خطرا منذ ذلك العهد إذ أن عبء الأقساط والفوائد وصل الى ٥٠٪ من صادرات مصر •

وفي عهد السادات اقترضت مصر عدة بليارات ، يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أنها كانت ٢٠ مليارا من الدولارات بخلاف الديون العسكرية التى بلغت ٦ مليارات (١) •

أما قروض مصر بعد السادات فقد وصلت الى ٢٠ مليارا بين سنتي ٨١ و ٨٦ •

ولست أنوى أن أقدم إحصاء دقيقا عن الديون من عام الى عام ، فإنه ليخيل لى أن وزراء الاقتصاد أنفسهم لا يعرفون بدقة قدر هذه الديون (٢) • ولكن الذى أريد أن أقوله هو ما أكدته صحيفة أخبار اليوم سالفه الذكر من تعليقات حول هذه الديون كالاتى :

١ — ان هناك تراخيا فى استخدام القروض نتيجة المراحل التى يمر بها دخول القروض مرحلة الاستخدام •

٢ — تراخى الجهاز المركزى للمحاسبات فى مراجعة ميزانيات الشركات التى حصلت لها مصر على قروض للقيام بعمليات تجديد الآلات والمعدات •

٣ — هناك قروض تمت الموافقة عليها ، ولكن لا توجد مشروعات فى خطة التنمية لاستخدامها •

(١) خريف الغضب : ص ١٩٩ •

(٢) اعترافات رؤساء الوزارات بذلك : انظر خريف الغضب : ص ١٩٨

٤ — كانت البيروقراطية واضحة في كثير من القروض لتقصير المسئولين في مصر ولتأخر اعتماد القروض في مجلس الشعب .

٥ — كثير من القروض كانت — كما يقول حسنى مبارك — لإعادة بناء البنية الأساسية للدولة كالتليفونات والمجارى وغيرها من المرافق . ويعلق الاستاذ الدكتور محمد عصفور على ذلك بقوله (١) :

القروض قد صرفت أو وجهت للمصرف على إعادة بناء المرافق الأساسية . وهى مشروعات يفترض أن تقام بالجهود الذاتية وبأموال وطنية ، حتى لو اقتضى الأمر فرض ضرائب ورسوم باهظة على أكثر الشرائح استخداما لهذه المرافق وانتفاعا بها .

أما صرف القروض على مشروعات غير إنتاجية أى غير قادرة على توفير عائد يسدّد أصل الدين أو فوائده ، فهو مسلك يناقض أبسط أصول الاقتصاد الرشيد . ولا يجدى في تبريره الاختصار بتحقيق نقلة كبيرة في مجال الخدمات التليفونية ، ذلك أنه على الرغم من حيوية المرافق وضرورة البنية الأساسية ، إلا أن الاستدانة لبنائها أو التباهى بأن ما أنفق عليها في الخطة الأولى أكثر مما أنفق عليها خلال الخمسين سنة السابقة ، فهى سياسة اقتصادية غير حكيمة وغير عقلانية بكل المقاييس .

٦ — تؤكد المصادر التى بين أيدينا أن القروض تستتبعها إجراءات منحرفة تجعل قسما كبيرا من الدين لا يصل إلى مصر ويكون ذلك بواسطة تلاعب تمتد جذوره إلى علة أيد في الدولة الدائنة أو المدينة . فيؤخذ من الدّين قدر باسّم (إكراهية أو سمسرة) حتى يُقال أن بعض الديون لا يصل منها إلى نطق العمل أكثر من خمسين في المائة ، وهذه الاكراهيات أو السمسرات كانت ضمن مكونات الثروة الكبيرة التى يمتلكها الآن أشرف مروان وأمثاله .

(١) صحيفة الوفد الصادرة في ٢٠/٥/١٩٨٩ .

٧ — ذكرت الصحف أن بعض القروض كانت تتوانى مصر في تسلمها لسبب أو لآخر ، فهي تحسب قرضا ولا تنزل لميدان العمل •

٨ — والكارثة الأهم أن كثيرا جدا من هذه الديون أنفق على الاستهلاك وبخاصة للطعام ، وهكذا أصبحنا نشترى طعامنا من الخارج بنقود مقترضة ، وهذه هي قمة المأساة ، وبخاصة إذا لاحظنا أن الذى ييمنحنا الغذاء أو ثمنه هو الحليف الأعظم لإسرائيل ، ويوم نعارض مشيئته تجاه إسرائيل العدوانية ما عليه إلا أن يوقف تصدير الطعام لنا •

وعن هذه العيوب والمثالب المرتبطة بالديون يقول الأستاذ الدكتور نعمان جمعة عميد كلية الحقوق بجامعة القاهرة ما يلى :

وللأسف إن هذه القروض لم تكن للحصول على سلع استثمارية وللأسف أكثر أن بعض هذه الأموال لم تدخل خزانة مصر ، وإنما عرفت طريقها إلى الحسابات السرية فى بنوك سويسرا ، وللأسف ثالثا أن حكومتنا إلى وقت قريب لم يكن لديها حصر دقيق لديوننا الخارجية وأعبائها وتكاليفها •

أما عن ثلاثة الأثافى ، فهي أن الدولة لا تقدر على نفسها • ولم تتخذ بعد الخطوات الحاسمة الجادة لضغط الانفاق العام والخاص • ومثل هذا الضغط من شأنه أن يقلل حجم الكارثة ، ومن شأنه أن يساعدنا على مواجهة الديون والدائنين •

٩ — وهناك كارثة أعظم ترتبط بالديون ، وهذه الكارثة ترويتها الدكتوراة نعمات فؤاد فتقول أن الحكومة الأمريكية تشترط عدم استعمال القروض التى تمنحها لمصر فى عمليات استصلاح واستزراع الأراضى ، (م ٣٨ — التاريخ الإسلامى)

بل إنها ذكرت أن أمريكا تشترط على الحكومة المصرية عدم زراعة القمح بالذات حتى تظل أمريكا مهيمنة على حياة المصريين (١) .

يا لها من كارثة إن صح هذا الكلام .

مصر والإنتاج :

وهذا الوضع يدفعنا للحديث عن الإنتاج بمصر ، ومن المعروف أن انتاجنا من القمح لا يكفي إلا الأربعة شهور من العام ، وعلينا أن نشترى خبزا للشهور الثمانية الباقية ، ثم إن الاستهلاك واسع جدا ، ففي مصر دخول طفيلية كثيرة تتيح لأصحابها أن يعيشوا عيشة الترف ، وهناك الذين يعملون بالخارج أو يعملون مع هيئات أجنبية بمصر ، وهؤلاء يتقاضون مرتبات عالية تتيح لهم وفرة الاستهلاك ، أما النسبة العظمى من المصريين فتعيش تحت خط الفقر ، ولا تتال حاجتها من الطعام وضروريات الحياة .

لماذا لا ننتج كفايتنا كما فعلت دول اسيوية أخرى فاقت دول الغرب في الغنى واليسار مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة ؟ ولا نقل إن قلة السكان في هذين القطرين هي التي ساعدت على رفع المستوى ، فإن تايلاند والباكستان والهند والصين الشعبية حققت معدلات انتاج وفيرة ، ولا تلحق مصر للأسف بهذا الركب الذي يسير للأمام ، فلا تزال مصر واقفة « محلك سر » أو بالأحرى « إلى الورا سر » .

وهناك صيحة تدعو للإنتاج لكن لم يوضع لها أساس . فالطبيب ينتج في المستشفى ، والمدرس ينتج في المدرسة ، والمحاسب ينتج في المؤسسات الاقتصادية وهكذا . . أما أن نعلم الأولاد حتى يصلوا الى سن الشباب ويحصلوا على درجة جامعية ولا نخلق لهم أعمالا فإن الإنتاج لا يمكن أن يتم .

(١) اقتبس هذه التصريحات الدكتور عبد الغفار عزيز في مقاله بالوفد

كان علينا أن نفتح الطريق للتعليم الجامعى للناهبين فقط ، وأن يتحول الباقون للصحراء ليزرعوا على أن يكون ذلك بناء على خطط علمية ومساعدات من الدولة وخبرات عميقة وآلات كافية ، أو أن يحولوا الى مصانع حقيقية تنتج ما يمكن أن تقدمه لها البلاد من مواد خام دون أن نتوقف إذا توقفت اليابان عن توريد أجزاء التليفزيونات التى ادعينا أننا نصنعها •

وأنا دائما أقول إن الشباب يفقد للجيش من القرية أو المدينة وفيهم المتعلم وغير المتعلم ، ويستقبل هؤلاء الشباب خبراء عسكريون ، ويجد الشباب أسلحة حديثة ، وتدريبات دقيقة ، وهم بذلك يحققون نجاحا طيبا كالذى حققه المصريون ضد الصهاينة أو حققه العراقيون ضد إيران ، فإذا أردنا نجاح شبابنا فى الإنتاج كان علينا أن نقدم لهم الخبراء والتدريب والمعدات ، أما أن نطلب منهم الإنتاج فقط بدون ذلك العون فإننا نطلب منهم المستحيل ، كشخص نلقى به وسط الصحراء ونقول له ازرع الأرض واجعلها تخضر ، فإن هذه صيحة لا قيمة لها •

وقد خلقت الديون فى قاموسنا كلمات جديدة مثل : جدولة الديون — صندوق النقد — تعويم الجنيه •• وهى كلمات تدل على الفقر والبؤس •

محاولة تسديد الديون :

وفى مطلع عهد حسنى مبارك قامت صيحة تدعو إلى تسديد الديون • والحق أن الشعب كله استجاب لهذه الصيحة ودفع أكثر مما طُلب منه ، وتنافسنا فى ذلك • وكان المرحوم الاستاذ جلال الدين الحمامى من قادة هذه الصيحة — أحسن الله جزاءه — ولكن الحكومة غيرت اتجاه هذه الحركة فجعلت التبرع إجباريا أو شبه إجبارى ، وأحس الناس أن

المسألة ليست تسديد الديون ، وإنما هي نوع من الضرائب التي تُفرض على الفقراء لصالح الأغنياء والمنتفعين ، فنتقاعسوا عن الدفع •

ولم تسدد الحكومة شيئاً من الديون بالمبالغ التي جُمعت ، بل دفعت أساساً للمقمح الذي احتاجته الأفواه ، فالأفواه في بلادنا تُعَدُّ نقمة ، ولا يمكن استغلال عضلات أصحابها ، ولو استطعنا حسن استغلالها لأصبحت نعمة وفيرة •

ثورات وهواجها

حفل عصر السادات بصور متعددة من الثورات والمواجهات في تتابع مستمر تقريبا ، ويرى الباحثون أن كل هذه الثورات اتخذت جذورها من الهزيمة القاصمة التي حلت بمصر وبالجيش سنة ١٩٦٧ فقد كان الشعب يحرك قبل الهزيمة إخفاق العسكريين في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ولكن الثورة كانت كلما أخفقت في أمر استدارت إلى الشعب بالداخل تنزل به أفدح صور التعذيب والاضطهاد ، ثم جاءت هزيمة يونيو الفادحة وتلاها صراع داخلي بين قادة الجيش بعضهم والبعض وبخاصة بين الرئيس ومشيره فتضعف الحاكم وانكسرت شوكتة ، وهذا أتاح للشعب المصري أن يتحرك ضد هؤلاء الانتهازين الجبهة •

ولجأ الشعب الى ظاهرة الإحياء الديني لعل القوى العليا تنتقد مصر من المهوة التي دفعها القادة اليها (١) وقد اتجه المسلمون والأقباط على السواء لهذه الظاهرة فالمسيحيون قالوا بظهور السيدة العذراء في كنيسة الزيتون (مايو ١٩٦٨) ولم يكتفوا بذلك ، بل أظهروا العذراء في عدة كنائس أخرى ، انحرافا بالدافع الأصلي وجريا وراء الكسب المادي ، وربطوا بين هذه الخرافة وبين الأمل في النصر على الصهاينة ، فقالوا : إن تكرار ظهور السيدة العذراء ، يؤكد أن المعجزة ستستمر حتى تعود القدس عربية ، وتتحرر من الإرهاب الصهيوني (٢) •

والحق أننا لم نعرف في التاريخ المسيحي أن للعذراء دوراً في أمور السياسة والحرب ، ولم تتوقف هذه الأصوات إلا بعد أن قُتِل عدد من المصريين في الزحام الذي تجمع في إحدى الليالي حول كنيسة

(١) نبيل عبد الفتاح : المصحف والسيف ص ٤٠ •

(٢) دكتور صادق جلال العظم : فقر الفكر الديني ص ١٥١ وما بعدها •

الزيتون ، ولم تتحرر الأرض العربية بَعْدُ ، ولم يعد أحدٌ يقول بهذه الخرافة (١) .

أما الحركات التي قادها البعض باسم الاسلام فكانت كثيرة وسنلّم بها بعد قليل .

وبجانب التحرك الدينى ظهرت ثورة الطلاب عقب الهزيمة ، تلك الثورة التى كانت تبحث عن أسباب الهزيمة ، وتطالب بإنزال العقوبات الصارمة على من تسبّبوا فيها .

وعندما أُقيمت محاكمات صورية وصدرت أحكام متهافئة ضد المسؤولين عن الطيران المصرى هبت ثورة الطلاب من جديد ضدّ هذه الأحكام وضدّ الذين أصدروها .

وعلى هذا جاء عصر السادات ومصر تغلى كأن بركاننا ضخما يتحرك فى داخلها .

وفى سنة ١٩٧١ أعلن أنور السادات أن هذا العام عام الحسم ، ولكن العام مرّ دون أن تحسّم القضية مع العدو ، فاتخذ الناصريون والشيوعيون — كما ذكرنا من قبل — هذه الفرصة وفجّروا مظاهراتٍ ضد السادات ، وعمد السادات للجماعات الدينية الإسلامية ليستعين بها ضد الناصريين والشيوعيين ، ولكن سرعان ما أخذت هذه الجماعات الزمام بيدها ، ولم تسمح بأن تكون أداةً فى يد السادات .

وكانت حكومة السادات لم تكف بدعم بعض الجماعات الإسلامية لضرب الشيوعيين ، بل غضت الطرف عن المساعدات التى كانت تتلقاها ***** وعن النشرات والمطبوعات التى كانت تقوم بإصدارها ،

(١) انظر الأدلة التى أوردتها بكتابى « المسيحية » لابرار أن هذا الإيداع خرافة .

ونتيجةً لذلك سيطرت الجماعات الدينية على الاتحادات الجامعية وأصبحت صاحبة السلطة الكاملة على مقاعد هذه الاتحادات .

وتشعل كل السيدة جيهان السادات تسامح زوجها مع الجماعات الإسلامية بأنه أراد منحها حق التعبير ، إذ كانت مصر تعترم الاتجاه نحو الديمقراطية ^(١) وهو تعليل لا نرتضيه ، فالسادات في نظرنا قصد أن يستعمل هذه الجماعات في الدفاع عن نفسه .

وازدهرت الجماعات الإسلامية ، وتفرعت ، وظهرت فرق " تحمل أسماءً مختلفة مثل : الإخوان المسلمون — التحرير الإسلامي — الجماعة الإسلامية — تنظيم الجهاد — جماعة التكفير والهجرة ، ويذكر الباحثون أن هذه الفرق كانت متصلة بعضها ببعض ، وإن كانت تختلف في المنهج أحيانا ، ولكن هذه الفرق جميعا كانت تختلف مع السادات ، فالسادات كان عضوا في مجلس قيادة الثورة الذي قتل بقسوة ودمر بعنف جماعات الإخوان المسلمين سنتي ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ .

ولما رأى السادات عنف الحركات الدينية وسطوتها بدأ يصرخ قائلا :

لا سياسة في الدين ، ولا دين في السياسة

وأثار هذا التعبير كل الجماعات الإسلامية ، بل أثار غير هذه الجماعات من الفقهاء والباحثين المسلمين ، فالدين الإسلامي دين ودولة ، والسياسة جزء من الحضارة الإسلامية لا تنفك عنها ، واضطر أتباع السادات إلى تفسير العبارة السابقة بما يخفف وقعها على المسلمين فقالوا : إن الرئيس يقصد لا انتحار في السياسة بالدين ، ولا انتحار بالدين في السياسة ، وقد اقتنع الرئيس السادات بهذا التفسير الذي

(١) سيدة من مصر ص ٥٠٦ .

قدّمه له الدكتور زكريا البرى ، ووعد الرئيس السادات أن يذيع هذا التفسير في تصريحاته ولكنه لم يفعل (١) .

تلك خلاصة عامة عن التحركات والاضطرابات التي غمرت عصر السادات ، وسنطوئ فيما يلي بعض التفاصيل عن أهم الحركات والانتفاضات .

الانتفاضة الطلابية في يناير ١٩٧٣ :

في يناير ١٩٧٣ هبت انتفاضة طلابية ضد أنور السادات ، وانضم إلى الطلاب عدد كبير من المصريين ينتمون الى مختلف المهن والاتجاهات ، وكان السادات آنذاك في القناطر الخيرية وعندما أحس ببدء الثورة ضده دعا أعضاء مجلس الأمة إلى الاجتماع به في قصر عابدين ليحدثهم عن الموقف ، وكان السادات صباح اليوم المحدد لانعقاد هذا الاجتماع في استراحة القناطر الخيرية ووصلته الأنباء الخطيرة عن أن القاهرة تهوج بالثائرين ، وعن أن الوصول إلى قصر عابدين لم يكن آمنا ، فقرر السادات أن ينتقل الاجتماع إلى استراحة القناطر ، ولكن المسؤولين أدركوا أن في هذا التحول خطرا كبيرا ، فطلبوا من الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يثقف السادات بأن يبقى الاجتماع في عابدين ، وأقنعوه بسهولة التغلب على المظاهرات ، وفعل السادات ذلك ثم واجه هذه الثورة بعنف ففصل ١٢٣ كاتباً صحفياً من أعمالهم وحولهم إلى هيئة الاستعلامات أو إلى الظل كما يقولون .

وأحس السادات أن الناصريين والشيوعيين يقودون المظاهرات فأطلق العنان للشباب الدينى كما قلنا من قبل .

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٦٠ .

صالح سرية ومأساة الفنية العسكرية :

صالح سرية ولد في فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني ، وكان مولده ونشأته في مدينة حيفا ، وعندما شبّ تعرّف على تقى الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير الإسلامي ، وقد ظهر هذا الحزب ظهورا خافتا بعد محنة الإخوان سنة ١٩٤٨ واغتيال المرشد العام الشيخ حسن البنا سنة ١٩٤٩ •

وبدأ صالح سرية نشاطه سنة ١٩٦٠ بالعراق في عهد عبد الكريم قاسم والتحق بعدة أحزاب ، وفي سنة ١٩٧١ التحق بالجامعة العربية وأصبح تابعا لإدارة اليونسكو العربية ، ولأنه حصل على شهادة الدكتوراه في التربية ومناهج التعليم أخذ وظيفة « باحث علمي » •

وبدأ صالح سرية يتصل بالشباب في القاهرة والإسكندرية وفي الفنية العسكرية ، ونجح في ضم عدد منهم إليه ، كما ضم بعض الجنود ، وكان يغري جماعته بأنه يريد الاستيلاء على السلطة في مصر وإقامة دولة إسلامية يشتركون جميعا في حكمها ، وكان يطلب من أتباعه أن يياجوه على السمع والطاعة في العسر واليسر ، ويبدو أن صالح سرية اتخذ منهم جمال عبد الناصر في تكوين خلايا صغيرة متفرقة لا يعرف بعضها البعض ، وقرر أن يبدأ بالاستيلاء على الفنية العسكرية ليمتلك السلاح والسيارات منها ، ويخطو بهذا إلى أهدافه ... وكان الذين يعرفون خطته للاستيلاء على الفنية العسكرية لا يتعدى عشرين شخصا ، وهم الذين سيكلفون بالقيام بهذا العمل ، وكانت الخطة تتلخص في تخدير بعض الحرس ، وقتل البعض الآخر بواسطة الخناجر ، وقد صدم عضو من أعضاء التنظيم عندما رأى التنظيم يتجه للدم ولقتل الأبرياء ، فأسرع يبلغ الشرطة ، وبدأ سباق بين أجهزة الأمن وجماعة التنفيذ ، وعند منتصف الليل بدأت الحركة وكان ذلك في ابريل ١٩٧٤ ، أما صالح سرية نفسه فكان يقف في ميدان العباسية يتناول بعض السندوتشات

ولم يتحرك من موقفه إلا بعد أن جاءت الأخبار بأن العملية فشلت ، وقد سقط في هذه المحاولة ١٧ قتيلا ، وقبض على صالح سرية وأعوانه وحكم عليهم بالإعدام ونفذ فيهم حكم الإعدام في ١١ أكتوبر سنة ١٩٧٤ •

وكانت الخطة ترمى — كما ذكرنا من قبل — إلى اقتحام الفنية العسكرية كوسيلة للحصول على أسلحة وسيارات على أن يقتنعوا بها عقب ذلك المناطق الحساسة وأن يقتلوا المسؤولين ويرغموا رئيس الجمهورية على الاعتراف بحركتهم ، فإن تردد دفع رأسه ثمنا لتردده ، ومما يذكر أن كثيرين من الذين خدعهم صالح سرية سرعان ما انفصوا عنه عندما أدركوا اتجاهاته الدموية والسياسية ، ولا يعرف الإنسان كيف تقوم حركة بلهاء من هذا النوع تقتل الأبرياء دون أى احتمال لنجاحها والوصول بمسيرتها إلى تحقيق أى هدف يخدم الدين أو الوطن ، فكأن قتل الأبرياء قد أصبح هدفا لذاته ، وما أعجب أن يثخذ الدين وسيلة لمثل هذا المنكر •

ولكن الدنيا لا يزال بها خير ، فالذين خدعهم صالح سرية هم الذين بلغوا المسؤولين بنوايا العدوان عندما اكتشفوا أنهم مخدعون ، ولكن التباين جاء بعد فوات الأوان •

ومن هنا نحذّر الشبان من الوقوع في مثل هذه الأشرار التي تضر ولا تنفع ، ولنختم حديثنا عن مأساة الفنية العسكرية بكلمات للإمام على كرم الله وجهه فمما ينسب له قوله لولاته : إياكم وسفك الدماء فإن أول ما يحاسب عنه المرء بعد وفاته ما سفك من دماء •

الدكتور محمد الذهبى وجماعة التكفير والهجرة :

نحن الآن أمام مأساة خطيرة ، أمام العدوان بالقتل والتنكيل على رجل من أصلاح الرجال وأتقاهم وأبعدهم عن الشبهات ، ذلك هو الدكتور الذهبى الذي كان مثالا طيبا لبائنة الخلق ، وعهق التفكير ، وسبماجة

النفس ، العالم الذى شغل أعلى المناصب ولكن لم ينتفع بها بل انتفعت المناصب به ، سجلوا عنه أنه عندما أصبح وزيرا لم يفكر فى أن يكسب شيئا من وراء منصبه ، فلم يغير مسكنه ، ولم يغير أثاث المنزل ، وأهم يقبل أن يوضع على بوابته حارس ، وكان مصدر صداع دائم للحكومة ، فقد راح يطالبها بجدية الدعوة إلى العقيدة لا مجرد التظاهر بالدعوة لاستغلال ذلك استغلالا سياسيا ، أى أنه كان وزيرا فى حكومة حاول إصلاحها ففضحها (١) .

لماذا إذًا يُقتل هذا العالم ؟

هل هاجم جماعة التكفير والهجرة التى يترعّمها شكرى مصطفى
والتي تولّت ارتكاب هذه الجريمة ؟

إن الثابت أنه لم يهاجم أحدا ، بل كان يرى — كما تسجل النشرات التى صدرت من وزارة الأوقاف فى عهده — أن الجماعات الثائرة ليست إلا فئة من الشباب ينشدون التدين فى أسمى صورة وأبعدها عن مظاهر الفساد والانحراف ، وكان الشيخ وهو وزير أو بعد أن ترك الوزارة يلتقى بمجموعات من الشباب يناقشهم ويقول عنهم إنهم شباب يريدون الطريق إلى الله ، فيجب أن نفهم دوافعهم ونساعدهم على كشف الحقائق (١) .

ويلخص الأستاذ عادل حمودة آراء الشيخ فيما يلى :

١ — هناك مجموعات من الشباب يملؤها الحماس والغيرة ، وتنشاق وراء الحاطفة وتتصور أن عيوب المجتمع يمكن إصلاحها بالقوة ، ولهذا يحتاج الشباب إلى تفهم حقيقة المجتمع الإسلامى الذى يرفض الغلو والقوة فى تبليغ الدعوة .

(١) عادل حمودة : الهجرة الى العنف ص ١٩٩ .

(٢) صحيفة الاهرام فى ١٩٧٧/٧/٥ .

- ٢ — إن الاسلام يمكن أن يثتشر بالدعوة الهادئة والإقناع .
- ٣ — أن تطبيق الشريعة الإسلامية هو الحل للمشاكل الاجتماعية بكل أبعادها الخلقية والسياسية والاجتماعية .
- ٤ — لا بد من تنقية الفكر الاسلامى من البدع والخرافات والضلالات والمؤسف أن صوت المخرافة أقوى من صوت الحقيقة .
- ٥ — لا بد أن يكون للمسجد دور آخر غير مجرد كونه مكانا لأداء الصلاة ، فلا بد أن يؤدى رسالة اجتماعية وتربوية ، والإمام لا بد أن يكون على مستوى القيام بهذه الرسالة .
- ٦ — إن شبابنا بخير وهو متدين بطبعه ، ولكنـه لا يجد الغذاء الروحى الكافى ، أو هناك عوامل تستغل فى الخفاء بعض الشباب وتدفعهم إلى الانحراف باسم الدين وتدعوهم إلى العزلة عن المجتمع وهذا لا يتفق مع جوهر الإسلام، والحل هو نذب الشباب للفكر الصحيح وتوصيل الدعوة الإسلامية إلى كل الشباب .
- ٧ — وعلى هذا ليس المطلوب أن نقضى على هؤلاء الشبان ، ولكن المطلوب أن نطهر عقولهم بجهود مخلصة وأن ننقى تراثنا من التحريف والتزييف والتأويلات المغرضة التى تعرض لها على مر التاريخ (١) .
- وهذه الاتجاهات من هذا العالم الجليل تجعلنا فى حيرة وتدفعنا لنتساءل : كيف تقوم جماعة باسم الإسلام على معاداة مثل هذا الشيخ الجليل بأرائه الهادئة المسالمة ؟
- بل كيف تقوم جماعة باسم الإسلام على قتله والتثليل بجثمانه ؟
- إنها فى الحق جريمة كبرى لرجل كان ينبغى أن يكرّمه الشبان

وينتفعوا بعلمه وخلقه ، ولكنها اضطرابات السياسة التي لا تعرف عقلا ولا تتبع فكرا سليما •

وهناك رأى يقول إن قتل الشيخ كان لأنه دافع عنهم أولا ثم هاجمهم بعد ذلك ، ودفاعه عنهم يعنى أنه راضٍ عنهم ، وأنه داخل في زميرتهم ، وهجومه عليهم بعد ذلك يعنى في رأيهم أنه مرتد ، والمرتد عقابه القتل •

وهناك رأى آخر يروى أن الشيخ قال عن جماعة التكفير والهجرة بعد أن كفرت المجتمع وأعلنت اعتزالها إلى الصحارى والجبال حتى تقوى فتعود لغزوه : إن هذه جماعة ضالكة مضلّة يجب أن توقف عند حدّها ، وأنه آن الأوان لكى تقف الدولة رادعة لهم بكل ما لديها من قوة (١) •

والعجيب أن الشيخ اختطف ليلا من بين أهله وأولاده ، وهو عامل بشع ، لم تعرفه بلادنا بحال من الأحوال ، وقصة ذلك أنه في فجر يوم الأحد الثالث من يوليو سنة ١٩٧٧ م دقّ جماعة باب الشيخ ، وكان أحدهم يابس ملابس الضباط برتبة رائد ، ومعه خمسة يحملون أسلحة مختلفة ، وفتّح ابن الشيخ الباب ، فقال الضابط له :

نحن مباحث أمن الدولة نريد الشيخ الذهبى •

ودار حوار : هل معكم أمر ؟ ولماذا الآن ؟

اتركوا عناؤكم وسيذهب الشيخ لأمن الدولة في الصباح •

واستيقظ الشيخ على هذه الحركة وجاء ليسأل عن الخبر ، وهنا جذبته هؤلاء المجرمون ورفعوا الأسلحة في وجه أهله ، ودفعوا الشيخ إلى سيارة انطلقت به إلى المجهول •

وفي اليوم التالي أعلنت الجماعة المختطفة عن مطالبتها للإفراج عن الشيخ الأسير ، وكانت مطالب متعسفة لا ندرى صلة الشيخ بها ، وفي قمتها الإفراج عن المعتقلين من الجماعة وعن المحكوم عليهم في قضايا سابقة ، هذا بالإضافة إلى دفع فدية كبيرة ونشر كتاب شكرى مصطفى « الخلافة » في الصحف ثم طبعه في كتاب بعد ذلك ، وإذاعة بيان بالصحف المصرية والعالمية بهذه المطالب على أن يحوى البيان استنكار عدم فرض الشريعة الإسلامية على أساليب الحياة والحكم في مصر •

وبذلت جهود للإفراج عن الشيخ أولا ثم النظر فيما يمكن تلبية من مطالبهم ، ولكن الحكمة كانت بعيدة عن قلوب هؤلاء الشبان ونفوسهم •

وأخيرا وربما بطريق المصادفات عثر رجال الشرطة على عنوان شقة مفروشة كان بها جثمان الشيخ الجليل ، وكانوا ينوون التخلص من الجثمان بإلقائه في مصرف بعد لفه بالنوشادر •

يالها من جريمة نكراء ، وقبض على القتلة وهم :

شكرى مصطفى أمير الجماعة مديّر المؤامرة الذى كان مختبأ بعزبة النخل •
أحمد طارق عبد العليم زعيم عملية الاختطاف •
مصطفى عبد المقصود غازى الذى نفذ القتل •

وقد أصدر رئيس الجمهورية قرارا بتشكيل محكمة عسكرية عليا لإجراء محاكمة فورية لمرتكبي هذه الجريمة ، وقد أصدرت هذه المحكمة حكمها بالاعدام على هؤلاء الأثمين (١) •

ومما يذكر عن جماعة التكفير والهجرة أنها كانت تعيش في الصعيد ، ويؤم فكرها على أساس تكفير المجتمع الحالى والحاكم أيضا ، لأن

(١) موسى صبرى : السادات الحقيقة والاسطورة ص ١٥٦ •

المجتمع لا يسير على تعاليم الدين ، وانتشر فيه الفسق والفجور ، وأن أحسن شيء هو الابتعاد عن هذا المجتمع وعن الحاكم الكافر وعن وظيفة الحكومة ، لأن مراتب الحكومة من البنوك والبنوك نتعامل بالربا ، ويقول الصحفي الأستاذ عبد العاطي أحمد إنه قابل شكراً مصطفى وأجرى معه حواراً ، فانهال بالسب على المجتمع ، والحاكم ، والصحافة ، وقال عن الصحافة إنها أداة قذرة في يد الحاكم ، وقال إنه مهندس زراعي ترك وظيفته واشتغل ببيع الخضار ليحصل على لقمة العيش .

يا له من انحراف بغيض يخاف شبهة الربا ويتورط في سفك الدماء ،
حسابهم على الله .

تنظيم الجهاد :

في أوائل سنة ١٩٨٠ حدث في أسيوط صدام بين رجال الأمن وعدد من الطلبة الذين ينتمون للاتجاهات الدينية ، وفي هذا الصدام سقط شاب قتيلاً وجرح آخرون واعتقل أكثر من خمسين .

وتصاعدت بذلك الحماسة والحقد ، وساءت العلاقات بين رجال الأمن وبين الطلاب فشهدت جنازة الشاب القتل هتافات عدائية ومظاهرات صاخبة .

وبعد ذلك بفترة ، وبدقة في ٣ إبريل ذهب إلى جامعة أسيوط طالب من كلية طب القاهرة كان يلقب أمير الأمراء واسمه حلمي الجزار ، وقد ساءه ما حدث في أسيوط بين رجال الأمن والجماعات الإسلامية ، وهناك في أسيوط ألقى خطاباً حماسياً قال فيه :

إلى متى تسمحون الأولاد الأفاعى أن يتبعوا الشباب عن دينهم ؟

ومن المسئول عن ذلك ؟

إنه هو السادات الذى منح « الشاه » رعايته وحمايته ؛ وسمح له بأن يندس أرضنا الطاهرة

وكان بين الطلبة الحاضرين شاب متحمس آخر اسمه « كرم زهدى » وهو من طلاب جامعة أسيوط ، وقد شجّع حلمى الجزار فى هجومه على السادات وحكومته •

ولعب كرم زهدى دورا آخر بعد ذلك بقليل فى مدينة أسيوط ، فقد التقى بشاب متحمس آخر كان فيما بعد ضمن الذين خططوا لاغتيال السادات ، ذلك هو محمد عبد السلام فرج ، وقدم هذا لزهدى نسخة من كتاب يشمل مقتطفات من مؤلفات ابن تيمية وعنوانه « الفريضة الغائبة » وقال محمد عبد السلام لزهدى :

إن حكامنا مثل حكام المغول يتسترون وراء الإسلام لكنهم يعيشون بعيد عن الإسلام ، وقد آن الأوان للمسلمين فى مصر أن يبدعوا « الجهاد » ضد هذا النظام الكافر •

وكان هذا الاتجاه يوافق هوى فى نفس زهدى فقبله بإيمان وأصبح بذلك عضوا فى تنظيم الجهاد •

ونما تنظيم الجهاد بعد ذلك فقد استطاع محمد عبد السلام أن يضم لهذا التنظيم عددا من المثقفين وعددا من الضباط ، وكان الانفتاح ومباهجه الباهظة والرشاوى التى انتشرت والفقر الذى زاد بجوار البذخ والثراء من دواعى الإقبال على هذا التنظيم للشباب الذين ساءهم الحال ، وقل الأمل فى مستقبل مضيء لهم •

وأصبح لتنظيم الجهاد مراكز فى أكثر عواصم المحافظات من الإسكندرية إلى أقاصى الصعيد •

والتقى هذا التنظيم برجل دين هو الدكتور عمر عبد الرحمن وهو
أزهري كفيف واسع المعرفة ، صلد ، وتفاوض معه فأصبح الرائد الديني
للجماعة ، وقد قبض عليه عدة مرات كلما حدثت اضطرابات أو مظاهرات ،
وكانت تسوء حالته الصحية أحيانا فيتحول اعتقاله للمستشفى .

ومن الأشياء التي نادى بها تنظيم الجهاد فصل الطلبة عن الطالبات
في مدرجات الجامعة ، والدعوة إلى حجاب المرأة ، ومنع الحفلات
الجامعية التي بها ما يخالف الإسلام ، والدعوة لصلاة العيدين في الميادين
العامة ، وإطلاق اللحي .

وآخر الأحداث التي ارتبطت بتنظيم الجهاد هو ما سمي قضايا
التجمهر المسلح في الفيوم وقد قبض على عدد كبير من الأعضاء وقبض
على الدكتور عمر عبد الرحمن ، وفي يوم الخميس العاشر من أغسطس
١٩٨٩ قررت محكمة أمن الدولة العليا (طوارئ) إخلاء سبيل الدكتور
عمر وأحد عشر متهما بلا ضمان وإخلاء سبيل تسعة أشخاص آخرين
بضمان محال إقامتهم .

الزاوية الحمراء (يونيو ١٩٨١) :

لقد تحدثنا من قبل عن أحداث الزاوية الحمراء ضمن أحداث سنة
١٩٨١ ، ولست أحب أن أعود للحديث عن صراع بين المسلمين والأقباط ،
فذلك الصراع يرفضه كل مثقف وعامل ، ولا يجيز الدين ولا الوطنية
إشعال مثل هذا الصراع .

وهناك رأى ارتآه بعض الباحثين يرتبط بهذا الموضوع أرانى مضطراً
لذكره ، وإن كنت لا أملك الأدلة على إثباته أو رفضه ، وذلك الرأى يقول

(م ٣٩ - التاريخ الاسلامى)

إن السادات خلّقَ الحركات الإسلامية ليضرب بها الحركات الناصرية
والشيوعية ، ولكن الحركات الإسلامية لم تقبل أن تكون تحت سلطان
السادات كما ذكرنا من قبل ، وبدأت تقوى وتزدهر فرأى السادات أن
يخلق قوة أخرى تتصادم معها ، وكانت القوة التي رشحها
لذلك هي التيار المسيحي ^(١) ، وانتعش بذلك التعصب الديني فترة ،
ولكن الحكمة تغلبت وهدأت الأمور .

(١) عادل حمودة : اغتيال رئيس .

عصر السادات بين المساوىء والحسنات

في الصفحات الأخيرة لهذا الكتاب أورد خلاصة تشمل حسنات العصر وسيناته ، وطبقا للعهد الذى قطعته على نفسى ستكون الحيدة والانصاف رائدىً في كل كلمة أدونها .

إن المؤرخ يسجل الأحداث ، ثم يهرث بها في ثنایا الفن التاريخى لتصبح صفحة من صفحات التاريخ المدون ، وعندما تكون الحيدة أساس عمل المؤرخ فإن كلماته تخلد ، وعلى مر الزمن تبعث الذكر الحسن ، أو تنتشر السخط واللعنات ، أما التعصب حبًا أو كراهية فعمل قصير العمر ، يترك أثرا باهتا أو لا يترك أثرا على الاطلاق .

وفي ذكرنا لمساوىء العصر وحسناته نلمث أحيانا بأحداث ذكرناها من قبل ، ثم نورد أحداثا جديدة لتتكون من هذه وتلك صورة صادقة عن أهم ما ظهر في هذا العصر من مزايا ومثالب .

حسنات ومزايا للسادات

حرب ١٩٧٣ وما حققته من مكاسب :

وأول الحسنات التى نذكرها للسادات هو الانتصار العظيم في معركة ١٩٧٣ ، فقد رفع رعوينا بعد أن دمر عبد الناصر وهشيره هذه البرعوس في حالتى الحرب والسلام ، وقد أعد السادات جيش مصر أعظم إعداد ، واختار الوقت المناسب للمعركة ، وباشرها بكفاءة عالية كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن أحداث ذلك العام .

إن انتصار مصر في هذه المعركة بزعامة السادات عمل يستحق كل ثناء وتقدير لهذا الرجل الذى ثار لنا ، وأعاد العزة لشعبنا ، والهبة

لجيشنا ، ومهما كتبنا عن هذه المعركة ، وما سبقها من إعداد وتمويه ،
ومما صاحبها من دقة وإصرار فلن نوفقها حقها ، إنها كانت معركة بعث
وإحياء لقوة دصرية هائلة دفنتها هزائم عبد الناصر في التراب .

وكما نجح السادات في المعركة نجح كذلك في المفاوضة مع اليهود ،
مع أن التفاوض مع اليهود عمل يعتبر في قمة الصعوبة ، ولكنه على كل
حال استعاد سيناء وأرضنا المباركة ، بالقوة حيناً وبالسياسة حيناً ،
وانتذكر أن الجزء الضئيل من سيناء الذي تمسكت به إسرائيل بعد
السادات وهو « طابا » استغرقت المفاوضة لاستعادته سبع سنوات
وانتخدت دراجل متعددة ذكرناها في مكانها بهذه الدراسة ، وهذا يدل
على النفوس الصهيونية وجشعها ، وصعوبة التفاوض معها ، فالصهيوني
شمديك الأنهم ، يثحب أن يأخذ ويكره العدالة والمطاء .

والانتصار في حرب ١٩٧٣ هدّ كبرياء اليهود من جانب ، وأعاد
سيناء كما ذكرنا من جانب آخر ، ثم حقق مع ذلك مجموعة من المكاسب
من جانب ثالث وهي فتح قناة السويس واستعادة آبار البترول ومناجم
المعادن في سيناء .

تحية لروح الرجل الذي قاد مصر بنجاح في هذه المعارك الشريفة
التي كانت تحتاج لموهبة عظيمة ، فتصدى لها الرجل الذي ينعم بهذه
الموهبة .

استبعاد الشيوعية :

ومن حسنات السادات في تقديرى أنه استبعد الاتجاهات الشيوعية
من مصر ، فمصر بحكم الدين والموقع لا يمكن أن تكون شيوعية ، وكل
المحاولات لجذبها للشيوعية تبوء بالخسران .

وإذا اتجهت بعض الآراء لاعتبار الشيوعية لا تتنافى مع الإسلام فإننا نقول لها إن ما تشعّبون به ليس من الشيوعية في شيء ، فالشيوعية لا تعترف بالأديان بل تنكرها ، وهذه القاعدة واضحة تضام الوضوح عند من يتدارس كارل ماركس ولينين وغيرهما من زعمائها (١) وعلى هذا عندما تجد شيوعيا يصلى أو يصوم أو يحج ، فهذا الرجل يتبع فكرا جديدا ولا يعتنق الشيوعية الحقيقية .

وقد ذكرنا من قبل أن أنور السادات عمل معاهدة مع السوفيت ثم ألغاهما ، وطرد الخبراء الروس وكانوا عدة آلاف ، فهو رجل — مع تذبذبه — لا يمكن أن ينتهى للمعسكر "الشيوعى" وتلك فى رأينا محمّدة" تذكر له .

إعادة الصلة بالعرب :

كانت الصلات بين مصر والعرب قد تدهورت إبان عهد عبد الناصر ، واتجه ذلك الرئيس للأسف لمهاجمة ذقون الملوك وامهاتهم ، وذلك قمة الإسفاف ، ولكن السادات أعاد هذه الصلات الى وضعها الطبيعى ، فمصر لا تستغنى عن العرب ولا يستغنى العرب عن مصر ، وقد قدم العرب مساعدات كبيرة لمصر إبان معركة ١٩٧٣ وبعدها ، وقدمت مصر على مدى طويل صورا من المساعدات للعرب .

وقد عاد الخلاف بسبب معاهدة كامب ديفيد ، ولكن السادات — فى تقديرنا — لم يكن مذنباً ؛ لقد دعا الفلسطينيين للمشاركة فى المفاوضات ولكنهم رفضوا ، وقد عادوا اليوم للفكر الذى دعا إليه السادات منذ أكثر من عشر سنوات .

ولأن الخلاف مع مصر لم تكن له جذور عميقة فإن العرب عادوا

(١) انظر « الاقتصاد فى الفكر الإسلامى » للمؤلف .

إلى توثيق صلتهم بمصر مرة أخرى بعد القطيعة التي سببتها كاهب ديفيد التي نعتقد أننا أخذنا بها الكثير ولم نعط شيئاً ، لم نعط التطبيع ، ولا التبادل الاقتصادي ، ولم نفتح الأبواب للهواء الثقافي الإسرائيلي ...

تصفية الحراسات :

ومن حسنات السادات تصفية الحراسات ، تلك التي كانت تُفرض في العهد الأسود تبعاً للنزوات والأهواء ، والتي أجاعت البطون وضمّرت الأكباد ، وقد أصدر أنور السادات قراراً بتصفيتهما فعادت بعض الأطيان لأصحابها ، ولكن بعد أن قتلهم الجوع والحرمان والأمراض .

ولم تعد الحراسات تفرض إلا بحكم قضائي كالذي حدث مع عصمت السادات .

نهاية مراكز القوى :

تحدثنا من قبل عن أولئك الذين كانوا يمثلون مراكز القوى في عهد عبد الناصر ، هؤلاء الذين شكوا منهم هذا الرئيس ، وكان كلما قضى على فوج منهم ظهر فوج آخر ، لقد قضى على المشير وأعوانه ، فظهر على صبرى ، وسامى شرف وشعراوى جمعة وأعوانهم ، وقد ارتفع نفوذ هؤلاء حتى وصلوا إلى درجة اتشبهوا فيها باغتيال سيدهم الذى حكموا باسمه عدة سنوات ، وقد اغتالوه ليأخذ السادات مكانه ، فقد كان فى نظرهم شخصية ضعيفة يمكن السيطرة عليها بدل شخصية عبد اللطيف البغدادى الذى يروى أن عبد الناصر قد أوصى له بالرياسة من بعده ، وهو شخصية قوية ، توقعت مراكز القوى أنها ستخسر سلطانها لو آلت له الرياسة ، وقد كتب الأستاذ جمال سليم كتاباً كبيراً يتحدث عن هذا الاتهام (١) . والكتاب عبارة عن تحقيق صحفى يشير الى هذا الاتهام ودوافعه ونتائجه وقد تحدثنا عنه من قبل .

(١) جمال سليم : شبهة جنائية فى وفاة عبد الناصر ،

والمهم هنا أن أنور السادات قضى تماما على هذه المراكز ، ولم يسمح أبدا بمركز قوة يقوم بجانبه ، وقد بالغ في ذلك لدرجة أنه ضحى بشخصيات مهمة خدمته من جانب ، أو كان لها موقع وطنى عظيم من جانب آخر مخافة أن تصبح مركز قوة بجانبه ، ومن هؤلاء محمد صادق الذى كان يده اليمنى للقضاء على هذه المراكز ، ومنها كذلك إبعاد بطل عسكرى هو عبد الغنى الجمسى فى وقت كانت البلاد تحتاج لمزيد من جهوده .

شيء من الديمقراطية :

لا شك أن بصيصا من الديمقراطية ظهر فى عصر السادات ، وكان من مظاهر هذه الديمقراطية ظهور بعض الصحف التى كانت لها طابع المعارضة بشكل ما ، وظهور بعض الأحزاب ، واختفاء زوار الفجر طيلة عصر السادات فيما عدا سبتمبر المشؤوم .

قد تقول إنها كانت ديمقراطية لها أنياب وأنا أوافق أنها لم تكن ديمقراطية كاملة ، فتزوير الانتخابات والاستفتاءات كان دعامة العصر ، ولكننا على كل حال نتفيسنا الصعداء فى عصر السادات ونلنا بعض الأمن ، ولو قارنا عهد السادات بعهد عبد الناصر لوجدنا عهد السادات عصرا وارفا للظلال بالقياس إلى الجحيم الذى شهدته مصر طيلة عصر سلفه .

جانب من الثقافة :

لا شك أن السادات نعم بجانب له قيمة من الثقافة العامة ، وقد بالغ هو فى معرفته بالتاريخ المصرى لدرجة أنه تمنى لو وقف يحاضر فى الجامعة فى مادة التاريخ المصرى وهذه مبالغة منه ، ولكنه على كل حال كانت له ثقافة جديرة بالتقدير ، وكانت له معرفة ببعض اللغات

الأجنبية ومنها الإنجليزية والألمانية والفارسية ، وهى إن كانت معرفة بسيطة ولكنها كانت تؤدى دورا مهما فى حياته كحاكم .

وكانت له قدرة على الإبانة والأداء تمكّنه أن يرتجل بدون أخطاء لغوية مفرغة .

ومما لا شك فيه أن الثقافة شئ مهم جدا بالنسبة للحاكم فى العصر الحالى ، ذلك العصر الذى اتصلت به الأمم ، والذى يحتاج فيه الحاكم لخبرات ولغات ومجموعة من المعارف ، وقد كان البهاتات من أحسن من شهدتهم مصر بين الحكام العسكريين .

ويتحدث الأستاذ محمد إبراهيم كامل (١) عن مصادر ثقافة السادات فيقول : إنه قرأ القرآن الكريم فى طفولته وحفظ بعضه ، وهذا ساعده على تقويم لسانه ، وأتاح له أن يقتبس بعض آياته فى خطبه .

وكان كثير القراءة فى تاريخ مصر ، وتاريخ بعض الأبطال العالميين مثل كمال أتاتورك وهتلر ، وكان بقاءه فى السجن مددا طويلة وسيلته للقراءة الكثيرة التى جلبت له بعض الثقافة ، كما كان مغرما بمشاهدة الأفلام الرومانسية والتاريخية والبوليسية ، وهذه وتلك أمدته ببعض الأفكار .

إحياء المرافق :

قبل أن يموت عبد الناصر كانت كل مرافق مصر قد ماتت واستودعناها عند الله ، فالتليفونات صارت قِطْعاً من الحديد الصامت ، والمجارى تنفجر فى كل مكان حتى فى الزمالك وجاردن سيتى والمعادى بالإضافة إلى عواصم المحافظات — والمياه تنقصها « الشبّة » والنقاء ، ثم هى قليلة تنقطع من حين إلى آخر ، ولا تصل إلى الأدوار العليا ، والشوارع

(١) السلام الضائع فى كامب ديفيد ص ١٩٤ — ١٩٥ .

والطرق مدمرة ، أكل عليها الدهر وثرب كما يقولون ، والكهرباء تنقطع من وقت إلى وقت ، وتتوقف الثلاجات ويعمُ الظلام ، وبالجمله فكل أنواع المرافق قد شملها الإعياء الشديد وانتابها السقام .

وقد اتجه السادات بكل قوة لتحسين هذه المرافق ، وشمل الجهد كل أنواع المرافق تقريبا ، فالتليفونات عاد لها النطق والحركة ، والمجارى تحسنت ، والمياه عاد لها النقاء والتدفق ، وحركة رصف الطرق نشطت وهكذا برزت هذه الإصلاحات الضرورية وكانت من قبل في عالم النسيان .

مُنشآت جديدة مهمة :

ولم يكتف أنور السادات بإصلاح ما هو موجود ومهمل من المرافق ، بل أضاف منشآت جديدة يسرت الحياة على المصريين ، ومن هذه نفق أحمد حمدي الذي ربط الوادي بسيناء بطريق بَرِّيٍّ عَبرَ هذا النفق العظيم ، ونرجو أن تتبعه وسائل في الشمال عند الاسماعيلية وبورسعيد لربط سيناء بمناطق غرب القناة .

ومن منشآت السادات المهمة جسر (كوبري) ٦ أكتوبر وهو عمل معماري عظيم وقد تفرّعت منه عدة (كباري) جعلت الشوارع تتحرك بهد أن كانت الحركة قد توقفت تقريبا قبل السادات .

ومن المنشآت المهمة تلك المدن التي تحمل أسماء متصلة بنصر أكتوبر العظيم : مدينة ٦ أكتوبر — العبور — العاشر من رمضان — السلام — مايو — مدينة السادات ، وغيرها من المدن التي أقيمت في الصحراء فأصبحت واحاتٍ عظيمة وسط صمت الصحاري وجفافها .

إنقاذ البلاد من الاتحاد الاشتراكي :

ومن حسنات أنور السادات أنه أنقذ البلاد من هذا البلاء الذي سمي « الاتحاد الاشتراكي » ولم يكن في الحقيقة اتحادا ولا كان سمي « الاتحاد الاشتراكي » ولم يكن هذا في الحقيقة اتحادا ولا كان

المساوىء ، لم تر البلاد منه إلا كل شر ، وما رأت أبداً أى خير منه ، لقد اختيرت أهم العماثر والقصور فى القاهرة والإقالييم لتكون مراكز له ، فضاع على الدولة ما كان يمكن من إيجارات لها ، ووضع فى هذه المكاتب آلاف الموظفين وحددت لهم أعلى المرتبات ، ويسرت لهم وسائل السلب والنهب .

ألا لعنة الله على هذا الاتحاد وعلى ذكره .

مساعدة العراق فى حربها مع إيران :

وكان هناك اجتماع قمة فى بغداد ، تحدثنا عنه من قبل ، وفى هذه القمة تقررت مقاطعة مصر سياسياً واقتصادياً ، وبعد فترة قصيرة نشبت الحرب بين إيران والعراق ، ووقف أنور السادات موقفاً نبيلاً للغاية ، فقد كظم غيظه ، وسيطر على جراحه ، وقرر مساعدة العراق ، وتقديم ما يحتاجه جيشها من معدات .

وما كان أحد غير أنور السادات يستطيع فى هذه الظروف أن يتخذ هذا القرار الذى كان من أهم أسباب عودة اللقاء بين مصر والعرب .

معاش السادات :

ومن الحسنات العظيمة التى تذكر للسادات تقديم معاش للعجزة وكبار السن وهو الذى يسمى « معاش السادات » وقد حمى به كثيرين ممن كانوا سيعانون الجوع أو يسقطون بسقطات خلقية بسبب الحاجة ، وقد عم هذا المعاش آلاف المحتاجين فى المدن والقرى .

إلغاء الضرائب على الكتب والأحاديث :

من مفاخر السادات التى يذكرها المفكرون المصريون بكل التقدير أنه ألغى الضرائب على كل المؤلفات وعلى كل الأحاديث التى يلقيها الباحثون فى الإذاعة والتلفزيون ، فحمى السادات بذلك ماء وجوهنا من الوقوف أمام مأمورى الضرائب فى هذا الشأن .

والضرائب — كفاك الله — شروبييل ، تفترض في الإنسان — أيما كان — أنه مزور لا يقول الحق ، فتبالغ في التقدير ، ويدور حوار ينتهي بهزيمة المفكر في أغلب الأحوال •

وكان جمال عبد الناصر قد ألغى الضرائب أو ألغى نسبة كبيرة منها عن الفنانين ، ولم يُعَرَّ أى اهتمام للمفكرين عندما طلبوا أن يناقوا ما ناله الفنانون ، وبخاصة أن الفن من غناء أو تمثيل ينبني على الكلمة التي يقولها المؤلف • ولم يستجب عبد الناصر لطلبنا •

وجاء السادات فألغى كل الضرائب على الكلمة المكتوبة أو المقولة فهي وسيلة لخدمة الإنسان المصري • أحسن الله إليه •

علوى حافظ وحسنات السادات :

الأستاذ علوى حافظ من المعارضين الأقوياء الصرخاء ، ومع هذا فهو يقرر أنه في عهد السادات حدثت إنجازات أربعة هي بحق من أروع الأعمال ، وتتمثل في :

- تصفية الوجود السوفييتي •
- حرب أكتوبر •
- مبادرة السلام •
- مظلة المعاشات والتأمينات •

ويقول الأستاذ علوى حافظ : لقد أيددتها كلها وبصوت عال دون تردد تحت قبة البرلمان لأنها في صالح مصر (١) •

حسين مؤنس وحسنات السادات :

يقول الدكتور حسين مؤنس إن للسادات أربع حسنات على الأقل ، كل منها يستحق التقدير ، وهي :

١ — ثورة التصحيح في مايو سنة ١٩٧١ التي وضعت حدا لحكم الإرهاب وأسقطت رجاله ، وحمّت كرامات الناس وأموالهم من المهانة

والعدوان ، وفتحت الطريق للصعود من الحضيض الذى هبطت مصر إليه
فى عهد عبد الناصر وبخاصة بسبب هزيمة يونيو ١٩٦٧ وضياح سيناء
ووصول الإسرائيليين إلى قناة السويس •

٢ — تحرير مصر من سيطرة الروس الشيوعيين ، ولولا قيامه
بإخراج المستشارين الروس لما تيسر نصر أكتوبر العظيم •

٣ — فتحه الطريق أمام الجيش لى ينتصر على الإسرائيليين
ويكسب حرب أكتوبر المجيدة •

٤ — استعادة سيناء وفتح قناة السويس •

وللرجل محاسن أخرى لا تنكر (١) •

تلك هى حسنات السادات أو أكثرها ، نذكرها للتاريخ ، فالفضل
لا يتنسى ولا ينكر ، ولعلنا بذلك نكون قد أعطينا للرجل حقه وسجلنا
مآله كما سجلنا ما عليه •

أخطاء ومثالب للسادات

إن الدراسة الطويلة التى قمنا بها فى هذا الكتاب شملت صوراً
كانت فى تقديرنا عيوباً ومثالب للسادات ، وهناك مثالب أخرى لم
تتضمنها دراستنا السابقة وذلك كمشروع هضبة الاهرام وفكرة توصيل مياه
النيل لإسرائيل ، وحماية الطغاة المنحرفين •

وهنا سنمر مروراً سريعاً على الأخطاء والمساوىء التى ذكرناها من
قبل ، ثم نعرض بشيء من التفصيل تلك المثالب التى أجعلنا الحديث عنها
لتأخذ مكانها الطبيعى هنا •

ديمقراطية لها أنياب :

من عيوب السادات منا أسماء « ديمقراطية » وهى فى الحق وضع
لا يتفق مع هذه الكلمة صحيح أنه — كما قلنا من قبل — لم يكن ديكتاتوراً

كامل الاستبداد كما كان سلفه ، ولكن الديمقراطية التي ابتكرها كانت كائنا مشوّهًا ، أسماها الناس ديمقراطية مستأنسة وأسمائها هو : ديمقراطية لها أنياب •

يصدق الاستفتاءات الزائفة :

وفي عهد السادات حدثت استفتاءات وانتخابات ، وكانت النتيجة لصالحه بنظام التسعات المكررة ٩٩٨٩ ، وما كان يخفى على السادات ولا على سلفه زيف هذه الانتخابات والاستفتاءات ، ولكنه للأسف كان يصدّقها ، وكان الناس يسخرون منها ويتندّرون بها ، وكان هو سعيدا بها ، ولا شك أنه في داخله كان يعرف زيفها ، ولكنه للأسف كان يكذب على نفسه ويعيش في الخيال ، وكان السادات يرى الرؤساء حوله يناولون ٥١٪ أو ٥٥٪ ويحصلون على السلطة بهذه النسبة ، وهى بلا شك أشرف آلاف المرات من نسبة التسعات المكررة ، فكل الناس يعرفون الزيف والتضليل في هذه النسبة المبالغ فيها •

ولا أحد يرى لماذا حرص رؤساء مصر على هذه النسبة التي تحمل بوضوح طابع الزيف والكذب •

ويصدق الاستقبالات :

وفي زيارات السادات لمواقع الإنتاج أو لافتتاح مؤسسة من المؤسسات الحكومية السنية تأخذ الحكومة الأبهة لجشد عدد كبير من الشعب لاستقبال الرئيس ، وتعدّك الهاتفات اللازمة وأقواس النصر ، ويختار قادة المهتافات ، وفي مقدمة الحشود كان يشاق تلاميذ المدارس وعمال المصانع وفلاحو أرض الدولة ، وكانت تُصَرّف لهؤلاء مكافآت للقيام بهذه المهمة ، وقد شغلت مرة في حياتي الوظيفة منصبا إداريا مدة عدة شهور ، وأردت أن أتعرف على كبار الموظفين بهذه الإدارة التي عُيّنّت مديرا لها ، وهالني أن رأيت بينهم رجلا عظيم الجثة طولا وعرضا ، وكان عمله هو إعداد الطلاب للاستقبالات الخاصة بالرئيس أو ضيوف الرئيس ، وحشد الطلاب الأفارقة والآسيويين بوجه خاص لهذا العمل ،

ليظهر الرئيس وكأنه زعيم الشرق كله وليس مصرَ وحدها ، وكان الذي يتوانى من هؤلاء الطلاب يعرّض نفسه للعقوبة التي قد تصل إلى إلغاء منحه الدراسية •

وكانت الاستقبالات تضم — بالإضافة إلى هؤلاء — إعدادا كبيرة من العاطلين للفرجة ، كأولئك الذين يحتشدون للفرجة على احواة ، والفنانين ، وعلى الرجل الذي يداعب نسناسا وعلى عتالة اللصوص المجرمين إذا قبضت العدالة عليهم •

وكان السادات يرى في هذه الاستقبالات — كما قال — استفتاء على شعبيّته •

هدايا من الآثار المصرية والجواهر المصادرة :

ومن أخطائه التي أشرنا لها من قبل أنه عدّ الآثار المصرية والجواهر المصادرة ملكاً خاصاً له ، فأخذ — مثل سلفه عبد الناصر — يتغدق عطايا من كنوز الآثار المصرية على الأصدقاء ، ويقدم من الجواهر ما شاء لمن شاء ، ويقدم الأستاذ محمد حسنين هيكل نماذج كثيرة لهدايا السادات من هذه الآثار (١) •

الجامعة الإسلامية :

وعندما قطعت الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ، ونقلت جامعة الدول العربية إلى مقر جديد في تونس ، فكر السادات تفكيراً مريضاً ، فقرر إنشاء « جامعة إسلامية » وأسند وظائفها إلى بعض رجاله ، وكأنه حسب نفسه يمثل الدول الإسلامية ، فاجتمع مع نفسه واختار الأئمة العلماء ، وحدد مقر الجامعة الجديدة ، وانجذب له بعض من لا يمثلون إلا أنفسهم ، أو قل لا يمثلون أنفسهم ، وإنما جذبهم الأمل في المال أو الموقع ، وكانت سيحابة صيف سرعان ما انقضت على نحو ما حدث للمؤتمر الإسلامي الذي قام وانفضّ دون أن يترك في العالم الإسلامي أي أثر •

(١) خريف الغضب ص ٣٨٢ - ٣٨٦ •

مصادرة الأصدقاء :

كان عبد الناصر شديد الحرص على إفقار الأغنياء وإذلال الأعداء ، ومن هنا اتجه لمصادرة من عدّهم أعداءه وسمّاهم أعداء الشعب ، ولكن السادات في هذا المضمار اتجه اتجاهًا عجيبيًا ، فقد عني بمصادرة أموال بعض أصدقائه ، والذي يقرأ كتابه « البحث عن الذات » يجند اعترافًا صريحًا بأن حسن عزت أنقذه من فاقة ، وكساه من عري ، وأطعمه في ساعة عسرة ، وعن طريقه تعرف بجيهان قريبة زوجة حسن عزت ، وتممّ زواجه منها ، فماذا نرى لو قرأنا ما كتبه حسن عزت في معاملة السادات له ؟ يقول حسن عزت :

انك وضعت حارسا على أموالى فأتى عليها جميعا ، وضاع شقاء عمرى ، أما أموالى التى ورثتها عن أبى رغم ضآلتها فقد صودرت وتملكتها شركة مصر للتأمين كأموال أى خائن لمصر (١) .

تلك كلمات أنور السادات وهذه كلمات حسن عزت ندونها دون

• تعليق •

مقاومة ما نسب لعبد الناصر وأسرته من اتهامات مالية :

كلام كثير نشرته الكتاب والمؤلفون عن عبد الناصر وأسرته وقد المّنا به من قبل ، وبدل أن يحوّل السادات للتحقيق تصدى لردّه ، وكان عنيًا في تصديه للدفاع ، فاوقف الأستاذ جلال الدين الحمامصي عن كتابة عموده اليومي بالأخبار عندما نشر كتابه في هذا الشأن •

بل تصدى الى دعامة قوية كان يركن له وهو عثمان أحمد عثمان عندما نشر هذا كتابه وذكر فيه قصة « الفيلتين » اللتين بناهما لابنتى عبد الناصر بثمن لا يمثل إلا جزءا ضئيلا من الثمن الحقيقي ، والمهم

أن السادات لم يترك العدالة تأخذ مجراها فيما نُسب لعبد الناصر وأسرتة من استغلال وكسب غير مشروع أشرنا له من قبل ، وإنما وقف مدافعا لا يستعمل الحق ولا القانون ، ولكن يستعمل القوة الفاشمة .

لم ينصف المظلومين من ظلم عبد الناصر والمشير :

وهنا يقال عن ناحية السلب والنهب يقال مثله أو أكثر منه عن صور الظلم الفادحة أتى أوقعها عبد الناصر بالآخرين ، فقد تفاقى السادات تماما عن المصدر الرئيسى لهذا الظلم ، تفاقى عن عبد الناصر والمشير تماما فصاعت الحقوق إذ لم يكن فى هقدور أغلب المظلومين أن يلجئوا للعدالة ، ومن لجأ منهم للقضاء ، كاسرة الفقى فى كمشيش اتجهت الاتهامات إلى الصف اثنانى أو الثالث ، مع أن هؤلاء كانوا ينفذون أوامر صادرة لهم من الرؤوس العليا .

تاريخ الثورة ، وأسباب هزيمة ١٩٦٧ :

وتحركات العدالة حيناً فى نفس السادات فقرر تكوين لجنة لكتابة تاريخ الثورة ، ولجنة أخرى للبحث عن أسباب هزيمة ١٩٦٧ ولما رأى السادات أن هذه اللجنة وتلك ستدين الثورة وستبرز ما خفى على الجماهير من مثالب ، لما رأى ذلك قتل اللجنتين فى مهدهما ليعيش الناس فى ظلام وأسى دون أن يعرفوا أساس ما عانتة وما تعائيه مصر من مشكلات وآلام .

أسرة السادات والشرافة :

ذكرنا من قبل ما جرى من أسرة السادات من نهب وسلب ، ولا يمكن القول إن السادات كان يجهل هذا ، وأنه لم يبلغه أى خبر عن ذلك التكالب والانتهازية ، فإن كان قد جهل هذا ولم يبلغه أى خبر عنه فهمنى ذلك بوضوح خوف الناس من تبليغه هذه الأخبار ، وقد روى السادات أن عبد الناصر كان شديد الحساسية بالنسبة لأسرتة ، وأنه كان يعاقب

بقسوة من يتحدث عن أى فرد من أسرته بمكروه ، وطلبا للسلامة أغضى الناس الطرف عن أسرة عبد الناصر وتركوها تفرح كما تشاء .

ويبدو أن الحال كان هو الحال بالنسبة لأسرة السادات وأسرة زوجته ، فهو مسئول تماما عن كتمان هذه الأخبار عنه ، ولكن الحق أن هذه الانحرافات التى تشعبت واتصلت كالاخطبوط بكل ميدان من ميادين الحياة لابد أن تكون قد وصلت وأغضى عنها الطرف ، وقد كشف القضاء عن بعضها ، والسادات مسئول عن تفشى هذا النهب الذى ذاع وشاع ، فجلب الأسرة السادات الملايين على حساب المحتاجين والجائعين ، حسابهم على الله .

غُرور السادات :

لقد ذكرنا من قبل صورا من المدح والثناء على أنور السادات فيما يتعلق بقضائه على الطغمة الفاسدة التى كان يعتمد عليها عبد الناصر ، ومتدحنا السادات من الأعماق على تدبيره لحرب ١٩٧٣ وقيادته لها ، كما ارتضينا خطته التى استطاع بها أن نستعيد باقى سيناء بطريق المفاوضة مع اليهود *****

ولكن السادات عقب ذلك كان عليه أن يسجد لله شاكرًا عونه وتوفيقه ، وأن يثنى على الشعب الذى وقف بجانبه يؤيده ويساعده ويضحي بالدم والولد والمال من أجل الهدف المشترك ، ولكن السادات « تأكله » عقب ذلك ، ووضع نفسه هو وأسرته فى دائرة بعيدة عن الجماهير .

وكان عليه أن يتجه للعمل الداخلى ولبناء الإنسان المصرى الذى حرّم من مطلع الثورة من كل الحقوق الإنسانية ، ولكن السادات اتجه لنفسه ولزوجته ولأولاده منها ، وأهمل كل الدنيا حتى زوجته الأولى

(م ٤٠ - التاريخ الإسلامى)



جلسة اعتداد أقرب للغرور

وبناته منها ، إنها الأنانية القاتلة التى جابت الحقد على رجل كان يمكن أن يكون صديقا وأثيرا عند المصريين •

وفى هذا المجال يقول الدكتور حسين مؤنس (١) •

كانت أمام السادات فرصة ذهبية لمسيرة حميدة بعد النصر فى المعركة وفى المفاوضة ، ولكن السادات أضاع هذه الفرصة ، وتصوّر أنه بلغ ما لم يبلغه إنسان قبله ، وما لن يبلغه إنسان بعده ، وتصوّر أنه هو وحده كسب حرب أكتوبر ، وهو وحده استعاد سيناء ، وهو وحده لذى يعرف ماذا يعمل وماذا لا يعمل ، وأخذ صورة سيد أرسنقراطى عظيم له فى كل ركن من أركان مصر قصر ملكى يقيم فيه ، وحاشية ضخمة تجرى وراءه لتخدمه فى قصوره ، وله أسرة ملوكية تصاهر أصحاب الملايين ، وهو فى الشتاء فى أسوان والإسماعيلية ، وفى الصيف فى الإسكندرية ، ولدنيا كلها تجرى لتسعد بلقائه حيث يكون ، والسيد العظيم يستيقظ فى الحادية عشرة صباحا ويبدأ العمل فى الواحدة بعد الظهر ، وطائرة بوينج ٧٠٧ وطائرة هليكوبتر مربوطتان ببابه كما كانت الخيل تربط بأبواب الخلفاء والسلطين ، والملابس تصنع له عند ديور وبير كاردان ، وسيد مصر العظيم تحول الى « ستار عالمى » ، ومجلة شيترن تنشر صورته على غلافها وفى يده وردة ، وتمنحه لقب « أشيك رجل فى الدنيا » ومنشآت الصحف القومية لابد أن تتلأأ بها كل يوم كلمة « السادات ••••• » •

واللغة الوحيدة التى تعجبه هى المديح ، وهو لهذا لا يحتمل النقد ، وصدره يضيق بأية مراجعة ، تلك هى فترة أخطاء السادات ، التى كلفته ثمنا باهظا ، وتلك هى فترة الأخطاء القاتلة ، ومعظم الذين أبغضوا السادات داخل مصر تكوّنوا خلال هذه الفترة •



وقع في غرام سماع صوته ورؤية صورته

ويقول محمد كامل إبراهيم وزير خارجية السادات خلال فترة من الفترات :

وقع السادات في غرام سماع صوته ورؤية صورته ، وأصبح إجراء الأحاديث والإدلاء بالتصريحات هوايته المفضلة ، وكانت وكالات الأنباء تتابعه في هذا الشأن ، وربما شغلته هذه الهواية عن مقابلة كبار الضيوف والديبلوماسيين الذين يزورون مصر ويطلبون مقابلته ، ولكنه كان يعتذر لانشغاله (١) .

أهل معركة السلام :

ونسى السادات أن معركة السلام كانت تحتاج إلى جهد أكبر من معركة الحرب ، ولكن السادات أعد معركة الحرب ونجح فيها ، ثم أهمل معركة السلام تقريبا ، فلم يحدث في عهده تطور زراعى ذو بالٍ أو اقتصادى أو اجتماعى ، بل بدأ التدهور يأخذ طريقه للحياة بمصر .

مطار لارناكا و ١٨ شهيدا من رجال الصاعقة :

من الواضح أن رجال الصاعقة يُعْتَبَرُونَ في كل دولة أهم العناصر في الجيش ، فهم بحكم قوائهم الجسمانية والعقلية ، وبحكم التدريب الخطير الذى يحصلون عليه ، وبحكم استعدادهم لأخطر الأعمال في الحروب مهما كان فيها من قسوة ونضحية بحكم ذلك كله يُعْتَبَرُونَ ثروة هائلة تدّخرها الدول لمواجهة الأخطار والصعوبات .

وقد تكلمنا من قبل عن مصرع رجل يُعْتَبَر من أغلى رجالات مصر ، ومن أعمقهم ثقافة وأكثرهم دراية بمشكلات الوطن ذلك هو الأستاذ يوسف السباعى ، وكان مصرعه في قبرص حيث كان يرأس الوفد المصرى

(١) السلام الضائع في كامب ديفيد ص ١٩٣ - ١٩٤ .

في اجتماعات لجنة التضامن الأسبوي الإفريقي ، وكان مصرعه بيد اثنين من الفلسطينيين ، يجهلان ما يفعلان ، حسابهما على الله •

وقد سارعت منظمة التحرير الفلسطينية بإصدار بيان تدين بشدة هذه العملية وتستنكرها •

وقد وقع خبر اغتيال يوسف السباعي وقعا شديداً على الجمهور المصري الذي كان يحب هذا الرجل ويتابع نشاطه الثقافي ، ولكن الكارثة تطورت على يد أنور السادات ، فتضاعف خطرها ، فإنه بحكم ديكتاتوريته أمر أن تسلم قبرص هذين القاتلين إلى مصر ليحاكما بها ، ورأت قبرص أن هذا يقتضي مع استقلالها ويعرضها لنقد خطير ، فرفضت هذا الطلب ، وبرزت ديكتاتورية السادات حيث كان يجب أن تختفى ، فأمر بإرسال عدد من رجال الصاعقة إلى قبرص لاختطاف القاتلين ونقلهما إلى مصر ، وفي مطار لارناكا تعرض أبطال مصر إلى ضربات من الخلف ، فقد اعتبر القبارصة أن ذلك عدوان على أرضهم واستقلالهم فأطلقوا عليهم النيران ، وسقط ثمانية عشر بطلا ، كما دمرت الطائرة المصرية التي حملتهم ، وكانت خسارة مصر بذلك عظيمة جدا •

وقال وزير خارجية السادات له إن هذه العملية خطيرة ، لقد فقدنا ثمانية عشر ضابطا ، وفقدنا الطائرة التي نقلتهم ، وتدهورت علاقاتنا بقبرص ، والعالم كله يدين هذا العمل ، ويجب إجراء تحقيق فوري لمعرفة المسئول عن هذه العملية ، فقال السادات في غضب شديد : أنا الذي أمرت بهذه العملية (١) •

ما أكثر ما نزلت الأخطار والخسائر بمصر بسبب الديكتاتورية •

(١) محمد إبراهيم كامل : السلام الضائع في كامب ديفيد ص ١٩٩ - ٢٠١

ولو استثمار السادات معاونه ، لفجرت مصر من كثير من المهن
التي سببتها الديكتاتورية الجاهلة الحمقاء •

هضبة الاهرام :

في موجة ما سُمّي الانفتاح بحث هواة المال عن كل طريق يجلب
لهم المزيد من الثراء ، وكانت هضبة الأهرام واحداً من هذه الطرق •

لقد اختار الفراغة هذا المكان بدقة ودراسة وعمق ومن أهم المزايا ،
ارتفاعه الشاهق عن الوادي ، حتى تظل الأهرام وغيرها من الآثار في
منطقة جافة ، تقع بمنأى عن تسرب المياه أو الرشح •

وهضبة الأهرام واسعة جداً وتعتبر غنيمة كبرى لأي شركة أو
مؤسسة تأخذ حق استغلالها ، وللأسف تقدمت لذلك شركة من هونج كونج
بأبخص الأسعار ووافقت الحكومة على ذلك •

ورأى المصريون أن السماح بإقامة مدينة فوق هضبة الاهرام
معناه بيع التاريخ ، والتاريخ المصرى غال جداً عند المصريين ، ولذلك
قامت حركة احتجاج واسعة وقوية • وكانت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد
من دعائم هذه الحركة ، فقد كتبت عدة مقالات تهاجم هذه الصفقة ، وكان
مما قالته (١) :

إن الحكومة المصرية وافقت على عدم البناء في منطقة بها مقبرة
يهودية ، وكان ذلك إجلالاً للموت ، فما بالها تصنع هذا مع موتى اليهود
ونتناساهم مع أبطال الفراغة الذين كانوا في عهدهم سادة العالم •

وإذا كان هذا المشروع يحمل مظهر التعمير ، فإنه في الحق تخريب
للتاريخ وللأخلاق وللذمم •

وكان من أبشع ما اتصل بهذه الصفقة تشويه البيئة الأثرية بالإسكان وما يلحقه ، ثم تدميرها بواسطة البحيرة التي أزمعوا حفرها في مساحة تبلغ اثنى عشر فدانا تحت أقدام الهرم ، مع أن الهرم لم يعيش عمره الطويل إلا بسبب الجفاف وارتفاعه فوق منسوب ماء النيل .

وبينما كان أفراد الجمهور يهاجمون العدوان على منطقة مقدسة لدى المصريين كانت « منى » ابنة جمال عبد الناصر تتقدم بنشاط لتتال جزءا من الغنيمة فتعاقدت على شراء جزء كبير من الهضبة لتجترى به تقسيما يباع بأعلى الأسعار .

ويقول الأستاذ محمد حسنين هيكل : إن من نتائج الانفتاح الكاذب أن ظهر مشروع آثار ضجة في وقته ، وهو مشروع هضبة الأهرام ، وكان وراءه مستثمر كندى ، أو هكذا بدا على الورق ، وكان الهدف إنشاء مدينة الأغنياء السياح وأغنياء مصر ، وكان المشروع هشا في اقتصادياته ، وكانت كل تفاصيله ملأى بمظاهر التلاعب ، ولقد تحمس الرئيس السادات شخصيا لهذا المشروع ، ولكن ثارت ضجة كبرى حوله ، إذ اعتبره الكثير من الوطنيين عبثا بمنطقة تضم كنوزا من تراث مصر لا تقدر بثمن (١) .

ويذكر موسى صبرى أن أنور السادات كلف الدكتور مصطفى خليل بدراسة موضوع هضبة الأهرام ، وما يوجه إليه من نقد ، واستمر الدكتور مصطفى خليل في الدراسة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وفي الصباح الباكر ، وقبل أن يتوجه السادات ليلقى خطابه في احتفالات أول مايو سنة ١٩٧٩ اتصل به الدكتور مصطفى تليفونيا ونصح به بإعلان إلغاء المشروع ، لأنه فعلا ليس في صالح مصر ، واستجاب السادات لهذه النصيحة ، وأعلن إلغاء المشروع في خطابه في عيد العمال أول مايو سنة ١٩٧٩ (٢) .

(١) خريف الغضب ص ٢١٥ .

(٢) السادات الحقيقة والاسطورة ص ٣٩٦ .

ولم تقتنع الشركة المتعاقدة بحق التاريخ في إلغاء هذا اللعب ، فأخذت تقاضى المسئولين عن إلغاء هذه الصفقة ولكن أحكاما صدرت برفض هذه الدعاوى فمجلس الدولة حكم بأن هضبة الأهرام منطقة آثار يجرم المساس بها ، وحكمت بذلك محكمة مصر الكلية وأضافت في أسباب الحكم كلمات طيبة ، قالت المحكمة : كان ينبغي على كل مصرى غيور وحر مناهضة ذلك المشروع للحفاظ على المقدسات المصرية ، وعلى ثروة مصر التاريخية ، وإن للمواطن المصرى بعد طول معاناة أن يقول رأيه بصراحة في مشروعات تعود بالنفع الكثير على فئة قليلة مستغلة ، وتعود على الوطن والمواطن بالخسارة الفادحة (١) .

التفاف خلفى لإعادة المشروع :

ولم يكن رفض المشروع نهاية لهذه المشكلة ، فإن اتجاهات حكومية يمثلها محافظ الجيزة واتجاهات مصرية يمثلها المحدثون من الأغنياء عادت تحاول استغلال الهضبة بوسيلة أخرى تشمل مجموعة من الشاليهات والاستراحات تغطى بها الهضبة وتكون مسرحا للعبث والترف ولم ينس هذا المشروع العدوانى ، إحياء فكرة البحيرة التى كانت فى المشروع الاستثمارى .

ولكن القوى التى هاجمت المشروع الأول استمرت فى حماسيتها وقوتها تجاهد وتناضل هذه المحاولة الجديدة ، وكسبت هذه الجهود الجولة الثانية كما كسبت الجولة الأولى وأزيل ما كان فى الهضبة من شاليهات ، وعادت المنطقة على الحال الذى كانت عليه أيام الفراغنة الأمجاد .

دياه النيل لإسرائيل ؟ :

إن الإنسان المصرى يحس بألم ممزوج بالمرارة والدهشة أن أنور

(١) نقلا عن : دكتورة نعمات أحمد فؤاد : صناعة الجهل ص ١٠٠-١٠١ .

السادات فكّر أن يقدم ماء النيل لإسرائيل ، ونسى الرجل أن إسرائيل قدّمت ولا تزال تقدم الموت للإنسان المصرى والعربى فى كل مكان ، أما السادات فإنه أراد أن يقدم لها الحياة •

إن أيسر تأويل لهذا الموقف هو أن ندمّغ من فكر هذا التفكير بالجهل بقضايا التاريخ المصرى والإسلامى ، وبالجهل باحتمالات المستقبل ، أما الذى لا يقنع من المفكرين بهذا التأويل فإننا نلتمس له العذر عندما يتّهم صاحب هذا الفكر بالخيانة العظمى •

هل يجهل رئيس دولة عربية أهداف إسرائيل التوسعية ؟ تلك الأهداف التى لم تعد رسما لخريطة ، أو تطلّعا للأمل ، بل أصبحت واقعا عندما احتلت إسرائيل من أرض العرب ما احتلته وتمسكت به طيلة ربع قرن أو يزيد •

إن من يجهل ذلك ليس جديرا بمنصب قيادى فى مصر أو فى أى بلد عربى ، وإذا غفرنا للسادات أى خطأ من الأخطاء التى ذكرناها فى طول هذه الدراسة فإننا لا نغفر له اتجاهه لمنح مياه النيل لإسرائيل •

والعجيب أن أنور السادات ظن أنه يمكن أن تأخذ إسرائيل مياه النيل وتترك الأرض العربية ، ولكن التوسع الصهيونى سرعان ما انطلق يقول إن المبادئ لا تباع ولا تشترى ، وإن أمن إسرائيل وأمل إسرائيل أهداف غير قابلة للمساومة ، وكانت كلمات بيجين هى : إن مد النيل الى النقب فكرة جميلة ، ولكن الأمور العقائدية لا تباع ولا تشترى •

وأنور السادات حين يتطوّل فيعرض مياه النيل على إسرائيل ليس إلا مستجيبا لرغبة قديمة رفضها الخديوى عباس الثانى ، فالتاريخ يقرر أن فكرة أخذ جزء من مياه النيل فكرة خطيرة إلى زعيم الصهيونية هرتزل ، وأرسل بها مذكرة سنة ١٩٠٣ إلى الحكومة البريطانية وإلى

الحكومة المصرية مدّعيًا أن المستعمرات الصهيونية في فلسطين محتاجة إلى مياه النيل التي ترعى في البحر المتوسط ، وكأن الرفض القاطع نصيب هذا الطلب من الحكومة البريطانية ومن الخديوى عباس الثانى .

عجبا يرفض الخديوى عباس بإصرار هذه الفكرة ، أما السادات فلا نقول إنه قبلها ، بل نقول ما حدث ، وهو أن السادات أبتكرها وتبرّع بها ، مع أن خطر الصهيونية لم يكن قد انتضح آنذاك ، وخطر الصهيونية الآن واضح وخطير ، وهذا يحتم علينا أن نعيد النظر في الهجوم على أسرة محمد على ونعيد النظر في الثناء على رجال الثورة التي كانت مشؤومة في كل مجال .

هل لنا أن نفكر أن موقف السادات يتناسب مع ما ذكرناه من قبل مع موقف زوجته وأولاده الذى يتعاطف مع إسرائيل ، ومن هنا يتضح لنا أن موقف الزوجة والأولاد كان امتدادا لموقف السادات ، أو أن السادات كان امتدادا لإحساس زوجته وتعاطفها مع اليهود ، ذلك التعاطف الذى ذكرناه من قبل .

وليت شعرى كيف حرص السادات على أن يمرّ ماء النيل بسيّنا فلا يروّيها ، ولا يزرع أرضها ، بل يهشّ إلى النقب فيقدّم لها الرى والحياة ، وينبغى أن يتضح أن زراعة النقب تعنى استعداد إسرائيل لاستقبال مزيد من اليهود ، وذلك يمثّل مزيدا من الخطر على الأرض العربية والإنسان العربى ، وقد بدأنا استرداد أجزاء من سيّنا في عصر السادات ، ولم نتم زراعتها واخضرارها فلماذا حرص على تخطّيها وبعث الحياة في الأرض الصهيونية .

وإذا كان السادات يريد أن يقدّم مياه النيل ليحرر فلسطين والقدس ، فإن مياه النيل ستصبح حقا من حقوق إسرائيل ، أما الأرض العربية فستظل هدفا لأطماع إسرائيل ، ولن تحميها من أطماع الصهاينة إلا القوة العربية التي يجب أن نهتم بها .

ويخطر ببال المؤلف فكرة "مخيفة" هي الربط بين وعد بافور سنة ١٩١٧ بمنح الأرض لليهود وفكرة السادات بمنح مياه النيل لهذه الأرض ، وهذا يجعلنا نقرر بحسرة وألم ، أن بافور منح الأرض وأن السادات عرض أن يمنح الحياة لهذه الأرض •

بقيت نقطة مهمة حول ما قيل عن أننا نطرح قدرا كبيرا من مياه النيل إلى البحر المتوسط ، فهذه مغالطة خطيرة ، وكلام لا أساس له من الصحة ، فبعد إقامة السد العالي لا تتلقى بالبحر أية قطرة من قطرات النيل ، صحيح أننا لا نحسن استعمال مياه النيل ولكننا نستعمله كله ، بل يقول الإخصائيون إننا نعيد استعمال مياه الصرف لتكملة حاجة مصر من المياه ، مع أن مياه الصرف بها من الملوحة ما يفسد الأرض (١) •

على أن النيل ليس ملكا خاصا لمصر إنما هو ملك لتسع دول تحيط به من منبعه إلى مصبه ، وإن أى تصرّف تقوم به إحدى هذه الدول دون موافقة الدول الأخرى يعتبر سابقة خطيرة ترفضها العلاقات الدولية ، ومن الواضح أننا حريصون على حسن العلاقة بدول إفريقيا التي ساعدتنا وجاملتنا في ظروف تاريخية كثيرة ، ومن العجب أن نتحدى الدول الصديقة لصالح دولة عدوة •

وبعد ، إن مياه النيل في أنسيابها وجريانها بأرض مصر تشبه جريان الدم بين قلب الإنسان وعروقه ، وقطرات النيل لا تنقل عند المصريين قيمة عن قطرات الدم ، والذي يفرط في مياه النيل كالذى يفرط في نفسه ويهدّد وجوده •

السادات يحمى الطغاة والمنحرفين :

وتستترّ السادات على الطغاة والمنحرفين الذين عبثوا بأموال الناس

(١) دكتورة نعمات فؤاد : صناعة الجهل ص ١٨٠ •

وأعراضهم وأموال المجتمع وقِيَمِهِ ، وفي هذا المجال نذكر نموذجين فقط من نماذج كثيرة هما صلاح نصر وأشرف مروان ، ونعتمد على كاتب كان قلما يدوّن فكر السادات ولسانا يعبر عن أمانيه ، وهو يقرر انه كاتب مؤيّد ، فما يذكره عن حماية السادات لهذين الشخصين ليس موضع شك ، ذلك الكاتب هو الاستاذ موسى صبرى •

حماية السادات لصلاح نصر :

إن ما عرف عن صلاح نصر شيء يلوث البحار والأنهار ، ولكننا سنعطى مثالا واحدا من تصرّفات هذا الرجل مع علّم من أعلام الصحافة ، وصاحب مدرسة تعتبر الأولى في الشرق العربى كله ، ذلك هو الاستاذ الكبير مصطفى أمين •

يقول الأستاذ موسى صبرى (١) :

رفع أحد المحامين دعوى بالحق المدنى ضد صلاح نصر وضد عدد من رجال المخابرات لتعذيبهم لمصطفى أمين داخل مبنى المخابرات ، وكان مصطفى أمين قد نكّر أنه صُلِبَ وجسده عارٍ ، وشهد اثنان من الصحفيين كانا مسجونين بأنهما رأيا هذا العذاب •

ولما علم أنور السادات بخبر رفع هذه القضية للمحاكم ثار وقال لموسى صبرى : ماذا يريد مصطفى أمين ؟ لقد أفرجت عنه ، وهو يتمتع الآن بكل حرياته ككاتب ، لماذا هذا الحقد ؟ ولماذا هذه الرغبة فى الانتقام ؟ اطلِّبْ منه باسمى أن يتنازل عن هذه الدعوى •

ويقول موسى صبرى : إننى أبلغت هذه الرغبة لمصطفى أمين ، وأبدي استعدادة الكامل للتنازل ، وقال لى : يكفى أننى رأيت صلاح نصر

(١) السادات الحقيقة والاسطورة ص ٦٩٩ - ٧٠٠ •

في المحكمة وهو وراء القضبان ، وهذا هو انتقام السماء ، ولا يهمنى الحكم على صلاح نصر •

وأشاد السادات بموقف مصطفى أمين •

واستمر موسى صبرى يقول :

ولكن مصطفى أمين عاد وأبلغنى في اليوم التالى أنه اتضح له أنه ليس من حقه قانونا أن يتنازل ، لأنه لم يرفع الدعوى ، ولأن القضية أصبحت في يد النيابة العامة •

وأبلغت الرئيس السادات بذلك •

وصدر الحكم بالسجن على صلاح نصر ، فصدر الأمر بنقله للمستشفى لمرضه ، ثم أفرج عنه السادات إفراجا صحيا بعد ذلك بددة قصيرة •

وهذا التصرف يؤكد ما سبق أن ذكرناه بأن مراكز القوى التى نكل بها السادات هى هؤلاء الذين تصدّوا له وتأمروا ضده ، أما الذين نكلوا بالشعب وعذبوه أشد العذاب ، ولم يتعرضوا بسوء للسادات فقد تمتعوا بحمايته على الرغم من كل ما نُسب إليهم •

حماية السادات لأشرف مروان :

أشرف مروان هو الذى أطلقت عليه أخبار اليوم لقب « الطفل المدلل » وهو زوج « منى » ابنة جمال ، وكان الزوج وزوجته يلتقيان في حب المال والسعى للحصول عليه من أى طريق ، وكان الزوج عندما تحوم حوله الشبهات ويتعرض لأى لون من المخاطر تسرع زوجته إلى بيت السادات باكية وهى تردد : « يعنى بنت عبد الناصر جوزها حرامى » ؟ ^(١) •

(١) موسى صبرى : المرجع السابق ص ٨٢٧ •

ولنعد للمسألة من أولها ، ولنقتبس من موسى صبرى بعض ما قال عن أشرف مروان :

« كان أشرف مروان لصيق الصلة رسميا وعائليا بأنور السادات منذ ليلة ١٥ مايو ، وأصبح مدير مكتب الرئيس للمعلومات ، ورسوله الخاص إلى الرؤساء العرب ، ثم رئيسا لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع بمرتب ضخم ، واشتغل بأعمال تجارية واسعة النطاق بدأت بتجارة السلاح حتى أصبحت ثروته قبل وفاة السادات ٣٠٠ مليون جنيه ، وقد نُشر أخيرا أنه ساهم في شركة بريطانية بمبلغ « ١١ مليون جنيه استرليني » كما أنه ينازع على شراء مؤسسة هارودز في قضايا موضوعها مئات الملايين .

« لسانه ثقيل بالخلقة ويتلعثم عند الحديث

» كانت له في عهد السادات طيارة " خاصة ليستعملها في التنقلات المتعلقة بعمله في هيئة التصنيع وفي تنقلاته الخاصة .

« انتشرت شائعات تقول إن السادات أو أسرته كانوا يشاركون أشرف مروان في مشروعات تجارية .

« كان يتحدث عن أسرة عبد الناصر فيروى للسادات أن أرملته عبد الناصر وكريمته هدى وزوجها حاتم صادق يقفون موقفا معاديا للرئيس ، وكان يدعى أن هذه الأسرة تكرمه لصلته بالسادات ، وكان ينقل قصصا عديدة للسادات عن عداة أسرة عبد الناصر له .

« أنشأ علاقات شخصية مع قادة ثورة ليبيا وبخاصة عبد السلام جلود الذى كان يحضر للقاهرة ليهرب من القيود التى فرضها القذافي على شرب الخمر ، وكان يقضى ليلاليه في القاهرة سعيدا بكل ما يشتهى .

« ونشأت روابط بين أشرف مروان وبين البليونير كمال أدهم شقيق

زوجة الملك فيصل ، وتطورت هذه الروابط إلى المشاركة في أمور تجارية ، ثم إلى روابط سياسية أخرى ، ولا يعرف بالضبط سبب هذه الروابط التي فتحت الباب لثروة هائلة لأشرف مروان .

« ويذكر موسى صبرى صفقات وهمية كانت تجرى ليكسب أشرف مروان مبالغ طائلة من خلفها من البليونير السابق ذكره ، ويقول في ذلك إن عمليات الشراء والبيع كانت تتم بصورة صورية حتى يكون رأس مال أشرف ذا صفة شرعية على الأوراق الرسمية . »

« وقد سئل أشرف مروان أمام المدعى الاشتراكي عن مصدر الأموال التي اشترى بها أرضاً ؟

فأجاب :

إن زوجته تلقت عدة سيارات هدية من إحدى الدول العربية بوصفها كريمة عبد الناصر ، وقد باعتها وكان ثمنها هو رأس مال الصفقة الأولى من الأرض .

« ثم اشترى كمال أدهم هذه الأرض من زوجته بثمن مرتفع جداً ، وكان ذلك هو ثمن الصفقة الثانية من الأرض . »

« وعلى هذا فرأس مال أشرف مروان وزوجته جاء من سيارات هدية لأزوجة ، ثم من مال وفير قدّمه كمال أدهم باسم شراء الأرض من هذه الزوجة ولو أن ذلك كان صفقة صورية كما يقول موسى صبرى » .

ونقطع اقتباساتنا من موسى صبرى لنسأل :

لماذا لم تتلق هدى « ابنة عبد الناصر » مثل هذه الهدايا ؟

ولماذا لم يشتري كمال أدهم شيئاً من ممتلكات « هدى » بأسعار مضاعفة كوئنت رأس مال كبير لصفقات مهمة ؟

والإجابة أن الله وحده هو الذى يعلم •

ونعود لموسى صبرى الذى يروى أن الجناح الذى كان يسكنه أشرف مروان فى أحد فنادق لندن قد سُرق منه قدرٌ من جواهر أشرف وزوجته تقدر بعشرات الآلاف من الجنيهات الاسترلينية ، وذلك أيضا جانب من جوانب الثراء •

ويعلل أنور السادات إبقاءه لأشرف مروان مع كل ما يشاع حوله من اتهامات بقوله :

— لم أكن أعرف أن أحد المقربين لفلان (وذكر اسم ملك عربى) ينتقاض رشوة ، وهذا الرجل يساعدنا فيما نطلبه من الملك ، وعلاقة أشرف به تيسر أمورنا (أى أن أشرف يقدم له الرشوة المطلوبة) •

— أنا لا أقبل أن أمدّ يدي لأى حاكم عربى ، ولكننا نتعرض لمازق مالية خطيرة ، وأشرف يقوم بهذه المهمة (أى يقبل أن يمد يده) كما مدها لكمال أدهم •

وكان السادات يتصور أن القيادات السعودية تفضل أن تتعامل مع مصر عن طريق أشرف مروان ، أو أن أشرف أوهم السادات بذلك ، ثم تمت لقاءات رسمية بين السادات والأمير فهد (ملك المملكة السعودية بعد ذلك) اتضح منها أن السعودية تفضل أن يكون التعامل مع مصر عن طريق شخص غير أشرف •

وطلب الرئيس مرة أن يحقق المدعى الاشتراكى مع أشرف فى قضية أرض الهرم ، وأجرى المدعى الاشتراكى هذا التحقيق ثم احتفظ به دون أن يبلغه للسادات ، ولما سأل السادات عن ذلك قال المدعى الاشتراكى : إنه أخذ انطبعا بأن الرئيس متعاطف مع أشرف مروان •

وعندما تولّى أشرف مروان رئاسة مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع جعلها دولة داخل الدولة ، وأنشأ بها مناصب عديدة بمرتبات ضخمة ، وكثر عدد الوظائف التي لا يقوم أصحابها بأعمال ذات قيمة تعادل ما يصرف لهم من مرتبات •

وكان أشرف مروان يقدم هدايا قيمة باسم الهيئة الى عدد من الشخصيات العامة ، وقد كان من هذه الهدايا تليفزيون ضخّم قدّمه إلى الأستاذ موسى صبرى ولكن هذا أعاده إليه ، ويقول موسى صبرى إنه علم انه أرسل مثل هذه الهدية إلى عدد كبير من كبار المسئولين والوزراء ، وقليل جدا من ردة الهدايا إلى مرسلها •

وقد علم الأستاذ الدكتور حلمى مراد عضو مجلس الشعب آنذاك بخبر هذه الهدايا فقدم للمجلس سؤالاً بشأنها ولكن هذا السؤال لم ير النور •

وعندما كان الأستاذ موسى صبرى مع زوجته بالولايات المتحدة لعلاجها اتصل به أحد رجال أشرف مروان وقال له إن الدكتور أشرف ترك له صندوقاً صغيراً ، ويسأل كيف يرسله إليك ورفض الأستاذ موسى صبرى تسلّم هذا الصندوق ، وخطر بباله أن تكون به بعض لمنوعات كالمخدرات للإيقاع به موسى صبرى إذ كان أشرف يعرف عداؤه له ، ويقول موسى صبرى لقد ذكرت تلك الحادثة للرئيس السادات فقال الرئيس ضاحكاً : مخدرات إليه ياعبيط ؟ ده كان عايز يشترىك ، قَطْعاً كان باعت حاجة ثمينة لزوجتك فى هذا الصندوق ، فهذه هى طريقة أشرف أنا عارفه كويس •

وتعبير « عارفه كويس » يلقى مسئولية كبرى على السادات ، لقد كان يعرف الانحراف ويحميه وتلك من أخطر المثالب لأى رئيس (١) •

(١) السادات : الحقيقة والاسطورة ص ٨٢٥ - ٨٣٣ (لقطات) •

خاتمة

شكرا لك يارب على عونك العظيم الذى ساعدنى حتى وصلت فى هذا الكتاب إلى الشاطئ بعد عناء طويل ، لقد كنت أبتلع إلى نورك لتعيننى حتى أظل منصفا فى هذا الموضوع الذى افترق الناس فيه إلى مؤيد مدافع ، أو معارض مهاجم ، وأشهدك يارب أنى ظلمت شديد التمسك بالحيدة والإنصاف ، فذلك هو واجبى كمؤرخ التزم بالآداب والقوانين التاريخية •

وأكرر ياربى شكرى وثنائى واعترافى بالمدد الضخم الذى كنت أتلناه كلما توقفت بى السبيل •

وفى هذه الخاتمة أريد أن أقرر أربع قضايا هى :

أولا : جلبت الثورة التى قام بها الجيش بمصر ، الاستعمار الصهيونى لجزء عزيز من أرضنا الطيبة •

وجلبت الديون التى لا تزال نرزع تحت ثقلها •

وأسىء للإنسان المصرى بواسطة رجال الجيش أبلغ إساءة ؛ قتل هذا الإنسان ، وسجن ، وعذب ، وضرب ، وصودرت أهواله ، وفُصل من عمله •

وسجن الشعب كله عندما منع من مغادرة البلاد إلا بموافقة يصعب الحصول عليها •

وصدرت قرارات كثيرة تنقصها الحكمة ، كقانون الإسكان والإصلاح الزراعى ، وعاشت هذه القوانين ثلاثين عاما ، أو تريد كأن هذه الثورة الجاهلة وضعت لهذه القوانين الجائرة تعويذة بحيث لا تستطيع قوة أخرى فك طلاسمها ، ومن هنا لا تزال هذه القوانين قائمة على الرغم من منافاتها للدين ، والعقل ، والقوانين العالمية ، فالإيجار الشهري لشقة فى جاردن سيتى أو المعادى لا يكفى لشراء نصف كيلو من اللحم ، ومستأجر الأرض الزراعية مستبد بها ، ويحصل على أضعاف ما يحصل عليه المالك ، يا للسخرية •

وفي ظل هذه الثورة ظهرت اتهامات كثيرة بالسلب والذهب والرشوة •
ومن أجل هذا يتحتم أن يبقى الجيش للدفاع عن البلاد ، دون
أن يتورط في السياسة ، فالسياسة علم له قواعد وأسس ودعائم •

ثانيا : ذكرنا في مطلع الحديث في هذا الجزء أن أنور السادات
لم ينجى من فراغ ، وأنه تلقى تراثا من عصر سلفه كان عليه أن يتصرف
بمقتضاه ، وقد تصرف بقدر طاقته فأحسن وأساء ، وقد رصدنا إساءته
وإحسانه ، وجاء بعده محمد حسنى مبارك الذى تلقى تراث عبد الناصر
والسادات وهو عبء ثقيل ، نرجو الله أن يساعد في حمله ، وأن يهيئ
له الطريق السوى لمسيرة موفقة لصالح الوطن والمواطنين •

إن الناس يتطلعون إلى عهد تستريح فيه خواطرهم بعد طـوـك
عناء ، وتحل فيهم مشكلاتهم بعد أن ثقلت المشكلات عليهم ، فاللهم ألهم
حسنى مبارك فيضا من توفيقك حتى يرضيك بما يعمل ، ويسير بهديك في
كل خطوة يخطوها ، واللهم أبعد عنه الذين يخافونه ولا يخافونك ،
والذين يعملون لصالحهم لا لصالح الشعب •

ويارب مكن في خاطره أن السلطان لا يدوم ، وأن من أراد المجد
الطويل يجده في التاريخ الحافل بالذكر الحسن ، ذلك التاريخ الذى
تتناقله الأجيال ، ويذوى فيه الزين ويختفى ، وينمو فيه الحق ويزدهر •
لقد استقبل الشعب حسنى مبارك أروع استقبال ، وفي الحق كانت
هناك عقبات ذلكها السادات ، ولكن الكثير كان قد تبقى ينتظر خلكه ،
كتقسيم المجتمع إلى غمال وفلاحين وفئات ، وكالقوانين التى ذكرناها
أنفا ، وندعو الله أن يوفق حسنى مبارك لإزالتها •

وكلما أقبلت يا سيادة الرئيس على الشعب كلما زاد الشعب إقبالا
عليك ، وأعلنها ديمقراطية حقيقية كاملة ليحمل الشعب عنك أعباء
المسيرة ، أو أعلنها ديكتاتورية سافرة ، واحمل أنت مسئوليتها ، وحذار
من الديمقراطية الزائفة ، ديمقراطية عبد الناصر والسادات فهي مضیعة
للبلاد والعباد •

ثالثا : موسوعة التاريخ الاسلامى التى تتكون من عشرة مجلدات بدأت العمل بها فى إندونيسيا سنة ١٩٥٥ ، وتم الجزء العاشر منها سنة ١٩٩٠ وهى مدة طويلة كان المهندس خلالها يستطيع أن يبنى مدناً كاملة ، وكان التاجر المخلص يستطيع أن يطور تجارتها ، ويضاعف رأس ماله ١٠٠٠ ، ولكن المؤلف لا ينظر إلى مال ولا جاه ، بل يسعى لإرضاء ضميره وخدمة الشعب ، ولعلنى قد حققت هذا الهدف •

ومع طول المدة كان الجهد متصلا والمثابرة على العمل دائمة ، ولكن طبيعة العمل ومشكلاته احتاجت لهذا الوقت الطويل ، وكان الانتقال من عصر إلى عصر ، ومن دولة إلى دولة يستلزم مصادر جديدة وتخطيطا جديدا ، وكان عون الله من جانب ، والأصرار من جانب آخر ، هما الزورق الذى ساعدنى للوصول للشاطئ ، فشكرا لله جل وعلا ، وشكرا للنفس التى تحملت المشاق والحربان من أجل هذا الهدف العظيم •

رابعا : قد يظن ظان أننى سأكتب مجلدا تاليا لهذا المجلد ، هو مثلا الجزء الحادى عشر ••••• وأقرر أن تخطيط الموسوعة أن تكون فى عشرة مجلدات فقط ، والحمد لله على اكتمالها ، أما عصر حسنى مبارك وهن يجىء بعده فمكانه فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة وهو الجزء الخاص بتاريخ مصر من مطلع الإسلام إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم ، وقد حوى الجزء الخامس فى طبعته السابقة تاريخ عدة سنوات من سنوات حكم حسنى مبارك ، وشمل تاريخ أخطر الأحداث حتى سنة ١٩٨٥ ، وفى الطبعة التالية إن شاء الله سنضيف أحداث ما بعد سنة ١٩٨٥ •

أما عصر عبد الناصر والسادات فكان لهما وضع خاص بسبب الثورة وأحداثها الخطيرة وما ارتبط بها من نجاح وفشل ، ولذلك وضعت جزءا خاصا لهذا العصر ولذا ، وبعدهما نعود إلى تاريخ مصر فنواصل المسيرة معه ما تبقى لنا من العمر والجهد •

والحمد لله فى البدء والختام ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله •

مصادر الكتاب ومراجعته

تُعْتَبَر الصلة المباشرة بين المؤلف والأحداث رؤيةً وسماعاً هي المصدر الأول للكتاب ، وبعد ذلك تجيء المصادر المذكورة هنا وهي المصادر التي وردت في ذيل صفحات الكتاب ، وهناك مصادر متعددة أسهمت بطريق غير مباشر في كتابة هذا الكتاب لم ندونها هنا .

وقد رُتِبَت المراجع والمصادر حسب الحروف الهجائية للمؤلفين :

- ١ — مجموعة كبيرة من الصحف والمجلات المصرية والعالمية .
- ٢ — مضبطة مجلس الشعب .
- ٣ — بروتوكولات حكماء صهيون .
- ٤ — مؤلفون اسرائيليون : التقصير
- ٥ — دستور السادات .
- ٦ — نشرة الوثائق تصدرها مصلحة الاستعلامات .
- ٧ — بيانات وأقوال لزعماء العالم .
- ٨ — دكتور ابراهيم دسوقي أباطة الخطايا العشر بين عبد الناصر والسادات
- ٩ — دكتور ابراهيم عبده ومن النفاق ما قتل
- ١٠ — دكتور ابراهيم عبده أقول للسلطان
- ١١ — الأستاذ أحمد أبو الفتوح التحدّي
- ١٢ — الأستاذ أحمد بهاء الدين محاوراتي مع السادات
- ١٣ — دكتور أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامى الأجزاء التسعة السابقة
- ١٤ — دكتور أحمد شلبي موسوعة الحضارة الإسلامية ١٠ أجزاء

- ١٥ — دكتور أحمد شلبي مقارنة الأديان ٤ أجزاء
- ١٦ — أحمد طلعت السادات قبل الرياسة
- ١٧ — اسماعيل عبد المتواب السادات بلا رتوش
- ١٨ — الأستاذ اسماعيل فهمي التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط
- ١٩ — أنور السادات البحث عن الذات
- ٢٠ — أنور السادات صفحات مجهولة
- ٢١ — أنور السادات وصيتي
- ٢٢ — أنور السادات يا ولدى هذا عمك جمال
- ٢٣ — باروخ نادل وتحطمت الطائرات عند الفجر
- ٢٤ — الأستاذ جلال الدين الحمامي القرية المقطوعة
- ٢٥ — الأستاذ جلال الدين الحمامي حوار وراء الأسوار
- ٢٦ — الأستاذ جلال الدين الحمامي أسوار حول الحوار
- ٢٧ — جلال السيد وسامي مهران البرلمان المصري
- ٢٨ — جمال حماد الحكومة الخفية في عهد جمال عبد الناصر
- ٢٩ — جمال سليم ديكتاتورية السادات
- ٣٠ — جمال سليم شبهة جنائية في وفاة عبد الناصر
- ٣١ — جولدا مائير حياتي
- ٣٢ — جيهان السادات امرأة من مصر
- ٣٣ — حامد المليجي كشف الستار عن نظرية امتياز بعض الأجناس
- ٣٤ — اللواء حسن البدرى وآخران حرب رمضان
- ٣٥ — حسن عزت العمالة والأقزام

- ٣٦ — دكتور حسين مؤنس
باشوات وسوبر باشوات
- ٣٧ — حمدي الظاهري
خمس سنوات سياسة
- ٣٨ — ابن خلدون
المقدمة
- ٣٩ — سيد مرعي
أوراق سياسية
- ٤٠ — شوقي بخالد
محاكمة فرعون
- ٤١ — دكتور صادق جلال العظم
نقد الفكر الديني
- ٤٢ — دكتور صلاح العقاد
السادات وكامب ديفيد
- ٤٣ — عادل حمودة
اغتيال رئيس
- ٤٤ — عادل حمودة
الهجرة إلى العنف
- ٤٥ — عاطف السيد
من سيناء إلى كامب ديفيد
- ٤٦ — ابن عبد الحكم
سيرة عمر بن عبد العزيز
- ٤٧ — المستشار عبد الحميد يونس
دراسة عن قضية الأحوال الشخصية
- ٤٨ — ابن عبد ربه
العقد الفريد
- ٤٩ — عبد العاطي أحمد
كرسي الوزارة
- ٥٠ — دكتور عبد العزيز سليمان محنتي
محتى
- ٥١ — دكتور عبد العظيم رمضان
مصر في عهد السادات
- ٥٢ — عبد الله امام
محاكمة عصر
- ٥٣ — عبد الله امام
انقلاب ١٥ مايو
- ٥٤ — الفريق عبد المحسن مرتجى
مذكرات
- ٥٥ — الأستاذ عبد المنعم أمين
مقالات نشرت بصحيفة الوفد
- ٥٦ — الأستاذ عبد الواحد الابيارى
فجر التاريخ الإفريقي

- ٥٧ — المهندس عثمان أحمد عثمان تجربتي
- ٥٨ — الأستاذ علوى حافظ المنصصة
- ٥٩ — الأستاذ عمر التلمساني أيام مع السادات
- ٦٠ — الأستاذ كمال خالد رجال عبد الناصر والسادات
- ٦١ — الأستاذ محمد ابراهيم كامل السلام الضائع في كامب ديفيد
- ٦٢ — الأستاذ محمد أنور رياض القابضون على الجمر
- ٦٣ — اللواء محمد حافظ اسماعيل أمن مصر القومي في عصر التحديت
- ٦٤ — الأستاذ محمد حسنين هيكل خريف الغضب
- ٦٥ — الأستاذ محمد حسنين هيكل عند مفترق الطرق
- ٦٦ — الأستاذ محمد حسنين هيكل وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى
الاشتراكى
- ٦٧ — الدكتور محمد حلمى مراد التغيير أو الضياع
- ٦٨ — المستشار محمد عبد السلام سنوات عصيبة
- ٦٩ — الفريق أول محمد فوزى حرب الثلاث سنوات
- ٧٠ — الفريق أول محمد فوزى استراتيجية المصالحة
- ٧١ — الأستاذ محمود رياض مذكرات محمود رياض
- ٧٢ — الأستاذ مصطفى أمين سنة أولى سجن
- ٧٣ — الأستاذ مصطفى أمين سنة ثانية سجن
- ٧٤ — الأستاذ مصطفى كمالاً ضفادع وعقارب
- ٧٥ — موسى ديان قصة حياتى
- ٧٦ — الأستاذ موسى صبرى وثائق ١٥ مايو

- ٧٧ — الأستاذ موسى صبرى السادات الحقيقة والأسطورة
- ٧٨ — الأستاذ نبيل عبد الفتاح المصحف والسيف
- ٧٩ — دكتورة نعمات أحمد فؤاد صناعة الجهل
- ٨٠ — هتلر كفاحي
- ٨١ — الأستاذ وجيه أبو ذكرى مجزرة الأبرياء
- ٨٢ — الأستاذ وجيه أبو ذكرى حرب أكتوبر : شهادة اسرائيلية

رقم الايداع ٢٨٦١ لسنة ١٩٩٠

الترقيم الدولى : ١ - ١٥٣ - ١٠٠ - ٩٧٧

مطابع سجل العرب

HISTORY and CIVILIZATION of ISLAM

A study, in Ten Volumes,
on History of MUSLIM NATIONS
in All Muslim Ages and Lands

10



دكتور أحمد شلبي

THE HISTORY OF CONTEMPORARY EGYPT

(A Day By Day History of The 23 rd July Revolution)

ANWAR AL SADAT'S EPOCH

By

AHMED SHALABY,

B.A. (Hon.) Cairo University,

Ph. D. Cambridge University,

Professor of Islamic History and
Civilization

Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

— تلقى دراساته في الأزهر في كلية دار العلوم
(جامعة القاهرة) وفي جامعة لندن وجامعة كمبردج.
— زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوروبا
وآسيا وأفريقيا، ومثل مصر في عدة مؤتمرات دولية.
— درس مجموعة من اللغات الأجنبية وعجيد الإنجليزية
والاندونيسية.

— اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ
ورئيس قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، وقد
حاضر— مستديا وزائرا ومُعارا— في جامعة الأزهر،
وعين شمس، واندونيسيا، والسودان، وماليزيا، والمملكة
العربية السعودية، وليبيا، وفي معهد الدراسات الاسلامية،
ومعهد البحوث والدراسات العربية، ومعهد الدراسات
الدبلوماسية.

— مؤلفاته تزيد عن خمسين كتابا ظهرت الطبعة الحادية والعشرون
من بعضها وأهم هذه المؤلفات :

١— موسوعة التاريخ الاسلامي في عشرة مجلدات

٢— موسوعة الحضارة الاسلامية في عشرة أجزاء.

٣— مقارنة الأديان في أربعة أجزاء.

٤— كيف تكتب بحثا أو رسالة.

٥— المكتبة الاسلامية لكل الاعمار : ١٠٠ جزء من
السّير والتاريخ وقصص القرآن للأطفال والشبان
والسيدات والرجال.

٦— ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS

٧— HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

— كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية، وترجمت أكثر.
مؤلفاته الى الأوردية، والتركية، والاندونيسية، والماليزية
والفرنسية، والفارسية.

FIRST EDITION (1990)

Published by :

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.